جامعة سعد دحلب بالبليدة

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والديموغرافيا

مذكرة ماجستير

التخصص: علم الاجتماع التربوي

دور المسجد في نشر الثقافة الدينية
لمواجهة التحديات الراهنة

من طرف

حياة زغدودي

أمام اللجنة المشكلة من

رتيمي فضيل	أستاذ محاضر	جامعة البليدة	رئيسا
معتوق جمال	أستاذ التعليم العالي	جامعة البليدة	مشرفا ومقررا
عيادي سعيد	أستاذ محاضر	جامعة البليدة	عضوا مناقشا
هشام حسن	أستاذ محاضر	المركز الجامعي للجلفة	عضوا مناقشا

البليدة، ماي 2008

شكـر

أشكر الله العلي القدير الذي لا تحصى نعمه ولا تعدّ فضائله على أن وفّقني في إتمام هذا العمل الذي أرجو به حسن القبول عنده، فله الحمد أوّلاً وأخيرًا.

والشكر موصول بعد الله إلى كلّ من قدّم يد العون والمساعدة، وساهم بشكل أو بآخر في إنجاز هذا العمل وعلى رأس هؤلاء الأسرة الكريمة، و المشرف الأستاذ الدكتور جمال معتوق، الدكتور رتيمي الفضيل والدكتور عيادي سعيد وكذا الأستاذ سعدي محمد.

كما لا يفوتني أن أشكر السيّد ناظر الشؤون الدّينية والأستاذ مفتاح شدّادي مفتّش التكوين المسجدي بالبليدة وعمي رابح الذي أمدّني بالمعلومات والإحصائيات اللّازمة لإنجاز هذا العمل، وكل الأئمة المبحوثين الذين تجاوبوا مع الدّراسة وزوّدونا بالمعطيات والآراء والأفكار التي خدمت الدّراسة خاصّة والبحث العلمي عامّة.

وصلى الله على محمّد وعلى آله وصحبه.

مـلـخّــص

يعتبر المسجد بنية مركزية في التربية والثقافة الدينية باعتباره فضاءًا ثقافيًا وروحيًا للتلاقي المستمر بين أعضاء المجتمع المسلم، وقد شكّل في بداية الدّعوة نواة مقدّسة لتشكيل الدولة الإسلامية الأولى، حيث احتضن عدّة وظائف تعليمية، تربوية، اجتماعية، ثقافية، عسكرية وسياسية، ورغم تغيّر الظروف الحالية عن الظروف المجتمعية الأولى، إلاّ أنّ أهمية ووظيفة المسجد لم تنته، بل ازدادت وتقوّت في اتجاه تعزيز الفكر الديني الإسلامي السليم والثقافة الدينية اللازمة في ظل الظروف والتحدّيات الراهنة.

وترجع الأهمية الخاصّة التي يتمتع بها المسجد إلى عدّة عوامل حضارية اجتماعية وتاريخية، فخطاب المسجد في ظل الواقع الاجتماعي السائد، يتميّز بسهولة وسرعة التسرب إلى مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية، الذي تزداد قوّته بقوة المعاني التي يلقيها الإمام الخطيب ومدى قدرته على الاقتراب من الجمهور المسجدي من خلال إثارة الأحاسيس الدينية والروحية والتعبير عن الدراية الواقعية بالظروف الاجتماعية والتحديات الدينية والأخلاقية السّائدة، والعمل على تحصين المجتمع من الاختراق المذهبي الوافد، فالمسلمون يعانون اليوم من مشكلات أخلاقية وروحية حادة، على رأسها العولمة الثقافية، الغلو والتعصب، الانحلال الأخلاقي، الغزو الفكري والثقافي، التنصير...الخ. لذلك فإنّ المسجد هو أهم المؤسسات المنتجة للوجدان الديني والثقافي عن طريق مجموع القيم والأخلاق التي ينشرها ويوزّعها على أفراد المجتمع.

فالثقافة الدينية، تقوم على مبادئ وتعاليم دينية وأخلاقية نابعة من عقيدة وفلسفة الأمّة في الحياة، وهي بذلك لا تقتصر على الجوانب الوجدانية والعاطفية بل تتعداها إلى الجوانب الفكرية والسلوكية.

وما قمنا به في هذه الدراسة هو محاولة الكشف عن واقع ودور المؤسسة الدينية في المجتمع المسلم، وما تقوم به في سبيل نشر الثقافة الدينية التي تمثل المناعة ضد التحديات الدينية والأخلاقية المواجهة للفرد المسلم خاصة الشباب الناشئة، وهذا من خلال مجموعة من الأبعاد والمؤشرات الممثلة للمسجد، من إمام وخطاب مسجدي، وكذا النشاطات المسجدية، وما يواجه العمل المسجدي من مشاكل ونقائص، منها تكوين الإمام ومستواه ونوعية الخطاب الملقى في المسجد ومقارنته بالخطاب الذي تلقيه وسائل الإعلام الديني، ومكانة كل منهما عند الجمهور المستمع.

ولقد توصلت الدراسة إلى عدّة نتائج أهمّها:

- التكوين الذي تلقاه الإمام لا يساعد على إنتاج خطاب مسجدي قادر على تزويد الشباب والناشئة بالثقافة الدينية اللازمة لهذا العصر والتي تمثّل المناعة ضد التحديات الراهنة، وعدم رضى الأئمة عن التكوين الذي تلقوه.
- النشاط المسجدي محصور أساسًا في حلقات تحفيظ القرآن وبعض الدروس خارج الجمعة والتي يلقيها الإمام نفسه الذي يجد أنّ أدائه ناقص في إنتاج الخطاب الفعال للتعبير والتأثير في الجمهور.
- إنّ وسائل الإعلام الديني من سمعية، بصرية ومطبوعة بما تحمله من معلومات ومعارف في الجانب الديني أدّت إلى عدم رضى الجمهور المستمع عن الخطاب المسجدي للإمام.

وعليه فإنّ المسجد اليوم لم يعد يستجيب لمتطلبات وتحدّيات العصر ولم يعد كما كان مدرسة لنشر الثقافة الدينية التي تمكن الفرد المسلم من مواجهة التحدّيات الدينية والأخلاقية الراهنة وأصبح مكانًا لأداء العبادة فقط.

قـائمة الجـداول

الرقم		الصفحة
01	تصانيف العمال في قطاع الشؤون الدّينية	78
02	يظهر مقارنة بين التكوين في المعاهد الإسلامية والجامعات الإسلامية	81
03	إحصاء أعضاء السلك الديني لولاية البليدة	177
04	إحصاء أئمة ولاية البليدة حسب مديرية الشؤون الدّينية	178
05	إحصاء أئمة ولاية البليدة حسب مديرية الشؤون الدّينية	178
06	إحصاء بعدد المساجد في البلديات والدوائر لولاية البليدة	181
07	إحصاء بعدد المساجد في البلديات والدوائر لولاية البليدة	181
08	توزيع المبحوثين حسب السّن	183
09	توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي	183
10	توزيع المبحوثين حسب الرتبة	184
11	توزيع المبحوثين حسب حفظهم للقرآن الكريم	184
12	توزيع المبحوثين حسب الحالة الاجتماعية	185
13	توزيع المبحوثين حسب عدد الأولاد	186
14	توزيع المبحوثين حسب نوع المسكن	186
15	توزيع المبحوثين حسب ملكية السكن	186
16	توزيع المبحوثين حسب الدّخل الشهري	187
17	توزيع المبحوثين حسب المستوى الاقتصادي	187
18	توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين الذي تلقاه الإمام	188
19	توزيع المبحوثين حسب مدّة التكوين	189
20	توزيع المبحوثين حسب اعتمادهم على دواوين الخطب المنبرية	190
21	توزيع المبحوثين حسب اعتمادهم على خطب الوزارة	190
22	توزيع المبحوثين حسب المواضيع التّي تتناولها خطبهم	192
23	توزيع المبحوثين حسب مدّة إلقاء الخطبتين	194
24	توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين والاعتماد على خطب الوزارة	194

25	توزيع المبحوثين حسب الاعتماد على خطب الوزارة وطريقة الإلقاء	196
26	توزيع المبحوثين حسب الرّتبة وطريقة إلقاء الخطبتين	197
27	توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين وطريقة إلقاء الخطبتين	198
28	توزيع المبحوثين حسب طريقة إلقاء الخطبتين والتأثير في المصلّين	199
29	توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين وتدوين الخطبتين	200
30	توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين ووجود صعوبات في مناقشة القضايا التي يطرحها المصلّين	201
31	توزيع المبحوثين حسب مواصلة المطالعة والبحث بعد التوظيف	202
32	توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين ومصدر المعارف التي يملكونها	203
33	توزيع المبحوثين حسب نوع الثقافة التي وفّرها لهم التكوين	204
34	توزيع المبحوثين حسب نظرتهم لمستوى التكوين	205
35	توزيع المبحوثين حسب رأيهم في مدى تهيئة التكوين الذي تلقّاه الإمام للنجاح في عمله	206
36	توزيع المبحوثين حسب رأيهم في مدى تمكين التكوين لهم من إنتاج خطاب في مستوى تطلّعات الجمهور	207
37	توزيع المبحوثين حسب رضاهم عن التكوين الذي تلقّوه :	208
38	توزيع المبحوثين حسب رأيهم في وجود فجوة بين التكوين والميدان	208
39	توزيع المبحوثين حسب ملاحظة إقبال الشباب والناشئة على المسجد	209
40	توزيع المبحوثين حسب سبب حضور الناشئة والشباب	210
41	توزيع المبحوثين حسب وجود نشاطات مسجدية	211
42	توزيع المبحوثين حسب عدد النشاطات في الأسبوع	212
43	توزيع المبحوثين حسب المشرف على النشاطات	212
44	توزيع المبحوثين حسب نوع النشاطات المسجدية	213
45	توزيع المبحوثين حسب المحاور التي تتناولها النشاطات الموجودة	214
46	توزيع المبحوثين حسب وجود بعض النشاطات المسجدية	215
47	توزيع المبحوثين حسب بعض النشاطات غير المذكورة في الجدول رقم (51)	218
48	توزيع المبحوثين حسب وجود لقاءات مع أهل الحي	218
49	توزيع المبحوثين حسب مساهمة النشاطات في تثقيف أبناء الحي	219
50	توزيع المبحوثين حسب تحقيق الهدف من النشاطات الموجودة	220
51	توزيع أفراد العيّنة حسب الجنس والمستوى التّعليمي	221
52	توزيع أفراد عينة المصلين حسب السّن والجنس	221

53	توزيع المبحوثين حسب المواظبة على الحضور إلى المسجد	223
54	توزيع المبحوثين حسب أسباب مواظبة الحضور إلى المسجد	223
55	توزيع المبحوثين حسب الاهتمام بسماع الخطاب المسجدي يوم الجمعة	224
56	توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي ومعرفتهم (ثقافاتهم) بالجانب الديني	225
57	المصدر الذي حصل منه المبحوثين على ثقافتهم الدّينية	227
58	توزيع المبحوثين حسب تفضيلهم الحصول على ثقافة دينية من المسجد أو الوسائل الأخرى	228
59	توزيع المبحوثين حسب عدم رضاهم عن الخطاب المسجدي بسبب الوسائل الأخرى	229
60	توزيع المبحوثين حسب رأيهم في تأثير الوسائل الأخرى على مكانة ووضعية الخطاب المسجدي	230
61	توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي والاستفادة من خطاب الإمام	231
62	توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي ورأيهم في مواضيع الخطابات المسجدية	233
63	توزيع المبحوثين حسب سماعهم لأحكام بعض القضايا الراهنة في المسجد أو في الوسائط الأخرى	234
64	توزيع المبحوثين حسب رضاهم على مستوى ومحتوى الخطاب المسجدي وأسباب ذلك	237
65	توزيع المبحوثين حسب الجنس واستشارتهم للإمام في أمورهم الخاصّة	238

الفهرس

مـــلخص

شكـر

الفهـرس

مقدمـة 12

1. البناء النظري والمنهجي للدّراسة 16

1.1. أسباب اختيار الموضوع 16

2.1. أهمية الدّراسة وأهدافها 17

3.1. صعوبات الدّراسة 18

4.1. الإشكالية 20

5.1. فرضيات الدراسة 22

6.1. الدراسات السابقة 23

7.1. تحديد المفاهيم الرئيسية 29

ملخص الفصل 38

2.مكانة المسجد وأهميته في المجتمع 39

1.2. المسجد وأهميته في المجتمع 39

1.1.2. أهمية ومكانة المسجد في حياة المسلمين 39

2.1.2. أهمية المسجد في التربية الأسرية 42

2.2. الوظائف الاجتماعية للمسجد 44

1.2.2. المسجد مصدر الأمان والاطمئنان 44

2.2.2. المسجد مركز للتعارف والتآلف والتكافل الاجتماعي 45

3.2.2. المسجد وسيلة لترسيخ المساواة والأمن في النفوس 47

3.2. الوظائف الأمنية للمسجد 48

1.3.2. أسس المجتمع الآمن 48

2.3.2. دور المسجد في التوعية بالجرائم الأمنية وخطورتها 49

4.2. وظائف أخرى للمسجد 51

1.4.2. الوظائف التربوية والتعليمية للمسجد 51

2.4.2. الوظائف السياسية والاقتصادية للمسجد 53

3.4.2. الوظائف العسكرية للمسجد 53

5.2. أعداء الإسلام والدّور الذي يلعبه المسجد 54

6.2. المسجد في التشريع الجزائري 55

1.6.2. شروط بناء المساجد وصيانتها وتنظيمها 55
2.6.2. وظائف المسجد وآدابه 57
ملخص الفصل..... 58
3. الإمام وخطابه المسجدي 59
1.3. الخطـابـة 59
1.1.3. نشأة الخطابة وتطوّرها 59
2.1.3. أهمية الخطابة وعلاقتها بالعلوم الأخرى 63
3.1.3. طرق تحضير الخطبة..... 56
4.1.3. صفات الخطيب النّاجح 68
2.3. الإمـامة 71
1.2.3.إمامة المسجد وشروطها..... 71
2.2.3. فضل الإمامة ومنزلة الإمام 72
3.2.3. صفات الإمام الخطيب وعوامل نجاحه 74
3.3. الإمام الخطيب، تكوينه ومهامه 76
1.3.3. أنماط تكوين الأئمة وشروط توظيفهم في الجزائر 76
2.3.3. الدور التعليمي والتربوي لإمام المسجد 82
3.3.3. مسؤولية الإمام العالم 84
4.3. الخطاب المسجدي 87
1.4.3. الخطاب الديني الإسلامي 87
2.4.3. خطبة الجمعة 88
3.4.3. كيفية بناء الخطاب المسجدي 93
ملخص الفصل 97
4. التربية والثقافة الدّينية 98
1.4. الطـفل والدين 98
1.1.4. الطفل وحاجته إلى الدّين 99
2.1.4. بداية ظهور الشعور الدّيني عند الطفل..... 101
3.1.4. معنى التدين في رأي الطفل وأسئلته الدينية 103
2.4. التربية والثقافة الدّينية للناشئة 106
1.2.4. مفهوم الثقافة الدّينية 106
2.2.4. ضرورة التربية والثقافة الدّينية للناشئة 113
3.2.4. مبادئ وأساليب الثقافة الدّينية 114
3.4. وسائط نقل الثقافة الدينية..... 117
1.3.4. الأسرة ودورها في نقل وتنمية الثقافة الدينية..... 118
2.3.4. دور جماعة الرفاق في اكتساب الثقافة الدينية 120
3.3.4. المدرسة وأهميتها في نقل الثقافة الدينية 122
4.3.4. الإعلام الديني 124
4.4. منهاج الثقافة الدّينية 127

1.4.4. أهداف ومحتوى الثقافة الدّينية 127
2.4.4. أساليب الثقافة الدينية 131
3.4.4. الفنون والوسائل اللازمة للثقافة الدّينية 133
ملخص الفصل 134
5.التحديات الدّينية والأخلاقية الراهنة ومواجهة المسجد لها 135
1.5. التحدّيات الدينية والأخلاقية الراهنة 135
1.1.5. العولمة وأثرها على البعد الأخلاقي والديني 135
2.1.5. تأثير الغلو والتطرّف على النشئ المسلم 140
3.1.5. الانحراف الأخلاقي 144
4.1.5. تحديات دينية وأخلاقية أخرى 147
2.5. تفعيل دور المسجد في حياة المجتمع 149
1.2.5. إصلاح الحطاب المسجدي لمواجهة التحديات الراهنة 149
2.2.5. الاهتمام بتكوين الإمام الخطيب لمواجهة التحديات الراهنة 152
3.5. دور الإمام الخطيب في نشر الثقافة الدّينية اللازمة لشباب هذا العصر..... 156
1.3.5. الحرص على ارتباط النّاشئة بالمسجد وتقوية الوازع الديني 156
2.3.5. محاربة الجهل والدعوة إلى طاعة ولاّة الأمر ووحدة المجتمع وتماسكه 158
3.3.5. حماية المجتمع وتحديد علاقة المسلم مع غير المسلمين 161
4.3.5. حماية الشباب من الغلو والانحراف والدعوة إلى الاعتدال والوسطية 163
4.5. استغلال النشاطات الدّينية المسجدية لنشر الثقافة الدّينية في أوساط النّاشئة 167
1.4.5. صلاة الجماعة 167
2.4.5. القرآن الكريم وحلقات التحفيظ 168
3.4.5. الخطب والمحاضرات المسجدية 170
ملخص الفصل 174
6. الأسس المنهجية للدّراسة الميدانية 175
1.6. المناهج المستخدمة في الدّراسة 175
2.6. أدوات جمع وتحليل المعطيات 176
3.6. كيفية اختيار العينة 177
4.6. مجالات الدّراسة الميدانية 179
5.6. الاقتراب النظري للدّراسة 182
7. تحليل وعرض نتائج الفرضيات 183
1.7. تفريغ وتحليل البيانات العامة لعينة الأئمة 183
2.7. تفريغ وتحليل بيانات الفرضية الأولى 188
3.7. تفريغ وتحليل بيانات الفرضية الثانية 209
4.7. تفريغ وتحليل البيانات العامة لعينة المصلين وبيانات الفرضية الثالثة 221
1.4.7. تفريغ وتحليل البيانات العامة لعينة المصلين 221
2.4.7. تفريغ وتحليل بيانات الفرضية الثالثة 223
5.7. مناقشة نتائج الفرضيات والاستنتاج العام للدّراسة الميدانية 239

1.5.7. مناقشة نتائج الفرضية الأولى 239
2.5.7. مناقشة نتائج الفرضية الثانية 241
3.5.7. مناقشة نتائج الفرضية الثالثة 243
4.5.7. الاستنتاج العام 246
خاتمة الدراسة 249
قائمة المراجع 251
الملاحق

مـقدمـة

لقد ارتبط تاريخ الأمّة الإسلامية ارتباطًا وثيقًا بالمسجد، لأنّ الإسلام لم يقصر رسالة المسجد على أداء الصلوات فحسب، بل أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون للمسجد دور ريادي وأهداف سامية في حياة المجتمع المسلم.

فبالإضافة إلى أداء العبادة، يعتبر المسجد مكان للذكر ومعهد للعلم ومدرسة للتهذيب، ومجلس قضاء وصلح، وفضاء للتعاون والتكافل الاجتماعي.

ولقد أدى المسجد رسالته خير أداء، فاجتمعت حوله قلوب المسلمين، فأصبح مشعلاً حضاريًا ومركزا ثقافيًا، قاد المسلمين لصنع حضارة لم يشهد لها العالم مثيلاً.

والحديث عن دور المسجد في الحياة العامّة يحتاج إلى وعي بفقه الواقع وتلمس نحو المجتمع وآلية الدعوة إلى الله وتحقيق العبودية الصحيحة من خلال فهم التدرّج العام لدور المسجد منذ عهد النبوة والعهد الراشد مرورًا بالدولة الأموية ثمّ العباسية وباقي العصور حتى اليوم ،ودور إمام المسجد فاعل في ارتباط الفرد بالمسجد والعكس صحيح، فإذا كان متمكّنًا من وسائله مدركًا لمشاكل المصلين واعيًا بأهمية الترغيب بتجاوز المشاكل، يصبح من معالم الحي الذي يوجد فيه المسجد، ولكن ونحن اليوم في مواجهة تحدّيات عالمية ارتبطت في السابق بالتضخم الاقتصادي والبطالة وما انجرّ عنهما من تبعية واليوم أضيف إليها العولمة بوسائلها وأسلحتها التي تهدف إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين وكذا إبعاد الفرد المسلم عن دينه إمّا بتنصيره، ليترك عقيدته ويتبع معتقدات غيره أو بجعله جاهلاً وأمّيًا وفارغًا من كلّ ثقافة دينية إسلامية، أي أنّ الثقافة التي يملكها الفرد المسلم عن دينه تشبه تلك الثقافة التي يملكها غير المسلم عن الإسلام، فوجد المسلم نفسه محاصر بكم هائل من الأفكار الدخيلة والغريبة عن بيئته ومعتقداته، لاسيما أنّ هذه الأفكار الغازية اتخذت من العلم والتقدم التكنولوجي وسيلة للانتشار والتوسع وأصبح الحفاظ على معالم الشخصية والهوية الإسلامية أمر يحتاج إلى برامج مختلفة للعمل الثقافي تكون مناسبة للأوضاع الجديدة، فالمسلمون يعانون اليوم من مشكلات أخلاقية وروحية حادّة فالكثير منهم يعانون من أزمة هوية ثقافية ودينية، فلا هم يتعرّفون إلى ذواتهم في القيّم الأصيلة ولا هم يجدون أنفسهم في الثقافات الدخيلة، لأنّ الهوية الدّينية الإسلامية هي الأكثر تعرّضًا لانتكاسات العولمة وتحدّياتها إذ أنّ العولمة في صورتها الراهنة هي ثقافة اختراق لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، لذلك تبرز الحاجة إلى مقاومتها قصد حماية الخصوصيات الثقافية والدينية من الانحلال والتمييع والتعصب والغلو والإرهاب.

ويمكن القول أنّ حماية الهوية الإسلامية وصيانتها أمر يتطلب الاهتمام بمجالات معينة تشكّل بمجموعها الإطار العام الذي يغذي الهوية والخصوصيات الثقافية بما يضمن لها الثبات والأصالة والاستمرار، ويعتبر المسجد (إضافة إلى الأسرة والمدرسة) من أهم المؤسسات المنتجة للوجدان الثقافي والديني عن طريق مجموع القيّم والأخلاق التي ينشرها ويوزعها على أفراد المجتمع ويلقّنهم إياها، باعتبارها تشكّل الآداب العامة الواجب مراعاتها والمقدّسات التي ينبغي الالتزام بها واحترامها.

فالثقافة الدّينية القائمة على مبادئ وتعاليم دينية وأخلاقية واجتماعية نابعة من عقيدة وفلسفة الأمّة في الحياة، لا تقتصر على الجوانب الوجدانية والعاطفية في الإنسان، إنما تتعداها إلى الجوانب الفكرية والسلوكية، إن هدفها هو الإنسان المتدين الصالح ليس المتدين فقط وهدفها أيضًا المحافظة على الفطرة السليمة وتنميتها وتزكيتها لذلك فإنّ الفرد المثقف دينيًا لو رأى تعرّض القيّم الدّينية للانحلال والتدهور فإنّه يكون واعيًا بذلك ومكلّفًا ومسؤولاً عن حمايتها، ولا ينجرف وراء الثقافات الأخرى فيتحول إلى مغالٍ متعصّب أو إلى منحلٍّ فاسد، ويعلم أنّ الإسلام هو دين الوسطية في كلّ شيء.

ومن هذا المنطلق فإنّ مناقشة دور المسجد من خلال الإمام المتمكن والواعي بمسؤولية المسجد أصبح من الأمور الملحّة والضرورية في مجتمعنا المسلم.

وما نحاول القيام به في هذه الدّراسة هو الكشف عن واقع ودور المؤسسة الدّينية في المجتمع المسلم، وما تقوم به في سبيل نشر الثقافة الدّينية التي تمثّل المناعة ضد التحدّيات الدّينية والأخلاقية المواجهة للفرد المسلم خاصة الشباب والناشئة وهذا من خلال مجموعة من المؤشرات والأبعاد الممثّلة للمسجد من إمام وخطاب ونشاط مسجدي، وما يواجه العمل المسجدي من مشاكل ونقائص، منها تكوين الإمام ومستواه، ونوعية الخطاب الملقى في المسجد، ومقارنته بالخطاب الديني الإعلامي الذي تنشره وسائل الإعلام الديني المتخصصة، ومكانة كلّ منهما عند الجمهور المستمع.

وعلى هذا الأساس، تمّ تقسيم الدّراسة إلى قسمين نظري وميداني اشتملا معًا على سبعة فصول.

القسم النظري احتوى على خمسة فصول:

الفصل الأوّل: هو فصل تمهيدي يمثّل الإطار النظري للدّراسة احتوى بدوره على سبعة أقسام هي: أسباب اختيار الموضوع، أهمية الدّراسة وأهدافها، صعوبات الدّراسة، إشكالية الدّراسة وفرضياتها، ثمّ الدراسات السابقة وأخيرًا تحديد المفاهيم الرئيسية في الدّراسة.

الفصل الثاني: تناولنا فيه كلّ ما يتعلّق بالمسجد، من مفهوم وأهمية ومكانة في المجتمع وفي حياة المسلمين، وكذلك أهميته في التربية الأسرية، ثمّ وظائفه من اجتماعية أمنية، تربوية وتعليمية وكذلك الوظائف الأخرى كالوظائف السياسية، الاقتصادية والعسكرية وبعدها تناولنا أعداء الإسلام والحرب التي قاموا بها ضد المسجد وفي آخر الفصل تناولنا المسجد في التشريع الجزائري.

الفصل الثالث: يتعلّق بالإمام والخطاب المسجدي، احتوى على أربعة مباحث، الأوّل: تناولنا فيه الخطابة، نشأتها وتطورها وكذا أهميتها وعلاقتها بالعلوم الأخرى، وكذا طرق تحضير الخطبة وصفات الخطيب النّاجح.

في المبحث الثاني تناولنا شروط إمامة المسجد وفضلها، وكذا منزلة الإمام وصفات الإمام الخطيب وفي المبحث الثالث، تناولنا تكوين الإمام ومهامه، حيث تمّ عرض أنماط تكوين الأئمة في الجزائر، وشروط توظيفهم إضافة إلى دورهم التربوي والتعليمي ومسؤوليته الإمام العالم.

أمّا المبحث الأخير فقد تناولنا الخطاب فيه الديني المسجدي وكيفية بنائه وأخيرًا خطبة الجمعة.

الفصل الرابع: خصّصناه للثقافة الدّينية إشتمل على 04 مباحث: الأوّل منه يعالج علاقة الطفل بالدين وحاجته إليه ومعنى التديّن في رأيه وكذا بداية الشعور الديني.

الثاني يتناول مفهوم التربية والثقافة الدّينية وضرورتها للناشئة وكذا مبادؤها وأساليبها.

الثالث: يعالج الوسائط التي تنقل الثقافة الدّينية كالأسرة جماعة الرفاق المدرسة، ووسائل الإعلام الديني.

المبحث الأخير يتناول منهاج الثقافة الدّينية من حيث الأهداف والمحتوى والأساليب والفنون والوسائل اللازمة للتثقيف الديني.

الفصل الخامس والأخير في القسم النظري، يتعلّق بالتحديات الدّينية والأخلاقية الراهنة ومواجهة المسجد لها.

في المبحث الأوّل: عرضنا التحديات الراهنة، كالعولمة، الغلو والتطرف والانحراف الأخلاقي وتحديات أخرى دينية وأخلاقية.

في المبحث الثاني تناولنا سبل تفعيل دور المسجد في حياة المسلمين، وذلك من خلال إصلاح الخطاب المسجدي والاهتمام بتكوين الإمام، وهذا لمواجهة التحديات الراهنة.

في المبحث الرابع: تناولنا دور الإمام في نشر الثقافة الدّينية اللازمة لشباب العصر، كالحرص على ارتباطهم بالمسجد وتقوية الوازع الديني فيهم ومحاربة الجهل والدعوة إلى الوحدة وطاعة ولاة الأمر إضافة لتحديد علاقة المسلم مع غير المسلمين وحماية الشباب من الغلو والانحراف والدعوة إلى الاعتدال والوسطية.

في المبحث الأخير، تناولنا كيفية استغلال النشاطات الدّينية والثقافية المسجدية، لنشر الثقافة الدّينية، كصلاة الجماعة، القرآن الكريم وحلقات التحفيظ وكذا الخطب والمحاضرات المسجدية.

الباب الثاني من الدّراسة، خصّصناه لكلّ ما له صلة بالميدان، وقد جزّأناه إلى فصلين، جعلنا الأوّل منه مدخلاً للدّراسة الميدانية وهو الفصل السادس، ذكرنا فيه كلّ الأسس المنهجية، بدأنا فيه بذكر المناهج المستخدمة في الدّراسة ثمّ أدوات جمع وتحليل المعطيات، وبعدها تناولنا كيفية اختيار العينة ومواصفاتها، ثمّ مجالات الدّراسة الميدانية، وأخيرًا المقاربة السوسيولوجية. أمّا الفصل السابع، فهو ثاني

فصل في الباب الميداني وآخر فصول الدّراسة، قمنا فيه بعرض وتحليل وتفسير المعطيات التي تحصّلنا عليها من الميدان في جداول مسطّحة، قسمناها إلى ستّة أقسام، القسم الأوّل احتوى على البيانات العامّة لعينة الأئمة، الثاني احتوى على تحليل وتفسير معطيات الفرضية الأولى، القسم الثالث اشتمل على تحليل وتفسير معطيات وبيانات الفرضية الثانية، أمّا الرابع فقد احتوى على البيانات العامة لعينة المصلين، كما تناولنا فيه بيانات ومعطيات الفرضية الثالثة، أمّا الخامس والأخير فقد قمنا فيه بمناقشة نتائج الفرضيات الثلاث والاستنتاج العام للدّراسة.

خاتمة الدّراسة تضمنت حوصلة عامة للنتائج التي تمّ التوصل إليها في الجانبين النظري والميداني للدّراسة، وكذا المعرفة الجديدة المكتسبة من خلال هذه الدّراسة.

الفصل 1:
البناء النظري والمنهجي للدّراسة

يعتبر البحث العلمي المحرك لكلّ تقدّم في كافة الميادين والبحث الاجتماعي هو واحد من تلك الأبحاث العلمية والذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية من مختلف الجوانب ووفقا لمنهجية خاصة به وهذا الفصل، هو نقطة الانطلاق والبدء في هذه الدّراسة به سوف تتم معالجة المحاور النظرية بالتطرق إلى الإشكالية وفرضيات الدّراسة والمفاهيم الأساسية وقبلها أسباب اختيار الموضوع والقيمة العلمية للدّراسة وأهدافها والصعوبات التي واجهت العمل وكذا الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع.

1-1-أسباب اختيار الموضوع

كل بحث أو دراسة علمية يكون الدافع إلى اختيارها عن غيرها من الدراسات، أسباب موضوعية ذات طابع علمي، ولا يخلو هذا الدافع من بواعث ذاتية تعكس الميولات الشخصية للباحث.

ويمكن تلخيص الأسباب العلمية في :

1. الحملات الإعلامية الشرسة على الإسلام وكل ما ينتمي إليه، والمسجد بالدرجة الأولى، باعتباره المؤسسة الدينية التي تعمل على تقوية العمل في الدفاع عن الإسلام، وتنادي بضرورة
2. التمسك بالثوابت والمتوارثات قدر استطاعة الإنسان في زمن الجديد من أولاد المسلمين في سن مبكرة من مرحلتي الطفولة والمراهقة، وتقلّص دور المسجد في محاربتها وتزويدهم بالثقافة الدّينية.
3. معرفة النقائص التي يعاني منها الخطاب المسجدي وأسباب ضعف الأئمة.
4. نقص الدراسات المهتمة بالخطاب الديني وخصوصاً الخطاب المسجدي.
5. الإمام بخطابه المسجدي هو القدوة الذي يقتدي به أفراد المجتمع الأمر الذي يستدعي الاهتمام به وبتكوينه نظرًا لدوره البارز في توجيه الناس.
6. التحدّيات الراهنة التي أدت بالمسلمين إلى الاغتراب وجعلت كثير منهم يبحثون عن السبل الكفيلة لمواجهتها في مذاهب غربية وأخرى شرقية، في حين أنّ منهج الأخلاق والثقافة الدينية الإسلامية هما العلاج والسلاح الفاعل لهذه التحدّيات المعاصرة.
7. تزايد وتفاقم العقبات والمخاطر المواجهة للدّعوة الإسلامية والتسلّط الغربي على كل ما يمت بصلة للإسلام.

أمّا الأسباب الذاتية فتتلخص في :

- الرغبة في معرفة الدافع وراء الحضور إلى المساجد، هل لأداء العبادة فقط أم الاستفادة من حضور صلاة الجماعة وخاصة الجمعة وكذا النشاط المسجدي.

- معرفة مكانة المسجد عند الفرد الجزائري، ومدى وعيه بدوره ورسالته في التنشئة والتثقيف الديني.

1-2- أهمية الدّراسة وأهدافها

البحث العلمي هو المهمة الأساسية للجامعة، ومن أهدافه محاولة إيجاد حلول للمشاكل التي يعانيها المجتمع، فموضوعاته هي مشكلات المجتمع، وتقيّم الأبحاث العلمية بمقدار القيمة العلمية لنتائجها.

تستمد هذه الدّراسة أهميتها من موضوعها الذي يتطرّق إلى الثقافة الدّينية التي يجب توفّرها لدى الشباب والنّاشئة والتي تمكّنهم من الصمود في وجه التيارات والتأثيرات السلبية على دينهم وأخلاقهم في عصر يتّسم بعولمة الأفكار والمعتقدات والسلوكات، ونتطرق أيضًا إلى الخطاب المسجدي للإمام والعوامل المؤثّرة فيه وقدرته على صياغة الثقافة الدّينية المطلوبة واللاّزمة، من خلال معالجته لهذا الواقع الذي يعيشه الفرد المسلم، وفيما إذا كان تكوين الإمام يساعده على استيعاب الجماهير الوافدة إلى المسجد، والتأثير عليهم ايجابيا، بإنتاج وصياغة خطاب مسجدي في مستوى طموح هؤلاء. فأداء الإمام لن يكون فعالاً ما لم يتلقّ التكوين اللاّزم لأداء هذه الوظيفة الحسّاسة في المجتمع، لأنّ ضرورات العصر وواقعه يفرضان بإلحاح أهمية إعادة النظر باستمرار لتحديث الأداء المسجدي من خطاب ونشاط إلخ موضوعه الثقافة الدّينية واليوم تطرح تحديات وأسئلة الإعلام السّابقة واللاّحقة بالخطاب المسجدي سلوكهم ومواقفهم وعلاقاتهم الإعلام بدراستها الدّينية بالعناية الكافية وعليه تهدف الدّراسة التي نعالجها إظهار أهميته وإبراز ضرورة الاهتمام به أكثر من الباحثين والمثقفين، خاصّة إذا علمنا أنّ الجانب الديني للشخص ليس بالأمر الهين، لأنّ على الدّاعية الذي يعتبر المسؤول عن تنميته وتوجيهه وتصحيحه، سواء كان هذا الدّاعية في وسائل الإعلام أو في المسجد كإمام، عليه أن يكون ملمًّا بخصائص المرحلة والعصر الذي يعيش فيه الجمهور الذي يخاطبه، وملمًّا بما يريد المجتمع المسلم غرسه من قيم في نفوس أفراده، وعليه يجب على الداعية أن يكون داعية ومختصًا نفسانيًا واجتماعيًا.

- لقد جرت العادة أن يتحدّث الجميع عن الثقافة بصفة عامة، سواءً عند المختصين أو عند العوام، متجاهلين وجود ثقافة موجهة للفرد المسلم، بإمكانها أن تخلق وتبني مجتمع مثقف فعليًّا بثقافة دينه الإسلام، والتي تنطلق صياغتها بدءًا من الأسرة فالمدرسة وضمن المسجد، من خلال الخطاب والنشاط المسجدي، إذ ما وضع في أيدي من يعون دوره ورسالته في المجتمع المسلم، مما دفعنا للوقوف والسعي لإظهار مكانة وقيمة هذه الثقافة في مجتمعنا الجزائري والتي تحول دون ضياع الفرد وانحرافه وتعديه على الآخرين بترهيبهم وتخويفهم وإبراز وسطية الإسلام في النّظر لكل القضايا.
- تلمّس الأسلوب التعليمي والتوجيهي لإمام المسجد، وإبراز أهمية تكوينه، لأداء دوره في عملية التربية الواقية للمصلين من الانحراف والإجرام والمغالاة، من خلال خطابه المسجدي.
- حث الأئمة والخطباء على تفقيه أبناء المسلمين بالعناية بما يؤدي إلى سلامة العقيدة من الانحرافات والعبادة من المبتدعات ومواجهة الأفكار الهدامة التي تبعث بها العولمة من خلال وسائل الإعلام، ببناء ثقافة دينية لدى المصلين تحول دون تأثّرهم بها. وإبراز دور المسجد في ترسيخ وحدة المجتمع ومحاربة الأفكار الوافدة والتيارات المفرّقة للأمة.

- الدعوة إلى التصدي للهجمة الغربية على الأخلاق والقيم والتشريعات المستمدة من الشريعة والتأكيد أنّ الإسلام دين السلام لا الإرهاب.
- الدعوة إلى التنسيق بين ما يقوم به المسجد وباقي مؤسسات المجتمع لخدمة عقيدة الشيء.

1-3- صعوبات الدّراسة

مما لا شك فيه أنّ أي باحث مهما كان مستواه، فإنّه يتلقى بطريقة أو بأخرى عراقيل وصعوبات تقف أمامه وتحول دون تحقيق هدفه في يُسر، وتختلف الصعوبات من بحث لآخر، حسب إمكانيات كلّ باحث والظروف التي ينجز فيها عمله وكذا ميدان دراسته، لأنّ أي بحث في ميدان علم الاجتماع لا يخلو من الصعوبات والعراقيل، وهذه الدّراسة لا تختلف عن غيرها ولا تخرج عن هذه القاعدة، فقد اعترضت سير الدّراسة في جانبيها الميداني والنظري جملة من الصعوبات، منها ما هو روتيني كصعوبة الحصول على المراجع أو نقصها أو تشابه مضمونها مع اختلاف في العناوين، لكن هناك صعوبات جديرة بالذكر تتمثل في:

1- نظرًا لقلّة الدراسات في مجال الثقافة الدّينية، لم يتسن لنا الحصول على دراسات سابقة دقيقة خاصة بموضوع الثقافة الدّينية والوسائط التي تنقلها خاصة وسائل الإعلام، وهو ما يبدو واضحًا في جزء الدراسات السابقة، حيث وجدنا دراسات حول المسجد، دوره، وتاريخه وكل ما يتعلّق به ونفس الشيء بالنسبة للإمام، وضعيته وتكوينه، أمّا الثقافة الدّينية فلم نجد دراسات حولها، فقط دراسات متعلّقة بالثقافة وأخرى بالتدين الذي يختلف تمامًا عن الثقافة الدّينية.

2- صعوبة الحصول على تحديد مفاهيم الثقافة الدّينية عند الباحثين، فاكتفينا بتحديدها إجرائيا وتكييف بعض الفقرات.

3- الدراسات والمراجع لم تعالج الموضوع من نفس الزاوية أو من زاوية قريبة من دراستنا، مما أدّى إلى تكييف المعطيات مع موضوع الدّراسة، وهذا أدّى إلى استغراق وقت أطول في إتمام الدّراسة

4- النظارة عينة الدّراسة والمتمثلة في الأئمة، لم تبدِ تجاوبًا مع الموضوع، مما أدّى بالباحثة إلى تغيير أسئلة الاستمارة، 03 مرّات، حيث أنّ من مجموع 160 إمام في ولاية البليدة، هناك فقط 68 إمام أجاب على أسئلة الاستمارة، والباقي قاطعوها لعدة أسباب منها: عدم تجاوبهم مع الأسئلة المتعلّقة بالثقافة، وقت مضى، خاصّة ما تعلّق بالغلو والإرهاب والتطرف عند بعض الشباب وتجرّأ بعضهم على الإفتاء، وإظهار سلوكات أخرى مغالية.

- أن النظارة لا تسمح لهم بالحديث عن محتوى الاستمارة وأن بعضهم طلب مهلة لاستشارة النظارة حول ما إذا كان يستطيع الإجابة عنها (مع أنّ النظارة تعاونت في تزويد الدّراسة بالمعطيات اللازمة والكون شيء آخر أن يقال لهم بطريقة أو بأخرى أن لا يتعاونوا مع الباحثة) أو ظنّ بعضهم أن النظارة على أن يكذب ويخفي بعض الحقائق أو يعطي معلومات خاطئة.

- هناك قيود مفروضة على الإمام لا تمكّنه من إعطاء رأيه حول اختيار الوزارة لمواضيع الخطب ومنع بعض المواضيع وأسباب ذلك، وحتى أنّ نقد السياسة الوزارية فهو أمر محرم عند الإمام. مما

5- أدّى إلى الأمتناع الذي أثر كثيرا على الاستمارة وتم رفض الإجابة عن بعض الأسئلة الواردة بها، واعتبرهم من أجاب فقط عن أسئلة البيانات العامة.

6- صعوبة الاتصال بالإمام حتّى في مقرّ عمله، فأحيانًا كنا نترك له الاستمارة مع القيّم أو المؤذن أو حتى مع المصلين من الزملاء وأحيانًا لا نجده مدّة أسبوع كامل، فهو يستعين بإمام يؤدي الصلوات الخمس والكتلي هو الذي يعوّض الإمام في الجمعة من أجل الخطبة. ونعتذر له أنّنا اخترنا " الفئة العيّانة في المجتمع " ليس من الناحية الدّينية والأخلاقية طبعًا، إنما هذا الإمام عبّر عن ما رآه من واقع الأئمة الذين فرضت عليهم قيود تحول دون إبداء رأي أو حرية في التصرّف في مجال عملهم، أو في التكوين الذي تلقّوه أو حتى في اختيار مواضيع الخطب.

ومع ذلك فقد تمت هذه الدراسة بعون الله والتي نتمنى أن تكون مرجعًا لأبحاث أخرى في نفس الموضوع.

1-4- الإشكالية

لا شكّ أنّ الهوية الثقافية لأمة من الأمم أو دين من الأديان هي ذلك القدر الثابت والجوهري من السّمات المميّزة لحضارة هذه الأمّة، والتي تجعل لشخصية أفرادها طابعًا مميزا عن شخصيات أفراد الحضارات الأخرى، خصوصًا في ظل المتغيرات المتسارعة التي تعيشها المجتمعات ذات تراث وهوية حضارية تسعى للحفاظ على ذاتيتها وأصالتها وتقاليدها انطلاقًا من عقيدتها الدّينية فقوام كلّ هوية ثقافية هو الدين الذي ينشئ منظومة من القيّم الأخلاقية والخصوصيات الثقافية المميّزة.

وينبع كيان الأمّة الإسلامية من تراثها ودينها، فالقيم الروحية والتقاليد الدّينية، هي التي تحكم حياة الفرد المسلم وتوجّه سلوكه، وقد ظلّ المسلمون يتوارثون ذلك خلفًا عن سلف، ليرتكز مع الزمن ويصبح دعامة للمستقبل، وقد ظلّت الثقافة الدّينية تغذي أرواح المسلمين وتبني شخصياتهم وتحافظ على وجودهم رغم كلّ النكبات وظروف الفقر والقهر والطغيان الذي تعرّضت له أمّتنا الإسلامية، وظلّت تستمد حيويتها وقوّتها من إيمان النّاس بأنفسهم وتراثهم الذي هو مصدر قوّتهم وأساس بقائهم، الأمر الذي مكّنهم من امتثال مختلف الثقافات الإنسانية وتحويلها إلى ثقافة دينية إسلامية، وقد كانت المساجد هي مراكز الإشعاع في حياة المسلمين، التي حفظت للأمّة الإسلامية تراثها وصانت العقول والقلوب من ظلمات الجهل والخرافة، ورفعت أمتّها في زمان كان الجهل فيه سمة العصر.

هكذا كان ينظر إلى دور المسجد، المؤسّسة الأولى للبناء الثقافي والتربوي والحضاري وخط الدفاع الأول عن ثقافة الأمّة وهويتها، إذ صاغ حياة النّاس على أساس من التوجيه الديني القويم، فالمسجد لم يكن مكانًا للطاعة والتعبّد، ومقرًا للصلاة والتهجّد، بل كان تاريخًا حافلا بالإنجازات، ومكانا يلتقي فيه المسلمون لتلقي المواعظ والإرشادات والاستماع للنصائح والتوجيهات، والإنصات إلى ما يلقى فيه من وصايا أو عظات، فالمسجد هو المكان الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء الصلوات الخمس والجمعة والتي يتعهّد فيها الأئمة بتوعية المصلين بمختلف القضايا والمشكلات التي تواجه الأمّة الإسلامية عامة والجزائر بصفة خاصة، والتي يلخصها الشيخ محمد الزاوي في قوله " التحدّيات الخارجية صليبية في ثوب العولمة البراقة وفخاخها، والدّاخلية دبّت في أوساط أمتنا وأورثت داءً عضالاً أضحى ينخر جسم الأمّة ويبدّد قواها ويتمثل ذلك في التعصّب الذي يتمخّض عنه الغلو والتطرف والخلاف المفضي إلى تمزّق الأمّة فأكل بعضها بعضًا عيانًا " هذه التحدّيات، التي أصبح المسجد يؤدّي خلالها وظيفته تفرض عليه إعادة النظر في أدائه وأداء إمامه وكذا

تكوينه، لأنّ التعامل مع المتغيرات بصورة متجدّدة، يعطي للخطاب المسجدي الفاعلية والراهنية في التصدّي للأفكار الدّخيلة والعادات المستوردة والأمور الجديدة. فالثقافات الغازية تسعى إلى المساس بالمقوّمات الروحية للثقافة الدّينية الإسلامية، وبالمبادئ الأخلاقية للمسلمين، والمسجد كفضاء ديني ثقافي، يتولّى حماية الثقافة الدّينية الإسلامية الأصيلة، من خلال إمامه الذي يجب أن يكون جنبًا إلى جنب مع جمهوره، يشاركهم أمالهم وهمومهم ويساعدهم على معرفة منهج الله في مختلف جوانب الحياة.

إنّ التحدّيات الراهنة تجعل الأئمة يدركون أنّ المسلم لا يستمع فقط للخطب المنبرية، بل تضغط عليه أوضاعًا عالمية ووسائل إعلامية، مما يحتّم عليهم إعادة النّظر والتدقيق في محتوى ومنهج الرسالة الدّينية التي يبلّغونها للجمهور المسجدي، آخذين في الحسبان الواقع الروحي والثقافي الذي يمرّ به المسلم، فالظروف التي يمرّ بها المسلم، تفرض إعدادًا واسعًا للإمام في المجالات الرّوحية العلمية الذي تتجاذبه خطابات ونداءات تأتي من السينما، الإذاعة، الفضائيات، الأسرطة، الأنترنت وغيرها. والثقافية، لأنّ المعارف الشرعية وحدها لا تكفي ما لم تدعّم بثقافة اجتماعية ونفسية وإطّلاع واسع على ما يحدث في المرحلة الحالية، والتي يميّزها الانفتاح الثقافي والإعلامي والنشاط الفعال للتبشير الديني والغزو الثقافي والفكري، والتطرّف والإرهاب والجريمة، هي مرحلة تتطلّب من الإمام خطابًا دينيًا يراعي واقع العصر، ليتمكّن من إقناع العقول والدخول إلى القلوب، وبالتالي إنقاذ المسلم من الدّوبان في الآخر والتمسّخ وترك القيّم والمبادئ الإسلامية، وتزويده بثقافة دينية تعطيه المناعة ضد ما يحاك ضدّه، لا إلى خطاب ذو مستوى يجعل التفاعل معه معدومًا أو محدودًا بما فيه من أخطاء لغوية، فكرية وبلاغية، لأنّ وراءه إمام وضعته الظروف في طريق الدعوة، وليس له من المؤهلات والمواهب ما يجعله قادرًا على التأثير المتسلسل في الرقي بالمستوى الثقافي للمتلقي ليتوافق مع سلم الأولويات الذي يعد سلاحًا قويًا في التأثير والإقناع، فكثير من الخطباء يقولون ما يريدون قوله دون أن يأخذوا بعين الاعتبار مدى تأثير ما يقولونه في جمهورهم، فكثير منهم لا يتقيدون بالزمن الذي يتوجب عليهم الالتزام به، وهذا بدوره يرتقي بالجمهور إلى مراتب عليا من الاقتناع والتأثر، فبعدما كان المستمع ليس له من الخطاب الفقهي والدعوي والتربوي والسياسي والفني... قناة تعرّفه بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا سوى الخطاب الأسبوعي يوم الجمعة، أصبح اليوم يتابع على مدار السّاعة مختلف الخطابات الدّينية ومن مختلف المشارب والمدارس والتيارات بفضل الإعلام الديني من مطبوع ومسموع ومرئي، ولعلّ هذا يلقي بالعبء الثقيل على خطباء اليوم، في متابعة التطوّر الحاصل عن قرب، فسرعة الحياة الراهنة تقتضي من الإمام المرشد والموجه مواكبة أحداثها وقضاياها بما يتناسب مع تسارعها، لا أنّ يتجاهلها في لحظتها الراهنة ثمّ يعطي حوصلة لنتائجها بعد أن تصبّح جزءًا من الماضي، لأنّ الإمام في خطبه كالمعلم في فصله كلاهما يخاطب مجتمعًا تتسارع فيه الأحداث والوقائع، فالمعلم يلقي درسه على تلاميذ يتعاملون مع الواقع بكل ما فيه من تقنيات حديثة، وبالتالي يقع على عاتقه مسؤولية تقريب الواقع لهم وتبسيطه وتزويدهم بالطرق الأكيدة والتقنيات الحديثة للتعامل معه، فالمسلم يواجه في حياته اليومية مشاكل يتوقع من الإمام أن يعالجها في خطبته متجاهلاً التحدّيات العالمية والإعلامية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها الفرد، من صراع حضاري وتكنولوجي وثقافي ينشر العولمة كدين، يتجرد عن طريقها الفرد والمجتمع من مقوّمات وجوده الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي... بل يراعي كلّ ما يدور حوله ويتحمّل كثيرًا من هموم أفراد المجتمع وتطلّعاتهم، لأنّ المقاومة الحقيقية للتحدّيات الراهنة إنما

تربّي في المساجد وتنطلق منها. ومن هنا يحق لنا أن نتساءل اليوم وفي ظلّ التحدّيات الدّينية والأخلاقية المواجهة للنشئ المسلم في مجتمعنا الجزائري عن هذه المؤسسة التربوية وعن دورها في نشر الثقافة الدّينية التي يتصدّى بها المسلم للتحدّيات والظروف المواجهة له وعن دور الإمام ومكانة الخطاب المسجدي ومستواه.

وعليه نطرح التساؤل التالي:

- هل يقوم المسجد بتزويد الشباب والناشئة بالثقافة الدّينية اللازمة لمواجهة التحديات الراهنة أم أصبح دوره مقتصرًا على العبادة فقط ؟

وتتفرّع عن هذا السؤال المحوري، ثلاث تساؤلات فرعية هي:

1- هل التكوين الذي تلقاه الإمام يساعده على إنتاج خطاب مسجدي ينشر من خلاله الثقافة الدّينية اللازمة لهذا العصر ؟
2- هل النشاطات الدّينية والثقافية المقامة بالمسجد كافية لنشر الثقافة الدّينية ؟
3- هل لقيام الإعلام الديني بنشر الثقافة الدينية تأثيّر على وضعية الخطاب المسجدي للإمام ؟

1-5- فرضيات الدراسة

تطرح الدّراسة فروضًا مستمدة من ملاحظة واقع المساجد وانحصار دورها في حياة المسلمين، وواقع الخطاب المسجدي للإمام المقدّم في الساحة الوطنية، إذ يغلب عليه الضعف والأخطاء المنهجية ونقص الفعالية والتأثير ومعالجة المواضيع المرتبطة بظروف العصر وتحدّياته وكذا نشر الثقافة الدّينية التي يحتاج إليها أبناء هذا العصر والتي تمكّنهم من الوقوف ضد التيارات والتأثيرات الأخلاقية والدينية وعدم الاندماج في ثقافات غيرهم.

هذه الملاحظة تجعلنا ننطلق من فروض، التي تعتبر كتفسير مؤقت لإشكالية البحث، أمّا قضية الإثبات أو النفي فنتركها لسير الدّراسة في جانبيها الميداني والنظري.

أولاً : الفرضية العامة

المسجد لا ينشر الثقافة الدّينية التي يحتاجها المسلم لمواجهة التحديات الراهنة.

ثانيًا : الفرضيات الجزئية

الفرضية 01 : التكوين الذي تلقاه الإمام لا يساعده في مهمّة الخطابة المسجدية ونشر الثقافة الدّينية اللازمة لمواجهة التحديات الراهنة.

الفرضية 02 : النشاطات الدّينية المسجدية غير كافية لنشر الثقافة الدّينية التي يحتاجها الشباب والنّاشئة.

الفرضية 03 : الحصول على الثقافة الدّينية من خلال وسائل الإعلام الدّيني أدّى إلى عدم الاهتمام بالخطاب المسجدي للإمام.

1-6- الدراسات السابقة

أوّلاً : الدراسات الجزائرية

الدّراسة رقم 01 : فهيمة بن عثمان، أنماط تكوين الأئمة في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2005.

تناولت الباحثة في الفصل الأوّل، إشكالية البحث وإجراءاته المنهجية، أمّا في الفصل الثاني فقد تعرّضت لمؤسسات تكوين الأئمة والمتمثلة في المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدّينية وكذا الجامعات الإسلامية، فقامت بعرض وتحليل محتوى المواد والبرامج التي يدرسها الطلبة في كلا النوعين. وقامت في الفصل الثالث بعرض وتحليل نتائج الاستبيان وكذا المقابلات.

طرحت الباحثة التساؤلات التالية:

- ما مستوى التكوين الذي يتلقاه الأئمة بمراكز تكوينهم ؟
- أين يكمن الخلل بالضبط ؟ هل في نظام التكوين الذي يتلقاه الأئمة سواءً بالمعاهد أو المؤسسات الجامعية ؟

وكانت الفروض كالآتي :

1- ضعف مستوى الأئمة سببه ضعف مستوى التكوين بالمعاهد والمؤسسات الجامعية.
2- ضعف مستوى الأئمة يعود إلى سرعة تكوينهم.
3- الأئمة الأساتذة أفضل من الأئمة المدرسين.

وتقصد في الفرضية الثالثة أنّ الأئمة خريجي الجامعة أفضل من خريجي المعاهد.

اعتمدت الباحثة على عينة حصصية طبقية في اختيار المبحوثين وأجرت دراستها على عينة من الطلبة الذكور في كلٍّ من معاهد تكوين الأئمة وكذا الجامعات الإسلامية.

اختارت معهدين لتكوين الإطارات الدّينية الأول ببسكرة والثاني بميلة حيث أخذت منهما عينة الأئمة المدرسين، المنتدبين، اختارت 53 طالب (إمام مدّرس) ممّن أكملوا تكوينهم وبالتالي سوف يتمّ توظيفهم، وكذا 38 طالب (إمام منتدب) انهوا الدّراسة مما يمكنهم من تقييم التكوين. كما اختارت جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة بكلّ كلياتها وتخصصاتها وكلية العلوم الاجتماعية والإسلامية بجامعة باتنة.

اختارت تخصصات :

- الفقه وأصوله، جامعة باتنة، وعدد المبحوثين هو 43 طالب.
- الدعوة والإعلام، جامعة قسنطينة، عدد المبحوثين 09 طلبة.
- العقيدة، جامعة قسنطينة، عدد المبحوثين هو 22 طالب.
- الكتاب والسنّة، جامعة قسنطينة، عدد المبحوثين هو 20 طالب.

وسبب اختيار طلبة الجامعة، لكون الأئمة الأساتذة هم الجامعيين الناجحين في المسابقة.

وزعت الباحثة 102 استمارة حسب التخصصات واسترجعت 83 استمارة من الجامعيين، أمّا في المعهدين فقد وزعت 86 استمارة.

كما قامت بإجراء مقابلات واختارت العينة عشوائيًا، حيث ضمت العينة 10 أساتذة مكوّنين في معهد بسكرة، 10 أئمة مدرسين (في الميدان)، و 10 أئمة سمّتهم الباحثة متمرّسين(أي الذين لديهم الخبرة في الميدان) وبالتالي عينة المقابلة هي 30 مفردة وعينتا الاستبيان هما 169 مفردة، وبالتالي العينة الإجمالية هي 199 مبحوث.

وتوصّلت الباحثة إلى النتائج التالية : بالنسبة للمعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدّينية:

- اكتظاظ البرنامج وطول المفردات، وقلة استيعاب الطلبة له.
- قلة سنوات الدّراسة فهي من عامين إلى ثلاث سنوات، فهي غير كافية للتزود بالمعارف الشرعية والمواد اللغوية والاجتماعية.
- ضعف التكوين في المرحلة الثانوية وما قبلها مما يجعل طلبة المعاهد يلتحقون بها وهم يحملون مستوى علمي ضعيف.
- ضعف المكوّنين وعدم امتلاكهم المناهج التدريسية.
- المعاهد الإسلامية أخفقت في تحقيق أهدافها حيث أنّ 41 % من الطلبة المبحوثين عبّروا عن ذلك وعن عدم رضاهم عن التكوين.

- طريقة طرح أسئلة التقويم لا تؤدي الغرض منه الذي هو قياس مدى تحصيل الطالب للمعارف والمعلومات، لأنّها لا تشمل كلّ الموضوعات المدروسة.

أمّا فيما يخص الجامعات والمعاهد فإنّ النتائج أثبتت ؟

- قصر مدّة التكوين واكتظاظ البرنامج وقلّة التدريبات الميدانية.
- غياب مواد هامة عن البرنامج، كمنهجية الدعوة، كيفيات الإقناع، المعارف العصرية، علم النفس ومحدودية المعارف الشرعية التي تلقّوها.
- قلّة المراجع والوثائق والكتب في مكتبة الجامعة.
- نقص خبرة المؤطّرين وضعف تكوينهم البيداغوجي.

أمّا دراسة البرامج المدرّسة في الجامعات أثبتت أنّ المقاييس المدرسة كثيرة.

- حدّدت الدّراسة نوع الثقافة التي توفرها التخصصات الإسلامية، حيث أنّ 60 % منها ثقافة شرعية مقابل غياب شبه كلي للثقافة العصرية.
- عدم إجراء التربصات الميدانية وهذا بنسبة 78 % . [1]

الدّراسة رقم 02 : لكحل الهواري، مصادر التدين لدى الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، سنة 2006 .

انطلق الباحث من السّؤال المحوري: في ظل المتغيّرات التي يشهدها المجتمع الجزائري والوسط الطلابي تبعًا، ما هي العوامل أو المصادر التي تؤثّر في تديّن الشباب الجامعي ؟ أي من أين يستقى الشباب تديّنه الإسلامي في الوقت الحالي.

للإجابة على التساؤل المطروح طرح التساؤلات التالية:

1- هل الاختلاف في نوعية البيئة الأسرية يؤثّر على تدين الشباب الجامعي ؟
2- هل لجماعة الرفاق دور في اكتساب التدين الإسلامي لدى الشباب الجامعي ؟
3- هل للإعلام الديني، دخل في إقبال الشباب الجامعي على التدين الإسلامي وتقوية شعورهم الديني ؟

وكانت الفرضية العامة كما يلي : إنّ الإعلام الديني والبيئة الأسرية التي يعيش فيها الشباب الجامعي، وجماعة الرفاق تمثّل مصادر وأصول التدين لديهم.

الفرضيات الجزئية هي :

1- اختلاف البيئة الأسرية من حيث التفتح والمحافظة تؤثر في تديّن الشباب الجامعي.
2- جماعة الرفاق لها دور في تدعيم ظاهرة التديّن لدى الشباب الجامعي.
3- لطبيعة الإعلام الديني دخل في إقبال الطلبة الجامعيين على التديّن الإسلامي وتقوية شعورهم الديني.

أجرى دراسته على عينة من طلبة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ببوزريعة وضمّت 130 طالب(ة) جامعي(ة)، واستعمل عينة الكرة الثلجية.

توصّل الباحث إلى النتائج التالية :

- البيئة الأسرية بمميّزاتها الثقافية والدينية والاجتماعية كفيلة بأنّ تمنح أبنائها التديّن الإسلامي، ولنوع الأسرة اثر في ذلك.
- تتحدّد صفات الاحترام للدين الإسلامي من قبل الأسر على أساس مستويات مختلفة للدخل.
- 60 % من المبحوثين ينتمون لأسر محافظة ومتدينة مما اكسب الأبناء الحس الديني تجاه واجباتهم الدّينية.
- أساليب وطرق الحوار والحديث تكسب الابن طريقة التديّن.
- للمستوى العلمي واللغوي للأسرة اثر على تديّن الابن.
- أغلب المبحوثين غير راضين عن تديّن الأسرة بسبب المستوى العلمي للوالدين.
- مستوى التديّن يغلب على اختيار الزمالة.
- للمنطقة الحضرية دور في إعطاء جماعة الدّراسة قوّة التأثير على التديّن 57,7 % .

- يتحصل الطالب الجامعي من رفاقه على زيادة في الإيمان والالتزام.
- لجماعة الرفاق دور في محافظة الطالب الجامعي على صلاة الجماعة.
- لجماعات الرفاق دور في التأثير على سلوكات أفرادها، إذ أثبتت الدّراسة أنّ أغلب الحوارات والمناقشات تدور حول المسائل الدّينية والعقيدية.
- هناك علاقة بين مجالسة الأصدقاء وتصحيح الأخطاء.
- أغلب المبحوثين يطالعون الكتاب الديني، مما يؤثّر على مسار الطالب في شؤون الدين والدنيا ومعرفة الحلال من الحرام.
- هناك علاقة طردية بين متابعة البرامج الدّينية وزيادة الشعور الديني.
- المداومة على متابعة البرامج الدّينية تساعد على أداء العبادات والشعائر الدّينية وتعمل على تقوية الشعور الدّيني بنسبة 66,9 % .
- الإعلام الديني لم يقم بتغيير بعض الأفكار والمعتقدات كالسحر والشعوذة.
- هناك ارتباط بين تديّن الجامعيين وكل من الأسرة، الرفاق والإعلام. [2]

الدّراسة رقم 03 : الشريف مرزوق، اتجاهات أئمة المساجد نحو الأساليب التربوية، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والإعلام، كليّة أصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1999 .

تحتوي الدّراسة على 04 فصول، الأوّل: مفهوم الاتجاه، الثاني: مفهوم الإمامة وصفات الأئمة ودورهم الرسمي وتصانيفهم، الثالث: المسجد فضل بناءه، مكانته، دوره في نهضة المجتمعات الإسلامية المعاصرة، الرابع: الأساليب التربوية وعلاقتها ارتباطا مباشرًا بموضوع دراستنا لذلك لم يتم إدراجها، لكن الدّراسة الميدانية التي أجراها الباحث بولاية أم البواقي، توصلت إلى النتائج التالية:

- غلبة العمل الروتيني الكلاسيكي وتكرير المواضيع في المناسبات.
- تحضير آلي حرفي من المراجع.
- جفاف الخطاب المسجدي وعدم تفاعل الجمهور معه.
- التكرار في الأساليب والمعاني وغياب التجديد وعدم مراعاة أحوال المصلّين.
- غياب تأثير الإمام في الحياة الاجتماعية وانحصار هيبته داخل المسجد وخارجه.
- ضعف المستوى العلمي والتربوي لأغلبية الأئمة وغياب المساعدة العملية المادية والمعنوية.
- ضعف خطب الأئمة ودروسهم واتصالهم بالناس وضعف استخدام الأساليب التربوية. [3]

الدّراسة رقم 04 : نور الدين طوّابة، دور المسجد في تطوير المجتمع الإسلامي المعاصر ، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والإعلام، كليّة أصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1993 .

حيث اهتم الباحث بدور المسجد أثناء الوجود الفرنسي في الجزائر، ودور المسجد في الدعوة إلى مقاومته، منذ المقاومة الشعبية، حتى حرب التحرير الوطني. وكذلك محافظة المسجد على الشخصية العربية والإسلامية، وخلص إلى أنّ للمسجد دور رائد في حياة المسلمين من الناحية الروحية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية، إلاّ أنّه فقد قيادته للمجتمع المعاصر، وضاقت دائرة نشاطه، فواقعه لم يعد كما في العصور الماضية، كما أنّ الواقع يدل على أنّ هناك هوّة بين مسجد اليوم ومسجد الأمس، والملاحظ أنّ المجتمع قد تطوّر لكن المسجد بقي عاجزًا عن التطوّر وأداء رسالته مما أدّى للانفصال بينه وبين

النّاس فانصرفوا إلى غيره من مباهج الدّنيا. وهذا راجع إلى عوامل خارجية كالاستعمار، التبشير، والشيوعية من تهديم للمساجد وتحويلها فيما مضى إلى إسطبلات وحظائر للأغنام. أمّا العوامل الداخلية فتتمثل في ضعف المسلمين وجهلهم بدينهم، تقليد الغرب، وإسناد أمر المساجد إلى أشخاص غير مؤهلين علميًا وثقافيًا.

كما أنّ ظروف ما بعد الاستقلال، فرضت على الجزائر السرعة في سد الفراغ في القطاع الديني فانتهجت نظام التكوين السريع لمد القطاع بإطاراته لكن الخطأ هو أن يبقى نظام التكوين معتمد حتّى يومنا هذا، فهو نظام يبحث عن الكم دون الكيف. [4]

ثانيًا : الدّراسات العربية

الدّراسة رقم 05 : علاء الشامي، الإعلام الديني والتأثير السياسي (دور الخطاب الديني في وسائل الاتصال في تشكيل اتجاهات الشباب المصري نحو القضايا السياسية). أطروحة دكتوراه جامعة أسيوط، 1995 .

قام بدراسة تحليلية ميدانية، تناول في الدّراسة التحليلية الخطاب الديني في وسائل الإعلام العمومية والمتخصصة، من خلال تحليل وسائل ممثلة للإعلام العام والمتمثلة في: القناة الأولى للتلفزيون المصري، إذاعة البرنامج العام، صحيفة الأهرام المصرية (بمعنى تلفزيون، إذاعة، صحيفة) كما قام بتحليل وسائل الإعلام المتخصصة (في الجانب الديني) ممثلة في قناة اقرأ، إذاعة القرآن الكريم وصحيفة عقيدتي.

في الدّراسة الميدانية: اختار عينة حصصية مكوّنة من 420 مفردة من شباب الجامعات في ثلاث أنماط من التعليم: جامعة الأزهر (تعليم ديني)، جامعة عين شمس (تعليم مدني)، الجامعة الأمريكية (تعليم علماني).

توصل الباحث إلى عدّة نتائج منها:

- الإعلام الديني لا ينتج خطابًا واحدًا، إذ هناك أنواع مختلفة للخطاب الديني المعاصر بسبب اختلاف المرجعيات الدّينية والفكرية لمنتجي الخطاب.
- ضرورة تجديد لغة الخطاب.
- إعمال العقل في فهم النص والواقع.
- من الضروري الانطلاق من الواقع الحاضر لا من الماضي.
- التعامل مع الإسلام كرسالة وتغليب المصالح الإنسانية. [5]

الدّراسة رقم 06 : محمّد أحمد هاشم إمام الشريف، البرامج الدينية في القنوات الفضائية العربية، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر، 2006 . هي دراسة تحليلية لمضمون ومحتوى البرامج الدّينية في الفضائيات العربية.

توصّلت الدّراسة إلى عدّة نتائج حيث تشير إلى وجود قصور في بعض الجوانب وتميّز في جوانب أخرى، إذ لا تهتّم الفضائيات بالبرامج الدّينية من حيث العدد والمساحة الزمنية التي لم تتجاوز نسبة (89 %).

- كشفت النتائج عن اهتمام البرامج الدّينية بالمواضيع السياسية وبالقضايا والأفكار المندرجة تحتها، فقد عالجت 302 قضية سياسية سنة 2006 .

- تتمتع الفضائيات الخاصة بالحرية في مناقشة المواضيع مقارنة بالقنوات الرسمية مما يعطيها شعبية أكبر ومصداقية أكثر من المشاهدين الذين ضاقوا من الرقابة والرأي الواحد.

- تركّز الخطابات على قضايا الاعتداءات العربية على العالم الإسلامي، فهذه القضايا تمّت مناقشة 85 قضية منها، وهذا بنسبة 15,28 % من مجموع المواضيع السياسية مما يدل على تفاعل الخطاب الديني مع ما تتعرّض له الأمّة الإسلامية.

- القضايا المتعلّقة بالأقليات الإسلامية في العالم تأتي بنسبة 97,5 % ، قضايا الإرهاب بنسبة 68,2%.

- تتفق النتائج أنّ الفضائيات الخاصّة كسرت المحرّمات السياسية فأصبحت ممتلكات ثقافية عامة يتداولها الجمهور في الشارع العربي.

- القضايا الاجتماعية جاءت في المرتبة الثانية بعد السياسية وجاءت قضايا المرأة في العالم الإسلامي بنسبة 72,19 % من مجموع القضايا الاجتماعية بسبب أنّ الحملة الشرسة على الإسلام كانت تحمل في طيّاتها خلفية ثقافية واجتماعية على المرأة المسلمة بنسبة 22,54 % .

- أثبتت الدّراسة أنّ قضايا الشباب في العالم الإسلامي تحتل المرتبة الأخيرة من بين القضايا والمواضيع، فتناولها يكاد يكون منعدم.

- القضايا الثقافية تركّز على الأفكار المتعلقة بتميّز الثقافة الإسلامية وعلاقتها بالأديان الأخرى والحوار معها بنسبة 77,26 % ، قضايا العولمة الثقافية بنسبة 84,22 % وصراع الحضارات بنسبة 59,12 % ، القضايا المتعلقة بالتراجع الحضاري والثقافي للأمة الإسلامية وقضايا التجديد في الفكر الإسلامي بنسبة 44,9 % .

- هناك 55,71 % من البرامج عينة الدّراسة، تسود فيها المستوى اللغوي الذي سماه الباحث " فصحى العصر " نظرًا لطبيعة الضيوف المشاركين في البرامج الدّينية، أمّا " فصحى التراث " جاءت بنسبة 86,23 % . [6]

- <u>الدّراسة رقم 07</u> : صالح السيد عرافي، <u>أساليب تطوير الخطاب الديني في الفضائيات العربية</u>، وهي دراسة ميدانية قام بها الباحث في إطار المشاركة في ملتقى حول الخطاب الديني في الفضائيات بجامعة مصر، سنة 2005.

ضمّت العينة 90 مفردة، متضمنة لخبراء وأساتذة في: الإعلام، الإعلام الديني، الشريعة الإسلامية، أصول الدين والدعوة، تفسير علوم القران وعلوم الحديث، كما قام بمقابلة القائمين على قنوات: اقرأ، دريم، المحور، الفضائية المصرية. توصل الباحث لعدّة نتائج، يهمّنا منها ما يلي:

- 76,7 % من المبحوثين يشعرون بالرضى عن الخطاب الديني الحالي في الفضائيات.

- 22,28 % يرون أنّ تطوير الخطاب الديني يجب أن ينطلق من القرآن والسنة ثمّ الاجتهاد.18,51 % يرون ضرورة ألاّ يؤدي تطوير الخطاب الديني إلى التصادم مع النصوص الشرعية.
- 15,99 % يرون ضرورة مراعاة تطوير القواعد العامّة في الإفتاء، وبروز العديد من القضايا المهمّ إثارتها في إطار التجديد. [7]

1-7- تحديد المفاهيم الرئيسية :

أولا: مفهوم المسجد

- لغــة: قال أبو زكريا الفراء : ومن الأسماء ما ألزموها كسر العين منها المسجد والمطلع والمغرب والمشرق، فجعلوا الكسر علامة للاسم.

قال في الصحاح: المسجد بالفتح، جبهة الرجل حيث يصيبه السجود، وبالكسر اسم مكان السجود، والمسجد بكسر الميم الخمرة وهي الحصير الصغير[8](ص13) ، قال الزجاج: كلّ موضع يتعبد فيه فهو مسجد[9](ص5) ، قال صاحب اللسان: المسجد الذي يُسجد فيه. [8](ص6)

- اصطلاحا: قال صلى الله عليه وسلم : " جُعلت لي الأرض مسجدًا " فهو كلّ موضع من الأرض.

قال القاضي عياض: " لأنّ من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلاّ في موضع يتيقنون طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلاّ ما تيقنا نجاسته.

قال القرطبي : " هذا ما خصّ الله به نبيّه، وكانت قبله الأنبياء إنّما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبِيَع والكنائس. [10](ص31)

والمسجد هو المكان المخصص أو المهيأ للصلوات الخمس، وهو مكان للعبادة، يلتقي فيه المسلمون لأداء صلواتهم، أي أنّه المكان الذي تقام فيه الصلاة مهما كان بسيطًا.

والمسجد هو أوّل مؤسسة تربوية ذات طابع شعبي، قام بإنجازها الرّسول قال صلى الله عليه وسلم في حملة تطوّعية مع صحابته الأوائل من المهاجرين والأنصار، يجتمع فيه المسلمون خمس مرّات في اليوم بصفة اختيارية – سنّة – ومرّة كلّ أسبوع بصفة إجبارية – فرض – ويتزوّدون منه بخيري الدنيا والآخرة.ويميز المؤرخون بين المسجد الصغير والمسجد الكبير، فالأوّل لقضاء الصلوات العادية، أمّا الثاني فهو الجامع الواسع الأركان، تقام فيه صلاة الجمعة والعيدين إضافة للصلوات الخمس، وكان مركزًا للحياة الدّينية والسياسية والثقافية والاجتماعية والقضائية. [11](ص10)

وتحدّث ابن خلدون في مقدّمته عن المساجد قائلاً اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعًا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته، يضاعف فيها الثواب وتنمو بها الأجور، وأخبرنا بذلك على ألسن أنبيائه ورسله لطفًا بعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم ".[12](ص319)

كما بيّن ابن تيمية – رحمه الله – الحقيقة الاجتماعية للمسجد فقال: " وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمّة هي المساجد، فإنّ النّبي قال صلى الله عليه وسلم أسّس مسجده على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء، وتعريف الفرقاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما المهم من أمور دينهم ودنياهم ".[13](ص168)

وقال الدكتور يوسف القرضاوي: " وما كان المسجد في فجر الإسلام إلاّ جامعة شعبية للتثقيف والتهذيب، وبرلمانًا محليًا للتشاور والتفاهم ومجمّعًا للتعارف، ومعهدًا للتربية العلمية الأساسية...، وأي جامعة شعبية كالمسجد تسع الجميع تحت رحابها ؟...، بل شملت كلّ ما وصل إليه العقل في الإسلام موصولاً بالعبادة، وإن ترعرعت الجامعات العريقة تحت أسقف الجوامع...". [14](ص47)

وقال محمّد الصبّاغ: " كان المسجد هو الساحة الطبيعية لاستقطاب الجيل، والواقع أنّ المسجد في الإسلام مؤسسة إعلامية دعائية، وعلى مرّ العصور ظلّ الحرم المقدّس منبرًا إعلاميًا تقليديًا أقوى وأكثر أثرًا من كلّ المنابر الإعلامية الحديثة من صحافة وإذاعة وتلفزيون... والمسجد لم يكن معبدًا لإقامة الصلوات وإلقاء الآذان فحسب بل استخدمه النّبي قال صلى الله عليه وسلم كمنبر سياسي للتلقين والتوجيه المعنوي لشحذ العزائم والحث على الوحدة لتوجيه الفتوحات... ".[15]

ثانيا: مفـهوم الإمام

- الإمام في اللغة: مصدره الفعل " أمّ " والإمام هو ما يؤتم به أي يقتدى به. [16](ص27)، ومنه قيل للطريق إمام، وللبناء إمام؛ لأنّه يؤتم بذلك، أي يهتدي به السالك، والنبي صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، والقرآن إمام المسلمين، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له. ومعناه الرئيس والدليل الذي يقود القافلة[17](ص612)، وتطلق على كل من يقتدى بهم عمومًا في مجال الخير والشر[18](ص24). وهو الذي ترتبط صلاة المصلي به بشروط فالإمام لم يصر إمامًا إلاّ إذا ربط المصلي صلاته بصلاته. [18](ص210)

ويطلق على العالم المقتدى به، فيقال إمام المحدثين وإمام الفقهاء، ولما كان الإمام هو القدوة للناس لكونهم يأتمون به، ويهتدون بهديه أطلق عليه هذا اللفظ.

فالإمام هو الذي يتقدّم النّاس ليؤمهم في إقام الصلاة، وبالتالي على جماعة المسلمين إتباعه والإقتداء به، ويرى الفقهاء في ترجيح الأئمة أنّ الوالي وصاحب المنزل أحقّ من غيرهما والفقيه أولى من القارئ، والأعلم أولى من الأصلح ".[19](ص48)

وهو الشخص الذي يقوم بتعيينه وزير الشؤون الدينية ويرضى عنه، ليتولى تسيير المسجد ويكون مسؤولاً عن النشاط الديني والثقافي والعلمي والاجتماعي فيه وتنظيم المكتبة وسير عملها كما أنّه مسؤول عن حفظ نظام المسجد وأمنه، وعن العاملين فيه فضلاً عن اضطلاعه بالوظائف الروحية والتعبدية والتربوية للمسجد. [20](ص23)

والإمام هو الشخص القادر والمسؤول على صياغة رؤية إسلامية معاصرة ومنهجية فكرية فاعلة لمعالجة القضايا العصرية وفق رسالة الإسلام وتوجيهاته الحضارية. [21](ص110)

ويعرفه أحمد عيساوي كمايلي: هو الذي يتخذ من إمامته وتدريسه وخطابه المسجدي والمنبري منهجًا وطريقًا دعويًا، يدعو من خلاله المسجديين وعموم الناس وهذه الوظيفة، تبوّئ القائم بها المستوى العلمي والمعرفي والوجداني والإيماني والأخلاقي والتربوي القيادي في المنظومة التشريعية الإسلامية. ولا يمكن للإمام أن يحقق ما يصبو إليه إلاّ إذا توفّرت فيه جملة من المقوّمات والصفات الفطرية والمكتسبة، وامتلك زمام السيطرة على أطره المرجعية المقدّسة، وفقه كل معطيات عصره جملة وتفصيلاً، وتحلّى بأخلاق الإسلام خلال ممارساته الدعوية والحياتية. [22](ص314)

فالخطاب الذي يقدمه الإمام يجب أن يكون هادفًا لتحقيق نتائج ملموسة في أفكار وسلوكات ومعتقدات المخاطبين، والإمام هو من يخطط لنجاح خطابه وتحقيق التأثير المطلوب، لكي يخرج من واقع تأدية الواجب فقط، فالإمام مطالب بتقديم خطاب من باب الوظيفة، لكن بدافع الرسالة. [1](ص36)

والإمام هو ذلك الشخص الذي يتقدم الناس في الصلاة ويؤمهم في أدائها بما يلزمهم الإقتداء به وإتباعه في حركاته وسكناته والاستماع له حين يلقي عليهم خطابه.

ثالثا: مفهوم الخطاب الديني

يعرفه الدكتور يوسف القرضاوي كما يلي: هو كل بيان باسم الإسلام يوجّه للناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لتعريفهم بالإسلام، وقد يأخذ شكل الخطبة والمحاضرة والرسالة والمقال والكتاب والمسرحية والأعمال الدرامية، فلا نحصره في خطبة الجمعة فقط. [23](ص13)

والخطاب هو فن مشافهة الجماهير والتأثير عليهم، وهو دعوة جماعية يصوغ العقل الجمعي ويوجه السلوك العام، وهو كل تعبير عن أوامر الدين وأحكامه، والخطاب الديني يمثل ما يستنبطه ويفهمه الفقيه والعالم والمفكر من النص الديني ومن مصادر الاجتهاد والاستنباط المعتمدة.

رابعا: مفهوم الخطاب المسجدي

يعرّفه عبد الرحمن شيبان*، الخطاب المسجدي هو السبيل الأمثل لإيصال مقاصد الشريعة الإسلامية إلى المؤمنين، ومساعدتهم على حل المشاكل اليومية التي تواجههم من منظور إسلامي صحيح بعيدًا عن البدع والخرافات والأفكار الزائفة مما يؤثر في حاضر الأمة ومستقبلها[24].

والخطاب المسجدي كسب بشري ونتاج إنساني، يستنبطه الإمام من النصوص الشرعية ويصوغه وفق أغراض تربوية في بناء المجتمع، واستقامة أفراده، وأداء الحقوق وترابط المجتمع وتآلف أفراده، وإذابة الفوارق المصطنعة المؤدية إلى النزاع والشقاق. [24]

والخطاب المسجدي هو الخطاب الملقى في المسجد والذي يمس الحياة العامة للناس ويوجهها وفق ما تنص عليه تعاليم الدين الإسلامي. [24]

والخطاب المسجدي حسب عبد القادر فضيل : " هو التوجيه العلمي والديني والأخلاقي الذي تتبناه المؤسسة الدينية، ومن ورائها المجتمع والجهاز المشرف على نشاط هذه المؤسسة في مجال الدعوة إلى الله وإلى الإيمان الحق، وتربية الناس على حب الخير والصلاح والحق ومحاربة الرذائل والآثام، وتعلّمهم كيف يتعاملون مع بعضهم، وكيف يتعايشون مع الحياة في جوانبها المختلفة المادية والمعنوية[25](ص27).

وهو من جهة أخرى فضاء حضاري ثقافي تتناغم فيه اهتمامات الحاضر مع توجهات الماضي وتطلعات المستقبل ويسعى المجتمع من خلاله إلى استثمار فرص التلاقي بين المسلمين (عمار المساجد) في أوقات أداء العبادات وتوجيههم الوجهة المطلوبة التي تتلاءم مع روح الشريعة ومع متطلبات نظام الحياة المجتمعية، والعمل من خلال هذا التوجيه على رصّ صفوفهم في إطار وحدة العقيدة وسمو الشعور الديني ليبقوا على صلة دائمة بخالقهم، وبقيم دينهم، وليمارسوا في نطاق الشعور بهذه الصلة مراجعة مواقفهم وتصحيح مفاهيمهم وإصلاح أحوالهم وتحديد ثقتهم بهويتهم الإسلامية حرصًا على ترقية سلوكهم الاجتماعي وجعله منسجمًا مع ما يرتضيه الشرع وتزكيه الإنسانية. [25](ص27) وهو الدعوة إلى الاستقامة في السلوك الظاهري والباطني مع كل الناس حتى مع المخالفين في العقيدة ودعوة إلى إعمال العقل في معالجة الأمور والاستفادة من التطور العلمي والحضاري الذي يغمر هذه الحياة. [25](ص28)

والمفهوم الإجرائي للخطاب المسجدي هو كل ما يصدر عن الإمام قولاً مستوحى من تعاليم الدين الإسلامي، بهدف التأثير في المصلين وجدانيًا وسلوكيًا وفكريًا، ويعالج المواضيع التي تهم المسلمين في حياتهم الدينية والدنيوية.

خامسا: مفهوم الإعلام الديني

الإعلام الديني حسب:

محمد احمد هاشم أمام الشريف هو " أهم وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحاضر ومن انسب الوسائل الإعلامية لنقل الرسالة الدينية الإسلامية إلى دول العالم، سواءً كانت هذه الرسالة دينية بحتة أو رسالة عامة تعالج أحدث القضايا الراهنة ".[6](ص125)

عبد العزيز الصقيري: " هو المصدر الجديد والأقوى في إنتاج القيّم التربوية والدينية والأخلاقية، وصناعتها وتشكيل الوعي الديني والتربوي، حيث صار في وسع البث عبر الأقمار الصناعية أن ينقل المادة التربوية والدينية إلى كلّ الأصقاع بيسر تام على أساس من الدين والفطرة ".[26] إنّ له أثر عميق في تكوين علاقات النّاس ونفسيتهم وميولهم واتجاهاتهم وسلوكهم وتحديد نمط حياتهم، بما يلقى فيه من مواد تؤثر على تديّن الأفراد بشكل تدريجي، ويزداد الفرد من خلاله تمسكًا واعتزازًا بدينه ودفاعًا عنه والدعوة إليه ".[26]

لكحل الهواري :مفهوم الإعلام الديني هو نفس مفهوم الإعلام في معناه العام، " أي التعبير عن عقلية النّاس واتجاهاتهم وميولهم، عن طريق تزويدهم بالحقائق والمعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشاكل، تتم هذه العملية من خلال المرسل، المرسل إليه، الرسالة والوسيلة ".وهو" عملية تزويد الجماهير عامة بحقائق الدين الإسلامي من خلال ما جاء في الكتاب والسنة باستعمال وسيلة إعلامية دينية متخصّصة أو عامة من طرف قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومعمّقة بخصوص موضوع الرسالة الإعلامية الدّينية قصد تكوين رأي يعي الحقائق الدّينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته ومعاملاته ".[2](ص13)

نوال محمد عمر : هو أداة فاعلة شديدة التأثير في تكييف الوعي في بناء الشخصية واكتساب المعرفة الدّينية أيضًا، وهو كلّ معلومة دينية تصل إلى الفرد، وتؤثر فيه من إذاعة وتلفزيون وسينما وصحف ومجلّات وكتب وإعلانات... من مرسل عاقل، عالم متخصص، مؤهل وقادر على إيصال رسالة إعلامية إلى الرأي العام قصد التأثير فيه والحصول على استجابة، أو هو أداة رئيسية تسعى إلى تشكيل المحيط الديني والمواد النظرية السليمة للأشياء وصياغة المفاهيم والتصوّرات الإسلامية. [27](ص115)

سادسا: مفهوم تكوين الإمام

- التكوين لغـة: الإحداث والتصيير والتخليق والاختراع والصنع والتصوير. [28](ص333)

أما اصطلاحًا: فيُعرَّف التكوين حسب:

MAILARET : التكوين عبارة عن نوع العمليات التي تدفع إلى ممارسة نشاط مهني، وهو عبارة عن نتائج هذه العمليات.[29](ص96)

FERRY : يدلّ على فعل منظّم يسعى لإثارة عملية إعادة بناء متفاوتة الدرجة في وظائف الشخص، وهو وثيق الصّلة بأساليب التفكير والإدراك والشعور والسلوك. [29](ص95)

BOTERF : هو عملية تعديل ايجابي ذي اتجاهات خاصّة تتناول سلوك الفرد من الناحية المهنية أو الوظيفية، لإكسابه المعارف والخبرات التي يحتاجها ورفع مستوى كفاءته في الأداء، أي هو وسيلة لإعداد الكفاءات المؤهّلة للعمل النّاجح والقابلة للتوظيف الفوري مهنيًا. [30](ص19)

غياث بوفلجة: هو تنمية منظّمة، وتحسين للاتجاهات والمعرفة والمهارات، ونماذج السلوكات المطلوبة في مواقف العمل المختلفة لقيام الأفراد بمهامهم المهنية أحسن قيام وفي أقل وقت ممكن. [31](ص5)

وعليه يهدف التكوين إلى تنمية المستوى المعرفي بتزويد المتكوّن بالمعارف المطلوبة، وتنمية مستوى المهارات بامتلاكها وتنميتها من أجل رفع مستوى الأداء وكذا تنمية مستوى السلوكات، إذ لا يقتصر على المعرفة والمهارات بل التأثير في السلوك أيضًا، ولعملية التكوين مكونات تتمثّل في الأهداف والبرامج وطرائق التدريس والتقويم. [30](ص10)

والمقصود بتكوين الإمام في دراستنا هذه، مجموع المعارف والمهارات التي تزوّد بها الإمام خلال تواجده بمراكز التكوين سواءً المعاهد الدينية أو الجامعات الإسلامية، أي الزّاد العلمي والمعرفي والرصيد الثقافي الذي حصل عليه الإمام عند تخرّجه وحصوله على الشهادة التي سمحت له بتولي منصبه والذي يؤهّله لأداء وظيفته ويجعله قادرا على أداء الأدوار المنتظرة منه.

سابعا: مفهوم الثقافة الدّينية

موضوع الدين والثقافة من المواضيع التي تتعدّد وجوه القول والبحث فيها، وبالأساس فإنّ مصطلح الدين هو مفهوم غامض من زاوية التمييز بين الدين والفكر الديني، لأنّ الفكر الديني هو المعرفة البشرية للدين ومنه يمكن تصنيفه في خانة المعطى الثقافي، وهكذا فإنّ الخبرة الدّينية هي خبرة ثقافية ممّا يمكننا من استخدام مصطلح الثقافة الدّينية التي تعتبر القراءة البشرية للوحي، لكن الوحي مصدره الله أمّا الثقافة الدّينية فإنّ مصدرها البشر. [32]

هناك علاقة وطيدة بين الدين والثقافة، إذ أنّ الدين يشكّل لب الثقافة وهو التعبير الثقافي عن الإيمان والثقافة الدّينية تكون في آن واحد أصيلة ومواكبة للعصر، هي ثقافة مراعية للأصالة والخصوصيات الدّينية وتتلاءم في الوقت نفسه مع معطيات الواقع الرّاهن. [33]

والثقافة الدّينية هي ترجمة الإيمان إلى سلوك ديني وعمل صالح، أي التمسك بالدين وتجنّب الانحرافات، بمعنى غرس مبادئ العقيدة الصحيحة، ورفع المعاني الإيمانية. [34](ص269)

وهي الإيمان العميق الذي يرسّخ في النفس الإنسانية معاني العبودية وينمي فيها الشعور بالخوف والخشية من الله ومن عقابه والالتزام بتقّواه وطاعته وتدفع بالمسلم إلى العناية بالضرورات التي أكدّ الإسلام على حفظها وتحول بين الفرد وبين الوقوع في المحضورات والتعدّي على حقوق الآخرين وانتهاكها، وتنشئ في ضميره وازع داخلي قوي يهديه إلى الفضائل ويحميه من الرّذائل[35](ص45) ، وينطوي مفهوم الثقافة الدّينية على الأبعاد التّالية:

- الوعي الديني: هو من أهم أهداف الثقافة الدّينية، وهو لا يقتصر على المعرفة الخيّرة وتعلّم واكتساب المفاهيم الدّينية إنّما يتجاوزها إلى تكوين النزعة الصّادقة نحو الحقيقة والقيم. [36](ص10)
- الممارسة الدّينية: هي ترجمة الوعي إلى ممارسات وعادات نتيجة التدريب المستمر والمتكرّر، وهذا يقتضي توفّر البيئة التربوية التي تكوّن الخبرة الحقيقية من خلال مواقف يومية تمسّ واقع الفرد. [37](ص15)

وعليه فإنّ الدين هو روح الثقافة الدّينية وقوّتها المحرّكة، إذ يستمد المجتمع قيمه وقواعد تنظيم السلوك فيه من التعاليم الدّينية التي تلعب دورًا أكثر فعالية في الالتزام الشخصي أكثر من القواعد والقوانين الوضعية. [38](ص31)

إلى جانب هذا، تشمل الثقافة الدّينية، توعية الفرد بما يدور حوله وما يحيط بالمسلمين من أخطار، وتبصيره بكيد الأعداء وحقدهم على المسلمين، إذ لا يمكن أن يعيش الفرد المسلم في واد وواقع أمّته في واد آخر[36](ص13) ، لا يعي ما يحيط به من تحدّيات تمس دينه وأخلاقه وثقافته كفرد مسلم، وما يحاك ضدّه وضد المسلمين من مؤامرات ومحاولة الإلغاء ونقد كلّ ما لديه صلة بالإسلام، ولا يعني ذلك إبعاده عن العلوم الدّنيوية الضرورية لخدمة مجتمعه وأمّته، فهذا من صلب الثقافة الدّينية ومطلب من مطالب الشريعة وعليه فإنّ الثقافة الدّينية هي اكتساب الأفراد منذ حداثة سنّهم أساليب سلوكية ودوافع وقيم واتجاهات نابعة من تعاليم الدين الإسلامي، يرضى عنها المجتمع، بحيث تشكّل طرق تفكيرهم وأنماط سلوكهم وحكمهم على المعاني والأشياء تحت مراقبة الضمير.

وبهذا تختلف الثقافة الدّينية عن التديّن، فقد تجد شخصًا لا يظهر التزامه وانضباطه على شكله الخارجي، أو فتاة لا تبدو كذلك ملتزمة، أو حتى لا ترتدي الحجاب، لكنهما يحملان ثقافة واسعة في المجال الديني، هذه الثقافة تحول بين هذا الفرد وبين الوقوع في المحضورات، لأنّه تعرّف على أحكام الدين وحدود المعاصي، كما أنّ هذه الثقافة الدّينية تمكّنه من مواجهة التحدّيات الدّينية والأخلاقية، وتحميه من الذوبان في الثقافات غير الإسلامية وكذا من سلوك طرق الانحراف أو الغلو والتعدّي على حقوق الآخرين.

ثامنا: مفهوم النشاطات الدينية المسجدية

هي النشاطات التي ينظمها القائمون على المسجد من إمام ولجنة مسجدية، بهدف نشر الدعوة الإسلامية والثقافة الدينية في أوساط الجمهور المسجدي.

وهي نشاطات خارج أوقات الصلاة وخارج الخطاب الأسبوعي يوم الجمعة وتتمثّل أساسًا في:

- تعليم القرآن والسنة والفقه وعلم الفرائض والتوحيد وعلم التفسير والحديث والسيرة.
- تنظيم حلقات لتحفيظ القرآن الكريم.
- إعطاء الجمهور المسجدي دروسًا في الأخلاق والثقافة والتربية الدينية.
- تنظيم محاضرات ودروس وندوات لنشر الثقافة الإسلامية وتعميمها.
- إقامة الاحتفالات بالأعياد والمواسم الدينية.
- إقامة معارض للكتاب والشريط الديني.
- إقامة مكتبة وتسيير شؤونها.
- إعطاء الأميين والأميات دروسًا في القراءة والكتابة.
- النشاطات الاجتماعية، كإعطاء دروس للتلاميذ في كافة المستويات وتقديم المساعدات للفقراء والمساكين، حفلات ختان، تقديم خدمات تطوّعية.

تاسعا: مفهوم جمهور المصلين

المصلون هم القسم الرئيسي في المسجد، وجمهور المصلين هو عدد كبير من الأفراد يتميزون بضخامة حجمهم وبانفصالهم فيزيقيًا يشتركون في أدائهم للصلوات في المسجد. [9](ص5)

أي أنّهم عدد كبير من الأفراد، مختلفون فيما بينهم، يجتمعون حول هدف واحد هو الحضور إلى المسجد من أجل العبادة، يتميزون بوحدة العقيدة، يتصلون مباشرة بالإمام لأداء صلواتهم والاستماع إلى الخطاب المسجدي.

عاشرا: مفهوم الناشئة

- نشأ - نشؤ : نشأً ونشوءً أو نشأةً ونشاءة الطفل : شب وقرب من الإدراك، يقال نشأتُ في بني فلان " أي رُبيت فيهم وشببتُ والاسم النشء.

- الناشئ: جمع نشء ونشأة وناشئة على غير القياس: الغلام أو الجارية إذا جاوز حد الصغر وشبا. [39](ص11)

ومفهوم الناشئ في دراستنا هذه يعني الفرد الذي انتقل من مرحلة الطفولة الأولى إلى مرحلة المراهقة ثمّ الشباب، حتى يصبح راشدًا واعيًا ومدركًا لما يدور حوله.

حادي عشر: مفهوم التحديات الراهنة

- التحدي: معناه الموقف الذي يستدعي استنفار الشخص لبذل جهد لمقاومته. [40](ص325)

أمّا التحديات الراهنة : فهي مجمل التحديات الجديدة والقديمة والتي لازالت قائمة ولازالت مفاعيلها وموجاتها مؤثرة على أنماط سلوك الأفراد وتفكيرهم وهي عوامل ومتغيرات جدّية تستوجب الاستنفار وبذل الجهد لمواجهتها وتجاوزها والتغلب عليها. [40](ص336)

إنّ التحدّيات الراهنة هي آلية تسعى لتشويه البنى التقليدية، وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه وإدخال الضعف لديه والتشكيك في قناعاته الدينية والإيديولوجية بهدف إخضاعه للقوى المسيطرة، وإضعاف روح النقد والمقاومة لديه. [41](ص64)

والتحدّيات الراهنة، هي تحدّيات ثقافية، فكرية إعلامية، دعائية، إلى جانب المغريات المادية والمعنوية، ولعل أبرز هذه التحدّيات هي العولمة، وأمّا التحدّيات الأخرى فقد جاءت نتيجة حتمية وأسلحة أساسية للعولمة. [41](ص65)

وهذه التحديات موجودة كنتيجة طبيعية لمتغيرات الحياة والانفتاح والتواصل والتفاعل والاحتكاك والتداخل البشري والتلاحق الفكري[42](ص117) وتؤثر بصورة كبيرة على الثقافة والسلوك والعقائد، هي تحدّيات ذات بعد عالمي ،تهدّد بإذابة الخصوصيات وطمس الهويات الفرعية، كما تعمل على إضعاف الوازع الديني والأخلاقي والقيمي لدى الإنسان. [42](ص97)

ويعتبر الفرد المسلم أكثر المتضرّرين في عالمنا المعاصر من تلك التيارات الجارفة، كخطر العولمة والشركات المتعدّدة الجنسيات والغزو الثقافي والفكري والاستعمار المادي، فضلاً عن الأزمة الأخلاقية التي ينتشر سمّها ويتضاعف خطرها في العالم الإسلامي، إلى جانب مسألة التطرف والغلو والإرهاب التي تعانيها أمتنا في الوقت الراهن. [43](ص44)

وتضرّر المسلم من هذه التحديات أكثر من غيره، راجع إلى كونها تتناقض مع هويته وعقيدته وأخلاقه، فهي تسعى للمساس بثوابته وعزله عن هويته ومبادئه. [43](ص45)

وإلى جانب التحدّيات المذكورة هناك تحدّيات أخرى كانتشار ظاهرة التنصير وتخلي الشباب المسلم عن دينه، وإتباع أديان غيره، لأنّ هدف التنصير ليس اعتناق المسيحية فقط، لكنه محاولة لإبعاد المسلمين عن دينهم في حالة عدم تخليهم عنه لاعتناق دين آخر.

وتحدٍّ آخر يواجه المسلمين في عالم اليوم وهو ما يسمى بحرية وحقوق المرأة والتي تؤدّي إلى اعتقاد المرأة أنّها لا تتمتع بحقوقها وأنّها تتعرّض لظلم يحدّ من حرّيتها، ذلك أنّ ثبات واستقرار وتماسك المجتمع المسلم متعلّق بالمرأة، وبالتالي تمّ استعمالها كسلاح في معركة محاربة الإسلام والمسلمين، عبر الوسائل الإعلامية التي تدعوا إلى الانحلال والإباحية والتجرّد من الأخلاق والقيم الدينية، وتشويه صورة الإسلام ممّا أدّى إلى عدم الفهم الحقيقي للإسلام باعتباره دين الوسطية والسلام الشيء الذي دفع بالكثير من المسلمين إلى التطرف والمغالاة. كل هذه التحدّيات أحدثت تغييرات في السلوك والتفكير والعادات والممارسات.

ملخص الفصل

لقد تمّ التطرق في هذا الفصل إلى الجانب المنهجي للدّراسة، ومن خلاله استعرضنا إشكالية الدّراسة وفرضياتها وتحديد المفاهيم الرئيسية فيها وأسباب اختيار الموضوع والقيمة العلمية للدّراسة وأهدافها، كما تطرقنا إلى صعوبات الدّراسة والدراسات السابقة.

الفصل 2
مكانة المسجد وأهميته في المجتمع

المسجد في الإسلام أسس خصيصًا لتقام فيه الصلاة، إلاّ أنّ وظيفته منذ البداية لم تقتصر على الصلاة فقط، بل كان المسجد مركز الحكم والإدارة والدعوة والتشاور ومحلا للقضاء والإفتاء والعلم والإعلام وغيرها من أمور الدين والدنيا، وبذلك علت منزلة المسجد عند المسلمين، وظهرت هذه المهام الجليلة في المسجد النبوي الذي خطّط بحيث يناسب تصميمه ومكانه أداء هذا الدّور الرّيادي في المجتمع.

والمساجد هي من خصائص البلاد الإسلامية، حيث أنّ لكلّ ملّة ديانة، ومعبد يجتمع فيه أهل تلك الديانة لأداء عباداتهم لذلك تؤدى فيها الصلاة جماعة وفرادى مما يوجب احترامها واعتراف المسلمين بفضلها في حياتهم، الشيء الذي جعلها محور حياة المسلمين، فهي ليست مكان للعبادة ومحل إقامة الصلاة فحسب، فالمساجد في الإسلام تبنى لأكثر من ذلك، فالمسجد هو المدرسة التي تتربّى فيها النفوس تربية روحية باتصالها بالخالق أثناء الصلاة والتعبد، وهو المدرسة التي يتعلم فيها المسلمين أمور دينهم ودنياهم.

وعلى هذا الأساس نتطرّق في هذا الفصل إلى مفهوم المسجد ومكانته في حياة المسلمين وأهميته في المجتمع نظرًا للوظائف الاجتماعية، الأمنية، التربوية، السياسية، العسكرية والاقتصادية، التي يقوم بها، وسوف نتطرّق إلى المسجد في القانون والتشريع الجزائري.

2-1- المسجد وأهميته في المجتمع

2-1-1- أهمية ومكانة المسجد في حياة المسلمين

إنّ المسجد هو واحد من أهم المنظمات التّي تتمتع بالقبول المجتمّعي الواسع حيث تنبع أهميته من حيث اعتباره بيت الله، ويعتبر الأغنياء أن إسهامهم في بنائه وتعميره هو بمثابة قربى إلى الله تعالى، كما يعتبر التردد عليه مجلبًا للثواب وعلامة على التقوى وصدق الإيمان، وتتبلور أهمية المسجد من الناحية السوسيولوجية في اعتباره معبدًا للفكر الإسلامي ومقرًّا للأنشطة التنموية والتعليمية، أي أنّه يعتني بتوجيه وترشيد وإعلام السلوك الإنساني، ففي حين تهتم منظمات أخرى بتقديم خدماتها لبعض أفراد المجتمع، يتميّز المسجد بأنّه منظمة تنموية تسهم في صقل وتربية وتنمية قاعدة عريضة من أفراد

المجتمع لفترات طويلة تمتد من سن التكليف إلى نهاية الحياة، فهو ليس مجرّد مئذنة ترفع وأعمدة تقام وتعلو به، إنّه المدرسة والجامعة والمعهد والبرلمان. [44](ص120)

كما أنّ تردّد المسلمون على المسجد يزيد من تعلّقهم به، وبربّهم ممّا ينعكس ايجابيًا على المجتمع بأسره، فحين يتلقى المسلم في المسجد معاني الفضيلة وقيم الإسلام، فإنّه يستقيم على المنهج الحقّ، وتطفأ بداخله نوازع الشر والإفساد، وتشيع في نفسه مشاعر المحبة والأخوّة والألفة مع غيره من الأفراد فيزداد أمانًا واطمئنانًا.

والمسجد في الإسلام باعتباره بيت الله، " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً " (الجن: 18) فهو يحتل في نفوس المؤمنين مكانة عالية، ويحضى بالوقار والتعظيم والقدسية ويذكّر روّاده بعظمة الخالق جلّ وعلا، فيستشعرون معيته، ويحسون بمناجاتهم إياه.لانه" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد "[45]. من أجل ذلك أكّد الله تعالى أنّ عمارة مساجد الله لا تكون إلاّ من قبل من آمن بالله واليوم الآخر، وشهد لعمّارها بالإيمان في قوله: " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ".وقد روي هذا أيضًا في الحديث، الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : " إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان "[45]، وهكذا شهد الله بالإيمان لمن يعمّر مسجده ويجعله من أهله في بيته " إنّما عمار المساجد هم أهل الله " ونفى عن المشركين عمارتها ومنعهم منها بقوله: " مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ " (التوبة 17 – 18)، ولقد عدّ رسول الله من بين السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلاّ ظله رجلاً قلبه معلقًا بالمساجد.

فالمسجد إذن كالمنارة، يسترشد بها المؤمن في حياته ومنه يستمد مقوّمات دينه، ويعرف أصوله ومبادئه، فهو يكوّن القواعد التّي يبني عليها المسلم حياته في مختلف مجالاتها، وهو الذي يشع على كلّ هيئات المجتمع، فمنه تأخذ كلّ تركيبات المجتمع أساليب العمل، ومناهج التحرك وطرق الانطلاق.

فرسالة المسجد شاملة ومتنوّعة، تضم مجالات مختلفة لنشر القيم الإسلامية وغرس الآداب والأخلاق الحميدة، وإبراز سمو الإنسان وكرامته، والحفاظ على وجوده وحياته، وتقويم سلوكه وإشعاره بالأمن والطمأنينة النفسية والروحية التّي تخفف عن النّاس أعباء الحياة وآلامها وتكبح فيهم الغرائز والشهوات وترسّخ أواصر المحبة وروابط الألفة وتبسط الأمن في المجتمع.إنّ آيات القرآن الكريم، والتي تتردّد على مسامع المصلين في المساجد تمثّل دستورًا تربويًا يقي المسلمين وأبنائهم والأجيال الصاعدة والنشء اللاحق شرور المخاطر والانزلاقات الفكرية والعقائدية، الذي يؤدي بهم إلى التطرف.ولقد عجزت المجتمعات غير المسلمة أن تحقق الأمن والطمأنينة في نفوس أفرادها، وفشلت جهودها لترسيخه في مجتمعاتها برغم من أجهزتها ونظمها المتطوّرة، لأنّ الأمن الحقيقي ينبع من داخل النفوس وينبعث من القلوب، ولا يأتي هذا ولا يمكن تحقيقه إلاّ في المسجد، بتقوية الوازع الديني، لذلك احتلّ المسجد

مكانة خاصة في نفوس المسلمين، تجعل منه ذا أثر فاعل ومهم وما يصدر عنه وما يلقى فيه محلّ ثقة الجميع. [46] فالمسجد يعدّ بحق وسيلة فعالة في زيادة تقارب المسلمين وترابطهم وتأسيس مجتمع إسلامي، ومكان لقاء وتجمع للمسلمين على اختلاف أجناسهم، ولغاتهم، ومذاهبهم الدّينية.

وممّا يدل على المكانة العظيمة التّي يحتلها المسجد لدى المسلمين أنّه كان قلب المدينة الإسلامية النابض بالحياة، ومركز خدمة المجتمع الإسلامي، ومجمع أهل الشورى ومحور أنشطة الدولة ومصالحها المتعدّدة. فالمسجد هو مركز ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي الملموس، فلا تكتمل الجماعة إلاّ بمسجد يربط بين أفرادها يتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأي، ويقصدونه للوقوف على إخبار جماعتهم لأنّه بيت الله، وهو أيضًا بيت الجماعة، وبيت كلّ واحد منها. [47](ص91)

ومعلوم أنّ المسجد منطلق لإشاعة التوجيه الديني، ومركز الإشعاع الروحي ومحل أداء الفريضة الكبرى في الإسلام وشريعته الأولى (الصلاة). وهو المدرسة التّي تلقى فيها أحكام الشريعة وتعاليم الدين الحنيف، تنزع صدأ القلوب وتخلصها من طغيان المادة، يغذي النفوس وينير العقول، وهو مأوى أفئدة المؤمنين، وملتقى المصلين الذين يلتقون فيه خمس مرات دروسًا علمية في المساواة والطاعة والانقياد لرب العالمين، وبذلك فهو منبر للإشعاع الديني. [48](ص2) والإسلام دين الفطرة والتوحيد والوحدة، واليسر والبساطة، ومن ثمّة جاءت طبيعة المسجد في الإسلام وفي عهوده الأولى، تتماشى وحياة البلدان التّي لم تتأثر بعد بظروف الضخامة في الإسراف والزينة.والمسجد مركز الجماعة المسلمة، ونقطة تجمعها ولقائها ومكان تشاورها، وتبادل آرائها، ومركز العلم والتعلّم فيها، ودار العدل والقضاء، والخلية الاجتماعية الطاهرة التّي تنبض بالحياة، يؤدي رسالة نبيلة، تتمثل في تعليم كتاب الله تعالى ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف، ويعتبر منتدى عامًا مفتوحًا أمام الجميع، ونُزلاً للضيف والغريب، وملجأ للمسكين، ورافد للتعليم الأصيل. [48](ص2) ولكونه ضرورة دينية واجتماعية وفكرية، كان أوّل عمل فكّر فيه الرّسول صلى الله عليه وسلم، عند وصوله إلى " قباء " في طريق هجرته إلى المدينة المنوّرة، وأوّل إنجاز أنجزه حينما أمر بالقيام بتخطيطه وبنائه، وكان المسجد المؤسس على التقوى من أوّل يوم، والمكتوب بناؤه لسعد بن خيثمة رضي الله عنه، والمذكور في القرآن بقوله تعالى: " لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ " (التوبة: 108).

وللمسجد دور حقيقي في قيادة وتوجيه المجتمع الإسلامي، فقد حدّثنا التاريخ أنّه في صدر الإسلام وعبر عصور تاريخه المجيد أدّى وظائف وخدمات عظيمة دينية وعلمية واجتماعية وصحية وسياسية وعسكرية، وسيأتي ذكر هذا لاحقًا في الجزء المخصّص لدور المسجد. [49](ص235)

وتحقيقًا لوحدة المسلمين، وتمتينًا لصفوفهم، وتطمينًا لقلوبهم، واستجابة لدعوة " حي على الصلاة حي على الفلاح " ارتبط المسجد بشعائر ذات حكمة ومغزى بليغ، واستمرارًا لأداء رسالة المسجد ووظيفته السامية تسخو نفوس المسلمين بالأموال التّي يجرونها وقفًا عليه فكان ذلك مظهرًا من مظاهر النبل والكرم والإنفاق والإيثار والتكافل الاجتماعي في الأمّة الإسلامية، وهو الصدقة الجارية التّي لا

ينقطع أثرها وأجرها بعد الموت، وقد كانت المساجد ومازالت معالم ناطقة بفن العمارة الإسلامية الأصيلة والمتميزة، بحيث يضع تخطيط المدن في العالم الإسلامي قديمًا وحديثًا في أوليات اهتمامه موقع المسجد. [48](ص4).

2-1-2- أهمية المسجد في التربية الأسرية :

أسهم المسجد ومازال يسهم إسهامًا فعّالاً في صياغة الحياة الإسلامية الحقيقية على مختلف المستويات المجتمعية، وبشتّى أساليب الفقه والتفقه في مسائل الدّين والدّنيا من خلال إقام الصلاة الجامعة به، وكذلك حلقات الذكر والدروس المتنوعة وغيرها، من العوامل المؤثرة في تكوين شخصية النشء العلمية والرّوحية والجسمية، فيجب إيجاد ذلك التعاون أو التفاعل الوثيق بين البيت والمسجد والمدرسة حتى يسهل على الأولياء الحفاظ على قوّة وتماسك العمران الأسري، وبالتالي يستفيد النّاشئ من تربية أسرية إسلامية متكاملة تضمن تحقيق تنشئة اجتماعية سويّة ومتوازنة وهادفة. [50](ص366) فمسؤولية الأسرة داخل البيت تتركّز في الدرجة الأولى على التربية الجسمية للإثم الكبير الذي ينال من يضيّع حقّ أولاده ويهمل معيشة عياله مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم : " كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يقوت" [45]، أمّا اهتمام المدرسة فينصبّ أساسًا على التربية العلمية لما للعلم والمعلم من أثر كبير في تكوين الشخصية ورفع كرامة الإنسان. ومن المؤكد أنّ الرسالة التربوية للمسجد في الإسلام تكمل رسالة الأسرة والمدرسة بل تدعمها، وتتركّز بالدرجة الأولى على التربية الرّوحية، لما لصلاة الجماعة وقراءة القرآن الكريم من نفحات ربّانية ورحمات إلهية إيمانية لا تنتهي ولا تنقطع، فقد روى البخاري[45]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم : " صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين ضعفًا، وذلك أنّه إذ توظأ فأحسن الوضوء، ثمّ خرج إلى المسجد لا يخرجه إلاّ للصلاة، لم يخطُ خطوة إلاّ رفعت له بها درجة وحطّت عنه بها خطيئة، فإذا صلّى لم تزل الملائكة تصلّي عليه مادام في مصلاه ما لم يحدث، " تقول اللهم أرحمه، اللهم أرحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة ".ولهذه الاعتبارات فإنّ الطفل أو الولد الناشئ بالمسجد له الأهميّة المحورية في حركية التربية الأسرية في سيّر مراحلها الزمانية المتتالية، ولمّا كان الولد وديعة ثمينة عند الوالدين جعله الله تعالى بين أيديهم أمانة، فإنّ هم أحسنوا رعايته واخلصوا في تنشئته، سعِد الولد وسعِد الآباء ثمّ سعِد المجتمع كله، وإن فعلوا خلاف ذلك فقد وقع الجميع طعمة سهلة في أوحال الشقاوة، وحتى تنمو هذه الغرسة وتثمر، ثمارًا صالحة سوية ينبغي توجيه الطفل نحو معقل الخلق الفاضل والقيم العالية الكريمة، والملاذ الآمن المتجسّد في ارتياد المسجد. [50](ص367) فعلّى المربّي " إلاّ يغفل جانب التشجيع والترغيب في ارتياد الأولاد مساجد الله تعالى، حتّى يندفعوا بكلّيتهم إلى الصّلوات في أوقاتها، ويتسابقوا إلى صلاة الجماعة في حينها، ويحرصوا على التزام حلقات الذكر والقرآن الكريم والعلوم الشرعية في المواعيد المحدّدة لها ".[50](ص368)

والدّارس لحياة أطفال السّلف الصالح، يسجّل مدى اهتمامهم الجاد بارتياد المساجد وعنايتهم بأداء الصلاة فيها، فهذا جابر بن سَمُرة رضي الله عنه يقول عن طفولته وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، صلّيت مع رسول الله صلاة الأولى (الظهر) ثمّ خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدّي أحدهم واحدًا واحدًا،قال: وأمّا أنا فمسح خدّي، فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنّما أخرجها من جؤنة عطار (أي: السقط الذي فيه متاع العطّار). [45]

والمسجد هو المعبد في الإسلام وهو البرلمان وهو المدرسة والنادي والمحكمة، ولو لم يكن للمسجد وظيفة غير كونه معبدًا لكفى ذلك، لأنّ الصلاة هي عماد الدّين، وصلاة الجماعة سواء المكتوبة منها أو الطارئة توحّد قلوب المسلمين وتؤلّف بينهم. يقف كبيرهم صفًا واحدًا مع صغيرهم، وأميرهم مع رعيّته، وغنيّهم بجانب فقيرهم، بأقدام متراصّة وأكتاف متزاحمة، جباههم جميعًا على الأرض متساوون، وهذا من أسباب الألفة بينهم، قال تعالى: " لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ " (الأنفال: الآية 63).

تلك هي الألفة التّي تولّد القوّة في جماعة المصلّين، وتلك القوّة تكون أشدّ عندما تجمع أفراد الأسرة في صفّ واحد لمناجاة ربّ واحد لا شريك له، فتتجلّى بذلك ثورة البنيان المرصوص الذي يشدّ بعضه بعضًا، وهي حينئذٍ بحقّ القوّة التّي ترهب أعداء الله تعالى، وهو الإعداد الذي أشير إليه في الآية الكريمة: " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ " (الأنفال: الآية 60).فمن المسجد تستمد الأسرة المسلمة جذور وأسس الإعداد للقوّة البشرية والتربية الاجتماعية الهادفة، ومن المسجد تحافظ الأسرة على عمرانها وكيانها وأدوارها الاجتماعية، وأيّ إعداد لا يبدأ من المسجد فمصيره الفشل، لأنّ صميم وجوهر العملية المتعدّدة هو مصداقًا لقوله تبارك وتعالى: " وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً " (الجن: الآية 18). لذلك اعتبر المسلمون المسجد مدرسة وبرلمانًا ومحكمة ونواديًا يطبّقون فيه شرع الله على هذه الفعّاليات، وبقي المسلمون على ارتباط وثيق بالمساجد حتّى أتت عليهم رياح التغيير فابتعدوا عن المساجد باعتبارها منابر العلم والهدى والحضارة الإسلامية فتقلّص التراحم بينهم وتوارت عوامل الألفة والمودّة والتعاون بين جماعاتهم وتجمّعاتهم فنقصت القوّة وهانوا في أعين أعدائهم الذين بادروا المسلمين بهجمة شرسة تغلّبوا فيها عليهم بحضارة مغلّفة بالعلم محشوة بالحقد الدّفين الذي ركّز على إبعاد النّاس عن دينهم بشكل عام وعن مساجدهم بشكل خاص. وما يحدث في العراق اليوم من تهديم للمساجد هو أكبر دليل على ذلك، وبابتعاد النّاس عن المساجد أصابهم حبّ الدّنيا وكراهية الموت، فأصبحت وقد خلت من روادها إلاّ العدد القليل، حينها نسي النّاس وظائف المسجد الحضارية وجهل عامتهم أنّه مدرسة تربوية لإعداد الجنسين الذين تحفظ بهم الأسرة وجودها من كيد الكائدين، لذلك تقلّصت قوّة المجتمعات الأسرية وكسرت شوكتهم وذهبت ريحهم وتفرّقت في الآفاق بين المخلوقين. [8](ص97) إنّ التربية مسؤولية اجتماعية أساس منشئها الأسرة ومحور توجيهها المسجد وساحة أدائها البيئة الاجتماعية، حيث يتلقّى في وسطها مبادئ التربية السّليمة، إذا أدرك الأب أنّ

طفله هو تلك الجوهرة الثمينة التّي يجب ألاّ تترك مهملة في مستنقعات الضياع والفساد والهلاك، وذلك بحكم انتماء جماعة الأسرة إلى الإسلام الذي جعل الإنسان مسؤولاً تجاه نفسه، وتجاه الآخرين مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم : " كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيّته، والرّجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيّتها، والخادم راعٍ في مال سيّده ومسؤول عن رعيّته، وكلّكم راعٍ ومسؤول عن رعيّته " [45]. ومن بين فوائد هذا الحديث الشريف أنّ التربية والرّعاية مسؤولية كلّ من تحت وصيته رعيّة يرعى شؤونها، فالأب يتقاسم في الأسرة هذه المسؤولية مع المعلّم في المدرسة وإمام مسجد الحي ابتداء، كما أنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم، يضع قاعدة أساسية مفادها أنّ الولد يشبّ على دين والديه لكونهما المؤثران القويان عليه والموجّهان لطبيعة سلوكه وتنشئته [51](ص37).

2-2- الوظائف الاجتماعية للمسجد

تتمثل الوظائف الاجتماعية للمسجد في:

2-2-1- المسجد مصدر الأمان والاطمئنان

للمسجد قدسية خاصة، ومكانة فريدة في قلب كل مسلم، لأنّه مكان تطمئن وتهنأ فيه القلوب، وتجد فيه الخلاص من القلق والنجاة من الخوف، ومن الاضطراب، إذ تتردّد فيه أسباب الاطمئنان، وبواعث الاستقرار والأمان، ومنها ذكر الله تعالى، وتتلى فيه آيات القرآن الكريم، ويسمع في أنحائه كلّ ما يطهر القلوب ويصفي النفوس، وينقي الأذهان والأفكار، ويزكّي الأرواح ويهذّبها، ويغذيها ويشحنها بروح اليقضة الإيمانية والاستقامة السلوكية. [46](ص3)

فكلّما ازداد تردّد المسلم على المسجد، كلما ازداد تعلّقه به وقربه من مولاه وخالقه، فارتقى بروحه نحو مرضاة الرّب، ومحاسبة النفس، ومراتب الفضيلة، وابتعد عن النوازع العدوانية والدوافع الإجرامية، فحين يتلقى المصلي في المسجد معاني الفضيلة، وقيم الإسلام السامية، التّي تشيع في النفوس الاطمئنان، فتستقيم على منهج الحقّ، وتنحسر فيها دواعي الشرور والإفساد. [8](ص5)

والمسجد ملجأ، يتسابق إليه المسلمون إذا نزلت بهم كارثة، أو حلّت بأوطانهم مصيبة، أو داهم ديارهم خطب أو هدّدهم خطر، فيلجأون فيه إلى ربّهم وتخضع نفوسهم لعظمته، ويلحّون عليه بالدّعاء، ويظهرون له الذل والخضوع، والاستكانة، ليفرّج كرباتهم، ويزيح أحزانهم، ويكشف عنهم البلاء، ويدفع عنهم الشرور والأدواء، ويرفع عنهم المصيبة والبلاء ويفيض عليهم من خيراته ويعمّهم بفضله ورحمته. [51](ص49) فحين تصاب البلاد بالقحط، ويعمها الجفاف، وينقطع عنها الغيث، أو يتأخر عن موعده، فتفور المياه من الآبار، وتموت الزروع والأشجار، يفزع الجميع إلى المساجد ليصلوا صلاة الاستسقاء، وترتفع أيديهم إلى مجيب الدعوات، ويتضرّعون إلى مفرّج الكربات، ويريقون كما يقال: " ماء الأسف

على أوراق الذنوب والخطيئات "، حتى يفتح عليهم ربّهم من الفضائل والبركات، ويكثر عليهم النعم والخيرات ويغيّر حالهم من شدة إلى رخاء، ومن عسر إلى طمأنينة وصفاء. [52](ص53)

ويهرع المصلّون إلى المساجد، حين يخوّفهم ربّهم بالآيات، وتحلّ بهم المصائب والنكبات، والتي تهتز من هولها المشاعر، وتقشعّر من عِظمها الأبدان، كالزلازل والصواعق والفيضانات، وكسوف الشمس وخسوف القمر وانفجار البركان، فينطرح الجميع بين يدي الله، بدعوات خاشعة، وقلوب خاضعة، وعيون دامعة، حتّى يكشف ما حلّ بهم من البلاء، ويرفع ما نزل ببلدانهم من الأضرار وعضال الداء، ولتكون هذه الآيات موعظة وذكرى، ليأخذوا حذرهم، ويستدركوا ما فات في بقية عمرهم، ويستّعدوا لما هو آتٍ، ويجدّوا في إصلاح أنفسهم وتزكيتّها، ويجتّهدوا في تقويم اعواجاجها وتربيتها، حتّى يتحقق لهم موعود ربّهم، فيزول عنهم الحزن ويذهب عنهم الخوف[53](ص114) ، وينحسر عنهم القلق وينعموا بالأمان، ويعمهم الاستقرار والاطمئنان وخير مثال نضربه في هذا الموضع، ما حلّ في بلادنا، وما رأيناه من اكتظاظ في مساجدنا، بعد فيضانات باب الواد، وزلزال بومرداس، خاصة بعد تلك الهزّات الارتدادية، والتي كانت أسبوعًا بعد الهزّة الأولى، وقبل صلاة الفجر بقليل، فهرع الجميع إلى صلاة الفجر خوفًا وتضرّعًا إلى الله تعالى وهنا يجب أن لا ننسى الدور الذي لعبه المسجد في إعادة الطمأنينة النفسية إلى من أخافتهم هذه الحوادث، وأهمية الدّور الذي لعبه رجال الدّين في المساجد وفي وسائل الإعلام من جرائد وإذاعة وتلفزيون، نظرًا لثقة الجميع بما يقولونه، ونفس الشيء عند حدوث الكسوف والخسوف.

2-2-2- المسجد مركز للتعارف والتآلف والتكافل الاجتماعي

يتميّز المجتمع الإسلامي بسيادة شعور المحبّة والتآخي بين أفراده، وشيوع روح الترابط والتماسك في أوساطه، وقد استمد تلك القيم من نور الوحي وهدي النبوة، فأصبح نسيجًا فريدًا في صفاء العلاقات البشرية، وشفافية الروابط الاجتماعية، وحين نتأمل انبثاق رابطة التآلف السائدة بين المسلمين، والمصدر الذي شقّت منه، لوجدنا أنّ للمسجد أثرًا قويًا، ودورًا رئيسيًا في تكوين تلك الرابطة، فأهل الحي يجتمعون في المسجد كلّ يوم خمس مرات، يؤدّون الصلاة جماعة، ويركعون لربّهم ويسجدون سويًّا، ويخضعون لجلاله ويذلّون، وتسود بينهم روح الود والمحبة، والتقارب والألفة، إذ تتكرّر رؤية بعضهم لبعض، و التقاؤهم في مكان واحد، وتراهم جميعًا غنيّهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، مأمورهم وأميرهم، يقومون جنب إلى جنب في صفّ واحد. [53](ص148)

إنّ التقاء المسلمين في المسجد يعمّق الاتّحاد والإخاء بينهم، ويجعل منهم قوّة متماسكة، ووحدة متآلفة، فالمسلم يقابل أخاه المسلم في المسجد فيسلّم عليه، ويبادله التحية، إحدى شعائر الإسلام الفاضلة، وقيمه السامية وآدابه السلوكية الرفيعة، التّي تتضمّن معاني التكريم الصادقة والمودة والألفة وتعمّق روح التضامن بين المسلمين [54](ص380) .

إنّ الإسلام ينشد السلام، لأنّه الأمن والآمان، ويسعى إلى تعميقه في النفوس وترسيخه في القلوب، وإشاعته بين النّاس، حتّى يشعر الجميع بالارتياح والاطمئنان والاستقرار، ويسود بينهم الشعور الصادق، والعواطف النبيلة، حيث حضّ الإسلام عل توطيد تلك الأخوّة، وبيّن مقتضياتها ومستلزماتها في كثير من النصوص " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ". (الحجرات، الآية 11)

لقد أوضح المصطفى عليه الصلاة والسلام، بنظرته التربوية التّي استقاها من تأديب ربّه له، أنّه لا يمحى الحقد من الصدور، ولا ينزع الحسد والتنافس من النفوس، إلاّ أخوّة صادقة تسود حياة المسلمين، وتعمّ المجتمع المسلم على أساس من المحبّة والتوّاد، والتناصح والألفة بين البشر، ويذهب عنها الكيد والغل ويزول الحسد والتباغض. إنّ المسجد أهم وسيلة تعمق الصلات بين المسلمين، وتفتح قلوبهم للمحبة والتلاقي على الخير، وتغرس بذور المحبة في النفوس، وتتعاهدها بالرعاية على مدار اليوم والليلة، فإذا صفت النفوس، وتآلفت القلوب عاش الجميع في أمن وسلام، ومحبّة ووئام. [54](ص235) وتتبوّأ العلاقات الاجتماعية في الإسلام مكانة عظيمة، وذلك لتحقيق معاني التكافل الاجتماعي، ومبادئ الترابط الأخوي، وصيانة المجتمع المسلم من أخطار التعسف والنزاع ودواعي الأنانية وحب الذات.لقد قرّر الإسلام التكافل بمجالاته المتعددّة، المعنوية والمادية، لإيجاد مجتمع فاضل متعاون، فالأفراد ليسوا فيه على نسق واحد في الفهم والمستوى المعيشي، بل يتفاوتون في أوضاعهم وأحوالهم، فيحتاجون إلى تنظيم دقيق يضبط أحوالهم، ويرعى شؤونهم، ويحقق التوازن، والانسجام بين مختلف فئات المجتمع، حتى يشعر كلّ واحد منهم بعضويته الكاملة في مجتمعه، ويشارك في واجباته ويقوم بأدواره، ليتحوّل المجتمع كله إلى أسرة واحدة يسودها الإخاء والتعاون والرحمة [55](ص84) . ويمكن للمسجد أن يقوم بدور حيوي لتحقيق تلك المعاني، من خلال حث الإمام المصلين على القيام بتوطيد العلاقة بينهم وتجسيد نظام التكافل الاجتماعي، والعمل على فك الضائقات وتفريج الكربات بالبذل والإنفاق، وتفقّد المحتاجين من أبناء الحي والتبرّع لهم، والعطف على المعوزين والمعدمين، والنظر في أحوال المرضى والمعاقين، والرحمة بهم، ومدّ يد العون للفقراء وأهل الحاجة، والعناية بمن يحتاجون لرعاية مادية ومعنوية كما أنّ إمام المسجد يستطيع بما يحظى به من ثقة، أن يستقطب الأثرياء من أبناء الحي، ليكونوا مصدر تمويل لإخوانهم المحتاجين، للتخفيف من معاناتهم ومساعدتهم بما أنعم الله عليهم من المال، وسدّ حاجات الفقراء، للتخفيف من آلامهم، كلّ ذلك من أجل إقامة جسور من الرحمة والرأفة مع أفراد المجتمع، الذين أدّت بهم الظروف المعيشية إلى الوصول إلى هذه الحالة، وإشباعهم وإكفالهم وانتشالهم من مذلة السؤال ومهانته.

إنّ التكافل الاجتماعي حين يطبق بين أفراد المجتمع، تبرز آثاره التربوية النافعة، في معالجة النفوس، وإصلاح الضمائر، وتهذيب السلوك والطباع، والإحساس بالشعور الأخوي بين الجميع، وترسيخ التآلف والتعايش الودي، والمعالجة العملية لحالات من الفقر والحرمان، والعجز والإعسار.

فالعناية بالتكافل الاجتماعي، وتطبيقه عمليًا، يحفظ المجتمع من لجوء البعض إلى طريق الإجرام، والوقوع في مزالق الانحراف والرذيلة، وسلوك السبل الملتوية لبلوغ الهدف، ممّا يؤدي إلى خلخلة

المجتمع وتفككه واضطرابه وارتفاع نسبة الجريمة فيه، من قتل وسرقة، لأنّ التكافل الاجتماعي له دور مهم في انضباط الأفراد وترسيخ الاستقرار والاطمئنان، وغرس القيم الإيمانية بين جميع فئات المجتمع، وهي القيم التّي تحفظ على المجتمع أمنه وسلامته، وتثبت فيه روح الإخاء، وتبعده عن الاستغلال، وتقي النفوس من الأحقاد والعدوان. [15](ص81)

2-2-3- المسجد وسيلة لترسيخ المساواة والأمن في النفوس

للمسجد أهمية كبرى في تهذيب النفوس، وتنقيتها من شوائب الحقد والضغينة المؤدية إلى التشتت والافتراق، والمثيرة للنزاع والانقسام والشقاق، لأنّه يغرس في نفوس الأفراد السلوك الصحيح لتنمية الشعور بأنّ الجميع أسرة واحدة، تجمعهم رابطة الإسلام وتضمّهم وشيعة الإيمان وذلك من خلال المساواة التي هي من أبرز القيم التّي أصّلها الإسلام في النفوس، والمنبثقة من وحدة الأصل الإنساني. [53](ص182)

فقد أعطى الإسلام اهتمامًا خاصًا لقيمة المساواة، وجلاّها في أروع صوّرها بين أفراده وهم يمارسون عباداتهم وظهرت واضحة جلية مطبقة بين المصلين في المساجد فالإسلام منذ بزوغ فجره قضى على جميع الفوارق المصطنعة وأزاح نظرة الاستعلاء التّي كانت سائدة في الحياة الاجتماعية الجاهلية.فحين تنطلق من مآذن المسجد كلمة التوحيد، يستجيب المؤمنون لنداء الحقّ، ويلبّون دعوة الخالق، فإذا تكاملت أعدادهم، والتأمت جموعهم، أعلن المؤذن إقامة الصلاة، فانتظمت جموع المصلين صفوفًا متراصة خلف إمامهم، لا يمتاز شخص على آخر بل تذوب كلّ الفوارق، وتزول جميع الحواجز يضمهم الصف متجاورين مهما تباينت أحوالهم المادية ومستوياتهم الثقافية، وحالاتهم الاجتماعية، لا يجد أحدهم غضاضة أن يقف بجانب أخيه، المأمور بجانب الآمر، والغني إلى جانب الفقير، والأبيض ملاصق للأسود، والتاجر مجاور للعامل، والمثقف مساوٍ للأمي، جميعهم في صف واحد، لا تفاضل في مواقفهم، ولا تمايز في أفعالهم، لا يتقدّم واحد بالرّكوع قبل إمامه حتى يركع، ولا يسجد حتى يسجد، ولا يزيد فعلاً ولا ينصرف من صلاته قبل انصراف إمامه، عبادة تتجلّى فيها المساواة وتبرز الوحدة بأسمى صورها، وأجمل معانيها، فتعمق في نفوس المصلّين، انتماءهم إلى أصلٍ واحد، وأنّهم أمّة نبعت من منبع واحد. [56](ص35)

إنّ هذا المنظر البديع للمصلين، وتلك الصورة الفريدة، لا تتكرر عند غير المسلمين، ولذلك أبهرت هذه المساواة، الباحثين من الغربيين، الذين عبّروا عن إعجابهم بالمعاني الفاضلة، والقيم السامية التّي تظهر من خلال أداء الصلاة، والدّور الفاعل لها في جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، تقول الكاتبة الإنجليزية " ساروجيني ناديو " في كتاب - محاضرات ومقالات - " إنّ الدّين الإسلامي كان الدّين الأوّل الذي دعا إلى الديمقراطية، وعمل بمبادئها، فلا يرتفع صوت الآذان من منارة المسجد، إلاّ ويأتي من يريد أن يعبد الله، فيجتمعون في صف واحد، خمس مرّات في اليوم، ويركعون لله على صوت

التكبير، وتتجلّى المساواة الإسلامية في أروع أشكالها، إنّني شعرت مرّة بعدة مرّة، بأنّ الإسلام بقوة الوحدة العملية يجمع أفرادًا مختلفين من بني آدم، في سلك واحد من الأخوّة ". [56](ص39)

ويعترف أحدهم بعظمة الإسلام في إقرار مبدأ المساواة، وتطبيقها عمليًا في المجتمع وأنّها ذات أثر كبير في انحسار العدوان، وإزالة الشقاق وإزاحة الخصام، يقول المستشرق الإنجليزي " روسكين جب " في كتابه - تجاه الإسلام - " لم يحرز مجتمع من المجتمعات البشرية نجاحًا مثلما أحرزه الإسلام في إقرار المساواة بين الأجيال المختلفة، بصرف النظر عن الطبقات البشرية، وتنوّع الفرص وإمكانية العمل، لقد تجلّت من أوضاع الجالية الإسلامية في عدد من البلدان قدرة الإسلام على إذابة الاختلافات في الأجيال والتقاليد، التّي لا تزول على مرّ القرون، وعلى مدار التاريخ، فإذا كان لابد من إحلال عاطفة التعاون مكان الصراع والخصومة بين مجتمعي الشرق والغرب الكبيرين، فلابد من الاستعانة بالإسلام، والاعتماد عليه في تحقيق هذا المطلوب ".

إذًا فالمسجد يؤكّد المبدأ القويم الذي قرّره الإسلام من المساواة بين جميع أفراده، ويؤكّد الحقيقة من تساوي النّاس كلّهم أمام خالق واحدٍ، فالكلّ له عبيد، لا تفاضل بينهم إلاّ بتقواه، وشدّة الخوف منه ورجواه، وهي دعوة إلى نبذ الاستعلاء وتنقية الصّدور من الكبرياء، وتصفيتها من الشحناء، فجميع الفوارق تتهاوى، وسائر الفواصل تتساقط وتبقى التقوى الميزة الفريدة التّي تسمو بها النفوس وتتسامى[57](ص128) .إنّ المساواة تتكرّر في المسجد كلّ يوم خمس مرّات، حتى تترسّخ في نفوس المصلّين ولا تُنسى، وتنتقص في أحاسيسهم كلّ الفوارق الزائفة، المؤدية إلى تشتيت المجتمع، والنخر في جسد الأمّة، وإيغار النفوس وتمزيق الصفوف، وكي يزول من المجتمع كلّ ما يؤدّي إلى الوهن والضعف، وتبطل كلّ إرادة مقيتة تتسلّل وتندس بين صفوفه، وتحلّ محلّها المحبة والوئام، والتآلف والانسجام، حتى يبقى المجتمع قويًّا آمنًا، رصينًا متماسكًا، بعيدًا عن كلّ ما يثير العداوة والشحناء، أو يسبّب القطيعة والبغضاء.

2-3- الوظائف الأمنية للمسجد

تتمثل الوظائف الأمنية للمسجد في:

2-3-1- أسس المجتمع الآمن

جاء ميلاد الدولة الإسلامية ليمثّل انطلاقة خير وبركة للعالم، فكان صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمين، وكانت أمتّه خير أمّةٍ أخرجت للنّاس، ومن الثابت أنّه صلى الله عليه وسلم أقام الدولة الإسلامية على ثلاثة أسس:

الأوّل : المسجد، الثاني: الأخوّة التّي عقد أواصرها بين المهاجرين والأنصار، الثالث: الوثيقة التّي كتبها بين المسلمين مع بعضهم، وبين المسلمين وغيرهم، وليس في هذا بحدّ ذاته ما يلفت النظر أو يثير الانتباه، وإنّما ما يلفت النّظر حقًا هو أنّه صلى الله عليه وسلم بدأ من بين هذه الأسس الثلاثة بالمسجد،

يستعجل في بنائه، ويحثّهم على إتمامه، ولا يلتفت إلى شيء غيره، حتى إذا أتّم بناؤه عمَد إلى الأساس الثاني وهو عقد الأخوّة الإسلامية بين المسلمين، حتى إذا نضجت هذه الأخوّة، وقام سلطان حقيقي في النفوس، ذهب صلى الله عليه وسلم إلى الأساس الثالث، وهو وضع الوثيقة الملزمة، والمبادئ الرئيسية الضابطة والمنّظمة لعلاقات النّاس مع بعضهم، وعلاقاتهم مع الآخرين، فمِنَ المسجدِ إذا ولد المجتمع الإسلامي المتماسك وفي ظلّه قام كلّ من الأساسين العظيمين لأوّل مدنية إنسانية صحيحة وهي التآلف القلبي والنظام الدّستوري. [58](ص4) فعن طريق المسجد استطاع النّبي صلى الله عليه وسلم في فترة وجيزة أن يضع حدًّا للحالة المضطربة التّي كانت متمثلة في الحروب والمنازعات الجاهلية التّي كانت سائدة في بلاد العرب، ونجح صلى الله عليه وسلم في أن يجعل من الدّين الإسلامي دينًا ثابت الأركان، راسيَ البنيان، وأن يوحّد العرب مع غيرهم من الشعوب الأخرى في ظل حكومة مركزها المدينة المنورة، وأن يملأ قلوب من اعتنق هذا الدّين بمثل عليا كريمة، وعواطف إنسانية نبيلة، دفعتهم للتقدّم على مرّ الأيام. فقد جاء صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وملجأ للضعفاء والمساكين، ولو استمرت الكلمة العليا للدّين لما شاهدنا المذابح التّي ترتكب يوميًا في هذا العالم، لأنّ المجرمون لم يرضخوا لأحكام الشريعة التّي تحمي الدماء، ورفضوا ما يعيق سلطاتهم ولكن هاهي أحكام الإسلام معطّلة في أغلب دول الإسلام (حد القتل، حد السرقة...) ولم يبق للضعفاء غير المساجد تنادي بحقّهم في الحياة. [56](ص129)

2-3-2- دور المسجد في التوعية بالجرائم الأمنية وخطورتها :

منذ عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم كان المسجد هو الموجّه لحياة المسلمين، فكان المدرسة والجامعة، وكان المنارة التّي يسترشد بها المسلمون في حياتهم ومنه يستمدّون مقوّمات دينهم، ويعرفون أصوله ومبادئه.

وإذا كنا لا نستطيع العيش دون غذاء، فنحن كذلك لا نحي بلا أمن، ومن هنا يأتي الدّور الذي يلعبه المسجد لتحقيق ما نحن بحاجة إليه، فيقدم لنا الغذاء الروحي، وننعم بالحياة في جو من الأمن الفردي والجماعي.فالمصلّون من أهل الحي أو القرية يشكّلون شريحة اجتماعية واحدة لها تأثيرها الكبير على الاتجاه العام للمجتمع ويمكن لهؤلاء أن يلعبوا دورًا كبيرًا في إصلاح العلاقات الأسرية، وإزالة الخلافات بين بعض من يستهلكون أوقات رجال الأمن بمشاكلهم المتشعبة، ويمكنهم كذلك بما لهم من تأثير فعال من منع المنكرات والإخلال بالأمن العام من قبل المراهقين والشباب ويمكن لهؤلاء أيضًا أن يلعبوا دورًا تحريضيًا يستطيعون من خلاله أن يؤثّروا في حركة الاستهلاك والتنمية والتوجيه الإنتاجي بالدّعوة إلى إتقان العمل، هذا بالإضافة إلى ما ركّز عليه الإسلام من تضحية وإنفاق وبذلٍ وزهدٍ وإعراضٍ عن الشهوات والسرف. [58](ص18) والمساجد انطلاقًا من هذا الدّور هي صمّام الأمان للمجتمع الإسلامي، ولا تستقيم حياة مجتمع دون توفّر الأمان لأفراد وجماعته، ودون أن يكون ثمّة تفاهم

بين أفراده معتمدين على صفة البيان، وهذا يقتضي أن يكون كلّ إنسان أمّا متحدّثًا أو مستمعًا، وقد كان أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام جميعًا خطباء، فالقرآن الكريم يحكي لنا من خطبهم ما كان حجّة بالغة على أقوامهم، فقد دعوا إلى الله تعالى ليلاً ونهارًا، سرًّا وجهارًا، ولكن الأقوام كانوا على درجة من العناد تسمح لهم أن يقولوا للنبي سوءًا علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، ومع هذا لم يتسلّل اليأس إلى قلوبهم، وما ضعفوا والله يحبُّ الصابرين.

وإذا كانت هذه المواعظ في الماضي كيفما تيسّر لقائليها ولمستمعيها أيضًا، فقد جاء الإسلام ونظّمها وجعلها واجبًا مقرّرًا على المسلمين في كلّ أسبوع مرّة على الأقل، وحدّد لها زمانًا وهو وقت صلاة الجمعة، وجعل لها أهدافًا أهمها:

- تحرير العقل البشري من رقِّ التقليد والعبودية لغير الله.
- تحقيق الوحدة الإسلامية.
- إصلاح الفرد والمجتمع نفسيًا وخلقيًا.

إضافة إلى ما يقوم به المسجد من عملية تأمين للمجتمع من الأفكار والأفعال المنحرفة، ويظهر ذلك في محاربته لآثار هذه الأفكار الوافدة التّي تدعو إلى الشّك والإباحية والفساد الخلقي والاجتماعي، وفي هذا الإطار يبرز ما امتازت به الشريعة الإسلامية من مبادئ أساسية في العبادات والمعاملات، وإصلاح الحياة الاجتماعية بصورة يسود فيها الأمن والعدل بين النّاس، وصيانة الحرّيات الخاصة بالأفراد والحقوق العامّة للجماعة. [52](ص124) على أنّ الدّور الذي يلعبه المسجد في توجيه النّاس وإرشادهم على مدى التاريخ الإسلامي لم يكن مستقلاً عن بقيّة هيئات المجتمع، فكان المسجد يشعّ على كلّ هيئات ومؤسسات المجتمع أنوار الهداية والرّشاد، وحين نستعرض بعض الآثار التّي تركها المسجد على مؤسسات المجتمع، فإنّنا لا نجد مؤسّسة من هذه المؤسّسات إلاّ ولها صلة مباشرة بالآثار الايجابية للمسجد، فدور المسجد هو العمل على تلقين النّاس الدّين وتفقيههم فيه ومعلوم أنّ الإسلام يشمل جانبين:

الجانب الأوّل : ما ينظّم علاقة الإنسان بخالقه (العقائد والعبادات).

الجانب الثاني : ما ينظّم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان (الأخلاق والمعاملات).

والجانب الأخير يؤكّد خطأ أولئك الذين يودّون فصل المسجد عن الحياة الاجتماعية، فالدّور الذي يلعبه المسجد في المجتمع الإسلامي لا يتعارض مع دور مؤسسات الدّولة، كما هو شأن بيوت العبادة في الغرب، إنّه دور يتكامل مع دور الدّولة ومؤسّساتها، بل إنّه يمثل نقطة الانطلاق لتلك المؤسّسات، فهو يفقه النّاس أفرادًا وجماعات بالشريعة التّي تنظّم حياتهم، والمخالفات التّي يعاقبون عليها في الدّنيا والآخرة، ومن ثمّة تتنوّع آثار المسجد على جوانب الحياة كافّة، ما بين اجتماعية وتربوية وأمنية واقتصادية وسياسية وثقافية وعلمية... الخ. [57](ص347) وفي هذا تظهر أهمية خطيب المسجد في تثبيت أركان أمن المجتمع الذي يعيش فيه وتوعية أبناء الحي بخطورة الإخلال بالأمن العام والخاص، فهو يختلف عن خطباء الإيديولوجيات الذين لا يعرفون شريعة الله ولا حدوده التّي وضعها لمنع ظلم

العباد بعضهم لبعض، فهو يهدف من خلال دعوته إلى إصلاح حال المجتمع، وتحقيق السّعادة لأفراده وجماعاته برضى الله تعالى عنهم في الدّنيا والفوز بالجنّة في الآخرة.

ويكفي خطباء المساجد أن يكون إمامهم وقدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم على نهجه سائرون وبأقواله وأفعاله يعظون، يبشّرون تارة وينذرون تارة أخرى، لا يتّصفون بالقسوة والخشونة، ولا تتوقف الموضوعات التّي يتناولونها على جانب العبادات بل إنّها تشمل كلّ ما يهمّ المجتمع ويمسّ حياته في الدّنيا والآخرة فمنها: جانب العقيدة، جانب الأخلاق والمعاملات وجانب القضايا فلكلّ عصر من العصور قضاياه الخاصة، وسيأتي ذكر هذه الجوانب بالتفصيل في الجزء المخصّص للإمام.

ومن خلال تلك الجوانب يستطيع الإمام أن يرسم منهجه الذي يهدف إلى التصدّي للجرائم الأخلاقية بصورتيها:

- ما يقع منها بين الإنسان ونفسه.
- ما يقع منها بين الإنسان وأخيه.

والنّاس يلمسون الثاني دون الأوّل، ويحكمون على أساسه، ويأتي إمام المسجد كي يخاطب الضمائر المركوزة في النفس، فيدعوها إلى إصلاح ذات البين، والتعاون على عمل الخير وتقديمه للناس في صورة تظهر عظمة الإسلام.وإذا لاحظنا أنّ الشرير لا يلقى جزاءه في الحياة الدّنيا أحيانًا فذلك لأنّه سوف يلقاه في الآخرة، ولذا فإنّ تخويف العصاة بالآخرة وعذابها من أهم ما يقدّمه المسجد لمن يرهقون قوى الأمن، ويستنفذون طاقات رجال الشرطة، ويعيقون عمليات البناء والتنمية. [59](ص9)

2-4- وظائف أخرى للمسجد

بالإضافة إلى الوظائف السابقة هناك وظائف أخرى للمسجد هي:

2-4-1- الوظائف التربوية والتعليمية للمسجد

يقول العلاّمة الجزائري عبد الحميد بن باديس " المسجد والتّعليم صنوان، في الإسلام من يوم ظهر الإسلام، فما بنى النّبي صلى الله عليه وسلم، يوم استقرّ في دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد، ولمّا بنى المسجد كان يقيم الصّلاة فيه، ويجلس لتعليم أصحابه، فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصّلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصّلاة، فلا مسجد بدون صلاة ولا إسلام بدون تعليم وبهذه الحاجة مضى النّبي صلى الله عليه وسلم، على عمارة المسجد بهما، فما انقطع عمره كلّه عن الصّلاة وعن التعليم في مسجده حتى في مرضه الذي توفّي فيه، وإذا كان الإسلام قد حضّ على العلم وأمر بالتعلّم، واعتبر القرآن الكريم التعليم من وظائف النّبي صلى الله عليه وسلم وعمله إذ يقول: " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ " (البقرة 128)، فقد اتخذ المسجد النبوي أوّل معاهد العلم في زمنه عليه الصّلاة والسلام على جانب قباء والمساجد المشيدة بعده بالمدينة المنوّرة.

ذكر الغزالي في فاتحة العلوم، عن مكحول، أنّ عشرة من أصحاب الرّسول عليه الصّلاة والسلام حدّثوه فقالوا " كنّا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا النّبي صلى الله عليه وسلم فقال : " تعلّموا ما شئتم أن تعملوا فليس يأجركم الله حتى تعملوا " وقد درس في المسجد النبوي بعد زمن الرّسول صلى الله عليه وسلم كبار الصّحابة والتابعين، وفيه نشأت أصول الفقه المالكي على يد مؤسّسه الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، ويذكر المؤرخون أنّ ربيعة الرأي كان يجلس بمسجد النّبي في المدينة ويجلس حوله التابعون، وكذلك كان يجلس الحسن البصري في مسجد البصرة ويشرح بأسلوبه الممتع مختلف العلوم. [48](ص3) وإذا كان المسجد النبوي هو المنطلق الأوّل للعلوم بفضل رسول العلم محمّد صلى الله عليه وسلم الذي وضع للمسلمين آداب العلم بفضل الكتاب المبين المعجز، فإنّ المسجد الحرام بدوره لم يختلف عن هذه الرسالة السامية، فقد تحدّث الرازي عن هذا الدور فقال " من المشهور أنّ حلقة الفتيا في المسجد الحرام كانت لعبد الله بن عباس، ثمّ بعده لعطاء بن أبي رباح، وبعده لابن جريح، وبعده لمسلم بن خالد الزنجي، وبعده لسعيد بن سالم القداح، وبعده لمحمد بن إدريس الشافعي (الذي أفتى فيه وهو ابن 20 سنة)" [60](20) ، أمّا المسجد الأقصى بالقدس والمنسوب بناؤه القديم إلى سيدنا سليمان عليه السلام، فقد اتخذه عمر الفاروق رضي الله عنه بعد الفتح الإسلامي مسجدًا باعتباره مكانًا مشرّفًا في الإسلام وأحد المساجد الثلاثة التّي تشدّ إليها الرّحال كما أوضح الرّسول عليه الصلاة والسلام وقد أنشئت بداخله وحوله عدّة مدارس في كلّ من العصرين الأيوبي والمملوكي، جعلته من المنطلقات العلمية الكبرى في الإسلام. [61](ص387)

وتظهر الوظيفة التربوية والتعليمية للمسجد في عصرنا هذا خاصّة في تعليم القرآن الكريم والسنة الشريفة والفقه وأصوله وغيرها من العلوم الدّينية، وفي تنظيم مسابقات في حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي، وإعطاء الأميين دروسًا في القرآن والكتابة وإعطاء عموم النّاس دروسًا في الأخلاق والتربية الدّينية، كما تنظّم في المسجد محاضرات وندوات لنشر الثقافة الإسلامية وتعميمها وتنظيم أيام ثقافية مسجدية كمعارض للكتاب والخط العربي مثلاً، وكذا إقامة الاحتفالات بالأعياد والمواسم الدّينية والوطنية، ورعاية المكتبة المسجدية وتيسير الاستفادة منها، كما أنّ للمسجد وظيفة تربوية توجيهية تتمثّل أساسًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتتبلور هذه الوظائف في تبليغ أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف مجالات الحياة وذلك بدروس الوعظ الإرشاد، والإصلاح بين المواطنين، محاربة الآفات الاجتماعية، والعمل للحفاظ على الوحدة الدّينية للجماعة وتماسكها وحمايتها.

كما أنّه ومن خلال المسجد يتعلّم المسلم وينشأ على سلوكات لا يجدها في مكان آخر فالانضباط لحضور الصلوات الخمس تعلمنا تقسيم الوقت والمحافظة عليه، والانضباط في السلوك والقول والفعل، كما يتعلّم قيم تربوية أخرى، كالمساواة والطاعة والانقياد والعدل والصدق وغيرها من الآداب الفاضلة. [62](ص112)

2-4-2- الوظائف السياسية والاقتصادية للمسجد [47](ص111)

من الناحية السياسية: فإنّ المسجد يلعب دوره المنوط به منذ أنشأه الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، حيث كان هو وخلفاؤه من بعده يديرون منه شؤون الأمة الإسلامية، والدعوة، والدولة الإسلامية، كما يرسلون منه السفراء إلى مختلف الجهات، ويجهّزون الجيوش المجاهدة في سبيل نشر الإسلام، وفيه يفصلون في الخصومات بين الناس، إلى غير ذلك من شؤون السياسة والإدارة .

ومن هنا فإنّ المسجد، إذا ما وجد فيه الإمام الصالح والكفء، يمكنه أن يكون مدرسة هائلة للتربية السياسية، التي تبصر الناس بحقوقهم وواجباتهم وتعلمهم قواعد الشورى الحقيقية التي نادى بها الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا .كما يمكن للمسجد أن يكافح الاستبداد السياسي، والطغيان الديكتاتوري والتجاوزات غير القانونية سواء كانت من طرف الحكام أو المحكومين وبذلك يكون مدرسة حية ودائمة للتربية والتهذيب، والتكوين السياسي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي.

وفي المجال الاقتصادي للمجتمع الإسلامي يلعب المسجد دوره الهام في توجيه المسلمين إلى الأعمال النافعة لهم من حيث التجارة، والفلاحة، والصناعة، وعمارة الأوطان .

ومن المعروف أنّ العمل الذي هو نشاط المسلم في هذه الحياة الدنيا ورد في القرآن الكريم أكثر من ثلاثمائة مرة، وقد قرنه الله سبحانه وتعالى بالإيمان، فكلما ذكر الإيمان ذكر معه العمل الصالح، أي أنّ الإسلام يشترط دائمًا ترجمة إيمان المسلم إلى عمل صالح، ولا يكون العمل صالحًا إلاّ إذا ابتغى به العبد رضاء الله تعالى، ولن ينال أحد رضاء الله إلاّ إذا التزم هدايته وهداية الله على لسان رسله إلى البشر تتلخص في توجيه الإنسان إلى تحقيق فلاح الدارين: الدار الدنيا والدار الآخرة. ونهضة المسلمين ورقيهم في معاشهم وآخرتهم .ويعمل المسجد على تبصرة الناس بطرق الكسب الحلال، ووجوه إنفاق الأموال فيما يعود على الفرد والجماعة، بالخير العميم، كما يقوم أيضا بتوضيح علاقة العامل بصاحب العمل، وحقوق العامل وواجباته تجاه رب العمل، حتى تكون علاقتهما مبنية على أسس واضحة ليس فيها ظالم أو مظلوم أو غابن ومغبون. كما يعمل المسجد على تبصرة الناس بأنّ الإسلام يبغض الفقر، والاحتياج فالسماء لا تمطر ذهبًا أو فضة كما قال: سيدنا عمر بن الخطاب، ومن هنا فإنّ المسلم مكلف بمباشرة عمل نافع له وللمجتمع.

2-4-3- الوظائف العسكرية للمسجد [47](ص114)

من الناحية العسكرية لعب المسجد في البلاد الإسلامية والعربية التي تعرضت أوطانها للغزو الأجنبي سواء كان أوروبيًا أو صهيونيًا دورًا بالغ الأهمية في التعبئة الوطنية للأفراد والجماعات من أجل النضال في سبيل تحرير الأوطان وطرد المحتل الغاصب، وكلنا نذكر دور رجال الأزهر الشريف في مقاومة الاستعمار الفرنسي عندما غزَا نابليون بونابرت مصر في أواخر القرن الثامن عشر، ثم مقاومة الاحتلال الإنجليزي بعد دخوله إلى مصر في عام 1882 وكيف كان الأزهر منبرًا للأحرار

والمجاهدين ضد الاحتلال، ونفس الدور لعبه جامع الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب، والمسجد الأقصى في القدس الشريف، والجامع الأموي في دمشق وغيرها من المساجد الجامعية الأخرى في كل الأقطار الإسلامية التي تعرضت للغزو الاستعماري.

أمّا في الجزائر فقد كانت المساجد، الحرة التي بناها الشعب الجزائري فيما بين الحربين العالميتين منارة للتوعية السياسية والوطنية ومقاومة السياسة الفرنسية والتنصير والاندماج التي حاولت فرنسا فرضها على الجزائريين وخصوصًا فيما بين الحربين العالميتين، وعندما اندلعت الثورة التحريرية الكبرى في الجزائر 1954 صارت المساجد قلاعًا للثورة والجهاد في سبيل الله، من أجل تحرير الوطن الجزائري وهو وطن عربي إسلامي.

5-2- أعداء الإسلام والدّور الذي يلعبه المسجد

نظرًا لأهمية المسجد ومكانته في المجتمع الإسلامي، نال من حرب أعداء الإسلام وتخطيطهم نصيبًا كبيرًا، وتمنوا لو تمكنوا من القضاء على المساجد في المجتمعات الإسلامية، ولمّا حالت الصعوبات دون ذلك فكّروا في تعطيل دور المسجد عن رسالته ومهامه، فلم يعد المسجد يؤدّي دوره في طريق الإصلاح، ونفع النّاس، وسوف يظل أعداء الإسلام يحاربون المسجد بمؤسساتهم المختلفة من مسارح ونوادي وملاعب ودور سينما وكافة وسائل تسلية أو تلهية الشباب، فبفضل هذه المؤسسات تمكنوا من جذب عدد كبير من السدّج، فدسوا لهم السم في مؤسسات شابوها بهذه الخدمات التّي يدّعون تقديمها للفقراء وأهل الحاجة وهو ما يسمى بالجمعيات الخيرية.

وقد ظهرت النتائج المؤلمة لحروبهم المستمرة على المسجد، ظهر ذلك في إهمال المسجد من بين مرافق الدّولة، إهمال مبناه، وإهمال القائمين على العمل فيه، وإهمال خطبائه والدّعاة فيه، لذا ظل خطباء المساجد في أغلب البلدان الإسلامية يقومون بهذا العمل الجليل دون أدنى خبرة أو علم بما تتطلبه وظيفة إمام المسجد، بل إنّ كثيرين منهم كانوا أميين لا يقرأون ولا يكتبون. [60](ص12)

إنّ هؤلاء الأعداء من أصحاب الحضارة الغربية ومن يتعاونون معهم من المسلمين كانوا يتعمّدون إهمال المسجد والسخرية من العمل الذي يقوم به في المجتمع عن طريق التشهير بما أسموهم رجال الدّين، برسم صور ساخرة لهم، والتندر بأزيائهم فهذه السخرية لا تزال قائمة إلى يومنا هذا في المسرحيات والأفلام السينمائية التّي تقدم للنّاس في كثير من بلدان العالم الإسلامي، هذه السخرية وصلت إلى حدّ المساس بشخص الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

لقد أراد أعداء الإسلام أن يصبح المسجد كالكنيسة عند النصارى والبيعة عند اليهود، لا تفتح أبوابها إلا بميعاد ولا يرتادها النّاس إلا في المناسبات الدّينية فأصبحت المساجد تغلق أبوابها أغلب النهار وطول الليل ماعدا دقائق لتأدية الصلاة.

وقد أراد أعداء الإسلام أن يحولوا بين الشباب المسلم وبين المساجد، فأعانهم المسلمين على ذلك، فأصبحت المساجد فارغة من كلّ ما يهم أو يجيب عن تساؤلات المرحلة التّي يعيشون فيها، فنجح أعداؤنا في أن يصرفوا الشباب عن المسجد ليجرّوه إلى الملهى أو السينما والمسرح وكل ما يدمّر الشباب. [53](ص149)

وأراد أعداء الإسلام أن يشوّهوا الكلمة التّي تسمع في المسجد، ويباعدوا بينها وبين حياة النّاس، فأعانهم المسلمون على ذلك، فلم يهتموا بإعداد الرجال الذين يشرفون على الكلمة المسموعة أو يسهمون في إسماعها للشباب، فتولى العمل الجليل في المساجد من لا يصلحون له في غالب الأحوال، فنجح أعداء الإسلام في مسعاهم وتشوهت صورة الكلمة التّي تسمع في المسجد إلاّ في القليل النادر من الأحوال. فإذا لم يؤدِّ المسجد دوره لهؤلاء الشباب فما المنتظر منهم ؟ [63](ص12)

إنّ تخريب دور المساجد قد يأخذ وجوهًا كثيرة، لكن أكبرها وأخطرها، هو تحوّل بعض شباب المسلمين إلى حملة للسلاح ضدّ بعضهم البعض، وقد أدّى هذا في السابق إلى ضعف قوّة المسلمين وذهاب ريحهم، بعد الفتن الكبرى التّي حدثت في الماضي، وهو ما حدث في بلادنا في السنوات القليلة الماضية، وظهور ظاهرة غريبة عن مجتمعنا وعن ديننا، وهي ظاهرة التطرّف والإرهاب.

ولقد بيّن المولى عزّ وجلّ أنّه ليس هناك اظلم ممن عمل على تعطيل دور المسجد ومنعه من القيام برسالته ودوره، واعتبر هذا المنع تخريبًا للمساجد، فالمساجد بدون دورها ورسالتها أماكن خربة مهما كان حال بنيانها.فما بالنا إذا كانت المساجد تتحوّل إلى أماكن لترصد المسلمين، وحمل السلاح في وجوههم وقتلهم في عمليات غاشمة لا تميز بين صغير وكبير ولا تفرّق بين رجل وامرأة ؟ لا شك أنّ هذا يضعف من سمعة الدعوة الإسلامية، كما أنّه ذريعة يتخذها المتربصون بالإسلام والمسلمين لتشويه الحضارة الإسلامية بصفة عامة، ووصف المسلمين بالإرهابيين.

2-6- المسجد في التشريع الجزائري

المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم، وتلاوة كتاب الله، والاستماع إلى ما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم، ولا يؤول أمر المسجد إلى فرد أو جماعة أو جمعية، وإنّما أمره إلى الدّولة الجزائرية المكلّفة شرعًا والمسؤولة عن حركته وقداسته واستقلاليته في أداء رسالته، الروحية والتعبدية، والتربوية والثقافية والاجتماعية وهو وقف عام سواءً بنته الدّولة أو الجماعات أو الأشخاص الطبيعيون أو المعنويون.

2-6-1- شروط بناء المساجد وصيانتها وتنظيمها [64]

يقوم ببناء المسجد في الجزائر :

- الدّولة.
- الجمعيات.

- الأشخاص الطبيعيون أو المعنويون.

تراعى قبل الشروع في بناء المسجد الشروط الآتية:

- أن لا يكون مسجدًا ضرارًا.
- أن تكون الجمعية معتمدة قانونًا.
- أن يحصل الأشخاص الطبيعيون على الإذن الإداري من الجهة الولائية المكلفة بالشؤون الدّينية.

كما يجب تخصيص مساحات لبناء المساجد في كلّ مخطط عمراني تصنعه الدّولة أو الجماعات المحلية لكل تجمع سكاني جديد على أن تدفع قيمة المساحة بالدينار الرمزي ويخضع بناء المسجد إلى ما يلي :

- إلزامية الحصول على رخصة البناء من المصالح المختصة بعد دراسة مستوفية لكافة الشروط التقنية.
- إلزامية تحزي القِبلة.
- إلزامية المحافظة على الطابع المعماري الإسلامي الأصيل.
- التقيد بدفتر الشروط الذي تسلمه الجهة الولائية المكلفة بالشؤون الدّينية.

يدمج المسجد، وما يلحق به من مرافق بمجرد الانتهاء من بنائه في الأملاك الوقفية العامة، ويفتحه وزير الشؤون الدّينية أوّل مرة بقرار يتضمن ما يلي: [20](ص15)

- اسم المسجد الذي يتفق عليه.
- بطاقة المسجد الفنية.
- تصنيف المسجد.

ويتكلف بصيانة المساجد والمدارس القرآنية وكل مرفق تابع لهما وبالترميم والتنظيف والحراسة والتجهيز ونفقات استهلاك الماء والكهرباء والغاز ما يلي:

1. الدولة بالنسبة للمساجد ذات الطابع الأثري.
2. الولاية بالنسبة إلى المساجد ذات الطابع الوطني.
3. البلدية بالنسبة للمساجد المحلية.

أمّا تنظيم المساجد وتسييرها فيقوم وزير الشؤون الدينية بتعيين الأئمة مع مراعاة الرضا عن الإمام ضمانًا لاستقراره، أمّا العاملون الآخرون في المسجد فيعينهم المكلف بالشؤون الدّينية في الولاية وفقًا لخريطة مسجدية تعدها المصالح المعنية، ويتولى تسيير المسجد الإمام الأعلى رتبة فيه، ويكون مسؤولاً عن العاملين فيه.ومسؤول أيضا عن:

النشاط الديني والثقافي والعلمي والاجتماعي.

- تنظيم المكتبة وسير عملها.
- حفظ نظام المسجد وأمنه.
- مسك سجل خاص يقيد فيه ممتلكات المسجد.

2-6-2- وظائف المسجد وآدابه [20](ص16)

وظيفة المسجد يحدّدها الدور الذي يؤديه في حياة الأمة الروحية والتربوية والعلمية والثقافية والاجتماعية.

فيضطلع المسجد بوظيفة روحية تعبدية تتمثل في:

- إقامة الصلاة.
- تلاوة القرآن الكريم.
- ذكر الله وتسبيحه.

كما يضطلع بوظيفة تربوية تعليمية تتمثل في:

- تعليم القرآن والسنة والفقه وأصوله، وعلم الفرائض، التوحيد وعلم التفسير والحديث والسيرة وغيرها من العلوم.
- تنظيم مسابقات في حفظ القرآن الكريم وترتيله، وفي حفظ الحديث الشريف ودرايته.
- إعطاء البنين والبنات دروسًا استدراكية في مختلف مراحل التعليم، وفق البرامج التّي تنظم مثل هذه الدروس في مؤسسات التربية والتكوين، بالتنسيق مع الجهات المعنية.
- إعطاء الأميين والأميات دروسًا في القراءة والكتابة.
- إعطاء عموم النّاس دروسًا في الأخلاق والتربية الدّينية.

يضطلع المسجد بوظيفة تثقيفية تتمثل في:

- تنظيم محاضرات وندوات لنشر الثقافة الإسلامية وتعميمها.
- معارض للكتاب الإسلامي، والخط العربي، والعمارة الإسلامية.
- مسابقات ثقافية إسلامية.وإقامة الاحتفالات بالأعياد والمواسم الدّينية والوطنية.
- رعاية المكتبة المسجدية وتسيير الإفادة الحسنة منها. [63]

كما يضطلع المسجد بوظيفة توجيهية إصلاحية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتتبلور في: [63]

- تبليغ أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف مجالات الحياة.و محاربة الآفات الاجتماعية.
- دروس الوعظ والإرشاد.
- إصلاح ذات البين بين المواطنين.والعمل للحفاظ على الوحدة الدّينية للجماعة وتماسكها .

بالإضافة إلى وظيفته الاجتماعية المتمثلة في:

- تقديم خدمات صحية أولية تطوعية، حسب الإجراءات الصحية المعمول بها.
- ختان الصبيان في المناسبات الدّينية، عند توفر الشروط الصحية بالتنسيق مع الجهات المختصة.
- بث الوعي الصحي بالتعاون مع قطاع الصحة.

كما يخصص للنساء جزء من وقت النشاط المسجدي، يقمن فيه بأنشطة خاصة بهن.

يعرف المسجد الإسلام للناشئة ويحببه إليهم، ويقوي ارتباطهم به ويتعهدهم بالرعاية المناسبة طوال مراحل الطفولة والدراسة.يمنع القيام في المسجد بأي عمل يتنافى ووظيفته أو يخل بحرمته ومقامه.

<u>ملخص الفصل</u> لقد تطرقنا في هذا الفصل إلى المؤسسة الدّينية في المجتمع المسلم وهي المسجد، الذي يعتبر محور الحياة الدينية والاجتماعية والتربوية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، ممّا أعطاه مكانة خاصة في نفوس المسلمين، وأهمية بالغة في المجتمع الذي يوجد فيه، فهو يحقق وحدة المسلمين

وترابطهم وهو حصن الدين العظيم ومعلم من معالمه الكبرى، وهو المدرسة الأولى التي يتخرّج منها المسلم، والجامعة التي يتلقى فيها العلوم، ومحلاً للتكافل الاجتماعي ومركزًا للتوجيه والإرشاد، والكلام في واقع النّاس وحياتهم، فهو بذلك يحتاج إلى الكثير من الرعاية والعناية ليعود إلى سابق عهده.

الفصل 3
الإمام وخطابه المسجدي

لا يكتمل الحديث عن المسجد إلاّ بالتطرق إلى الممثّل الرئيسي له وهو الإمام وإلى الوسيلة التي يوصل بها رسالته وهي الخطاب المسجدي، فواقعه ومستواه، يعكس واقع ومستوى الإمام، وتكتمل الصورة بالتعرّض إلى طرق الإلقاء التي تؤثر سلبًا وإيجابًا في وصول الإرشادات وتؤثر في النفس إذا كانت حسنة، تخرج الفرد من الغفلة واللاّمبالاة إلى التأثر العميق. ومن هنا تبرز أهمية الدور الذي يقوم به الإمام وخطابه في تلقين الفرد القيّم وتنشئته وتثقيفه وتوجيهه التوجيه المناسب.

حيث أنّ المقرّر عند علماء التربية أنّ عوامل تشكيل العقول وتهذيب النفوس، ترتكز على ثلاثة أسس وركائز، فالأساس الأوّل يتمثّل في المربي العالم وثانيهما هو المنهج الذي تتم وفقه عملية التشكيل والتهذيب وثالثهما يتجسّد في البيئة العلمية والتربوية التي تتمّ العملية في أجوائها.

3-1- الخطـابـة

3-1-1- نشأة الخطابة وتطوّرها

الخطابة نوع من أنواع المحادثات، وقسم من أقسام النثر، ولون من ألوانه الفنيّة، تختصّ بالجماهير بقصد الاستمالة والتأثير، وعليه فأتمّ وأسلم تعريف لها هو أنّها " فن مخاطبة الجماهير للتأثير عليهم واستمالتهم "[65](ص9) ويعرفها أرسطو حسب الترجمة العربية القديمة بقوله " الريطورية " أي قوة تتكلّف الإقناع الممكن في كلّ واحد من الأمور المفردة ".[66](ص14)

وبما أنّ الخطابة لون من المحادثات، فالمحادثات رافقت الإنسان منذ وجوده، لكن الخطابة تميّزت بحقيقتها عن مطلق محادثة إلى الفن واختصت بالجماهير دون الإفراد[66](ص16)، إذًا فلابدّ أن تكون في نشأتها قد خطت خطوات تطوّر وتخصّص من حديث إلى فن، ومن أفراد إلى جماهير. وكانت نشأتها لما دعت إليها حاجة الجماهير بعد توسع ميادين الحياة وتعدّد اتجاهاتها.

وإذا لاحظنا الأديان والرسالات السابقة، لأدركنا مقتضيات نشأتها، فهي إذن وليدة تطوّر فكري، وتقدّم اجتماعي، قضت زمنًا حتى ارتفعت، وتميّزت أوّلاً بالجماهير، وثانيًا اختصت بأغراضٍ خاصّة

ومواقف معيّنة وثالثًا اتسمت بأسلوب وهيئة حتى وصلت إلى عصور التاريخ والتدوين على الحالة التّي وصلت إليها من حقيقة مميزة عن غيرها. [67](ص33)

ومن خلال تعريف الخطابة بأنّها " فن مخاطبة الجماهير للتأثير عليهم " نستخلص عناصر وأركان الخطابة فنجد[66](ص26) :

- فن : أي خبرة ومعرفة ومَلَكَة.
- مخاطبة : أي مشافهة ومواجهة.
- خطيب : أي مقرئ يقرأ كتابًا أو يلقي موضوعًا.
- جمهور : أي جمع كثير من المستمعين.
- تأثير : أي إثارة عواطف وتنبيه شعور.

وهذه إذا انعدم عنصر أو ركن فقدت الخطابة جزءًا هامًا منها، حيث لا ينبغي أن تسمّى خطابة وعند أرسطو الخطابة لها ثلاث أركانٍ أو عناصر، وهي وسائل الإقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللّغوي، ثمّ عنصر الإلقاء، الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو، ومنهم البلاغيون العرب عنصرًا مستقلاً، ويتضمّن الحركة والصّوت[66](ص17)، وهذه عناصر لا يختصّ بها الخطاب عند اليونان دون العرب، ولا القديم دون الحديث، وإنّما الاختلاف في العنصر المهيمن فيها من حضارة لأخرى، فربما كان للمنطق الأولوية عند اليونان فكان الاهتمام بالحجّة، في حين نجد الشعر علم العرب الذي لم يكن لهم علم أصحّ منه، فكانت للأسلوب والعبارة الصدارة، هذا إلى جانب العلاقات التناحرية في الجاهلية، كما أنّ اختلاف الموضوعات والمخاطبين، يقتضي تقديم وسيلة وتأخير أخرى، وهذا حسب نوع الخطابة. [68](ص14)

ولقد نظّر أرسطو في حديثه عن عناصر بناء الخطاب إلى الأطراف المكوّنة له والمساهمة في فعاليته، وهي المرسل (الخطيب) والمتلقي (الجمهور المستمع) والرسالة (الخطبة) [66](ص33) ، ولقد قسّم اليونان قديمًا الخطابة إلى ثلاثة أقسام تبعًا لأصول الزمان من ماضي وحاضر ومستقبل، وسمّوها التثبيتية أو البيانية وتختص بالزمن الحاضر لمدح فترغيب أو ذمّ فتنفير. وكذلك الشبورية التّي تتعلّق بالمستقبل لحمل السامعين على جلب النّفع للأمّة، أو دفع الضّر عنها، أو للتحريض على الحرب أو السّلم، وسن القوانين التّي تسير عليها الأمّة، وهناك الخطابة القضائية وتختصّ بالماضي والغاية منها الدّفاع عن متّهم بتبرئته أو الحكم عليه بإدانته، وهي من اختصاص المحامين، ورجال النيابة.

وهذا التقسيم وضعه أرسطو في كتابه المعروف بالخطابة، وقد سار على هذا التقسيم روّاد الخطابة عشرين قرنًا، ثمّ تطوّرت أحوال المعيشة المدنية والسياسية والدينية ممّا دعى إلى تبديل ذلك التقسيم، وصار المعوّل عليه هو تقسيم الخطابة إلى: علمية وسياسية وقضائية وعسكرية ودينية.

والخطابة تعالج موضوعات متعدّدة الجوانب حسب ما تمليه الظروف الاجتماعية والسياسية، وتوجّه إلى الجمهور في حالات متنوّعة ومختلفة، ولذا اختلفت أنواعها تبعًا لدواعيها وأسبابها فهناك

الخطابة السياسية، القضائية، الحربية الحماسية والخطابة الدّينية[65](ص36) التّي سوف نخصّص لها جزءًا في هذه الدّراسة.

والخطابة قديمة العهد، والاستعداد لها مخلوق مع الإنسان الذي لا غنى له عن الإبانة لغيره بما في ضميره، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه، وقد كان للأنبياء والرسل عليهم السلام، الحظ الأوفى والمقام الأعلى في سبيل الدعوة إلى طاعة الله وتوحيده، وإرشاد النّاس إلى الصّراط السوي، وقد بقي من آثارها على طول الأمد، خطب التوراة التّي قام بها الأنبياء عليهم السّلام إلى بني إسرائيل ليحملوهم بها على الاستقامة، وكذلك عثر في كتابة الآشوريين المسمارية وقدماء المصريين بالهيروغليفية على خطب تأديبية جاءت غالبًا على ألسنة آلهتهم وملوكهم. [69](ص119)

وقد تحسّنت الخطابة في عهد قدماء اليونان والرّومان، في إلياذة هوميروس خطب كثيرة أوردها على ألسنة الآلهة والأبطال في القرن 10 ق م. وفي أواخر القرن 4 (322) ق م ظهر أرسطو زعيم فلاسفة اليونان، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة من أصول هذا الفن إلاّ ودّونه ونشره في كتابه (الخطابة)، ومن ذلك الحين صارت الخطابة فنًّا مدوّنًا. [66](ص120)

وعند العرب نجد الخطابة في عصر الجاهلية، اشتهرت عندهم الخطابة الأدبية، وقد كانت فيهم فطرية نظرًا لفصاحتهم، فلا عجب في أن يكون في العرب قبل الإسلام تلك الخطابة، إذ تحدث الخطابة نتيجة انفعالات تنشأ عن حوادث تمسّ الجماعات، فالمفاخرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب وقوّة العصبية وشرف الخصال من الشجاعة والكرم، ومكارم الأخلاق.

وقد كانت أغراض الخطابة في العصر الجاهلي، هي الحث على قتال الأعداء، الدّعوة إلى السلم ووقف سفك الدّماء، المفاخرة، النصح والإرشاد المناسبات الاجتماعية كالزّواج وغيرها.

وقد كان مكان الخطبة الأسواق، قصور الملوك والأمراء عند وفود الخطباء عليهم وكذلك في المحافل العظيمة وغيرها، ولذلك فقد إحتلّ الخطيب في الجاهلية منزلة ومكانة رفيعة فوق منزلة الشّاعر، وقد كانوا يلقون خطبهم على ظهور الإبل والخيل في المواسم والمجمّعات الكبيرة، وكانوا يلقون العمائم على رؤوسهم، ويشيرون أثناء خطبهم بها يحملون في أيديهم من عصي أو قضبان أو رماح وكان النّاس يمدحون الخطيب صاحب الصّوت الجهوري الشديد، ويمدحون فيه ظهور الحجّة وثبات القلب والعلوّ على الخصوم في مضايق الكلام ومآزق الخصام. [65](ص137)

وقد عابوا على الخطيب الارتعاش، الرعدة والدّهشة، والصّوت الضيّق والخافت وكرهوا أن يمسّ الخطيب ذقنه ومقدّم لحيته وشواربه عند هجاء أحد، كما أحبّوا في الخطبة البيان والطّلاقة واهتمّوا بمخارج الكلام، إذ يدمج الخطيب في خطبه الصّور البيانية والتشبيه والاستعارة.

ولمّا جاء الإسلام، وكانت الدّعوة تستدعي ألسنةً من أهلها لتأييدها ونشرها بمخاطبة الجماعات في المحافل والمناسبات، كان ظهور الإسلام وبعثة محمّد عليه الصلاة والسلام، من أهمّ الحوادث والبواعث التّي أطلقت الألسنة وأثارت الخطابة. [67](ص26)

وقد جعلها الشّارع في كلّ حفل ديني أو سياسي، كالجمعة والعيدين وموسم الحجّ الأكبر، وعند إعداد العدّة للجهاد، وفي كلّ أمرٍ جامعٍ لنشر فضيلةٍ، أو نهي عن رذيلة أو إعلان نصرٍ، أو تأكيد وصيّةٍ عامّة أو خاصة.

وقد ارتقت الخطابة في العصر الإسلامي، وذلك لتهذيبها، حيث دعا الدّين الإسلامي إلى ترك التفاخر والتنابذ والتكاثر بالأحساب والأنساب، ودعا إلى الإيمان بالله والتّوحيد والدخول في طاعة الخالق ومحبته، ولهذه الأغراض كان سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، يخطب في قريشٍ قبل الهجرةِ ولمـّا هاجر أصبحت الخطابة فريضة مكتوبة في الجمعة والعيدين. [67](ص26)

وهكذا ظهر نوع جديد من الخطابة، وهو الخطابة الدّينية التّي لم تكن معروفة من قبل وكانت أغراض فن الخطابة في العصر الإسلامي تتنوّع من دينية، وحربية تدعو إلى نشر الإسلام والدّفاع عن المعتقدات، واجتماعية لتنظيم حياة المجتمع حسب تعاليم الدّين الإسلامي، وقد تنوّعت أماكن إلقاء الخطبة فنجد المسجد من فوق المنبر، من جبل عرفات، ومن أماكن انطلاق الجيوش أو تواجدها. وعمومًا فإنّ الخطابة في عهد الإسلام امتازت عن خطابة الجاهلية بأمورٍ منها:

1- أخذها وجهة دينية في مثل خطب الجمعة والأعياد والحج.

2- اعتبارها خطّة سياسية في مثل تكوين الأحزاب، وتأليف الجماعات والتحريض على الجهاد.

3- صفاء ألفاظها وسهولة عباراتها، وتجنّبها السّجع.

4- قوة تأثيرها وسرعة وصولها.

5- اعتمادها أسلوب القرآن الكريم في الإقناع، واستمدادها من آياته حتى اشترط بعض الأئمة اشتمال الخطابة على شيء منه.

6- بدايتها بحمد الله تعالى، والصلاة والسلام على النّبي وآله وصحبه. [68](ص67)

أمّا عن الخطابة في النهضة الأخيرة، من 1220 م إلى الوقت الحاضر، فلقد كانت دائرة الخطابة ضيّقة في فاتحة هذه النّهضة، فكان أهل مصر وسوريا والحجاز لا يستعملونها إلاّ لأغراض دينية، ثمّ تنوّعت أغراضها لما اتسعت دائرة الأفكار، وعلى إثر مجيء جمال الدّين الأفغاني إلى مصر إلتفّ حوله كثير من رجال الأزهر وأدباء مصر وسوريا وأدخلهم في جمعيته، واتّخذ لهم أندية كانوا يتناولون فيها الخطابة في الأمور الدّينية والأخلاقية، ثمّ انتقلت إلى الشؤون السياسية. [70](ص99)

ولمّا أقيمت الجمعيات العمومية والنّوادي الأدبية، وتعدّدت الأحزاب السياسية أخذت الخطابة مكانة مميّزة في الحياة السياسية والأدبية في الأمة الإسلامية، وأصبحت حتى عصرنا هذا على حال لا تقلّ كثيرًا عمّا كانت عليه في أطوارها الأولى أيّام الدّولة العربية.

وبالتأمل في أطوار الخطابة، يعلم الجميع أنّها قد ارتقت في ثلاثة أحوال[70](ص95):

- في أواخر عصر الجاهلية، فمن دواعي رقيّها بعد فصاحة اللّغة، حياة الأمّة في بيئة مستقلة، وشعورها بأنّها ذات شأنٍ، وكثرة الحروب للحفاظ على الكرامة.

- في صدر الإسلام، فمن دواعي رقي الخطابة، اعتناق الأمّة دينًا جديدًا، فحملتها العزّة والغيرة والعاطفة على المحافظة عليه والجهاد في سبيل نشر تعاليمه.
- وفي أيام النهضة، فمن عوامل رقي الخطابة، شعور الأمّة بالحاجة إلى أن تحيا حياةً شريفة، وأن تسلك الحالة الاجتماعية والسياسة سبيلاً وطريقًا أحسن.

3-1-2- أهمية الخطابة وعلاقتها بالعلوم الأخرى

يعتبر اليونان أوّل من كتب في علم الخطابة، بل يكاد يجزم بأنّهم هم من شيّدوا هذا العلم، وبعد ذلك ظهر السوفسطائيون وعلّموا الشباب فنون القول والمناظرة والجدل وبعدهم جاء أرسطو فألّف كتابه الشهير " الخطابة ".[71](87)

ويعتبر صدر الإسلام من أزهى وأبهى عصور علم الخطابة حيث اشتهر هذا العلم لنشر الإسلام، وبعد ذلك فيما جرى بين المسلمين من خصومات في عهدي الدولة الأموية والعبّاسية، فكان له دور كبير في ازدياد ظهور هذا العلم وتعلمه ونشطت بعد ذلك مع ظهور المعتزلة وغيرهم من الفرق الكلامية. [71](ص88)

والخطابة لغة: مصدر خطب يخطب أي صار خطيبا.

أمّا اصطلاحًا: فهي صفة راسخة في نفس المتكلّم يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السّامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم. فالخطابة هدفها التأثير في نفس السّامع ومخاطبة وجدانه وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه ليذعن للحكم إذعانًا ويسلم بها تسليمًا. [72](ص43)

وتستمد الخطبة قوتها من ثلاث عناصر: فن الإلقاء، الشعر والمنطق، ويعتبر علم الخطابة من العلوم الهامة التّي لابد أن يهتم بها الدّاعية المسلم ومن أحد الصفات التّي يجب أن يتصف بها حتى يستطيع أن يخاطب عامّة النّاس ويؤثّر عليهم ويبيّن مواقع الحقّ والباطل.

فالخطابة على هذا الأساس هي مجموع القوانين التّي تعرّف الدّارس بطرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب فهو يعتني بطرق التأثير ووسائل الإقناع وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما يجب أن تكون عليه الخطبة وألفاظها وأساليبها وترتيبها، وهو بذلك يعين وينير الطريق أمام من عنده استعداد ليربي ملكاته وينمي استعداداته ويرشد إلى إصلاح نفسه ليسير في الدّرب ويسلك السّبيل.

لكن علم الخطابة لا يحمل على السلوك، فهو يرشد إلى دراسة مناهج ومسالك ولكن يوضّح الطريق ولا يحمل على السير فيها، مثال ذلك فهو مثلاً يعطيك المصباح لكن لا يضمن الرّؤية إذا وجد في العينين مرض، أو قد يكون الإنسان من الناحية النظرية مجيدًا في علم النّحو لكن لا يتكلّم الفصحى والأساس في ذلك أن يروّض الإنسان نفسه بالعمل والتجّربة وتطبيق هذا العمل حتى يصل إلى النتيجة من العلم بجملة هذه القوانين والأسس. [72](ص44)

أمّا عن موضوع الخطابة، يرى أرسطو أنّه لا موضوع محدّد لعلم الخطابة، بل كلّ علم وكل أمر جليلاً كان أو حقيرًا يخضع لسلطانها ولسانها.

لذلك يترتّب على الخطيب أن يكون ملمًّا بكلّ صنف من المعارف بل ينبغي عليه أن يعمل كلّ يوم على توسيع نطاق معارفه ومداركه، فكل مسألة عامة أو لها صلة بالعامة يصحّ أن تكون موضوعًا خطابيًا مثل " حب الوطن، العدالة، تسكين الفتن، التّمسّك بالفضيلة " وغيرها، وأيضًا قد يكون كلّ موضوع خاص موضوعًا للخطابة، فمثلاً يقول ابن رشد في تلخيصه لكتاب أرسطو " كلّ واحد من النّاس يوجد مستعملا لنحو من أنحاء البلاغة فالتاجر يجتهد لسلعته وكذلك كلّ ذي أمر يستخدم العبارات التي يروج بها لما يريد وهذا يدلّ على عموم موضوعات الخطابة. وللخطابة عدّة فوائد : [73](ص81)

- بواسطة الخطابة تتم عملية الإقناع والتأثير.
- تفضّ المشاكل والخصومات وتهدّأ النفوس، وتثير الحماس عند ذوي النفوس الثائرة وترفع الحقّ وتخفض الباطل وتقيم العدل وتردّ المظالم وهي صوت المظلومين غالبًا وهي لسان الهداية.
- تعتبر الخطابة الدعامة التّي قامت عليها الثورات العظيمة والانقلابات الكبيرة التّي نقضت الظلم والباطل مثل الثورة الفرنسية.
- تثير حميّة الجيش وترفع قواه المعنوية لذلك نجد القادة الكبار في التّاريخ كانوا خطباء مثل علي بن أبي طالب، خالد بن الوليد، طارق بن زياد، يوليوس قيصر، نابليون وغيرهم.
- نجد الخطباء هم المسيطرون على الجماعات وهو الذين يقيمونها ويقعدونها.

ولا شكّ أنّ الخطابة أمر صعب المنال، لا يصل إليها طالبها بيسر بل يحتاج إلى منصب خطير وزاد عظيم وصبر ومعاناة واحتمال للمشاق وفيما يلي طرق تحصيلها: [73](ص83)

- تلائم الخطابة فطرة مواتية وسليمة.
- دراسة أصول الخطابة.
- قراءة كلام البلغاء فيتعلم منهم مفتاح أفكار هؤلاء النّاس، وهذا يسهل استخراج بعض المعلومات أو العبارات.
- الإطلاع على كثير من العلوم التّي تتصل بالجماعات، فهذا يزيد من الرصّيد العلمي والمعرفي ويوسّع المدارك وينير الطريق ويوسّع الفكر وينمّيه.
- امتلاك الثروة الكثيرة من الألفاظ والأساليب وذلك بمطالعة خطب من اشتهر من الخطباء بكثرة التعابير والأساليب المتغيرة.
- ضبط النّفس واحتمال المكاره مثل السّخرية والاستهزاء وتقصي الأخطاء.
- توجد لدى الخطيب بعد مدّة خبرة مستمرة بكثرة الممارسة.

وتوجد علاقة وطيدة بين علم الخطابة والعلوم الأخرى مثل علم النفس والمنطق وعلم الاجتماع والتاريخ حيث أنّه لا غنى للخطيب عن هذه العلوم فمثلاً علم النفس والاجتماع يعينه على معرفة أحوال السّامعين

أو المخاطبين وطبيعتهم وفي علم المنطق يستطيع الخطيب أن يتعرف على الحدّ والرّسم والدليل في الكلام وكيف يتكوّن القياس الخطابي، وفي علم الاجتماع قال الفرابي إنّ الخطيب إذا أراد بلوغ غايته وحسن سياسة نفسه في أموره، فليتوخَّ طباع النّاس وتلوّن أخلاقهم. [74](ص226)

3-1-3- طرق تحضير الخطبة

لابد لمن يريد إلقاء خطبة في أيّ موضوع أن يجمع عناصر موضوعه، ثمّ ترتيبها ثمّ التعبير عن هذه الأفكار والعناصر، وقد يحدث هذا العمل في لحظة سريعة وفي اقصر وقت ممكن وذلك كما يرى في الخطب الارتجالية وفي المجاوبات والمناقشات الخطابية، وقد تحدث هذه العملية بعد تروٍ وإمعان للفكر في مدّة طويلة وهذا يكون في الخطب التّي تعدّ إعدادًا طويلاً ويحضّر لها تحضيرًا كبيرًا، ومهما يكن من حال الخطيب والخطبة فلابدّ وأن تمرّ في هذه المراحل الثلاثة، قال ابن المعتز الشيباني إنّ البلاغة بأمور ثلاثة: [75](ص127)

1- أن يغّوص لحظة القلب في أعماق الفكر.

2- التأمل لوجود العواقب وجمع بين ما غاب وما حضر وإعمال الفكر.

3- أن تبدأ بألفاظ رشيقة جميلة مع تزيين معارضها واستعمال محاسنها.

وهناك عدّة أمور تتعلّق بتحضير الخطبة نذكر منها:

- من الخطباء من يكتفي في تحضيره للخطبة بدراسة الموضوع دارسة تامّة، ثمّ جمع عناصره في خاطره ويستحضر الألفاظ اللاّئقة بالموضوع وهذه الطريقة لا يستخدمها إلاّ المتمرّن على المواقف الخطابية الذي اندرج في سلك الخطباء، وهذا يلقي الخطبة مرتجلاً.

- من الخطباء من يدرس الموضوع ويهيئ معاني الخطبة ويرتبها ترتيبًا محكمًا، ثمّ يكتب عناصرها وأجزائها في مذكرة يستطحبها عند الخطبة لتكون مرجعًا وظابطًا له، ومن مزايا هذه الطريقة ضبط الأفكار وإحكام المعاني وجمع الخواطر من الضياع. [75](ص130)

- من الخطباء من يدرس الموضوع بعناية ثمّ يتكلّم فيه بينه وبين نفسه يصوت مرتفع في غرفة أو في مكان خلوي أو يتكلّم في جمع من النّاس، فمثلاً نجد المطرب يلحّن ما يريد في خلوة ثمّ يرتّلها على النّاس، وكذلك لابدّ وأن يكون الخطيب.

- من الخطباء من يكتب الخطبة ويتحرّى في الكتابة أبلغ الأساليب التّي توصله إلى غايته وتؤدّي به إلى هدفه، يصوّبها نحو ما يريد ويحكم معانيها ويحمّلها كلّ ما ينبغي من وسائل التأثير وطرق الإقناع، ثمّ يقرأ ما كتب مرارًا وتكرارًا وينقّحه في كلّ مرة وبهذه القراءة تتحرّى جودة الإلقاء وحسن الظّن، ويحفظ كثيرًا من ألفاظها وعباراتها ويتكلّم في خطبته ذاكرًا كلّ ما كتب، فلا يترك من كتابته صغيرًا أو كبيرًا.

- من الخطباء من يكتبون خطبهم ويحسنون تعبيرها ثمّ يحفظونها حفظًا تامًّا، ومنهم من يتحرّر أحيانًا ممّا حفظ إن وجد المقام يدفعه لذلك وهذه الطريقة يتّبعها أكثر المبتدئين في الخطابة. [72](ص76)

- من الخطباء من يكتب الخطبة ثمّ يلقيها بالقراءة من الكتاب الذي كتب، وأكثر المحاضرين في المحاضرات العلمية يتبعون هذا المسلك، ويستحسن لمن يسلك هذا الطريق في التحضير لخطبته أن يقرأ شيئًا من خارج ما كتب أو يلقي بعض المكتوب بدون الرجوع إليه وذلك دفعًا للملل والنعس عند النّاس من خطبته، ويستحسن له أن يقرأ الخطبة قراءة جيّدة مثل الإلقاء حتى يحسّن الإلقاء، ولابدّ له أيضًا وقت إلقائه مشرقًا بنظره إلى السامعين ليتصل بهم ويعرف أحوالهم.

والطريقة المثلى لطالب الخطابة هي : [71](ص190)

- يبتدئ بكتابة الخطبة ثمّ حفظها وإلقائها كما حفظها حتى إذا استمرّ في الخطابة وتقدّم في المران، كتب الخطبة ثمّ يأخذ بالتغيير شيئًا فشيئًا فيما حفظ، ثمّ يتقدّم لإلقائها بأن تعلق معانيها بقلبه وألفاظها في ذاكرته.

- ثمّ إذا صارت له الخطابة ملكة وأصبح في صفوف الخطباء، اكتفى بدراسة الموضوع دراسة وافية، وألقى كتابة العناصر ولم يكتبها إن أسعفته ذاكرة قوية أو كانت الخطبة قصيرة لا عناصر لها، مكتفيًا بهذا التحضير الذي يعدّ الأقلّ كلفة ولا يكتفي بهذا التحضير إلاّ أعظم الخطباء قدرًا.

إنّ حديثنا عن طرق التحضير والتهيئة للخطبة، لا يعني ذلك أنّ الخطيب لا يحتاج إلى الارتجال إذ أنّ القدرة على الارتجال ألزم الصفات للخطيب، بل قد لا يعتبر الخطيب خطيبًا بارعًا إلاّ إذا كان من القادرين على الارتجال، حتى أنّ السّامع لا يفرّق بين خطبة مرتجلة وأخرى محضّرة فالارتجال ضروري للخطيب إذ أنّه قد يحضّر، لكن يرى من وجوه السّامعين ما يتطلّب تغيير خطبته، أو قد يحدث حدث يتطلّب ذلك فإن لم تسعفه ذاكرة قويّة وبديهة حاضرة ضاع هو وما يدعو إليه وقابله النّاس بالسّخرية والهمز واللّمز.

وقد يكون الخطيب يخطب فيتعرض عليه بعض النّاس فإنّ لم تكن له بديهة حاضرة تردّ الاعتراض بالحجّة القوية ذهبت الخطبة وآثارها. [74](ص225)

وقد كان العرب أيّام ازدهار الخطابة فيهم من أقوى النّاس على الارتجال، قال الجاحظ في وصفهم: " وكل شيء للعرب فهو بديهة وارتجال وكأنّه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر واستعانة فما هو إلاّ أن يصرف همّه إلى الكلام وإلى الرّجز يوم الخصام أو عند المقارعة والمناضلة، فما هو إلاّ أن يصرف همّه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي يقصد فتأتيه المعاني إرسالاً، وتنهال عليه انهيالاً ثمّ لا يقيّده على نفسه ولا يعلمه أحدًا من ولده ".

والمران على الارتجال يكون في الصغر، والعادات لم تتكوّن والنفس لم تجمد على نحو خاص من أنحاء القول ولذا قال البعض القدرة على الارتجال لا تتكوّن أبدًا بعد الأربعين ويصعب أن تتكوّن بعد الثلاثين، بل تتكوّن في سنٍ دون هذه السّن، وبالتالي يتربّى المرتجل على الارتجال، وعليه أن يتغذّى بسماع الخطباء المرتجلين الممتازين لأنّ الارتجال يحفّز من عنده استعداد الكلام بالتقليد والمحاكاة، وأن يأخذ نفسه بالقول من وقت لآخر وعند الاجتماع يتقدّم إلى القول ليفكّ عقدة لسانه ويزيل الحياء عن نفسه،

وأن يعرف ملخص ما يقول بعد تحضيره، ومن أمثل الطّرق أن يجتهد بعدم الخطبة من ورق، فإذا ألِف ذلك أتته فطرة قوية واستعداد كبير على القول بديهيًا. [76](ص132)

وأخيرًا على المرتجل أو مريد الخطابة أن يصطحب رفيقًا له يدلّه على عيوبه كما عليه أن يراقب نفسه مراقبة تامّة، ولا يترك عادة لا تستحسن تثبت وتنمو وعليه ألاّ يتغيّر بعبارات خاصّة وإلاّ أثار سخرية النّاس ومكّن خصومه من العبث بسمعته.

وقال بعض الحكماء: العلوم الأدبية مطلعها من ثلاثة: قلب مفكر، لسان معبر وبيان مصوّر، ولا تكاد تخلو خطبة من هذه العناصر الثلاثة، فالأوّل الإيجاد والثاني التنسيق والثالث التعبير.

أمّا الإيجاد فهو إعمال الفكر لاستنباط الوسائل التّي من شأنها إقناع السّامع واجتذابه وإثارة حماسته إلى ما يدعو إليه المتكلم، ولذلك فالإيجاد يشمل ثلاث أسس وهي: الآداب الخطابية، إثارة الأهواء والأدلة.

أمّا الآداب الخطابية: فهي التّي يجب على الخطيب أن يتحلّى بها عند إلقاء الخطبة وما يجب أن يتخذه في سياسة السّامعين وتنقسم إلى قسمين:

1- ما يتعلّق بحال الخطيب كسداد الرّأي، صدق اللّهجة والتودّد للسّامعين.
2- ما يتعلّق بالسّامعين، [76](ص135) وهذين القسمين سوف يأتي ذكرهما في الجزء المخصّص لصفات الخطيب.

وأمّا الأدلة: فهي التّي توصل إلى بيان صحّة الحكم سلبًا أو إيجابًا والأدلة الخطابية لا يلزم أن تكون الدّليل بل يصحّ أن تكون ظنّية في ذاتها، والخطيب هو من يرفع الظّن إلى مرتبة قطعية موجبة لليقين، وللأدلة مصادر تأخذ عنها اليقين وتسّمى المواضع.

والمواضع هي المصادر التّي تمكّن الخطيب أن يتخذ منها ما يستدلّ به على دعواه وهي تنقسم إلى قسمين هما: المواضع الذاتية والمواضع العرضية.

أ- المواضع الذاتية : تؤخذ من ذات الموضوع لا من خارجه مثل بيان فوائد العلم بالخصائص الموجودة فيه وأشهرها: [77](ص68)

1- التعريف : فتعريف الشّيء يكون دليلاً خطابيًا أو بعبارة أخرى مقدّمًا لدليل خطابي وذلك إمّا بتعريف تشابه الشيء بخواصه التّي تفيد فيما يدعو إليه، أو التعريف بالإشارات والاستعارات أو التعريف ببيان الأنواع وذكر الأقسام أو نوعها.

2- التجزئة : والمراد بها أن نتجه في الحكم إلى الجزئيات ثمّ نتبعها بالحكم الذي نريده جزئيًا حتى نستخلص النتيجة التّي نريدها ولها طريقان:

أ- تتبّع الجزئيات لاستنباط حكم عام على الجميع.

ب- تتبّع الجزئيات لتخصيص واحد من بينها.

3- التعميم ثمّ التخصيص: وذلك بأن يبدأ بذكر العام، كالبدء بقضايا كليّة، مسلّم بها ثمّ يخصّ بعد ذلك بعض الجزئيات بالذكر.

4- العلّة والمعلول : فالتعليل روح الاستدلال والعلة الباعثة على الفعل والغاية المنشودة للحكم عليه بأنّه خير أو شر، صحيح أو باطل، سائغ أو غير سائغ، لذلك نجد كثير من الخطباء يعمدون إلى ذكر الدوافع والبواعث على الأفعال للتّدليل على صحة الأحكام.

5- المقابلة بين شيئين ليبين الحقّ فيهما : فالأشياء تتميّز بأضدادها وتعرّف بنظائرها.

6- التشابه وضرب الأمثال : وذلك يكون بأخذ قضية مسلّم بها، وأخذ القضايا المطلوب مناقشتها ويأخذون عليها بالقياس والتشابه لإثبات الحكم على ما هو غير مسلّم به، ويكون ضرب الأمثال لتقريب الأفهام. [77](ص75)

ب- المواضع العرضية: هي مصادر الأدلة الخارجة عن ذات الموضوع، وذلك لأنّ المخاطب أحيانًا لا يدرك ما في ذات الموضوع من خصائص وميزات وثمرات، فيصعب عليه أن يقنع بأدلة من ذات الموضوع، وأكثر هذه المواضيع:

1- الدّين: إذ أنّه المرشد، وأكثر الأمور سيطرة على القلوب خصوصًا قلوب عامة النّاس، وهو المربّي للوجدان والموقظ للضمائر، والمسلّي من الهموم والمهذّب لمن لا معلّم له وذلك عن طريق القرآن الكريم والسّنّة النبوية الشريفة.

2- العادات: على الخطيب أن لا يخرج عن عادات المخاطبين فلكلّ جماعة من النّاس عاداتها الخاصة بها.

3- تتبّع آثار السّلف : وذلك لما لها من أثر في النفوس وسلطان على القلوب وهذا وارد في القرآن الكريم، مثلاً عن المشركين عند إقناعهم بالإسلام قالو " بل نتبع ما ألفينا عليه آباؤنا ".

4- أقوال الأئمة ومن اشتهروا بالحكمة : فإنّ كلامهم روعة في النفس، فهي ثمرات تجاربهم ومخزون أفكارهم، وهي في منزلة المسلّم بها، وكثيرًا ممّن اشتهروا بالخطابة يبدؤون خطبهم بحكمة مشهورة أو قول حكيم عرف بالعلم، وتجمّل بهذا النوع من الاستدلال.

5- الشهادات والقوانين : وتستعمل في الخطابة القضائية غالبًا. [74](243)

3-1-4- صفات الخطيب النّاجح

لعلّ أصعب ما يعانيه المرء هو القدرة على الاتّصال بالنّفوس والقرب من القلوب، والناس مختلفون، مشارب وعادات وأخلاق وسنن ومهنة ومرتبة ولكل نوع من النّاس أحوال تقتضي نوعًا من الخطاب.

فعلى الخطيب أن يلبس لكل حالٍ لباسها ويعالج كلّ طائفة بدواء مناسب لها فإقناع الشباب مثلاً ما لا يتطلّبه امتناع الشيوخ وكذلك الطبقة المتعلمة تختلف عن غيرها والأغنياء يلائم لهم ما لا يلائم الفقراء فلذلك يترتب على الخطيب مراعاة كلّ هذه الأحوال حتى يراعي في كلامه هؤلاء النّاس وطباعهم.

ومن أهمّ صفات الخطيب ما يلي: [73](ص138)

- قوّة الملاحظة : حتى يدرك الخطيب في خطبته هل النّاس مقبلون على خطبته فيسترسل في قوله ويستمرّ في نهجه أم هم معرضون عنه ؟ فيتّجه إلى ناحية أخرى يراها أقرب إلى قلوبهم وذلك ليذهب بفتورهم ويتصل بأرواحهم ونفوسهم ويحدّد نشاطهم.
- حضور البديهة : حتى تسعفه بالعلاج المطلوب إن وجد من القوم إعراضًا، والإجابة على السؤال إن وجد تعقيبًا أو سؤالاً.
- طلاقة اللّسان : فاللّسان أداة الخطيب الأولى فلابدّ أن تكون الأداة سليمة ليتسنّى له استعمالها على أكمل وجه ولذلك تعدّ طلاقة اللّسان ألزم صفات الخطيب وأشدّها أثرًا في انتصاره في ميادين القول.
- رباط الجأش : وذلك بأن يقف الخطيب أمام النّاس مطمئن النّفس غير مضطرب ولا وجل وإن أحسّ السّامعين بضعف الخطيب واضطرابه صغر في نظرهم وهان هو وكلامه في أعينهم فلا يستطيع إيصال المطلوب إلى أذهانهم.
- القدرة على مراعاة مقتضى الحال : وهذا هو لبّ الخطابة وروحها فلكل مقام مقال ولكل جماعة لسان تخاطب فيه فالثائر نكلّمه والهادئ نزيد عنده الحماسة بالعبارات المثيرة وهكذا الفاتر المتكاسل.

ولعلّ الصفات الخمسة الآتية، لا يعد الخطيب خطيبًا إن لم تكون متوفرة فيه وفيها يتفاوت الخطباء بمقدار ما ينالون منها وهي: [75](ص108)

1- قوّة العاطفة : فلا يؤثر إلاّ المتأثر ولا يثير الحماسة إلاّ من امتلأ قلبه حماسة فيما يدعو إليه وما يخرج من القلب يصل إلى القلب وما كان من اللّسان لا يتجاوز الآذان وبذلك يستطيع الخطيب أن يأتي بالعبارات التّي تلهب الحس وتوقظ النّفس وتثير الحميّة وتحفّز الهمّة فلابدّ أن تكون حماسة الخطيب أقوى من حماسة المخاطبين.

2- النّفوذ وقوّة الشخصية : وهذه هبة من الله يهبها بعض النّاس فمن يحسّ بقوّة روحه وعظم نفسه تجده يستّمد قوّة عباراته من هذه القوّة وتجد نظراته شعاع ينفذ إلى القلوب وصوت يهزّ النّفس هزات روحية ومن أمثلة هؤلاء (أبي بكرٍ وعمر وعلي والحسن البصري) رضي الله عنه، ناهيك عما كان عليه النّبي صلى الله عليه وسلم.

3- أن يكون ثقة : فإذا لم يكن كذلك لا يحظى بقبول الجمهور ويضعف في تأثيره فلا يصل إلى قلوبهم ويشكّون في قوله، والشّك في المتكلمّ يهدم أثر بيانه.

4- سعة الإطّلاع : فالخطابة كما اشرنا سابقًا ليس لها موضوع خاص لذلك لابدّ من الإلمام بموضوعات عديدة، والإلمام يعني الموضوع نفسه بجميع جوانبه بغضّ النّظر عن الخطبة أهي سياسية أم اجتماعية أو قضائية فلا غنى عن الإلمام وسعة الإطّلاع على كتب العلم وعلى أحوال المخاطبين.

5- التّجمّل في الإشارة والملابس : فللملابس تأثير، فالمتحدّث إذا كانت تنقصه الأناقة والهندام المنظم يكن له النّاس احترامًا ضئيلاً، فالذي يتصدّى لمخاطبة النّاس عليه أن يحسّن مظهره بتنظيف بدنه وتطييبه، إضافة إلى تهذيب اللّحية والشّارب وتعهّد الفم والأسنان وقصّ الأظافر، وتبديل الملابس التّي يستحسن أن تكون بيضاء.

وهناك بعض الآداب الخطابية المتعلقة بالخطيب نفسه وهي: [78](ص128)

1- سداد الرّأي : أن يقوم بدراسة عامّة وتامّة، للموضوع الذي يخطب فيه، فإنّ الرأي السديد والمحكم لا يقوم إلاّ بدراسة عميقة وإحاطة تامّة وإطلاع واسع وعلم غزير وفكر قويم.

ومعنى ذلك أنّه إذا أراد التّحدّث في موضوع لابدّ وأن يكون قد درسه دراسة واعية، أمّا المرتجل فقد لا يحسن الارتجال في كلّ الأحوال بل الارتجال لابدّ وأن يكون بعد دراسة وإطلاع أو يكون له سابق علاقة بهذا الموضوع، فعلى الخطيب أن لا يخوض في حديث ليس له به علم حتى لا يخطأ فيبدي رأيًا ضعيفًا والرّأي الضعيف لا يلمّ بالحقّ من كلّ نواحيه.

ولابدّ للوصول إلى الحقّ وتكوين الرأي الناضج بعد الدراسة التامة وسلامة الفكر من كلّ هم وغمّ شاغل، لأنّ من شُغل بالهم لا يخلص له رأي ولا فكر، وكذلك فإنّ سداد الرّأي دعامة الخطب الأولى كي يثق الجمهور بالفكرة ويتّجه إلى الرّأي الذي يطرحه.

2- صدق اللّهجة : وهي صدق الخطيب فيما يدعو إليه وذلك بأن يظهر مخلصًا فيما يدعو إليه حريصًا على الحقيقة فيما يعمل فإنّه إن ظهر كذلك وثق النّاس به وصدّقوه فيما يدعو إليه وأحسوا بأنّه شريف تجب إجابته، ومن أجل أن يكون الإخلاص باديًا يجب أن يكون من حاله ما يطابق لشرفه وشرف ما يدعو إليه، ممّا يظهر الحرص على الحقيقة، عدم الإسّراف في المدح والذم والوعد والوعيد لأنّ الإسراف مظنة الكذب والصدق مظنة الصدّق ولأنّ كثرة الكلام تقعد على الأفعال.

كذلك لابدّ من الابتعاد عن هجر القول، قال الماوردي في آداب المتكلّم: أن يتجافى هجر القول ومستقبح الكلام وليعدل إلى كناية عما يستقبح صريحه ويستهجن مديحه ليبلغ الغرض ولسانه نزه وأدبه مصون.

ولأنّ نزاهة اللّسان تدلّ على نزاهة القلب والصدق في العمل وهذا يعني صدق اللّهجة عند الخطيب.

3- التودّد للسّامعين : ويكون ذلك بالتواضع لهم وأن يكون الخطيب ممن يألفون ويؤلفون، فلا يكون جافيًا خشنًا قاسيًا وأن يمدح الجماعة التّي يخاطبها ويذكرها بأحسن صفاتها وأن يظهر أيضًا بأنّه

حريص على مصلحة السّامعين وأنّه يؤثرهم على نفسه ويظهر أنّه لا غرض شخصي، فإنّ الغرض الشخصي من الخطيب يجعل الريبة تدخل إلى قلوب الجمهور. [78](ص124)

3-2- الإمـــامة

3-2-1- إمامة المسجد وشروطها

كانت الإمامة في العهود الإسلامية الأولى تعني الرئاسة في الأمور المادية والمعنوية، يقوم بها أمير من الأمراء أو والي من الولاّة، لأنّها كانت تتميّز بالعلم والقدرة. [11](ص74)

لقد ذكر الماوردي تعريفًا للإمامة بقوله: " الإمامة موضوعة لخلافة النبوّة في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا به ".[79](ص55)

أمّا ابن خلدون فينظر إلى الإمامة بأنّها: " حمل الكافة عن مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدّنيا ترجع كلّها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، في الحقيقة خلافة عن صاحب الشّرع في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا به ".[12](ص119)

أمّا الإمامة الصغرى فيقصد بها إمامة الصلاة بالمسجد والإشراف على النشاط العام فيه، فالإمام يجسّد شخصية الأمّة الإسلامية وهو رمز لها من حيث العقيدة والعلم والفقه والسلوك والمعاملة والأخلاق وتعتبر مهمّة فضيلة، ذلك لأنّها كانت وظيفة الرّسول صلى الله عليه وسلم، ووظيفة الخلفاء الراشدين من بعده، وكانت وظيفة الرسل من قبل، وبذلك أعطت للإمام مكانة مميزة بين النّاس حيث كان يمثّل الحقّ وهو حجة الله بين عباده ".[11](78)

كما اتفق العلماء على أنّ وليّ الأمر أولى بالإمامة من غيره حتى يأذن هو لغيره بذلك، وكان النّبي صلى الله عليه وسلم، إذا بعث أميرًا جعل الصلاة إليه فيصلي بالمسلمين الجمعة والجماعة، ويخطب فيهم، وعلى الوالي إنابة الأصلح في ذلك إن أراد. [80] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يؤّم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنّة، فإن كانوا في السنّة سواء فأقدمهم هجرة وإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنّا ".[45]

ويرى الفقهاء أنّ للإمامة سبعة شروط واجبة :

1- الإسلام : فلا تصحّ الصلاة خلف كافر.
2- العقل : لأنّ المجنون غير مكلّف وقد رفع عنه القلم.
3- البلوغ : فلا يصحّ إمامة الصبي في الفريضة عند بعضهم وأجازه آخرون.
4- الذكورية : إذ يجب أن يكون إمام الرجال ذكرًا، وأجاز الشافعي إمامة المرأة للنساء.
5- العدالة : حيث جاء في تعريفات الجرجاني ما نصّه " العدل عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط " وقيل العدل مصدر بمعنى العدالة وهو الاعتدال والاستقامة وهو الميل إلى الحقّ، وأجاز بعض الفقهاء إمامة الفاسق إذا كان فسقه في غير الصلاة.

6- العلم : أي فقهًا وقراءة، حيث لابدّ للإمام أن يكون فقيهًا في دينه، عالمًا بكل الأحكام الشرعية المستمدة من الكتاب والسنّة، أمّا الجاهل بأحكام الصلاة فلا تجوز إمامته وكذلك الذي لا يحسن القراءة والأخرس.

7- القدرة على توفية الأركان، فإنّ عجز عن ركن من الأركان لم تصحّ الصّلاة خلفه إلاّ إذا ساواه المأموم في العجز. [19](ص48)

بالإضافة إلى هذه الشروط الخاصة بإمامة النّاس في الصلاة اليومية، فإنّ إمام الجمعة يجب أن تتوفّر فيه شرطان أساسيان هما: الحرية فلا تصحّ الجمعة خلف عبد، والإقامة في البلد وما في حكمه. [81](ص108)

وقال العلامّة أبو بكر الجزائري " يجب على المأموم إتّباع إمامه، ويحرم عليه أن يسبقه ويكره له أن يساويه، فإن سبقه في تكبيرة الإحرام وجب عليه أن يعيدها وإلاّ بطلت صلاته، كما تبطل إذ سلّم قبله، وإن سبقه في الركوع أو السجود أو في الرفع منهما، وجب عليه أن يرجع ليركع ويسجد بعد إمامهُ ". [9](ص225)

وتنقسم إمامة الصلاة إلى ثلاثة أقسام هي:

1- الصلوات الخمس.
2- الإمامة في صلاة الجمعة.
3- الإمامة في صلوات الندب.

ومنه فإنّ تنصيب الإمام للصلوات الخمس متعلّق بحال المساجد نفسها وهي نوعان: سلطانية وعامية.

فأمّا المساجد السلطانية فيرعاها السلطان (مساجد وطنية) ويجب أن تتوفّر في إمامها الصفات التالية: أن يكون عدلاً قارئًا فقيهًا وسليم اللّفظ. أمّا المساجد العامية أو ما نسميه محلية، فهي التّي بناها أهل الأحياء والقبائل في شوارعهم وقبائلهم، وهنا يوكل تنصيب الإمام فيها لمن اتفقوا أو رضوا به وبإمامته لهم. [82](ص127)وتجدر الإشارة إلى أهمية العلاقة الدّينية الأخوية والودية التّي تربط المأمومين بإمامهم، حيث يكره للرجل أن يؤم أناسًا وهم له كارهون. [9](ص226)

3-2-2- فضل الإمامة ومنزلة الإمام

تعتبر إمامة المصلين من المهمات التّي اعتنى بها الإسلام، ونبه الإمام إلى تلك المسؤولية العظيمة التّي تتعلق بصحة صلاة النّاس أو بطلانها، ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم الإمام ضمانًا يضمن صحة صلاة المأمومين من حيث القيام بشروطها وأركانها كما أمر الله ورسوله ولا ينتقص من ذلك شيئًا.

وإننا إذا ما نظرنا إلى موقف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتمعنًا في سيرته وصحبه الكرام ودوره كإمام مسجد، نجد أنّ القيام بمهام الإمامة ليس عبارة عن طقوس وحركات يؤديها الإمام ويكررها المأمومين خلفه، بل يتعين عليه أن يراعي من هم حوله فهذا من مسؤولياته، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ". [45]

فالإمامة تعليم وتذكير، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ولا يخفى ما لهذه الأمور من منزلة عظيمة، فبالعلم يزول الجهل، وبالتذكير تذهب الغفلة، ويحل الإقبال على الدين محل الإعراض عنه، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تسود طاعة الله في المجتمع وتضمحل المعصية، وتنتشر الفضيلة وتنحسر الرذيلة، ويكثر الخير ويقل الشر.

ومن أجل هذا وغيره تعد الإمامة رسالة عظيمة، ومهمة جسيمة يوفق الله للقيام بها على الوجه المطلوب دعاة الحقّ، وصفوة الخلق حماة الدين، وحراس العقيدة الصحيحة، فيتعلم على أيديهم الجاهل، ويستيقظ من أجل مواعظهم الغافل، ويهتدي بهم السالك، وتسمو بتوجيهاتهم النفوس، وتزكو الضمائر، وتتهذب الأخلاق، وتقوم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتحيا السنن، وتزول البدع ويسعد النّاس بالأئمة الأكفاء كما سعدت الدنيا بإمام الأئمة صلى الله عليه وسلم.

ولما كان أمر الإمامة عظيمًا فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم للائمة بالرشد، فقال صلى الله عليه وسلم : " الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين ".[45]

ومن المعلوم أنّ الإمامة رمز الاجتماع والائتلاف، لذا فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على اتخاذ إمام ولو كانوا ثلاثة نفر فقط، حيث قال صلى الله عليه وسلم : " إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالإمامة أقرؤهم ".[45] فإذا كانوا مأمورين شرعًا باتخاذ إمام، ولو كانوا ثلاثة فقط، فكيف إذا كانوا جمعًا كبيرًا ؟

لا شك أنّ الأمر أعظم، وهذا فيه من المصالح العظيمة، والمحامد الجليلة ما لا يخفى على أحد، فالناس يجتمعون على من يعلمهم الخير، ويفقههم في الدين، ويرغبهم تارة ويرهبهم أخرى، وينقلهم من المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى التذكر والعبرة.

والناس محتاجون إلى من يقوم بهذه الرسالة خير قيام، لأنّ أمراض المجتمع الحقيقية تكمن في: الجهل والغفلة، والميل إلى الشهوات، يقول تعالى:" ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ". (41- سورة الروم).

ولا يخفى أنّ هذه العلل إذا كثرت كثر الخبث ونزل البلاء.

لهذا فإنّ منزلة الإمام تعظم لكونه يتولى معالجة هذه العلل، فداء الجهل لا دواء له إلاّ بالعلم، وحاجة النّاس إلى العلم الذي يرفع عنهم حجاب الجهل ويزيل غشاوته أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وأعظم من حاجة الأرض العطشانة إلى الماء.

والأئمة مبلغون لدين الله، داعون إلى كل خير وفضيلة، والدعاة إلى الله هم خير الناس، فهم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، القائمون على حدود الله، المدافعون عن دين الله، الصالحون المصلحون الذين أثنى الله عليهم وامتدحهم في مواضع عديدة.

يقول ابن القيم - رحمة الله - : أمر الله نبيه بأن يخبر أنّ سبيله الدعوة إلى الله فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بصيرة وهو من أتباعه، ومن دعا إلى غير ذلك فليس على سبيله، ولا هو على بصيرة ولا هو من أتباعه، فالدعوة إلى الله تعال هي وظيفة المرسلين وأتباعهم... وتبليغ سننه إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأنّ تبليغ السهام يفعله كثير من النّاس، وأمّا تبليغ السنن فلا يقوم به إلاّ ورثة الأنبياء، وخلفاؤهم في أممهم. [83](ص24)

والمجتمعات تتعرض غالبًا لعواصف من الفتن والمغريات تجر بعض النّاس جرًا إلى الفساد والإفساد، وتصرفهم عن طاعة رب العباد، وهنا يأتي دور الإمام المذكر المحذر المشفق على إخوانه فتحيا به القلوب، ويفتح الله على يديه مغاليقها، فيكون له بذلك من الأجر العظيم، والثواب الجزيل.

قال العلماء إنّ المتسبب إلى الهدى بدعوته له من الأجر مثل أجر من اهتدى به، وكذلك المتسبب إلى الضلالة عليه من الوزر مثل وزر من ضل به؛ لأنّ الأوّل بذل وسعه وقدرته في هداية النّاس، والثاني بذل قدرته في ضلالهم فنزل كل واحد منهما منزلة الفاعل التام.

وجاء في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النّعم) وحمر النعم هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، فهي كناية عن خير الدّنيا كله. [83](ص62)

3-2-3- صفات الإمام الخطيب وعوامل نجاحه

إنّ الرجل الأحق بالإمامة هو من تتوفّر فيه الصفات الآتية أو بعضها:

1- أن يكون عالمًا وفقيهًا، بحيث يكون مطلعًا على التاريخ الإسلامي الذي يحتوي خاصة على ما يلي: [84](ص45)

القصص القرآني الذي يمثل حياة الدعاة المثاليين من الأنبياء والرسل، ومعرفة أساليب الدعوة السليمة لإتباعها.

الدراسات الفقهية، فالإمام هو الذي يقوم بتعليم النّاس على اختلاف عقولهم في أمور دينهم، وخاصة ما يتصل منها بالعبادات كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج وهو الذي يقوم بالإجابة عن أسئلتهم المختلفة البسيطة منها والمعقدة، وهذا ما يتطلب منه الإلمام بكل هذه المواضيع بتفاصيلها.

2- أن يكون قدوة حسنة، فالمؤمنون ينظرون إلى الإسلام من خلال سلوك ومعاملات الإمام، والقدوة الحسنة تظهر معالمها في:

3- - الآداب فعلى الإمام أن يلتزم بالآداب الإسلامية التّي تجعل النّاس يرونها في حركاته وشؤونه كلها، كآداب الحديث وآداب المجلس وغيرها كالأخلاق الفاضلة التّي تحبب الإمام بصفة عامة إلى النّاس، وتجعلهم يمثلون لأقواله وأفعاله، فعلى الإمام مثلاً أن يتصف بالتواضع مع جميع المسلمين، وأن يلتزم بالصبر، فلا يظهر الغضب عند الابتلاء، ولا يظهر الضجر والملل عند أسئلة العامة، وليتحمل تفاهاتهم، وأن يتصف بالشجاعة، فيظهر الحقّ بدون خوف أو تردد، والصدق في القول والعمل، فلا يأمر بشيء وهو يخالفه ولا ينهي عن شيء وهو يفعله، وأن يتجلّى بالسكينة والوقار والابتعاد عن مواضع ومسالك التهمة. [84](ص47)

إنّ هذه الشروط أو الصفات في الإمامة قد تكون كافية لصحة صلاة الجماعة والجمعة، لكنها غير كافية للإمام وهو يمارس الخطابة في النّاس، فلابد له من صفات أخرى تجعله مؤهلاً أكثر لتحقيق الحكمة المرجوة من خطبته لجماهير المصلين.

ولعل ابرز الصفات التّي أشار إليها الفقهاء تتلخص فيما يلي:

1- التجرد لله تعالى والإخلاص في القول والعمل.
2- أن يكون قدوة لغيره فيما يرشدهم إليه.
3- العلم بمضمون ما يخاطب به النّاس ويدعوهم إليه.
4- الحكمة التّي تجعله يأتي بالقول والفعل في انسب مواضعه وبعبارة أخرى مراعاة مقتضى الحال، فلكل مقام مقال.
5- طلاقة اللّسان، وقوة الصوت وقدرة بلاغية تجعله يعدد من أساليب الخطاب ليصل إلى هدفه.

إنّ تلك الصفات التّي أوردها الفقهاء قديمًا للإمام الخطيب الناجح لم تعد تفي بالغرض لأنّها صفات مجملة تفتقر في يومنا هذا إلى التفصيل بعدما تعدّدت مصادر التأثير على وجدان النّاس وعقولهم وسلوكاتهم، مثل المدرسة والوسائل الإعلامية السمعية البصرية والمكتوبة، بعبارة أخرى تحتاج إلى نظرة تجديدية أكثر عملية واحترافية في فهم تلك الصفات التّي أشار إليها فقهاؤنا قديمًا، ومن تلك الصفات الحكمة وتعديد أساليب الخطابة ومعرفة النّاس. [85](ص70)

إذا قام الإمام بما هو مطلوب منه، فسوى يلقى وبدون شك، قبولاً واسعًا من الأفراد الذين يستمعون إليه، فالأمور المذكورة سالفًا تعدّ من صفات الإمام الناجح، لكن هناك عوامل أخرى مساعدة على نجاح الإمام الخطيب نذكر منها ما يلي[84](ص50):

1- حسن الأداء وحسن الاختيار: فعليه أن يراعي حسن الاختيار في مادته، كاختيار الموضوعات بحيث يضيف جديدًا إلى ثقافة المستمعين واختيار اللّفظ والعبارة، فمن حيث الألفاظ يلجأ الإمام إلى السّهل المألوف بدلاً من التعقيد، ويعتمد على المقاطع الواضحة القصيرة وليس السّجع المتكلّف ويضع في حسبانه أنّ من السّامعين من يحرّف الكلام عن مواضعه لحسن نيّة أو سوء نيّة، فلا داعي لإيراد الكلام الذي يحتمل سوء التأويل كما أنّه من الخطأ التورّط في المسائل المختلفِ حولها والتي تحزّب

النّاس وتشتّت الانتباه، ولا داعي لإيراد التعبيرات المألوفة بكثرة، بل تحسين الابتكار والتجديد في حدود ما يجعل المستمعين يستوعبون مضمون خطابه، كما يستحسن أن يتحرّى الإمام الخطيب الوقت المناسب لموضوعاته، والزمن الذي لا يصعب على السّامعين الحضور فيه، كأوقات الحر أو البرد الشديدين.

2- المجاملة وتفادي الاصطدام: وعلى الخطيب أن يكون مجاملاً وافِرَ الآداب، وأن يشير إلى الفقرات من قول بعض من سبقه من الخطباء على سبيل الاستشهاد بها، فذلك يدلّ على حضور الذّهن والتواضع الجميل كما لا ينبغي للإمام أن يبدأ حديثه بالاصطدام مع الآراء والمعتقدات المستقرّة عند النّاس، فمعلوم أنّ الجدال لا يأتي بخير، وعليه أن يختار الموضوعات التّي تبعده عن مثل هذه الأمور الجدلية.

3- عدم الإطالة: فالإطالة هي آفة الخطباء والمحدّثين، ولهذا يلزم التنبيه إليها والتحذير من آفتها، وتنشأ الإطالة من الغفلة والنسيان وعدم تقدير مصلحة الآخرين، وقد يكون التطويل مقصودًا من جانب المتكلّم لما يظنّ من تحقيق المنفعة، أو لأنّ الموضوع ذاته طويل متشعّب فمن الخير للمرء أن يعرف أشياء قليلة معرفة تامّة، على أن يعرف أشياء كثيرة معرفة عامّة، وأنّ الطاقة الذهنية محدودة ولا يمكن للسّامع في العادة أن يتابع بانتباه، فبعدها يصيبه الإعياء أو الشّرود.

4- إدراك ما يجول بالخواطر: فلا شك أنّ ظروف النّاس تفرض عليهم كلّ يوم نوعًا من القضايا التّي تهمّهم وتستولي على مشاعرهم، ومطلوب على الإمام الخطيب، أن يكون متجاوبًا مع جمهوره تمامًا لأنّه واحد منهم، وإذا عرض أمرًا جديدًا فإنّ عليه أن يتصور ما سيتحرك في نفوس السّامعين من الاعتراضات والتساؤلات فيه، وأن يضمّن حديثه جوابًا عليها.

5- التدرج من المعلوم إلى المجهول: فمن طرق الإقناع أن نتدرج بالسّامع من الحقائق المقررة التّي يراد تثبيتها في الأذهان.

6- الواقعية: وهي أن يعيش الإمام واقع النّاس ولا داعي لأن يجر السّامعين إلى أعماق التاريخ، إنّما يدرس التاريخ لأخذ الحكم والاستفادة منها. [84](ص55)

3-3- الإمام الخطيب، تكوينه ومهامه

كي يتمكن الإمام من أداء مهامه لابد له من تكوين

3-3-1- أنماط تكوين الأئمة وشروط توظيفهم في الجزائر

التكوين عملية منهجية غايتها تأهيل شخص الإمام الخطيب لأداء مهامه على أكمل وجه بما يضمن تحقيق أهداف رسالته والقيام بشؤون المسجد أحسن قيام.

إنّ التكوين عملية أساسية حيوية تحقق الكينونة لقطاع الشؤون الدّينية، وتمنحه القدرة على وتضمن له الجودة عند الإنتاج والسرعة في تحقيق الأهداف وبلوغ المرام [86](ص20) وإذا كان مجال

دراستنا هو المسجد وإمامه فإنّه من الضروري تناول موضوع تكوين الإمام والنظر في دافع هذا التكوين وقدرته على تخريج أئمة خطباء في مستوى الرسالة التّي رشحوا لها.

يمكن أن نحدّد ثلاث مراحل قريبة نسبيًا هي[87] :

- المرحلة الأولى : فترة الاستعمار الفرنسي حيث كان التكوين منحصرًا في حفظ القرآن الكريم وبعض المتون في زوايا أو مدارس حرة منها ما كان تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي هذه الفترة لم يكن للإدارة الاستعمارية أي جهد في هذا المجال، بل على العكس سعت لغلق الزوايا والمدارس، لأنّها تعتبر في رأي الاستعمار مصدر الدعوة إلى التحرر والاستقلال.

- المرحلة الثانية : مرحلة ما بعد الاستعمار وتمتد إلى بداية السبعينات، وفي هذه الفترة بقيت عملية التكوين منحصرة أيضًا في الزوايا والمدارس القرآنية والتي كانت تحضى بشيء من الدعم المادي من الدولة وتبرعات المحسنين، والملاحظ في هذه المرحلة غياب معاهد متخصصة تخضع لمنهج محدّد مدروس، وكان لا يشترط لتولي مهام الإمامة إلاّ حفظ القرآن الكريم، ودراسة بعض المتون، ولكن ذلك كان يتم ضمن الزاوية.

- المرحلة الثالثة : من سنة 1957 إلى يومنا هذا.

وقد ظهرت أوّل مؤسسة لتكوين رجال السلك الديني بالجزائر سنة 1957 بمفتاح ولاية البليدة، وسميت المدرسة الوطنية لتكوين الإطارات وتبعتها مؤسسات أخرى.

وفي مطلع السبعينات تفطنت الجهات الرسمية إلى ضرورة خوض معركة التكوين واقتحام ميدانه وفتح مؤسسات ومعاهد تنحصر مهمتها في إعداد وتكوين القائمين والعاملين بالسلك الديني، والارتقاء بهم إلى المستوى الذي يؤهلهم ويخوّل لهم القيام بالرسالة المسجدية. [87] وقد كان الهدف من إنشاء هذه المعاهد في تلك الفترة بالذات هو:

1- تكوين الأئمة العاملين بالقطاع من أجل رفع مستواهم العلمي والثقافي والتربوي، والذين وظّفوا في وقت كان الهدف فيه هو تغطية العجز المسجل على مستوى المساجد.
2- تخريج دفعات من الأئمة الجدد لتأطير المساجد التّي ما زالت تعاني من الشغور.
3- امتصاص أعداد الطلبة الذين انهوا دراستهم الثانوية بمعاهد التعليم الأصلي ولم يحصلوا على شهادة البكالوريا.
4- تقديم البديل لمعاهد التعليم الأصلي التّي أدمجت ضمن التعليم العام الذي تشرف عليه وزارة التربية والتعليم آنذاك.

ولم يقتصر التكوين على هذه المعاهد، بل كان للجامعة عبر معاهدها التّي أنشأت في بداية الثمانيات مثل المعهد الوطني العالي لأصول الدّين بجامعة الجزائر وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، دور في تزويد الكثير من المساجد بمتخرجيها كمتطوّعين أو عاملين معينين من قبل الوصاية بعد إجراء مسابقة التوظيف التّي ترتكز على حفظ القرآن الكريم.

كانت المعاهد الدّينية منذ نشأتها تستقبل الأئمة العاملين بالمساجد المنتدبين لإعادة تكوينهم وتحسين مستواهم العلمي والتربوي، بالإضافة إلى الطلبة الأحرار الذين تتوفّر فيهم شروط الالتحاق بالمعاهد، كما كانت تستقبل الطلبة الأفارقة خاصة الممنوحين من قبل الدولة الجزائرية ويصبّ هؤلاء جميعًا في ثلاث شعب:

- شعبة أئمة الصلوات الخمس - إمام معلم مدّة التكوين (03) سنوات.
- شعبة أئمة وعّاظ - إمام مدرس مدّة التكوين (02) سنتين.
- شعبة التكوين التحضيري وتخصّ حفّاظ القرآن الكريم الذي يتكوّنون مدّة (02) سنتين قبل إدماجهم في شعبة إمام الصلوات الخمس، ثمّ ألغيت هذه الشعب لعدم انسجامها مع شروط ومستوى الالتحاق بالمعاهد الدّينية. ويتقاضى الأئمة أجورهم حسب التصانيف الآتية:

جدول رقم 01: تصانيف العمال في قطاع الشؤون الدّينية [1](ص120)

الوظيفة	الصنف
مفتّش تعليم قرآني	5 – 17
مفتش التعليم والتكوين المسجدي	5 – 17
وكيل الأوقاف	5 – 17
إمام أستاذ	3 – 15
المرشدة الدّينية	2 – 15
إمام مدرّس للقراءات	2 – 14
إمام مدرّس	2 – 14
إمام معلّم	1 – 13
معلّم قرآن	1 – 12
مؤذن	1 – 10
القيّم	1 – 8
مناصب عليا	
إمام مفتي	5 - 19
إمام معتمد	1 – 17

أمّا عن نوعية التكوين بالمعاهد الدّينية ونتائجه: [88]

فمن حيث النوعية: تعترف التقارير الرسّمية الصادرة عن الوزارة الوطنية، بالضعف الشدّيد والنتائج الهزيلة من حيث نوعية الإطارات المكوّنة ضمن المعاهد، إذ جاء في التقرير التقييمي لعشريتين:

من ناحية الجودة والنوعية لم تسفر عملية التكوين بالمعاهد على نتائج ايجابية تحقّق الهدف والغاية التّي أنشأت من أجلها معاهد التكوين، وحسب نفس التقارير فإنّ الأسباب تتمثل فيما يلي:

- ضعف المستوى الثقافي لدى الملتحقين بهذه المعاهد.
- قلّة الراغبين والمتحفّزين لهذه الوظيفة والذين تتوفّر فيهم مقاييس الجودة.
- عجز البرامج وافتقارها إلى مضامين تحقق النوعية الجيّدة لدى المتخرّجين.

أمّا من حيث الكّم : بعكس الجانب النوعي فإنّ المعاهد استطاعت أن تخرّج عددًا لا بأس به من الأئمة على مختلف مراتبهم معلّمين ومدرّسين.

وتعاني المعاهد الدّينية من عدّة مشاكل تندرج معظمها في المشاكل التربوية، كالنقص المسجل على مستوى الأساتذة المكونين ببعض المعاهد، حيث تعاني هذه الأخيرة نقصًا كبيرًا في الأساتذة.

وأمام هذا الوضع لجأ المعهد إلى رفع نصاب الأستاذ المكون إلى 18 ساعة بدلاً من 16 ساعة، مع إسناد ساعات إضافية لكل أستاذ، وأسندت بعض المواد لغير أهل الاختصاص وإذا كان المعهد بهذه الطريقة قد عالج مشاكل نقص الأساتذة لكن على حساب مردودية الأستاذ التربوية. [1](ص133)

- نقص المصادر والمراجع بمكتبات المعاهد ممّا يعيق تحقيق الأهداف المرجوة والتي أهمها تعويد الإمام على البحث وتجديد المعارف وهذا الأخير عامل أساسي في إعداد الخطبة الناجحة.

- التكوين البيداغوجي والتربوي للأساتذة المكوّنين، فإذا كان الإمام يحتاج إلى تجديد معلومات وتحديث طرق وأساليب الإرشاد لديه فالأستاذ المكوّن أولى وأحق بهذا من غيره.

والمعاهد تفتقرّ إلى برنامج تكويني ثري للأساتذة العاملين ويغيب التنسيق بينها وبين الجامعة التّي يمكن أن تقدم الكثير من خلال الندّوات التربوية والأيّام الدراسية والتربصات.

- عدم شمولية البرنامج التربوي، أي أنّ تكوين الأئمة يقتصّر على الجانب العلمي المعرفي، وحتى هذا الجانب محصور في مجالات محدودة غير كافية، فهذا البرنامج المعمول به إلى يومنا هذا يفتقر إلى : [1](ص134)

أ- تدريس العلوم الشرعية بأسلوب جديد يتلائم والحياة المعاصرة، فما زال الفقه يدرس على طريقة المتون القديمة وإن كان لهذه الطريقة إيجابياتها إلاّ أنّها تفتقر إلى معالجة المشكلات المستجدة في حياة النّاس والتي سيواجهها الإمام من خلال حياته العملية والمهنية.

ب- غياب تدريس فنون الخطابة وتقنياتها وإجراء تربصات عملية في الخطابة.

جـ- عدم وجود برنامج علمي يرقى بالإمام ارتقاءً روحيًا من خلال التزام جملة من العبادات الإضافية عن الفرائض كقيام الليل.

د- تدريس علوم اللّغة دون الحرص على أن يتمكّن الإمام منها فعليًّا أي فصاحة اللّسان.

يتمّ تعيين الأئمة من طرف وزير الشؤون الدّينية الذي يكلفهم بمسؤولية تسيير المسجد والحفاظ على نظامه وأمنه والإشراف على العاملين فيه، وعلى النشاط الديني والثقافي والعلمي والاجتماعي، إضافة إلى تنظيم المكتبة، وتقييد ممتلكات المسجد[20](ص20)، وجمع التبرعات التّي تم جمعها داخل المسجد، ويتكوّن سلك الأئمة ممّا يلي:

1- مرتبة إمام أستاذ (أستاذ ممتاز سابقًا).
2- مرتبة إمام مدرس (إمام خطيب سابقًا).
3- مرتبة إمام معلم (إمام صلوات خمس سابقًا).

وهناك أيضًا مرتبة أخرى ولكنها غير رسمية، ذلك أنّ معلّمو القرآن الكريم يمكنهم ممارسة وظيفة الإمامة ولكنّهم غير مرسّمون بل يحصلون على تكليف بمهمة الإمامة وهذا في حالة غياب كلي للإمام بهذه المساجد أو غيابه نظرًا لانشغاله بأمور أخرى، لكنه غير مكلّف بالخطابة، كما يمكنه أن يصلّي بالناس صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك.

ومن ثمّة فإنّ المهام التّي يجب أن يقوم بها كلّ من هؤلاء الأئمة تتمثل في:

أ- تعليم القرآن الكريم وإعطاء دروس في مختلف العلوم الإسلامية والأخلاق والتوجيهات للتعريف بالشريعة الإسلامية في مختلف علومها.

ب- الحفاظ على الوحدة الجماعية والمساهمة في تكوين الأئمة وفي رفع مستوى الخطب والدروس الملقاة في المساجد.

جـ- إعطاء دروس استدراكية للطلبة حسب مستوياتهم التعليمية والمساهمة في محو الأمية والمشاركة في النشاطات الثقافية التّي تقام في المساجد، لكن بالنسبة لإعطاء الدروس، قد يكلّف الإمام شخص معين بإعطائها، وليس أن يكون الإمام نفسه بالضرورة.

د- القيام بعقود الزّواج والسّهر على حلّ النّزاعات القائمة بين الأفراد والعمل على احترام المسجد ومتابعة النشاطات الاجتماعية. [20](ص20)

إنّ لتوظيف الأئمة شروط تختلف باختلاف رتبة الإمام [20](ص20):

إمام أستاذ : يتمّ توظيفه عن طريق مسابقة من بين المترشحين الذي يحملون شهادة ليسانس في العلوم الشرعية، كما يجب أن يكونوا حافظين للقرآن الكريم عن ظهر قلب جُلُّهُ أو ربعه على الأقل، ويمكن أيضًا توظيف الأئمة الذين لهم منزلة إمام مدرس في هذا المنصب والذين لهم أقدمية عشر سنوات ولهم كفاءات تؤهلهم لهذا المنصب.

إمام مدرّس : يمكن الترشّح لهذا المنصب لمن لديهم مستوى السنة الثالثة ثانوي أو أنّهم من خرّيجي المعاهد الإسلامية وبحوزتهم شهادة الكفاءة التّي تؤهلهم لهذا المنصب بعد التكوين المتخصّص لمدّة سنتين، بالإضافة لمن لديهم السّنة الثانية جامعي في العلوم الشرعية الإسلامية وقد حفظوا جلّ القرآن

الكريم، كما يمكن للإمام المعلم الترشّح لهذا المنصب إذا كان لديه أقدمية مدّة عشر سنوات في مرتبته.

- إمام معلّم : يشترط في المترشحين لهذا المنصب أن يكونوا من خرّيجي المعاهد الإسلامية أو مستوى السّنة الثانية ثانوي مع التكوين المتخصّص لمدّة سنتان (02) كما يمكن الترشّح لمن لهم مستوى الثالثة ثانوي في فرع العلوم الإسلامية أو غيرها وقد أتمّ حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب.

- معلم القرآن الكريم : يتقدم المترشحين المتخرجون من المعاهد الإسلامية والذين بحوزتهم شهادة تمكّنهم من مزاولة مهام إمام معلّم قراءات القرآن الكريم، ولديهم مستوى الثالثة ثانوي وقد تابعوا تكوينهم بنجاح من خلال سنتين في التكوين المتخصّص، ويوظّف في هذا المنصب من لديهم مستوى الثانية جامعي في المعاهد الإسلامية وحفظوا جلّ القرآن الكريم عن ظهر قلب ولديهم معلومات كافية حول القراءات القرآنية.

وفيما يلي جدول يبيّن المقارنة بين التكوين في المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدّينية و التكوين بالجامعات الإسلامية:

جدول رقم 02 : يظهر مقارنة بين التكوين في المعاهد الإسلامية والجامعات الإسلامية [1](ص90)

المؤسسات / نقاط الاتفاق والاختلاف	المؤسسات الجامعية الإسلامية	معاهد تكوين الإطارات الدّينية
شروط الالتحاق	- الحصول على شهادة البكالوريا	- مستوى التاسعة أساسي أو الثالثة الثانوي. - حفظ نصف القرآن الكريم أو كله
مدّة التكوين	- أربع (04) سنوات	- الأئمة المدرسين عامين (02). - الأئمة المعلمين ثلاث سنوات (03)
مستوى الأساتذة المؤطرين	- حاصلون على درجة الماجستير أو الدكتوراه	- حاملون على شهادة الليسانس
القرآن الكريم	- مطالبين بـ 16 حزب أثناء الدّراسة	- كلهم من حفظة القرآن الكريم
الثقافة الشرعية	- يتلقاها طيلة أربع سنوات مع وجود فجوة بين التخصصات في المواد الشرعية	- يتلقى المواد الشرعية جميعها بطريقة مكتظة ومكثفة.
الثروة اللغوية	- تحضر المواد اللغوية	- تحضر المواد اللغوية
الثقافة الاجتماعية	- غائبة	- تحضر مادة علم النفس بحجم ساع غير كاف.

الثقافة العصرية وفقه الواقع	- معدمة	- معدمة
الشهادة النهائية	- شهادة الليسانس	- شهادة الكفاءة المهنية
طريقة التوظيف	- يوظفون عن طريق المسابقات	- توظفهم الوزارة مباشرة بعد التخرج.

3-3-2- الدور التعليمي والتربوي لإمام المسجد

إنّ مسؤولية إمام المسجد سواء كان في المدينة أو القرية تجاه المصلين ذات جوانب عديدة، وهي بحسب دوره التعليمي والتربوي والاجتماعي، وهذه الجوانب الثلاثة مأخوذة من طبيعة رسالة المسجد الذي يستمد مكانته الربانية من كونه مضافًا إلى الله تعالى. وهو أشرف البقاع وأحبها إلى الله ففيه يذكر الله، ويسبح له، وتقام الصلاة.

ولما كان المسجد بهذه المكانة بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يستقر به المقام عندما وصل إلى حي بني عمرو بن عوف في قباء، حيث بدأ ببناء مسجد قباء، وهو أوّل مسجد بني في المدينة، وأوّل مسجد بني لعموم النّاس في هذه الملة، كما ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله. [76](ص253)

ثمّ لما واصل سيره إلى قلب المدينة المنورة - المسماة آنذاك بيثرب - كان أوّل ما قام به تخصيص أرض لبناء مسجده ثمّ الشروع في بنائه، وقد كان هذا هو الأساس الأوّل لبناء الدولة المسلمة.

إنّه مهما تحدثنا عن مكانة المسجد، ومهما أوردنا من النصوص في ذلك، فإنّ وظائف المسجد أكثر إظهارًا لمكانته في الإسلام، فعلى سماته ترتفع الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، وفيه يدعى إلى الجهاد في سبيل الله، وفيه تنظم كتائب الجهاد في سبيل الله، ومنه تنطلق جحافل الإيمان تحت راية الجهاد في سبيل الله.

وفي المسجد تتعلم الأجيال الصاعدة كيف تهدأ وتسكن، وترعى حرمة المساجد، فلا صياح ولا صخب، ولا حديث بأصوات مرتفعة، ولا بيع ولا شراء، ولا نشدان ضالة ونحو ذلك.

في المسجد تتعلم الأجيال النظام والدقة، وفي المسجد يتعلم النّاس التواضع والمساواة والعطف، والبر والالتزام بكل واجب، والطاعة والامتثال، وفي المسجد يتعلم النّاس صغارًا وكبارًا يتعلمون العلم ويتفقهون في أمور دينهم، ويعلمون من أحوال إخوانهم المسلمين في البلاد النائية ما لابد أن يعلموا عنهم حتى يمدوا لهم يد العون إن كانوا في حاجة إلى عون، والرأي والمشورة إن كانوا محتاجين إلى رأي ومشورة. [83](ص84)

وفي المسجد يحدث التعارف بين المسلمين وينمو التآلف والتواد، وفي المسجد تصقل الشخصية المسلمة ويزول عنها ما يحتمل أن يكون قد علق بها من عيوب اجتماعية كالانعزالية والتواكلية والأنانية،

حيث يهيئ المسجد لرواده مجال الانطلاق في المجتمع والتعرف على النّاس، والتآخي معهم ومناصرتهم ماداموا على الحقّ. وهذه الأمور كلّها تطرقنا إليها في وظائف المسجد.

ممّا سبق يتضح أنّ المساجد جامعة عظيمة ينطلق منها المد الإسلامي ليعم الدنيا بنوره وعدله وأنّه المحضن الأوّل لكل نهضة وإصلاح، وأنّ رسالته تعليمية وتربوية واجتماعية، وهذه الجوانب الثلاثة لا يمكن أن تقوم بدون قائم عليها، فهل المسجد المبني من الطوب أو الحجارة، والمشيد أحيانًا على أحسن بناء هو الذي يتولى مهمة التعليم والتربية وغيرها ؟

إنّنا نرى أحيانًا مساجد قد شيد بناؤها، واتسعت أروقتها، وبدت منابرها ماثلة للعيان من مسافات بعيدة، ولكننا لا نرى أي جانب من الجوانب السابقة قد حظي فيها بالعناية والاهتمام، ونرى أحيانًا مساجد بنيت بناء عاديًا ليس فيه أدنى كلفة، لكنه قد تخرج فيها رجال أفاضل، وحظيت تلك الجوانب بأهمية كبرى وعناية فائقة؛ ذلك أنّ المساجد برجالها القائمين عليها من مسؤولين وأئمة، ومن هنا فإنّ مسؤولية إمام الجامع كبيرة جدًا، وقد لا يستطيع - وهذا هو الغالب - القيام بها وحده، بل لابد له من معاونين.

إذن فمهمته تعليمية وتربوية واجتماعية، ومن الضروري أن يرسم المنهج بالتنسيق مع الجهة المسؤولة في منطقته، ويضع برنامج هذا الجامع المتعدد الجوانب، وينفذ ما يستطيع بنفسه، ثمّ يكون حلقة وصل فيما يعجز عنه بنفسه بين الجامع وأهل القدرة والمسؤولية لينفذ رسالته ويؤدي وظيفة المسجد المتكاملة.أمّا الجانب التعليمي والتربوي فنجعله في الأمور الآتية: [55](ص185)

- أوّلاً: إقامة الدروس العامة، التي من شأنها تفقيه المسلمين، وتعليمهم حقائق دينهم من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله – صلّى الله عليه وسلّم - مع العناية بسلامة العقيدة من الخرافات، وسلامة العبادة من البدع، وسلامة الأخلاق والآداب من الغلو والتفريط.

- ثانيًا: إقامة الندوات والمحاضرات لمواجهة شبهة، أو فكر منحرف، أو حلّ مشكلة اجتماعية ينتدب لها المتخصصون، أو التركيز على جوانب تتعلق بمناسبة معيّنة، أو الحديث في موضوع من شأنه تثبيت معنى الأخوة الإسلامية، ومقاومة النزعات والعصبيات العنصرية المفرقة للأمة الواحدة.

- ثالثًا: إنشاء مكتبة تضم مجموعة من الكتب المتنوعة، مع التركيز فيها على كتب السلف المعتمدة، وتحديد أوقات المطالعة فيها، وإسناد الإشراف عليها إلى شخص له خبرة بالكتب، وثقافة واسعة، وبعد نظر حتى لا تكون المكتبة وسيلة لنشر الكتاب الذي قد امتلأ بالمفاهيم المغلوطة، أو موضوعات الإثارة، أو قضايا الخلاف التي لا تفيد، ويكون الإشراف والمسؤولية على إمام المسجد.

- رابعًا: فتح حلقات تحفيظ القرآن بالتنسيق مع جماعة تحفيظ القرآن الكريم، بتكليف المعلم ويتولى الإمام، وأسرة المسجد الإشراف والمتابعة كما هو حاصل في بعض الجوامع التي وفقت بإمام نشيط، وله اهتمامات وعناية بكتاب الله - عزّ وجلّ - وبأبناء الحي أو القرية.

- خامسًا: يقوم الإمام المتخصص القادر بالتنسيق مع الجهة المعنية بفتح حلقات لتعليم الراغبين سواء كانت هذه الدروس التخصصية في فروع متعددة أو في مجال معين يحدده هو، كأن يركز على دروس العقيدة؛ لأنّ له بذلك اهتمامًا أكثر من غيره، أو على جانب الفقه أو التفسير أو الحديث أو السيرة.

وأمّا الذي لا يستطيع القيام بالدروس العامة أو التخصصية، فإنّ عليه بالتنسيق مع الجهة المسؤولة أن يرتب درسًا يكون في الأسبوع لعالم من العلماء أو في الأسبوعين، خاصة إذا لم يكن في المنطقة شيء من هذا، وهذا لا يعني تحويل جميع المساجد والجوامع إلى دروس مستمرة ومتنوعة؛ لأنّ هذا لا يتأتى، وقد يزيد على الحاجة فيمل النّاس، وإنّما نقصد اختيار مسجد من المساجد، وتركيز الدروس فيه مع التنسيق بين أئمة الجوامع، هذا في الدروس الثابتة أما عن إقامة محاضرة أو ندوة يدعى فيها العلماء؛ فإنّ المساجد كلها بحاجة إلى ذلك، وهذا ممكن وسهل جدًا؛ خاصة وأنّ الله قد ميّز كثير من بلدان المسلمين في هذا الزمن بكثرة الدعاة طلاب العلم الغيورين الذين لديهم الاستعداد للقيام بالمحاضرات والندوات والدروس في مختلف الجهات.

ولا يفوتنا هنا أن نبين دورًا آخر ليس بأقل أهمية ممّا سبق ممّا ينبغي على إمام الجامع أن يهتم به كغيره من الأدوار؛ بل هو متصل بالدور التعليمي والتربوي، وبه تتكامل الأدوار، ذلكم الدور هو الدور الاجتماعي، والدور الاجتماعي نعني به الأمور الآتية: [83](ص177)

- أوّلا : التماس الحل لمشكلة تقع بين اثنين من جماعة المسجد، والصلح بينهما، وقطع أسباب الخصومة والخلاف.

- ثانيًا : تلمس أحوال الفقراء والمساكين المحتاجين إلى دعم ومساعدة، وجمع المال الذي يعينهم على الخروج من المأزق الذي يقعون فيه.

- ثالثًا : عقد لقاءات من خلال الزيارة الشهرية - أو بحسب ما يتفقون عليه شهريًا أو أسبوعيًا أو غير ذلك المهم أن يكون هناك تواصل ومحبة - والتي يتم فيها التعارف والتآلف، وإزالة ما في النفوس أحيانًا، والدعوة إلى مناسبة تقام يجتمع فيها جماعة المسجد، واستغلال المواسم، مثل رمضان والأعياد؛ ليتم فيها الزيارة، ويحصل بها التواصل والمحبة والإخاء.

وفي كل هذه الأمور يقع جزء كبير من المسؤولية على إمام المسجد فهو القدوة والمحرك للجماعة إذا حرص على ذلك، ولا يخفى ما لهذا من الفوائد العظيمة، وهو في كل عمل يقوم به يحتاج إلى الجماعة ليعاونوه فيما يقوم به.

3-3-3- مسؤولية الإمام العالم

إنّ مسؤولية الإمامة لها قدر مشترك يلزم جميع أئمة الصلوات الذين يؤمون المسلمين في الصلوات، كما أنّ هناك مسؤولية يتحملها إمام دون إمام أي أنّها مسؤولية تلزم بعض الأئمة دون بعض، وحديثنا هنا سيكون حول القسم الأخير لا الأوّل، أي المسؤولية الأخص، وهذه المسؤولية ترتبط بذات

الشخص، ومركزه في النّاس، وبالمجتمع المحيط به الذي يحمل بعض أفراده قدرًا من العلم، والثقافة والمراكز المرموقة في المجتمع، وذاك هو الإمام العالم.

فالإمام العالم الذي يؤخذ عنه العلم والفتوى ويقصد مسجده جمع كبير من النّاس فيهم طلاب العلم والمثقفون، وذوو المكانة، وغيرهم، يتحمل من المسؤولية قدرًا أعظم ممن ليس كذلك؛ ولهذا لما قيل لعبد الملك بن مروان – رحمه الله - عجل بك الشيب قال: " وكيف لا وأنا أعرض عقلي على النّاس في كل جمعة ". ذلك لأنّه عمل عظيم المسؤولية، وأنّ دور الإمام الذي على شاكلته ليس محصورًا في إمامة النّاس في الصلاة، وإنّما هو في دور المعلم والمربي والمفتي، والمصلح والمحذر من المنكر قبل أن يقع، والداعي لإزالته إذا وقع، والعامل على حلّ المشكلات التّي تورث الخصومات، والملتمس لأحوال الفقراء والمساكين، وتوجيه النداءات لمساعدة المنكوبين والمصابين، وبإجمال يعيش آمال الأمة وآلامها، وتلك مهمة عظيمة لا يدركها إلا العظماء، من العلماء العاملين الذين هم مبعث خير، ومصابيح هداية، وأدلة طريق، فهم لإخوانهم كالشمس للدنيا، والعافية للبدن كما قال الإمام أحمد في الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى.

ومن المعلوم أنّ العلماء ورثة الأنبياء وهم دعاة إلى الله يدفعون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وعدوان الظالمين، وهم أهل الخشية من الله.

وهم أهل الشفقة والنصح لعامة المسلمين ولأئمتهم، وهم أهل التجرد من حظوظ النفس وشهواتها، تكشف حججهم الساطعة شبهات الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق؛ وتلهج ألسنتهم بالصدق عند العدوان فيضعون الأمور في مواضعها.

فإذا أنعم الله على الأمة بتولي علمائها لإمامة المساجد فتلك من نعم الله العظيمة التي تعد بإذن الله تعالى من أهم وسائل النجاة من عقوبة الله وغضبه.

وإذا كانت رسالة العالم في الأصل عظيمة فإنها تزداد حين يتولى الإمامة، وإمامته ليست قاصرة على القيام بالخطب والمواعظ، وإنّما هي تعليم في مختلف علوم الشريعة في فقه الإيمان، وفقه الأحكام، وغيرها من علوم الغاية أو الوسيلة التي يحتاجها النّاس بمختلف فئاتهم.

والإمام العالم يتولى الفتوى، ويجيب على أسئلة النّاس ويعالج مشكلاتهم بأسلوب علمي رصين ووعظي مؤثر، والعالم حين يقوم بهذا يستذكر هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان مسجده مقرًا لتعليم النّاس قولاً وعملاً، وكان أصحابه رضي الله عنهم يتحلقون حوله ليستمعوا حديثه، بل كان - عليه الصلاة والسلام - يعلم النّاس من على المنبر، ففي صحيح مسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّه قال: ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عليه فكبر وكبر النّاس وراءه وهو على المنبر ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على النّاس فقال: (يا أيها النّاس إنّي صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي). [45]

وكان صلى الله عليه وسلم يسأل أصحابه وهو يعلمهم ليشحذ أذهانهم، فيتهيئوا للإصغاء لما يقول لهم، ويضرب لهم الأمثال ليقرب لهم المعاني التي يريد أن يفهموها.

وكان الرجل يأتيه من البادية، وهو – عليه الصلاة والسلام - جالس في المسجد يعلم أصحابه فيسأله عن بعض أحكام الإسلام فيعلمه، وينصرف.

وكان صلى الله عليه وسلم يجلس لأصحابه في المسجد فيسألونه ويجيبهم، ولم يكن الأمر مقصورًا على التعليم والفتوى، ولكن كان مسجده مكانًا للصلح بين المتخاصمين، ولتطبيق حدود الله، وللفصل في القضايا، ولقضاء حوائج النّاس ومتابعة الفقراء وإطعامهم. [89]

وعندما يقوم الإمام العالم برسالته، ويؤدي دوره القيادي في المجتمع، وفق هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم نجد أثر ذلك واضحًا في النّاس، إذ المساجد جامعات عظمى يتخرج فيها العلماء العاملون، والرجال الصالحون، الذين يسيرون في النّاس سيرًا حسنًا، وينهجون نهجًا عظيمًا؛ لأنّ تعليم المساجد يختلف عن تعليم المدارس، والفرق بين تعليم المسجد وتعليم المدارس من وجوه:

- الفرق الأوّل : أنّ التعليم في المسجد يكتنفه جو عبادي، يشعر المعلم فيه والمتعلم، والسامع أنّهم في بيت من بيوت الله فيكونون أقرب إلى الإخلاص والتجرد، والنية الحسنة، لا يقصدون في الغالب من التعلم والتعليم إلا وجه الله، وأهدافهم هي التفقه في الدين، وأداء العمل على وجهه الصحيح والدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، لا يرجون من وراء ذلك مغنمًا ولا جاهًا، ولا منصبًا، ولذلك تجد غزارة العلم وحفظه، وإتقانه عند كثير من علماء المسجد في أوقات قصيرة، بخلاف طلاب المدارس فإنّهم في الغالب لا يصلون إلى مرتبة علماء المساجد في ذلك، والواقع التاريخي يشهد بذلك، فهل خرجت المدارس والمعاهد والجامعات كالأئمة والمحدثين والفقهاء والنحويين ومن شابههم ؟

- الفرق الثاني : أنّ التعليم في المساجد أشمل حيث يدخل المسجد من شاء من العلماء المؤهلين ليعلم النّاس، كما أنّه يدخله من شاء من المتعلمين أو المستمعين، فيستفيد في المسجد جمع غفير: العالم والمتعلم والمستمع على حسب ما عنده من الاستعداد والوقت، بخلاف المدارس فلا يدخلها إلاّ عدد محدود من المعلمين والمتعلمين، ولا يؤذن لمن يريد أن يفقه في الدين بالتردّد عليها.

لذلك اضطرت الدول في العصر الحديث إلى إيجاد مدارس محو الأمية، وهي شبيهة بالمدارس الأخرى، لا تفي بحاجة النّاس كالمساجد، فالمساجد جامعات شعبية صالحة للمتعلمين على جميع المستويات.

- الفرق الثالث : أنّ علماء المساجد وطلابها أقرب إلى عامة الشعوب من طلاب المدارس والجامعات، حيث تجد عامة النّاس يقبلون إلى عالم المسجد وطلابه ويستفيدون منهم، كما تجد عالم المسجد وطلابه يهتمون بعامة النّاس في التعليم والدعوة أكثر من غيرهم، ولا شك أنّ الارتباط بين طلاب العلم وجمهور الشعب له مزاياه الكثيرة في التعليم والدعوة والتوجيه.

ومن هذه الفروق نعلم مدى أهمية رسالة الإمام العالم، وعظم مسؤوليته، وحاجة النّاس إليه على مختلف فئاتهم. [83](ص102)

3-4- الخطاب المسجدي

نتناول هنا الخطاب الديني الاسلامي،كيفية بناء الخطاب والمنهجية المتبعة في ذلك وكذا خطبة الجمعة.

3-4-1- الخطاب الديني الإسلامي

الخطاب الإسلامي كما تعرفه مصادر الفكر الإسلامي هو ذلك الخطاب الذي يعبر عن الأحكام الإسلامية في صورتها التوقيفية المستمدة من الوحي أو في صورتها التوفيقية المستقرة في الفكر الإسلامي والتي حازت إجماع الأمّة ولم تعد عرضة للخلاف أو مطية للتأويل والتأويل المضاد.

فهو كلّ فكر أو فقه أو أدب أو فن أو غير ذلك بشرط أن يكون صادرًا من مشكاة الإسلام ويعبر عن صبغته التشريعية والفقهية والعقدية، ومن ثم فإنّه عملاً بمفهوم المخالفة كما يقول الأصوليون فإنّ أي خطاب لا يتحقق فيه شيء من هذه الصبغة الإسلامية لا يمثل بيقين الخطاب الإسلامي لأنّه لا يساير منهجه ولا يتفق مع طبيعته. [90](ص15)

في الخطاب الديني نتحدث عن الوعظ الديني، لأنّه نوع من الخطابة العامة، وهذا التخصيص بالحديث عن الوعظ والإرشاد لأنّه أمر مهم، ذلك أنّ الحاجة إليه ملحّة، ومصادر الأئمة التي لا تخرج عنهما حيث بقدر ما يكون اقتراب المعنى الإرشادي من الكتاب والسنة يكون نفوذه إلى القلوب وتأثيره في النفوس، وتلقي العقول له بالقبول. [67](ص36)

إذًا الخطاب الوعظي هو قسم من أقسام الخطابة، وفي الخطاب الوعظي يكون المستمع في موضع الغافل المقصر فيما يجب عليه، وهذه الغفلة اختلفت بين العصر الأوّل الذي كان فيه المسلمون منشغلون بالإسلام، وباقي العصور، ولمّا كثرت مشاكل المسلمون أخذ الخطباء والوعاظ يتصرفون في أساليب الخطاب بما يؤثّر في السّامعين خاصة في المسائل الاعتقادية والعملية والخلقية والاجتماعية.

والخطاب الوعظي ابتدأه الرّسول صلى الله عليه وسلم واستمر إلى يومنا هذا واشتهر فيه ابن نباته صاحب الديوان ثمّ الإمام الجوزي والإمام الغزالي وإضافة إلى الخطاب الوعظي في الخطاب الديني نجد الخطاب التعليمي، بحيث يكون فيه المرسل والمتلقي في حالة عطاء وتقبّل فإن تحقق ذلك كان الخطاب ابتدائيًا (منطقًا وأسلوبًا) [66](ص38) ويستثمر هذا النوع من الخطاب الديني عناصر التأكيد والأمر والنهي والعرض وغيرها من أدوات الجملة الإنشائية وقلّما يأخذ طريق السرد البارد للأحكام أي الحشو، بل يلجا الخطيب دائمًا إلى التأكيد والحث على العمل وبذلك يقترب الخطاب التعليمي من الخطاب الوعظي.

وقد ساد هذا النوع من الخطاب في بداية الإسلام وبانتشار هذا النوع من الخطاب الوعظي إحتلّ الصدارة، دون توقف الخطاب التعليمي عن أداء مهامه في المساجد نظرًا لأهميته في التعريف بالدعوة

والحث على التمسك بها والى جانب هذين النوعين من الخطاب الديني هناك المناظرات المذهبية والعلاقات بين المتناظرين غالبا ما يكون أحد الطرفين مدعّمًا باعتبارات غير علمية وأكثر ما تكون سياسية سواء كان المناظر من السلطة أو من الموالين لها [70](ص97)، غير أنّ هذا لا يلغي وجود محاورات بين العلماء، هدف كلّ منهم البحث عن الحقيقة والانتصار للمذهب الذي يتبناه العالم، دون اللجوء إلى وسائل أخرى، غير أنّ المناظرات المذهبية لم تزدهر وترتقي إلاّ في العصر العباسي الذي نضجت فيه الحركة الفكرية والمذاهب الكلامية. [70](ص98)

وحينما نتبع الخطاب الديني نجده قد تراجع في كثير من دول العالم الإسلامي، حتى صار على ما هو عليه اليوم من التأخر والانحطاط، لأنّه لما كان بيد الملوك كان همهم هو حث النّاس على الطاعة والسمع والنهوض لمحاربة الأعداء بحق أو بغير حق ولما تركوه لأئمة المساجد ساروا فيه على أهواء الملوك والحكام إلاّ البعض منهم.

وأصبحت الخطب اليوم عبارة عن كلمات تحفظ وتلقى ومعظمها يدور حول الدنيا والتزهيد فيها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعبارات خالية من المنطق، فأصبحت لا تشفي أمراض النفوس ولا تصل إلى القلوب، وبعضها خليط من الأمر والنهي.

وما يسمعه النّاس من الخطب اليوم يسمعونه غدًا، وما يلقى في هذا العام يدور في العام القادم، مع أنّ واجب الخطيب هو مراعاة مقتضى الحال، وإصلاح السّامعين على قدر ما فيهم من الإساءة والفساد، لا فرق في ذلك بين متعلم وجاهل، كبير وصغير، حاكم ومحكوم. [70](ص99)

إنّ الخطاب الديني مؤسّس على أنّ الإيمان هو اختيار واع ومعاصر ليس تراثًا نصوغ به إلزامًا فرديًا أو جماعيًا، وعليه يمكن أن يصبح إيمان المؤمن محور الخطاب الديني من دون أن يعني ذلك أن يتوقف عند حدود ضمير الفرد ومتعلقاته الخلقية والسلوكية الذاتية، فهو قادر على أن يتفتح ليتصل برؤية المؤمن للعالم وبممارسة أخلاقيات، لا يمكنها تجاهل الشأن العام، فهذا هو الإطار العام الذي يتنزل في الخطاب الديني اليوم، إطار خلقية إسلامية معاصرة بقيم جديدة ومتجدّدة تسمح بإعادة بناء الذاكرة الجمعية على وعي مغاير لا ينظر إلى المجتمع كأنّه موحّد سلفًا، وكأنّه لا توجد فيه مصالح متمايزة واختلاف في المرجعيات. [91](ص25)

3-4-2- خطبة الجمعة

فرض الله تعالى صلاة الجمعة على المسلمين ليجتمعوا ويتعارفوا، ويتآلفوا ويتعاونوا على البرّ والتقوى ويبحثوا مشاكلهم ويجدوا الحلول المناسبة لها. وصلاة الجمعة تتم بخطبتين وركعتين.

والخطبة هي طريقة للوعظ والإرشاد، وأهم وسيلة للتأثير في النفوس، وهي وظيفة الأنبياء والرّسل ومن ورثهم من العلماء.

وإنّ الله تعالى هو الذي أمر الرّسول صلى الله عليه وسلم بتبديل صلاة الظهر من يوم الجمعة بصلاة الجمعة، وجعلها ركعتين تسبقهما خطبتان، وأمر النّاس بحضورها والإنصات فيها بتدبّر وتمعّن إذ قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ". (سورة الجمعة، الآية 09) .

وقد قال ابن القيم: " خصائص الجمعة الخطبة، التي يقصد بها الثناء على الله وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية ولرسوله بالرسالة، وتذكير العباد وتحذيرهم من عذابه، ووصيّتهم بما يقرّبهم إليه وإلى جناته، ونهيهم عمّا يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها". [92](ص36)

قد ثبت ثبوتًا يفيد القطع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك الخطبة في صلاة الجمعة التي شرعها الله تعالى، وهي صلاة الركعتين مع الخطبة قبلها.

وقد أمر الله تعالى في كتابه العزيز بالسعي إلى ذكر الله تعالى، والخطبة من ذكر الله إذا لم تكن هي المرادة بالذكر، فالخطبة في الجمعة سنّة من السنّن المؤكدة، لم تترك منذ شرعت إلى موته صلى الله عليه وسلم، ولا أقيمت صلاة جمعة بغير خطبة، ولا أهملت في عصر من العصور الإسلامية.

ولقد واظب النبي صلى الله عليه وسلم على خطبة الجمعة طوال حياته منذ هجرته إلى المدينة ولم يتركها ولو مرة واحدة وهو القائل: " ولتصلّي كما رأيتموني أصلّي"[93](ص16)، وقال تعالى في كتابه الحكيم: " وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً ". (سورة الجمعة، الآية 11). وهذا ذمّ للذين يتركون الخطيب يخطب، وينشغلون بالتجارة أو غيرها، والذّم لا يكون إلاّ على ترك واجب أو سنّة مؤكدة.

لخطبة الجمعة شروط لا تصحّ بدونها: [92](ص36)

- أن تتقدم على الصلاة، وهذا هو الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه وأجمع عليه المسلمون.
- دخول الوقت، ولا يشرع الإمام في خطبة الجمعة إلاّ بعد دخول الوقت، ووقت الجمعة بعد زوال الشمس مباشرة.
- النية، لقوله صلى الله عليه وسلم : " إنّما الأعمال بالنيات ".
- حضور العدد المشروط ليوم الجمعة لسماع القدر الواجب من الخطبتين، فإن كان هناك مانع من السماع من نوم أو غفلة أو صمم أو بعد صحّت.
- القيام في الخطبتين مع القدرة، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف في خطبتي الجمعة حتى آخر حياته، وإذا قام عذر يسقط القيام كمرض ونحوه، فلا بأس من أن يجلس الخطيب في الخطبة، لأنّ القيام في الصلاة يسقط عند العذر الموجب، فكيف بالخطبة والجلوس بين الخطبتين.
- الإسماع: فلابد للإمام الذي يخطب أن يرفع صوته في خطبته، حتى يسمعها النّاس وينتفعوا بها.

- أن يكون الخطيب ممّن تجب عليه الجمعة بنفسه، كأن يكون حرًا مستوطنًا ويشترط للخطابة ما يشترط للإمامة.
- الموالاة بين الخطبتين: ولا بأس إن فرق بين الخطبتين أو جزء الخطبة الواحدة، أو بينهما أو بين الصلاة بيسر، فإن طال الفصل بطلت.
- أن تكون الخطبة باللغة العربية، فإن عجز عنها، فيكفي أن تكون الآية فيها بالعربية والصحيح أنّه إن كان يستطيع الخطبة بالعربية وجب عليه أداؤها بالعربية، فإن عجز أدّاها بلغته، إذ لا تصح بغير العربية مع القدرة. [92](ص38)

لابد من توفر أربعة أركان في كلتا الخطبتين الأولى والثانية [92](ص39):

1- حمد الله بصيغة الحمد (الحمد لله)، وكان الرّسول صلى الله عليه وسلم، لا يخطب خطبة إلاّ افتتحها بحمد الله.

2- الصلاة على النّبي صلى الله عليه وسلم.

3- الوصية بتقوى الله عزّ وجلّ، بإمتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والحث على الطاعة، والنهي عن المعصية.

4- قراءة شيء من القرآن، فمما حفظ من خطبه صلى الله عليه وسلم أنّه كان يؤثر أن يخطب بالقرآن وسورة " ق ".

ومن سنن الخطبة[93](ص18):

- أن يخطب الإمام على منبر أو نحوه.
- أن يسلم الخطيب على المأمومين إذ صعد المنبر.
- أن يجلس الخطيب قبل الخطبة على المنبر إلى فراغ الآذان.
- أن يعتمد الخطيب على قوس أو عصا، لأنّ ذلك من السنن الفعلية.
- أن يجلس بين الخطبتين جلسة خفيفة.
- أن يخطب قائمًا.
- أن يقصر الخطبة.
- أن تكون الخطبة الثانية أقصر من الأولى.
- أن يرفع صوته بالخطبة فوق القدر الواجب حسب إمكانه.
- أن يدعو للمسلمين والمسلمات ولنفسه والحاضرين.
- أن يكون في خطبته مترسلاً معربًا، مبينًا من غير عجلة لأنّ ذلك أبلغ وأحسن.
- أن يؤذن عند الخطبة إذ جلس الإمام على المنبر.
- إقامة الصلاة مباشرة بعد الفراغ من الخطبتين من غير فصل طويل.

كما أنّ هناك عناصر ينبغي أن تتوفر في خطبة الجمعة فيحسن أن يكون لخطبة الجمعة موضوع واحد واضح غير متشعب الأطراف، ولا متعدد القضايا، فإنّ الخطيب الذي يخوض في أحاديث كثيرة يشتت الأذهان وينتقل بالسامعين في فجوات نفسية وفكرية بعيدة ، ومهما كانت عباراته بليغة، ومهما كان مسترسلا فإنّه لن ينجح في تكوين صورة واضحة الملامح لتعاليم الإسلام.

- كما أنّ عناصر الخطبة يجب أن يسلّم أحدها إلى الآخر في تسلسل منطقي مقبول، كما تسلم درجة السلم إلى ما بعدها.
- فعندما ينتهي الخطيب من إلقاء كلمته، يجد السامعون قد وصلوا إلى النتيجة التّي يريد بلوغها.

كما أنّه من الأحسن أن تتضمن خطبة الجمعة أحيانًا شيئًا من أمجاد المسلمين الأولين الثقافية والسياسية، وتنويها بالحضارة التّي أقامها الإسلام في العالم.وعلى خطبة الجمعة أن تتجنب الأخذ والرد والجدال السيئ، ولكن تعرض الحقائق الايجابية في الإسلام بقوة. [94](ص263)

من عيوب الخطبة أن تكون تحرشًا شخصيًا أو تهجمًا سياسيًا، أو تعليقًا قاصرًا على الأحداث العابرة فإنّ المساجد لم تبن لهذا الشأن.

ومن عيوبها أنّ الخطيب يحاول أن يصلح الدنيا كلها بخطبة واحدة، فلا يخاطب النّاس قدر عقولهم، ولا يكلمهم على مقتضى أحوالهم، ولا يسير بهم في طريق الصلاح خطوة خطوة، بل يريد أن يبلغوا الكمال بقفزة واحدة[95](ص26) ، ومن عيوبها أنّها صارت ألفاظ تردد وتعاد، لاسيما في الخطبة الثانية، مع أنّ الخطبة الثانية لا تختلف في أصل السنّة عن الأوّلى، وما يلزمه الخطباء فيها من الصلاة الإبراهيمية والترضى عن الخلفاء والتابعين بأسمائهم لم يلتزمه أحد من السلف. [95](ص27)

ومن عيوبها كذلك التكلف في الإلقاء، وخير الإلقاء ما كان طبيعيًا لا تكلف فيه، ومن أعظم عيوب الخطبة في أيامنا، أنّ الخطيب ينسى أن يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكلم بلسان الشرع، وأنّ عليه أن يبين حكم الله فقط، لا رأيه هو وتصورات ذهنه.

ومن عيوبها أيضًا أنّ تأتي بأحكام غير محققة، ولا مسلمة عند أهل العلم، يفتي بها على المنبر، ويأمر النّاس بها وهناك من الأئمة من يأتي بالأحاديث الموضوعة أو الضعيفة أو المتروكة في خطبة الجمعة، مع أنّه لا يجوز لأحد أن يسند حديثًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتوثّق من صحته، بأن يصححه أحد المحدثين الموثوق بهم، أو يعتمد فقهاء مذهب من المذاهب الأربعة، ويتفق على الأخذ به. [20](ص28) ويا ليت خطيب كلّ مسجد يعد لخطب الشهر برنامجًا يعلقه على باب المسجد، أو يبيّن للنّاس على الأقل أنّ خطبة الجمعة القادمة موضوعها كذا ومدّتها كذلك ليكون المصلي على بيّنة من أمره، ويجعل الخطبة الثانية مطلقة يتكلم فيها عمّا يجد بعد إعلان موضوع الخطبة الأولى ويجعلها موعظة عملية.

والتطويل هو أيضًا من أهم عيوب خطبة الجمعة، فالسنّة تقصير الخطبة وتطويل الصلاة، وألا تزيد الخطبة على سورة من أوساط المفصل (أي صفحتين اثنتين فقط).

ومن عيوب خطبة الجمعة أيضًا، أنّه ليس للخطبة موضوع واحد معين، تجد الخطيب يخوض في الخطبة الواحدة في كلّ شيء، بحيث ينتقل من موضوع إلى آخر، فلا يوفى موضوعًا منها حقّه من البحث، فإذا جاء في الجمعة الثانية عاد إلى مثل، ما كان منه في الجمعة الأولى، فتكون الخطب كلّها متشابهة متماثلة، ولا يخرج السّامع له بنتيجة عملية. ولو أنّ الخطيب اقتصر على موضوع واحد، فتكلّم فيه ولم يجاوزه إلى غيره، لكان لخطبته معنى، ولأخذ السّامع منها عبرة وحصّل منها فائدة.

الآداب التّي ينبغي أن يتحلّى بها من يستمع إلى خطبة الجمعة :

إذا قدم المصلي إلى المسجد عليه بالإنصات إلى خطبة الإمام، فينبغي على المأموم ألاّ ينشغل بأي عمل عن سماع كلام الخطيب بل ينبغي له أن ينصت وينتبه ويتهيأ لسماع الخطبة.

ويكره أن يتخطّى الرقاب في المسجد كراهية شديدة[96](ص84) ، وينبغي أن يدنو من الإمام، ويتوجه إليه ويحرص على الصّف الأوّل، ولا يجوز إلقاء السلام لمن دخل والإمام يخطب، بل ينتهي إلى الصّف بسكينة ووقار ويصلي ركعتين خفيفتين، ثمّ يجلس منصتًا للخطبة، ولا يجوز له مصافحة من بجواره، أو أن يمسّ الحصا ونحوه من العبث بلحيته أو ثوبه أو غير ذلك لتنافيه مع الخشوع.

ولا ينبغي لمستمع الخطبة أنّ يلتفت يمينًا وشمالاً، وينشغل بالنظر إلى ما حوله.

والتوقف عن صلاة التطوع والتنقل بمجرّد الشروع في الخطبة وحتى تنتهي، ويستثني من ذلك من دخل المسجد، فله أن يصلّي ركعتين تحيّة المسجد.

خطبة الجمعة كسائر المواضيع الأدبية والعلمية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- المقدمة: هي مدخل الخطبة، يمهّد فيها الخطيب أفكاره، ويجذب بها انتباه السّامع، وينقله بواسطتها من الغفلة واللامبالاة إلى التقبل والتأثر، وهي ضرورية لنجاح الخطبة [11](ص47)، ولذلك يتحتّم على الأئمة الخطباء أن يولوها عناية خاصة، من حيث الوضوح والإيجاز والانسجام.

ولقد عمد الخطباء على تزيين المقدمة بهذه العبارات: الحمد لله ربّ العالمين، واشهد أنّ لا اله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمد عبده ورسوله، وتخليل هذه العبارات بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية، أو كلمات مأثورة، أو أبيات شعرية ذات صلة مباشرة بالموضوع الذي سيقوم الخطيب بعرضه. ثمّ الصلاة والسلام على النّبي وآله وصحبه في نهاية المقدمة. [11](ص48)

2- الموضوع: أهم أقسام الخطبة، وقد يعالج الخطيب القضية أو القضايا التّي يريد تبليغها للسامعين والمنهجية المتبعة فيه تختلف حسب المواضيع والأشخاص، فمن الخطباء من يحبّذ الانطلاق من الفكرة العامة والرئيسية، ثمّ يتدرج بعدها إلى الأفكار الثانوية والفرعية، حتى يستوعب الموضوع، ويبلغ الغاية المقصودة[84](ص64) ، ومنهم من يفضل تحليل الموضوع إلى أفكار جزئية، وعرضها على السامعين باستدراج حتى يكتمل الموضوع ويحقق الهدف.

فالمنهجية عامل مهم في نجاح الموضوع وبلوغ الهدف، والعامل الأهم هو الخطيب نفسه الذي يعيش الموضوع، ويعطيه من روحه ونشاطه وثقافته على كلّ حال.

3- الخـاتمة: هي آخر أقسام الخطبة، وهي الخلاصة التّي يريد الخطيب أن يوصلها للسامعين، ولعلّها آخر ما يبقى في ذهنية السّامع ووجدانه، ولذلك يستحسن أن تكون قصيرة ومليئة بالعبر والعضات، والكلمات الجامعة الهادفة، كما يستحسن أن يكون الدعاء فيها مسك الختام. [97](ص112)

3-4-3- كيفية بناء الخطاب المسجدي

لعل أهم أساس تبنى عليه منهجية الخطاب المسجدي والتي من شأنها أن تسهم في تحقيق رسالة المسجد، هو فنّ التبليغ الذي يشكل الأداة المثلى والسلاح المؤثر والأقدر على تحقيق التأثير والتغيير المنشود، إن هذا الفنّ لابد منه لمن يرشح نفسه لممارسة الخطاب المسجدي، أو لأي عمل تربوي.

التبليغ عملية فكرية لغوية تربوية يستخدمها كلّ من يمارس فعلاً تثقيفيًا أو توجيهًا دينيًا أو عملاً تربويًا، أي هو وسيلة من الوسائل المثلى التي تعتمد في عمليات البناء، الفكري والتنمية الوجدانية، والتهذيب السلوكي، وترقية الوعي وإيصال المعرفة، فالتبليغ وظيفة من وظائف العلماء، والمرشدين والإعلاميين باعتباره واجبًا دينيًا وأسلوبًا تربويًا ومطلبًا اجتماعيًا يمارسه كل من يتصدى لمهمة التعليم والتثقيف والتربية والتوجيه والإصلاح إقتداءً بالمعلم الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانت مهمته الأولى هداية النّاس وتزكية نفوسهم وتبليغهم ما أمروا به. [90](ص23)

وقد أكد ذلك الصحابة رضوان الله عليهم يوم عرفة في حجة الوداع حين سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيهم عنه فقالوا: (نشهد أنّك بلغت وأديت ونصحت فقال اللهم أشهد) [45] أي بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمّة.

وتأكيدا لهذه المعاني أوضح القرآن على لسان بعض الأنبياء أنّ وظيفتهم التبليغ والنصح فقال على لسان نوح عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ) (الآية 62 الأعراف) وقال على لسان هود عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) (الآية 68 الأعراف).

إذن تبين من هذا أنّ التبليغ وظيفة من وظائف الأنبياء، وهو أيضًا وظيفة من وظائف العلماء، والأئمة الذين أمروا أن يسيروا على هدي الأنبياء والرسل لأنّهم ورثة الأنبياء فالإمام أو العالم معلم ومرب ومرشد ومصلح ووسيلتهما في ذلك منهجية التبليغ التّي تعتمد أساسًا العلم واللغة.

وغاية التبليغ هي أن يحصل التغيير والتعلّم، وتبلغ الفكرة إلى الجمهور المستمع والمتلقي والقارئ ويتحقق التغيير المنشود والتحول المرتقب ويرتقي الوعي الفردي والجماعي.

إنّ التبليغ واجب ديني فرضه القرآن على العلماء ومن في حكمهم وتوعّد من يتقاعس منهم عن أداء هذا الواجب الديني.

وهنا نتحدث قليلاً عن حقيقة التبليغ باعتباره فنًا من فنون الخطاب القولي وأداة من أدوات التوصيل التّي لا يُستغنى عنها وأسلوبًا من أساليب التأثير وإعادة صياغة الواقع بما يتلاءم مع الحاجات المتجددة والتطلعات المشروعة فالتبليغ في أساسه من أهم وظائف العلماء والمرشدين والخطباء

والمعلمين والمحاورين لأنّه الأداة التي بها يمارسون أعمالهم التثقيفية والتربوية ويؤدون واجباتهم الدّينية التي فرضت عليهم بحكم وظيفتهم في مجال بث الوعي وتصحيح المفاهيم، وتثقيف العامة، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم. [90](ص28)

فالمهمة التّي تحملوها بإرادتهم تستوجب منهم الاضطلاع بأعباء الإصلاح والعلاج والتثقيف، والطريق إلى ذلك هو ما يقدمه الخطيب والمدرس أو الواعظ من طرح المشكلات التي يعانيها المجتمع، وتحليل الأوضاع غير الملائمة التّي تحتاج إلى إصلاح، وتطوير الواقع المتدهور الذي يعيشه النّاس ويؤثر في سلوكهم، القضاء على الأنماط السلوكية المنحرفة، وتسفيه الآراء التّي تقلل من أهمية التربية الروحية، بالتحليل الموضوعي للواقع، واستخدام الحجج المنطقية، والاستدلال العقلي، الذي يفحم أصحاب هذه الآراء.

إنّ إصلاح الأوضاع، ومعالجة الأمراض لا يتم بذكر نماذج منها ولا بالتشنيع بها، وإنّما بتحليل أسبابها، وذكر نتائجها، وخطورة انتشارها وواجبات الإنسان المسلم تجاه ذلك، وخاصة من كانوا يتحملون مسؤولية من المسؤوليات، ولا يتم العلاج كذلك بتقديم الحلول النظرية المجرّدة، لأنّ الفكرة النظرية التّي لا تستطيع أن تنزل إلى الأرض وتلامس الواقع ولا تسهم في حل المشكلات لا قيمة لها، إنّ مخاطبة العقل والوجدان والروح بالأسلوب الذي ينفذ إلى عمق الإنسان، والسعي إلى تأكيد هذا الخطاب بالمعاني القرآنية وبالسنّة النبوية هي الضمان لإحداث هزة نفسية لدى السامع تعيد له صوابه إن كان ضالاً واتزانه إن كان مضطربًا، وتهديه في حيرته إن كان حائرًا، وتزيل عنه الغشاوة إن كان لا يرى ما يجب أن يراه، فالخطاب فن من فنون القول، ووسيلة من وسائل التأثير في السّامع، والتأثير الإيجابي هو الذي يستهدفه الخطيب وإلاّ فقدت الخطبة قيمتها ومشروعيتها وكذلك الأمر بالنسبة إلى الدرس الوعظي[98](ص233). ولكن التأثير في السّامعين ليس ميسرًا للجميع حتى ولو كانوا متساوين في القدرات وفي المعلومات، لذلك يعتبر التبليغ فنًا من فنون العمل التربوي، ومهارة من مهارات حسن الخطاب، وهو سلاح كل من يمارس عملاً إرشاديًا أو تعليميًا، والتدريس هو الآخر فن من فنون تلقين المعرفة وطريقة من طرائق تحريك الوعي لدى المتلقي، لذلك يجب أن تراعى فيه قواعد التبليغ.

فالدرس الذي يقدمه الواعظ يترجم جهدًا من مجهود النشاط المسجدي وهو من ناحية أخرى فعل تربوي توجيهي هادف أساسه العلم وأداته أسلوب التبليغ الذي هو المعبر الذي ننفذ منه إلى نفسية السّامع، لنغيّر ما يجب تغييره، أو ننمي ما يجب تنميته، حتى تتحقق وظيفة الدرس التّي هي في الأساس إحداث تغيير إيجابي في شخصية السّامع بتحويله من حالة الغفلة إلى اليقظة، ومن حالة اللاوعي إلى الوعي ومن حالة الخلو من المعرفة إلى امتلاك المعرفة، وبهذا يتضح أنّ التبليغ فن من ناحية وعلم من ناحية أخرى، فن لأنّه يتطلب طريقة في الأداء تتجاوز الطريقة المتبعة في الوظيفة الإخبارية العادية إلى الوظيفة التأثيرية التّي تجعل الإنسان يستمتع بما يسمع، ويفهم ما يلقى عليه، وينتفع بما يفهم، ويغير سلوكه ومواقفه عن اقتناع، والتبليغ فن كذلك لأنّ المتكلم ينتقي الأحداث المثيرة، والموضوعات المتعلقة

باهتمامات النّاس، ويتخير الألفاظ والأساليب التّي لها وقع على نفسية السّامع، بحيث تستطيع أن تنقل المعنى نقلاً أمينًا ومؤثرًا، ويتطلب فن التبليغ من المتكلم - بالإضافة إلى ذلك - أن يجتهد في اصطناع طريقة للتبليغ متعددة المداخل، وتلائم مستويات الجمهور من جهة والبيئة التّي يعيش فيها من جهة أخرى، والموضوع المعالج من جهة ثالثة. [98](ص230)

ولكي يضمن لكلامه التأثير المطلوب يجب أن يلوّن التعبير الذي يستخدمه بالنغمة الملائمة للمعنى لأنّ التنغيم جزء من العناصر المحدّدة لمعنى الكلمة أو الجملة، فالقراءة الرتيبة لنص معين أو لبيت شعري، أو لحكمة من الحكم أو سرد قصة لها مغزى معين لا تؤثر في السّامع، ولا تؤدي ما يراد منها. [77](ص60)

ومن هنا فطريقة الأداء (رفع الصوت وخفضه وتكرار الأداء واختيار النبرة الملائمة) والإشارات المصاحبة تندرج ضمن الجوانب الفنية التي بها يكون التبليغ فنًا من فنون القول وأداة من أدوات التأثير التي يحتاج إليها كل من يمارس فعلاً تربويًا أو توجيهًا دينيًا لأنّ تحريك وعي الجماهير ليست عملية بسيطة ولا متاحة لكل أحد، ولكنها ليست مستعصية على كل أحد إلاّ على من كان جاهلاً بوظيفة اللّغة وخصائص التعبير وأساسيات التبليغ، والأمر هنا ليس عملاً بسيطًا لأنّ الخطاب في أساسه مرتبط بالمخاطبين والحالة التي يكونون عليها، والمخاطبون هنا ليسوا فئة واحدة، وليست ظروفهم واحدة كذلك، ولذا لابد من أن يراعي الخطيب أو المدرس الحالة النفسية التّي يكونون عليها كما يراعي الإطار الحضاري الذي ينطلق منه الخطاب والغاية التي يتوخاها في المدى القريب أو البعيد. وبهذا يؤدي التبليغ وظيفته ويحقق الخطاب رسالته.

والتبليغ من ناحية أخرى هو علم لأنّه يتوخى تأكيد الحقائق العلمية وتبسيطها للسامعين لتصبح في متناولهم ويعتمد قواعد الاتصال بين المتكلم والمتلقي (المرسل - المتلقي- الرسالة - الأداة التّي تنقل الرسالة). فأيّ خلل يحدث في هذه العناصر يعطل عملية الاتصال، ويضيع كثيرًا من عناصر الرسالة (موضوع التبليغ) ومراعاة هذه القواعد تتطلب عدة شروط، أشرنا إلى بعضها سابقًا. ولا بأس من إعادة ذكرها:

1- أن تكون الفكرة التّي يريد الواعظ تبليغها أو نشرها بين السّامعين واضحة، وأن يكون إيمانه بها قويًا، وشعوره نحوها صادقًا، فبقدر ما يكون شعوره صادقًا يكون تأثير الفكرة قويًا.

2- أن يراعي مستويات المستمعين سواء المستوى العلمي أو المستوى اللغوي، فالمتلقي الذي لا يستوعب الدلالة اللغوية يصعب عليه أن يدرك المعنى، ومن ثمّ فلا يحصل التواصل ولا يحقق التبليغ هدفه، وعليه ينبغي أن ينتقي العبارات اللغوية التي تتلاءم مع مختلف المستويات، وإن تطلب الأمر البحث عن الألفاظ البسيطة والأمثلة الشارحة.

3- اختيار الموضوع فالخطيب الذي يتناول موضوعات بعيدة عن اهتمامات النّاس ومجردة قد لا نجدها في حياتنا اليومية لا يستطيع أن ينفذ إلى أعماق المستمعين، ومن ثمّ فلا يؤثر كلامه فيهم، ولا يؤدي ما كان ينتظر منه.

4- طريقة الأداء هي الأخرى عنصر أساسي من عناصر التبليغ، فالذي لا يحسن الأداء ولا يتقن طريقة الوعظ، يكون كلامه ثقيلاً وباردًا وجافًا، فالطريقة الفنية تتطلب اختيار الأسلوب المثير الذي يجذب السّامع، كما يتطلب تنظيم الأفكار وإيجاد معابر بين الفكرة والأخرى، وعدم الانتقال من جزئية إلى أخرى إلاّ بعد استيفاء المعنى فطرح الإشكال يتطلب التأني في الإلقاء ومعاودة الطرح والتساؤل، ثمّ بعد ذلك أي بعد تهيئة الأذهان يتجه إلى تبسيط المعلومات وشرحها وترتيبها، وقد يفرض عليه الوضع أن يقول ويعيد القول، ويذكر العبارة ويشرحها بالعبارة المرادفة لها، أو مما يبين دلالتها.

أنّ التبليغ عملية فكرة ولغوية وتربوية في آن واحد:

فكرية : لأنّها تتجه من ذهن إلى ذهن وتسعى إلى تحريك الفكر في الاتجاه المرغوب.

لغوية: لأنّ الأساس الذي تعتمده في تبليغ الفكرة هو اللّغة وفروعها، لأنّ فهم الأحكام الشرعية وأدلتها وإدراك المعاني القرآنية متوقف على إتقان اللّغة.

تربوية: لأنّها تستهدف تربية النّاس وإحداث التغيير المنشود في تفكيرهم وفي سلوكهم وفي معلوماتهم.

هذه هي عملية التبليغ التّي هي وظيفة الخطيب والمدرس والواعظ الداعية، وكل من يمارس فعلاً تربويًا أو تثقيفيًا أو توجيهًا دينيًا، وعناصر هذه العملية هي المبلّغ والمبلّغ له والغاية المستهدفة والوسيلة المستعملة في التبليغ، فإذا كان المبلّغ هو الخطيب أو المدرس أو الداعية فإن المبلّغ له (المتلقي) عامة المسلمين الذين يأتون المساجد ويحضرون الدروس والحلقات وهم مستويات عديدة.

أمّا الغاية المستهدفة فهي كما يلي: [25](ص37)

1- تبصير النّاس بما لهم وما عليهم في حياتهم الدّينية والدنيوية تجاه أنفسهم وتجاه النّاس جميعًا.

2- تحريك الوعي لديهم بما يرفع مستواهم الفكري ويوجههم الوجهة التّي تجعلهم أعضاء نافعين في مجتمعهم، واعين بما لهم وما عليهم.

3- معالجة الهموم والإحباطات التّي تعيش معهم، وتؤثر في قدرا تهم، وفي إيمانهم وتقلل من نشاطهم.

4- تقوية الروابط الاجتماعية والتضامن والتكافل، وتنبيه المؤسسات الإعلامية والتربوية وغيرها إلى دورها في هذا المجال، لأنّ تربية النّاس وتوجيه سلوكهم ليست مهمة المسجد وحده.

5- تصحيح المفاهيم وتوضيح الحقائق الدّينية والأخلاقية التّي ينبغي أن يفهمها النّاس ويطبقوها في حياتهم حتى لا يتصوروا أنّ الدّين مجرد صلاة وصيام وتردد على المساجد في بعض المناسبات وحتى لا يتصوروا كذلك أنّ الأخلاق مجرد أقوال وصفات نقولها للنّاس ولا نعمل بها، أو لا ندرجها في حياتنا اليومية وهذا ما يسميه بن مسكويه بالفضائل المحايدة، فالفضائل عنده ليست أعداما بل هي أفعال وأعمال

نأتيها وتظهر عند مشاركة النّاس ومساكنتهم وفي المعاملات وضروب الاجتماعات ونحن إنّما نُعلم ونتعلم الفضائل الأساسية التّي نساكن بها النّاس ونخالطهم ونصبر على أذاهم لنصل منها وبها إلى سعادات أخرى. ولهذا هاجم الفضائل المحايدة التّي يدعو إليها الزهاد.

6- محاربة بعض السلوكات التّي تضر بالمجتمع وتسيء إليه مثل النزعة العرقية والتمييز العنصري والمحاباة الجهوية والظلم وأشكاله، والغش ومظاهره، والاختلاس وأنواعه، والخيانة والاستهانة بالقيم... الخ.

7- تقوية الوازع الديني والأخلاقي في نفوس الناس.

8- محاربة اليأس والكسل والارتخاء الفكري والتخاذل النفسي.

وأمّا الوسيلة: فإنّ وسيلة التبليغ هي اللّغة، فكلما كانت اللّغة واضحة ودقيقة والنبرة الصوتية ملائمة للمعنى ومؤدية للغرض المراد أدى التبليغ وظيفته وأحدث التغيير المرغوب.

إن انتقاء العبارات واختيار الألفاظ من أساسيات التبليغ، وقد تصبح العبارات اللغوية وأساليب التعبير عائقًا من عوائق التبليغ، إذا لم يراع في صياغتها ما يجعلها سلسة واضحة.

ملخص الفصل :

تمّ التعرّض في هذا الفصل إلى الفاعل الرئيسي في العمل المسجدي الذي هو إمام المسجد وخطيبه. لكن النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة تؤكّد انحسار دور المسجد وبعده عن إدارة حياة الفرد والمجتمع وتؤكّد ضعف الأئمة وجفاف لهجتهم لدرجة أنّها لا تحرك الجمهور ليتفاعل معها مع تكرار الألفاظ والأساليب والمعاني وعدم مراعاة المناسبات وأحوال المستمعين، نتج عن ذلك غياب تأثير الإمام في الحياة الاجتماعية وانحصار هيبته ومكانته في المجتمع.

الفصل 4
التربية والثقافة الدّينية

يسود في مجتمع اليوم، الزيف والخداع والرياء والتزوير، والأنانية والنزعة الذاتية، والعناد والغرور، ويكثر فيه الإدمان على مختلف أنواع المخدرات والمشروبات والرذائل الأخرى، وتطغي عليه مظاهر القتل والانتحار. أغلب الناس في هذا العالم يغطون في سبات عميق، وعلى مستوى الشعوب في غفلة وجمود، ولم ينتج عن الهيمنة والضغوط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، سوى انتشار الأمراض النفسية، والاضطرابات والقلق.

يمكن الإشارة هنا إلى عامل الثقافة والتربية باعتباره واحدًا من عشرات العوامل لهذه الاضطرابات، والتأكيد على أنّ كل هذه العوارض والرذائل حصيلة عمل الأجهزة التربوية في العالم.

لن يكون بوسع الأنظمة المادية أن تأتي بالخير والرفاه للبشرية مهما بلغت من التطور والتقدم، إلاّ إذا تحولت إلى أداة لضبط الأفراد في المسار الذي هم عليه حاليًا. قد تتحقق بعض أسباب الرفاه في ظل التطور المادي، إلاّ أنّ بقائها واستمرارها، والأهم من ذلك الاستفادة منها، لا تتحقق إلاّ في ظل القيم المعنوية.

4-1- الطفل والدّين

من الأمور المثيرة في عالم الأطفال هي عالمهم الديني والإيماني والاعتقادي. فالطفل مفطور على معرفة الله بسبب طبيعة خلقه التي تضم نفحة من روح الله، ففي داخله الكثير من الاعتقادات الدينية التي يسعى لقبولها والإقرار بها ومطابقة ذاته معها، بمجرد أدنى تذكير أو تنبيه من الوالدين والمربين، وبمجرد العثور على مصاديق لها في العالم الخارجي.

لا شك أنّ مفهوم الدين مفهوم واسع يشمل كل جوانب حياة الإنسان. لكن الطفل يقبل من الدين ما يتناسب مع رغباته، وما هو قائم على مشاهداته وتجاربه الشخصية.

وعندما يزداد نمو الطفل ونضوجه، وتكثر تبعًا لذلك معلوماته المكتسبة، تتسع دائرة ارتباطه بالدين، وتمهد أمامه الأرضية لظهور بعض الحالات عليه، والتي يمكن تسميتها بالحالات الدينية، وتبرز بعض ملامحها بين سن 7 و 9 سنوات وحتى في سنوات أقل في بعض الحالات.

4-1-1- الطفل وحاجته إلى الدّين

إنّ حاجة الطفل إلى الدين أشد بكثير من حاجته إلى الطعام، لاسيما وضعه الذي يستدعي وجود عنصر يحميه ويدفع عنه عوامل الفوضى والاضطراب. والدّين مفيد للطفل من حيث أنّه يهذب أخلاقه، وينزهه عن الخيانة والمشاكسة والتمرد، ويلجم طباعه الشرسة، ويجعله يلتزم بالسير في إطار الضوابط الشرعية.

فما أكثر الأشخاص الذين يرتكبون الجرائم. ولو كان الرادع الديني عندهم قويًا لحال دون ارتكاب مثل هذه الجرائم، فبإمكان الدّين كبح الدوافع غير المشروعة وتوفير فرص النجاح أمام الأطفال والفتيان للتحرك نحو حياة روحية أفضل.

قد يكون التعليم الديني قليل الجدوى للطفل في بداية حياته، إلاّ أنّه ضروري جدا لغده، لأنّه يطوّر أفكاره ويدفعه إلى حب النظام، ويرتقي بمنطقه، ويعينه على حل مسائله اليومية، ويزوده بالوعي اللازم في الحياة.

الأطفال بحاجة إلى الإيمان الذي تدار شؤون حياتهم في ظله، ويكون لهم الثقة الكاملة بأنفسهم ويجلب لهم السكينة النفسية والاستئناس بالتعاليم الإلهية السامية، ويوصلهم بالتالي إلى الصلاح والفلاح. فكلما كبر الطفل ازداد شعوره بهذه الحاجة، خاصة في سنوات المراهقة حيث يعيش الإنسان في أجواء من الاضطراب المتأتي من شعوره بانعدام العدالة في المجتمع. [99](ص94)

تتوفر في الطفل الأرضية الكافية لقبول الدّين، لأنّ فطرته تدعوه إلى ذلك، وهذه الفطرة تكون قوية في نفس الطفل إلى درجة يمكن القول معها أنّ الطفل لا يمتلك أي مفهوم عن الدّين سوى ما أودع في فطرته، وهو الذي يدفعه إلى الرفعة والتسامي. فالأبعاد الفطرية في نفس الطفل تسوقه نحو تلقى الأمور الحياتية وفهمها، وإلى حب الحقائق الدينية، وإلى اجتناب القبيح من الأمور والتمسك بخيرها كما ينبغي له.

نواجه من الطفل وهو في سن الرابعة تصرفات ناتجة عن حبه للاستطلاع، وميله إلى إدراك أسرار الطبيعة، والعثور على الطريق المؤدية إلى الله.

تتعمق لدى الطفل في حوالي السنة الخامسة رغبة شديدة في معرفة الله، وأغلب أسئلته تصب في السياق التالي: كيف يكون الله، وعلى أية هيئة ؟ لماذا لا نراه ؟ و... الخ.

وعندما يقارب السادسة من العمر ينصب تفكيره على اكتشاف مصادر القوة، فحينما يرى أنّ أباه يشكل مصدر قوة هائلة في البيت، يتصور أنّه لابد من وجود قوة خارقة في هذه السماء ألاّ وهي الله. إنّ الأطفال في سن 4 ، 5 ، 6 أعوام مشغوفون بقدرة الله، ومتعجبون من مخلوقاته. [99](ص92)

من حسن الحظ أنّ الأرضية مهيأة؛ عند الأطفال لتقبل التربية والتعليم الديني، يُعتقد أنّ نسبة الاستعداد للتلقي الديني عند الأطفال أكثر منها عند غيرهم، ومرد ذلك هو سلامة فطرتهم التي لم يمسها التلوث، وإمكانية الاستعداد الذهني للمواضيع الدينية والتربوية والأخلاقية عندهم أكثر مما عند غيرهم.

إنّ للدّين صبغة إلهية، وهناك قرائن كثيرة تشير إلى أنّه أمر فطري مغروس في أعماق كلّ إنسان.وأنّ رغبة الطفل في التقصي والبحث عن علل وأسرار الحوادث والظواهر تمثل وسيلة فاعلة تحفز ذهنه على التفكير وهي مؤشر على استعداده لتلقي وقبول فكرة الإله،وهذا يتيح للمربى استثمار هذه الأرضية الخصبة التي يمتاز بها قلب الطفل، ليضيئه بنور الإيمان.

وفي السنوات السبع الثانية من عمره، وخاصة في سن العاشرة يبدأ الطفل بالشعور بأنّه بحاجة إلى السعادة المطلقة، وهو طبعًا لا يعلم ما هي، ثم يسعى لنيلها وفي حالة مزيجة من التطلع والتردد. ويركن أيضًا إلى الله في سبيل استمداد العون المعنوي والدعم الديني. أن هذه الحاجة والسعي لإشباعها لها تأثير فاعل في خلق الاطمئنان والسكينة اللازمة لحياته. [99](ص95)

لدى الأطفال رغبات تحثهم على البحث والعثور على الخالق هذا، من يكون؟ وعلى أية صورة ؟ تحدوهم الرغبة في الدنو منه واكتشاف سره، وأن يأخذوا عنه معتقداتهم ومثلهم التي تخص جانبي الحقيقة والأخلاق، فهو قوة أعلى تغنيهم عن الأب والأم، فيظلون مشغولين بهذه الأفكار لمدّة طويلة من الزمن.ثم يظهر عند الأطفال في سن الثامنة شغف يدفعهم نحو التكامل النفعي والكشف عن بعض الجوانب الخفية في أبعادهم الوجودية. فيتركز سعيهم على إقامة نوع من الارتباط الوثيق والأبدي بينهم وبين الله، ويتجسد هذا السعي في أسمى صورة في سن الثانية عشرة، ويتخذ طابع الحب الجارف لله، وحتى أنّهم يظهرون في هذا السن إخلاصًا في العبادة. أمّا هدف الجهد المبذول في هذا السياق فهو اكتشاف هويتهم والتفكير في طريقة لتقليد أنفسهم، وتوفير حياة كريمة لأنفسهم.

الدين يشبع روح الطفل وفطرته السليمة. والمفاهيم الأصيلة في الدّين هي تلك التي تأنسها فطرة الطفل، فحينما يسمع بضرورة أن يكون الإنسان نزيها وأمينا يرتاح إلى مثل هذه الأمور من أعماق قلبه. وحين يقال له أنّ لهذا الكون ربًا، وهو الذي أوجد جميع هذه الكائنات، يقر بهذه الحقيقة ولا يستثقلها. [100](83)

لا يشعر الطفل بقساوة السلوك الديني، أو ثقل الفرائض الدينية، بل يشعر في أدائها بنوع من الإشباع والارتياح. فإذا صلّى يشعر وكأنّه أدى واجبًا، وإذا صام يعتقد أنّ ذلك العمل كان ضروريًا بالنسبة له، فلا يشعر بالانزعاج والنفور ممّا افترضه عليه الدّين من تعب وجوع وعطش. يرغب في سماع القصص عن الله والجنة، وفضائل الأنبياء والصالحين. ويحب أن يكلم الله، وأن يقيم معه نوعًا من العلاقة وأن يبلغ الجنة بأسرع ما يمكن ويعيش في ضلالها الورافة. وحينما تمتزج من أمثال هذه التخيلات الصبيانية في ذهنه، تترك عليه أثارًا كبيرة.

ولا يمكن وصف مشاعر البهجة والارتياح التي تغمر الطفل حين مشاهدته أحد الوالدين وهو في حالة العبادة. أي أنّ الطفل لا يلتذ بعبادته فقط، بل ويلتذ أيضًا لمشاهدة عبادة الآخرين. [100](ص84)

وتجدر الإشارة إلى أنّه يهدف إلى جانب نيل اللذة الروحية والمعنوية، تحقيق غرض آخر وهو رغبته في معرفة نتيجة عبادته في نفس الساعة. وأقل ما يمكن أن يتحقق له من نتيجة عبادته هو رضا الوالدين عنه وتشجيعهم إياه، أو الاهتمام به أكثر في مجال توفير الطعام والثياب، وبقية مستلزمات الحياة. [101](ص173)

4-1-2- بداية ظهور الشعور الدّيني عند الطفل

تتوقف نوعية المظاهر الدّينية عند الطفل وما يتصل بها على نوعية تعامل الوالدين والمربين معه. فما أكثر الأطفال الذين يقلدون المواقف والحركات الدّينية التي يؤديها والدهم، وحتى أنّهم يقفون إلى جانبهم متجهين نحو القبلة ويؤدون الصلاة، أو أنّهم يقلدون حركات والديهم في الدعاء، أو تلك التي تقترن مع الشعائر الدّينية الأخرى.

تظهر الدراسات التي أجراها علماء النفس بأنّ موضوع الحس الدّيني يظهر في الأشهر السابقة لسن الرابعة، وحتى أنّه يلاحظ عند بعض الأطفال بين سن 2 و 3 سنوات.

ثم يصبح هذا الشعور واضحًا وظاهر مع نمو الطفل وزيادة سنه، مثلما يلاحظ على الطفل في سن السادسة من مظاهر دينية ورغبة واضحة في أداء السلوك الدّيني، وفي مثل هذه السن تبرز لدى الطفل رغبة دينية عميقة، فهو يرغب مثلاً في مناجاة ربه وإقامة نوع من الاتصال معه، وهذا ما يثير غضب وقلق الوالدين غير المتدينين. ومن غير الواضح طبعًا أنّ مثل هذا الاندفاع سيبقى لديه أم لا، ولذا ينبغي الانتظار لفترة من الزمن لنرى ما تستقر عليه أحواله.

إنّ للدين معان مختلفة بالنسبة للأطفال في سنوات أعمارهم المختلفة، إلاّ أنّ دنياهم منذ سن السادسة تصبح مليئة بحب الله وتعظيمه وإجلاله وحمده والثناء عليه، والشعور بالخجل منه عند أي عصيان لأوامره، وحتى قد يبرز ذلك على مظهره، يتزايد في سن الثامنة فما فوق شعوره الديني، وتصبح رغبته أكثر عمقًا؛ وبعبارة أخرى يصبح أكثر تدينًا - فيحاول القيام بما ينال به رضا الله حسب ما يعبّر عنه الوالدان والمربون. [101](ص199) ويمكن ذكر بعض الأمور المتصلة بهذا الجانب وهي كما يلي:

- مدى فهمه لمعنى الإله : منذ السنة الرابعة تتسع رغبة الطفل في حب الاستطلاع، فيؤدي به ذلك إلى معرفة بعض حقائق هذا العالم، وهذه المعارف تفضي به تلقائيًا إلى البحث عن مبدأ الوجود والإقرار بوجود الله، وهذه المرحلة هي السن الطبيعية لمعرفة وجود الله، إذ يتكون خلالها الشعور بعدم إمكانية ظهور أي شيء من غير علة، وهذا الشعور يكون الأساس الذي تقوم عليه كل مواقفه وأحكامه.

فالطفل في سن الرابعة متصل بأبويه، فيعتبر والده كبيرًا ومهمًا، ويفهم أنّ الله مثل أبيه أيضًا ولكنه أكبر، وحتى أنّه يرى فيه عضوًا من أعضاء عائلته، والأسئلة التي يطرحها الطفل في هذه المرحلة

تعكس وتبرهن صحة هذا الادعاء، ولعله يتصور عند رؤيته لأية صورة جميلة ولكنها غامضة الأطوار وغير واضحة، أنّها الله. ويلصق بها صفة المعبود، وغالبًا ما يشعر بالإشباع والقناعة من جراء اختلاف هذا التصور.

فحتى سن السادسة يبقى مفهوم الله وصفاته غير متجذرة في ذهنه، ولكنه بعد سن السابعة يرى فيه قدرة هائلة تفوق أوصاف الوالدين، فيرغب في معرفة قوانينه وأوامره. [102](ص16)

صفات الله تبدو واضحة أمامه إلى حد ما، لكن بعض أبعاده الأخرى تبقى غامضة لديه، مثل كونه أزليًا وأبديًا. وتجب الإشارة أيضًا إلى أنّ إدراكه محصور حتى الآن في نطاق الجوانب المحسوسة لا الأمور الذهنية المجردة.

- ارتباط الطفل بالله[102](ص18) : أظهرت الدراسات بأنّ للأطفال في سن الثالثة رغبة قوية في الأدعية والأناشيد الدّينية، وينشرحون لها وخاصة إذا كانت مصحوبة بالأصوات الجماعية، ومنذ السنة السادسة من عمر الطفل تبدأ علاقته بالله تأخذ طابع الكلام والطلب ولا تفوتنا الإشارة إلى أنّ طلباته في هذه المرحلة ذات صورة مادية كالطعام، ووسائل اللعب، والثياب... الخ. فهو يتمنى على الله أن تمطر السماء اليوم لكي لا يذهب إلى المدرسة، أو أن لا تمطر لكي لا تبتل وسائل ألعابه، ويدعو ربه أحيانًا لكي يجعله ولدًا طيبًا، أو أن يحول دون أبيه كي لا يضربه، أو أن لا يفعل ما يتعارض مع إرادة الله.

وفي بعض الحالات يكون دعاؤه مضحكًا، فهو مثلاً يحب أباه كثيراً؛ لذلك يدعوا أن يموت بسرعة حتى يذهب إلى الجنة، وهذا النمط من التفكير شائع عند الأطفال في سن 5 و 6 سنوات. فيجد في مثل هذه الطلبات والأدعية والأماني وسيلة للهدوء والارتباط بالله، وكلما تقدم في السن ازدادت رغباته وأمانيه من الله.

من عجائب عالم الأطفال أدعيتهم التي تفوح بالأمل والأماني المستحيلة التحقيق، فينطلق الأطفال عادة من الآمال والمثل التي يعتقدون بها، فيتمنون على ربهم شتى الأماني، ويصرون أيضًا بشدة على ضرورة تحقيقها.

فأحد أمنياته مثلاً، أن يرى الله، ويجلس إلى جانبه، ويتكلم معه، ويصبح صديقًا له، ويطير معه في السماء...الخ. ويتمنى أيضًا أن يصير كالطير، وأن يمنحه الله جناحين ليطير بهما. ويدعوا من الله أن لا يموت أبدًا، وأن يبقى أبوه وأمه أحياء أبدًا.

إنّه يعتبر أنّه مظهرًا للعدالة، ويرى أنّ عدالة الله لا تصح إلاّ إذا حققت له أمانيه، ولهذا يصبح فعل الله في رأيه عرضة للانتقاد كأن يقول: لماذا لا يعطي الله أباه المال الكثير ؟ أو لماذا مات أبوه ؟ أو لماذا لم يقدم الله له هدية إزاء الصلاة التي أداها ؟ أو ما دام الله قادرًا على كل شيء فلماذا لا يقضي له كل حاجاته.

<u>- فهمه لموضوع الموت :</u> [102](ص21) يبنى تصوّر الطفل عن ذاته على أنّه سيبقى حيًا إلى الأبد، ومن الصعب عليه التصوّر بأنّه سيموت يومًا ما. وتجدر الإشارة إلى أنّ أفكار الطفل، ومعتقداته عن

الموت محدودة جدًا، ويصعب عليه تصوّر ما حل بالشخص الفلاني حين سماعه لخبر موته، إلاّ إذا رأى بعينه حالة موته وعملية دفنه، يتعسر على الأطفال في سن الثالثة إدراك معنى الموت، ويظل حائرًا أمام قضية دفن الميت، فينشغل فكره بها وتمر في ذهنه علامات التعجب بالعشرات.

تتضح أفكاره عن الموت في سن الخامسة، وفي مثل هذه السن تقريبًا تبرز منه مشاعر خاصة تجاه موت أبيه أو أمه، فهو عادة يتصوّر أنّ الموت أمر خاص بالكبار، وأنّ الناس يهرمون ثم يموتون، وأمّا فكرة عمومية الموت، وأنّه ربما يشمل أحيانًا حتى الأطفال والشباب فهي من دواعي الحزن والألم له.

- فهمه لموضوع الجنة والنار : [102](ص23)

ليس لدى الأطفال أي إطلاع عن ماهية الجنة، أو ماهية النار، وهو يتصوّر بناء على ما يسمع أنّ الجنة مثلاً حديقة جميلة فيها أنواع المأكولات من الحلوى والفواكه ووسائل اللعب للأطفال، ويمكنه أن يلعب ويمرح ويلهو ويقضي في المكان الفسيح المليء بالأشجار، وأن يلعب لعبة الاختباء والبحث، وحتى يمكنه أن يختفي في مكان لا يستطيعون العثور عليه!!!

وتصوّره عن جهنم لا يتجاوز كونها مشهدًا من النار، ولا يتصوّر مطلقًا بأنّه سيلقى فيها يومًا ما، بل ويتصوّر بأنّ في ميسوره أن يحيد عنها، أو يجتازها وينقذ نفسه منها، أو أنّه يتحمل حريقها بشكل أو أخر.. إلى أخر ذلك. وهو في الوقت نفسه يعيش بعض لحظات الأمل والشوق للجنة والحياة، في أجوائها البديعة، والخلاص من النار. إنّه مستعد لسماع كلام أبيه وأمه من أجل الجنة، وإذا أدرك أنّ عدم إطاعة الأم تؤدي به إلى دخول جهنم فسيحاول إطاعتها جهد الامكان. ونضيف أيضًا أنّ الخوف من جهنم يدفعه إلى الصدق في القول، واجتناب الكذب والعصيان، وفي مقابل ذلك يدفعه الطمع بالجنة إلى الصلاة والعبادات، وإلى حب الله وأبيه وأمه. وعلى المربي أن يتجنب تخويفه من النار قبل سن السابعة لأنّ ذلك يسلبه الأمن والاستقرار.

4-1-3- معنى التدين في رأي الطفل وأسئلته الدينية

يمارس الأطفال سلوكهم الدّيني انطلاقًا من سلامة فطرتهم، وإشباعًا لروح حب الاستطلاع المغروسة في نفوسهم، فيؤدون الشعائر والعبادات على خطى آبائهم وأمهاتهم فنراهم يدعون ربهم أحيانًا، ويبكون ويتضرعون أحيانًا أخرى.

لا يعني تدّين الطفل وجود انسجام وتعقل في سلوكه وتفكيره الدّيني. فلا يتخذ السلوك الدّيني عند الطفل طابعًا عقليًا إلاّ بعد سن السابعة، يصبح لديه حينذاك فهم لبعض المواضيع التي يتلقاها. أما قبل هذه السنين فلا يعدو سلوكه أن يكون مجرد، مشاعر وتظاهر بمجاراة الأبوين والآخرين. [102](ص68) يصلي الطفل برفقه والديه قبل سن السابعة، ولكن لا يستبعد أن يجري خلال الصلاة وراء القط، أو إذا لفت انتباهه شيء من الحلوى أو ما شابهه يتحرك نحوه ليأخذه، إنّه يشارك في المجالس الدّينية، ويؤدي

الطقوس والشعائر المتفاوتة عند النّاس، لكن هذا لا يمنع من تعلقه بلذات أخرى، كأن يجعل من الفروض الدّينية وسيلة للتسلية واللعب.

في حوالي السنة السابعة من عمره، يبدأ بالتذمر إذا لم يوقظوه لتناول السحور خلال شهر رمضان، أو يصر على صيام هذا الشهر ولا يصغي لنصائح وإلحاح والديه على ضرورة الإفطار، ويبدي رغبة شديدة في مواصلة الصوم حتى وقت تناول طعام الإفطار. أو إذا وقع بصره، حين الصلاة على بعض الحلويات لا يقطع الصلاة، بل يحاول الحصول عليها بعد إنهاء الصلاة. [103](ص223)

قد نستغرب وجود حالات دينية لدى الطفل، لكن هذا الكلام واقعي وصحيح. قد يكون أداء هذه الحالات قبل سن الرابعة ذا صبغة تقليدية، ولكن بعد السنة الرابعة من العمر تأخذ هذه الحالات طابع الجدية بشكل أو أخر.

فهو يتمتم حينما يكون مع الآخرين أو حتى بمفرده ببعض الكلمات التي تعلمها مع ما فيها من إبهام أو أخطاء. وفي بعض الحالات يسبغ الوضوء بهدف التهيؤ للصلاة. يقف ميمما وجهه شطر القبلة، ويصر على الوقوف وقفة صحيحة غير منحرف عن القبلة، بينما كان في سن الرابعة يقف في مقابل أمه وجهًا لوجه حينما كانت تقف للصلاة.

كلّ ما يقوم به الأطفال دون السابعة من ممارسات دينية، لا تتعدى انعكاسات عاطفية غايتها نيل رضا الوالدين، ولكنها بعد سن السابعة تأخذ وجهة عقلانية، حتى أنّه إذا ارتكب خطأ ندم عليه، أو حتى أنّه يبكي ويذرف الدموع بسبب ذلك.

إنّه وليس في سن أو ظرف يسمح لنا بالقول، بأنّه في حالة مناجاة. كل ما نستطيع قوله هو أنّ الأطفال في سن التاسعة تظهر لديهم أمثال هذه الحالات. ويشعرون بالخجل أمام الله من ذنوبهم، وإذا أدركوا أنّ عملهم كان ذنبًا يستوجب العقوبة بالنار ينتابهم القلق والخوف، ويذرفون الدموع توبة وندمًا، ولا شك أنّ توبة هؤلاء أصدق كثيرًا من توبة غيرهم. [103](ص178)

وقد يبدو من الطفل أحيانًا سلوك ديني مقلوب بسبب قلة إدراكه، وعدم معرفته بأبعاد المفاهيم الدّينية، فقد يقدم على سرقة شيء من مكان ما ويعطيه لشخص فقط لكي يستحق بذلك الجنة!! وقد يتصرف في بعض المواقف بسلوكين متناقضين، كأن يتشاجر مع أبيه وأمه ويسيء لهما بالقول، وبعد دقائق يدعو لهما من الله بالمغفرة ويتوسل إليه بأن يدخلهما الجنة.

ولا يرى الأطفال مشكلاً في الكذب بغية إنقاذ أنفسهم من عقوبة الوالدين والمعلم، ثم يتوبون من بعد ساعة وهم متأكدون أنّ غفران ذنبهم مضمون عند الله. وهذه الحالة تحصل حينما يرى نفسه غير مستحق للعقوبة، إضافة إلى تصوّره بأنّ الله واسع المغفرة.

إنّ السلوك الديني المعكوس الذي يبديه الأطفال ناتج في حقيقته عن المعلومات والتصورات الخاطئة التي يتلقونها، وكذلك عن التعليم الذي يركز على جانب واحد من موضوع ما ويهمل سائر جوانبه الأخرى. فمن الضروري أن نشرح للطفل بعض المسائل البسيطة، مع التركيز على جميع

جوانبها وأبعادها. فإذا جرى الحديث عن مساعدة الفقير يجب تفهيم الطفل هذه النقطة أيضًا وهي وجوب مساعدته من مالنا الخاص، لا من المال المأخوذ من النّاس، أو عن طريق السرقة. [102](ص76)

أسئلة الطفل الدّينية عجيبة، فإنّها تدلّ عن حبه للاستطلاع وهو يحاول فهم كل ما هو مجهول بالنسبة له، ومعرفة عالم الدّين، وعالم ما وراء الطبيعة. ففي ذهنه الكثير من الغموض والشكوك التي يسعى إلى فهمها. ولو تهيأ له المربي الجيد الواعي لأمكن التفاؤل له بمستقبل مشرق.

أسئلة الطفل كثيرة، وهي تختلف باختلاف درجة نضجه وفهمه وإدراكه، وتتناسب مع سنه. نشير فيما يلي إلى بعض من تلك الأسئلة على سبيل المثال : [101](ص14)

1- في السنوات الست الأولى : يختلف نوع الأسئلة في هذه السن، حتى عن الأسئلة التي تطرح في سن السابعة، فالطفل في سن 3 و 4 سنوات يسأل عادة عن مصدر وعلة الأشياء، فهو يسأل مثلاً: من أين جئت؟ من الذي أعد هذه الدنيا ؟ أين ذهب فلان ولماذا ؟ من الذي صنع السماء ؟ ولماذا ؟؟ هل مات أبي؟ وأين ذهب ؟...الخ وكما نلاحظ فإنّ بؤرة أسئلته تتركز على موضوع المبدأ والمعاد. فهو يرغب في معرفة مصدر ومنشأ الأمر الفلاني، وما هو مصيره ؟ وهذا هو الأمر الذي يُعتقد بوجوده بشكل فطرى متجذر في نفوس الأشخاص.

أسئلة الطفل كثيرة، وهي دليل على مدى تعطشه، وأنّ الإصغاء إليها يحتاج إلى الكثير من الصبر، يرى بعض الآباء أنّ هذه الأسئلة تأتي اعتباطا، ومن غير أساس، أو جذور. ولكن قليل من التأمل يظهر أنّها ليست كذلك فالأسئلة تدلّ عن نضج الطفل، وأنّ اهتمام الوالدين والمربين واحترامهم للطفل يؤدى إلى نضجه دينيًا.

2- بين سن 7 و 9 سنوات : اعتبارًا من السنة السابعة فما فوق، يبدأ التفكير المنطقي بالنمو لدى الطفل، ولهذا تصبح أسئلته أكثر عمقًا. فالأسئلة التي يطرحها عن الله دقيقة ولا يقنع بالإجابة الساذجة، بل يبغي الحصول على إجابات غنية ودالة، وقاطعة.

تتلخص أسئلتهم في مواضيع من قبيل: لماذا لا نرى الله ؟ كيف يوجد الله في كل مكان ؟ ما هو الله ؟ إن لم يكن الله كالسحاب، أو كنور الشمس، فكيف يمكن أن يكون ؟ إن كان الله يحبنا فلماذا يلقينا في جهنم ؟ كيف يبعث الإنسان يوم القيامة حيًا ؟ وهل نمتلك في القيامة بيتًا ؟ إن كنا لا نرى الله حاليًا، فهل بالإمكان رؤيته يوم القيامة ؟ لماذا لا يكلمنا الله ؟

أسئلة الطفل كثيرة، ولا انقطاع لها، وعلى الوالدين والمربين تقديم ما تيسر من الأجوبة المقنعة جهد الامكان. كما أنّ الأسئلة التي يطرحونها عن الموت والمعاد، والجنة والنار، يجب أن تلقى الإجابات الصادقة بعيدًا عن اللبس والغموض.

3- في سنوات الشباب : من البديهي أنّ النضوج الفكري والعقلي للشباب يصبح في وضع أفضل مما كانوا عليه في السابق. فوعيهم ورؤيتهم الكونية تكون أوسع، وعليه فلابد أن تكون أسئلتهم أيضًا أكثر عمقًا ونضجًا.

إنّ ما يستحق الذكر هنا هو أنّ أسسهم الاعتقادية السابقة لابد وأن تكون قد ترسخت في أذهانهم طوال فترة ما قبل المراهقة. إنّ الإجابات التي يقدمها الأولياء لأسئلتهم قبل سن العاشرة لها دور فاعل في تكوين هذه الأسس الاعتقادية، وهذا يعني التزام والدي الطفل بإدخاله في ما يشبه الدورة المركزة والمبسطة في أصول الاعتقادات، والنمط العملي في التدّين ويعتبر هذا جزءًا من حقوقه عليهما.

ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى ثلاث نقاط لها علاقة بمدى تدّين الأبناء في مرحلة المراهقة وهي:

- ظهور الحس الديني، والميل إلى الدّين وتعاليمه، مما يجعله ذائبا في الدّين.
- بزوغ معالم الشك لديه يعود سببها إلى تعلمه في السابق، وهو يحاول حاليًا وكنتيجة منطقية لذلك إعادة النظر فيما تعلمه ليتأكد من صحته.
- تتوارد على ذهنه الكثير من الأسئلة الناتجة في الغالب من تلك الشكوك وكإفراز طبيعي لنضوج استدلاله المنطقي، إلاّ أنّه غير مستعد - بسبب غروره وأنانيته - لطرحها في أي زمان ومكان. وهذا ما يدعوا الوالدين والمربين إلى الإجابة عن أسئلته بشكل مباشر، أو غير مباشر، ودفعه إلى إظهار ما يوجد في باطنه.

4-2- التربية والثقافة الدّينية للناشئة

4-2-1- مفهوم الثقافة الدّينية

الثقافة الدّينية هي في الحقيقة مجموعة التغييرات التي تحصل في فكر وعقيدة الشخص بهدف خلق نوع خاص من العمل والسلوك القائم على الأسس الدّينية، وبعبارة أخرى هي التغيرات والتطورات التي تحصل في فكر وعقيدة الأفراد وتتكون من خلالها الأخلاق، وتتخذ العادات والآداب والسلوك والعلاقات الفردية والاجتماعية في ظلها طابعًا شرعيًا ودينيًا، يبرز خلالها الدّين كعنصر فاعل وسائد في حياة الشخص بمختلف أبعادها وآفاقها. [104](ص212) ولأجل دراسة هذه المسألة بشكل أعمق، ينبغي لنا أوّلاً تحديد الأمور التي نرتجيها من الدّين.

لا شك إنّنا نأمل من الدّين أن يحدّد لنا نمط العلاقة التي يجب أن تقوم مع الظواهر والكائنات الأخرى المحيطة بنا. وكلما اتسعت قواعد الدّين وتعاليمه، كلما اتسعت وتعدّدت أنواع العلاقات والضوابط.

وبناءً على هذا يجب على دين كالإسلام الذي هو خاتم الأديان أن يقدم ضوابط وعلاقات متعدّدة عامة شاملة بحيث تغطي كل جوانب الحياة الإنسانية وتطبعها بطابعها. فعلى الدّين أن يخط لنا المسار الذي ينبغي التزامه في جميع أوجه الحياة، ويحدّد لنا نوع العلاقة مع الظواهر والكائنات في هذا العالم.

يتضح ممّا سبق أنّ عمل الدّين يتلخص في تحديد الأسس والقواعد التي يجب أن تسود العلاقات؛ والثقافة الدّينية هي عبارة عن العمل الهادف إلى تحكيم القوانين والتعليمات في تلك العلاقات :

- ضرورة إيجاد القوانين التي تحكم العلاقات :إنّ القوانين التي وضعها الدّين للعلاقات الإنسانية تعتبر أكثر ضرورة من أية قوانين أخرى، وذلك لأنّ الإنسان، في هذا العالم الذي غمره التطور الصناعي، لم

يبق عليه أية واجبات إزاء مجتمعه إلاّ من الوجهة الدّينية. لقد كان عالم النفس النمساوي " فرويد " يظن بأنّ المجتمع لن يحتاج إلى الدّين، وسيكون التقدم الصناعي وحده كافيًا لتسيير شؤون الإنسان. إلاّ أنّ تجاهل سماسرة الحروب العالمية لقيمة الإنسان، وأضرار الخراب والدمار والمجازر الواسعة، وأعمال القتل والنهب التي طالت النساء والرجال، والشباب والشيوخ والأطفال، والتي لم تنج منها حتى الحيوانات والمباني، دفعه إلى العدول عن رأيه وإعادة النظر في تصريحاته وأقواله.

يقول عالم النفس " أدلر " الذي يعتمد أقواله من تجاربه التي قام بها طيلة ثلاثين عامًا: إنّ جميع المصابين بالأمراض النفسية لا يتماثلون للشفاء ما لم يستعيدوا مشاعرهم الدّينية.

وعلى كل حال، فالدّين يعني طرح القوانين والأحكام والعلاقات الإنسانية، والثقافة الدّينية تعني تطبيق تلك الأحكام والقوانين في حياة النّاس.

- الغايات المرجوة من العلاقات : يمكن القول أنّ علاقات الإنسان يمكن تقسيمها إلى ثلاث شعب وهي: علاقات مع نفسه، وعلاقات مع ربه؛ وعلاقته مع العالم بمعناها الأوسع، وعلى الثقافة الدّينية أن تغطي هذه الجوانب الثلاثة بكل تفاصيلها. وهذا يعني أنّ لدينا ثلاثة أنواع من القوانين لثلاثة أشكال من العلاقات. وسنحاول في ما يلي استعراض هدف كل واحد من تلك العلاقات باختصار، مع تناول أساليب الوصول إلى تحقيقها. [104](ص204)

- الهدف من علاقته بذاته : يمكن القول بشكل عام بأنّ الهدف المنشود من العلاقة بالذات هو نوع من التجديد الهادف إلى بلوغ السعادة، وأنّ السعيد هو من يتصف بالجسم السليم، والفكر المتجدد لاكتساب الفضيلة، والروح المقتدرة الحرة.

من الواضح أنّ السعادة تكتسب وتنال ولا تأتي عفويًا وأنّ الاستعداد لها وبناء الذات لغرض الحصول عليها ضروري، إلاّ أنّ بناء الذات يحتاج بنفسه إلى مقدمة وهي معرفة الذات. ومعنى هذا أنّ الثقافة الدّينية عليها واجبان في هذا المجال، الأوّل: معرفة الذات، والثاني بناء الذات :

أ- معرفة طبيعة الناشئ :يمكن تقسيم الجوانب التي يتم من خلالها دراسة الإنسان ومعرفته إلى: الجانب الذي يهتم به علم الأحياء؛ والجانب الذي يدرسه علم النفس؛ والجانب الذي يدرسه علم الاجتماع؛ وقد طرحت الأديان والمذاهب رأيها فيه أيضًا، ولا يتناول بحثنا هنا تفريع تلك الآراء والخوض في تفاصيل كل منها، بل نعطي صورة توضيحية للخطوط العامة لهذه المواضيع.

الإنسان كائن ترابي النشأة، ويمر بمراحل عديدة، وهو ذو تركيب مزيج من المادة والروح، وله ظاهر وباطن، ظاهره من الدم واللحم وهو مكوّن من العناصر الموجودة في التراب، وباطنه النفس والعقل، ومصدرهما العالم العلوي. [103](ص189)

والجانب السلبي فيه، أنّه كائن ضعيف، وفي نفس الوقت مغرور، وهو مملوء زهوًا وإعجابًا. يحيد عن الحق والحقيقة، ولكن يطلبه من الآخرين. حريص وبخيل، يرجو من الآخرين الهبة والتكرم عليه ولا يهب أحدًا ولا يكرم آخر. جاهل للحقيقة، ظلوم جهول.. يراوح بين الحرص والبخل، فهو حريص على

جمع المال من جانب، وبخيل في توزيعه من جانب آخر.. معتد وغشوم. إذا امتلك القوة استخدمها في سبيل مصلحته الشخصية، وهو مع امتلاكه القوة ضعيف. إذا جاع صرخ، وإذا تألم بكي، بعيد المدى، وطويل الأمل لكنه في نفس الوقت متأثر بأدنى ضرر.

أمّا في الجانب الايجابي، فإنّه كائن منشد الكمال، ويتطلع إليه، وعلى الرغم من طغيان غرائزه فبإمكانه ترويضها، ورغم كونه ترابي النشأة فبإمكانه بلوغ مقام القرب من الله، خلافًا لإدّعاء " جان بول سارتر " الذي يرى أنّ قيمته لا تساوي حتى قطرات المني التي خلق منها، ولو شاء – لتمكن - بجهده وتركيز قدراته العقلية وقواه الإرادية - أن يكون في مصاف الملائكة، أو أعلى مقامًا. ومع ما يبدو من صغر حجمه، إلاّ أنّ العالم الأكبر منطو فيه، ولو أنّه تمسك بكتاب الله وأطاع ربه، لتمكّن من التصرف في الكون، وإخضاع كل ما فيه من ظواهر لإرادته، وبالرغم من جموح نفسه وطغيانها، إلاّ أنّه قادر على لجمها وإخضاعها لإرادته. يمكن للمربي سواءً تمثّل في الوالدين أو المعلم أو الإمام أو غيرهم ممارسة عملية بناء الإنسان استنادًا إلى هذه المعلومات التي يمتلكها عنه. [103](ص187)

ب - بناء الطفل : [101](ص139) يشمل بناء الإنسان ثلاثة جوانب: الجسم، والعقل والروح.

1 - تكمن أهمية بناء الجسم في كونه موضع استقرار النفس، وتجلي العقل قائم به والعناية بنموه ونضجه، والمحافظة على صحته وسلامته، ومنحه الراحة والهدوء والسكينة بالقدر اللازم، وإيجاد نوع من التناسق والانسجام بين أعضائه، وتغذيته من الطيبات، والرزق الحلال، ووقايته من عوامل الطبيعة حفاظًا على سلامته.

2 - تربية العقل؛ وتهدف إلى تهذيبه لكي يقوم بدوره في طرح الأفكار الإيجابية، وصيانته من الانصياع للخرافات، والتقاليد البالية، والإيحاءات الفاسدة، ولغرض تنمية القدرة لديه على الاستنباط والاجتهاد في الأمور، وتطوعه نحو التفكير في الحصول على المعاش، وطاعة الدّين وقانون الحياة الذي يستسيغه العقل، والتدبر في شؤونه الحالية والمستقبلية.

3 - تربية الروح؛ والغاية من ذلك إكسابها القدرة على تطويع الغرائز، وموازنة الأحاسيس والعواطف، والسعي نحو السر التكاملي لبغاء النفس، والعناية بسلامتها وتقوية دورها، والاهتمام بتحلّيها بكل ما يزينها واجتناب ما يشينها، والميل إلى الحق والدفاع عنه، والسيادة على النفس، وحفظ الشخصية، ووحدة الكيان، والقدرة على التزام السكنية في مقابل هجوم الحوادث والوقائع، والتحلي بروح التضحية والإيثار، وحب الخير، والصبر في المصائب، وصفوة القول: التحلي بالمثل الإنسانية السامية.

ويمكن القول أنّ الثقافة الدّينية بشكل عام تعني بلوغ الإنسان درجة يستطيع معها إدخال المعنى في المادة، وإعطاء الحياة طابع المفاهيم المعنوية الأصلية، وتقديم التضحيات في سبيل الحقّ.

- أهداف العلاقة بالخالق : [102](ص221) الهدف العام هو بلوغ مقام القرب من الله القادر المطلق، ونيل رضاه، وحبه حبًا ملائكيًا يزيل الحجب عن البصائر، وينير أعماق القلب والحياة. وهذا الأمر يستلزم معرفته، ثم عبادته:

أ- في مجال معرفة الله: بأن ندرك بأنّه المصدر الخالد لهذا الوجود، ولا أحد ولا مصدر منظم أمور هذا العالم سواه. لم يتخذ شريكًا حين فطر السموات والأرض وبيده ملكوت كل شيء، ولا شيء خارج عن قدرته، لا ترى في نظامه أو فعله أي ضعف أو خلل، هو العالم والغني المطلق، قدرته وحياته مطلقة، وهو أزلي وأبدى، واحدًا أحد. ليس هو إلهنا وحدنا، بل هو رب العالمين، ورب كل الظواهر والأزمنة والشعوب، هو الله الحي المريد المدرك، هو مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، كما قال الإمام علي، على علاقة بمخلوقاته، لكنها علاقة العالم بالجاهل، وعلاقة الغني بالمحتاج والمالك بالعبد، العبد الذي لا يمكنه الخروج عن رقابته ولا إخفاء أسراره من علمه.

ب- في جانب العبادة : العبادة هي أرفع الطرق لبلوغ الكمال -العبادة معناها تمهيد القلب ليكون دائم الارتباط بالله بحيث لا يصدر منه عمل أو سلوك إلاّ بعد استشارته أو معرفة أحكامه وسننه. والعبادة من الآثار العلمية للعلاقة مع الله، وهي العلاقة الموسومة بالمتاجرة معه، والخوف منه، ومحبته والإنابة إليه.

والعبادة كما توصف على حقيقتها لا تشمل اللحظات التي يقف فيها الإنسان بين يدي ربه فيحمده ويثني عليه ويعرض عليه بثه وحزنه ويتوسل إليه متضرعًا مستكينًا فحسب، بل تشمل كل لحظات الحياة بجميع آفاقها وجوانبها من سلوك وقبول وعمل وتفكير. العبادة - في الحقيقة - قبول المسؤولية الملقاة من قبل مصدر الفيض ومنبع الكمال، ونتيجتها الحصول على الأجنحة التي تعين الإنسان على التحليق، لأنّ التعلق بالقدرة الكاملة المطلقة، يخلق لدى الإنسان قدرة خلاقة.

العبادة هي تركيز الجهود لتصب في المجرى المؤدي إلى الله، واستدراك رضاه في جميع الأحوال، والخضوع لأوامره، والتوجه إليه في جميع الحركات والسكنات، والشعور باللذة ونيل الغنى الروحي في ظلها. إذن فالارتباط بالله يتطلب الإمعان به كخطوة أولى، وطاعته كخطوة ثانية، وتقواه كخطوة ثالثة، ثم العمل المتواصل بالواجبات وأداء ما عليه من المسؤوليات كخطوة رابعة، وأخيرًا: الخطوة الخامسة وهي الإحسان، أي تكون مشيئة العبد متحدة مع مشيئة ربه.

<u>- أهداف العلاقة مع الكون</u> : [102](ص19) نعني بها العلاقة مع الأشخاص الذين نعيش معهم كعلاقة الوالدين مع الأبناء، العلاقة بالمحارم، العلاقة بالزوجة ،العلاقة بالجار، العلاقة بأفراد المجتمع ، بقادة المجتمع والعلاقة مع المجتمع الإنساني ككل.

ولا شك أنّ استعمال أي نمط من أنماط القوة والضغط مرفوض في تربية وتثقيف الطفل، وحتى السلوك الديني للطفل لا يتجاوز صيغة اللعب والتسلية، ولا كلام من هذا المورد، وإنّما تتمثل مهمة المربي في برمجة الفرائض الدّينية بالشكل الذي لا يثقل كاهل الطفل، ولا يرهقه قبل الأوان.

ويفترض السعي أيضًا طوال فترة التربية في السنوات السبع الأولى من حياة الطفل إلى عرض المصاديق والمثل المفيدة للطفل تربويًا، وأن يكون نمط التربية بشكل لا تستدعي الضرورة إصلاحه وإعادة النظر فيه، لأنّ الكثير من الانحرافات الدّينية للأشخاص منبثقة عن هذا الخلل.

يصل الوله بالدّين إلى ذروته في العاشرة لدى الفتيات، وفي سن الثانية عشر عند الفتيان، وفي هذه السنوات فقط يمكن الحديث عن موضوع الإيمان بالدّين، إذ يتنامى الحس الديني خلال هذه السنوات شيئًا فشيئًا حتى يبلغ أوجه عند مرحلة البلوغ. [105](ص25)

وقبل الحديث عن أغراض ومحتويات وفنون وأساليب الثقافة الدّينية للأطفال تقتضي الضرورة أوّلاً الإشارة إلى ثلاثة مبادئ، مهمة تستوجب الاهتمام بالثقافة الدّينية وهي كما يلي:

1- مبدأ الوعي والمعرفة : لا ندعي بأنّ الطفل قادر على إدراك جميع المسائل المتعلقة بالدّين أو أنّه يدرك ما نقول. إلاّ أنّ هناك نقطة ينبغي أخذها بالحسبان، ألا وهي وجوب ضخ المعلومات إليه بما يتناسب مع قدرته على الاستيعاب والفهم، وألا نتهاون في أمره على أساس كونه صغير السن ومازال أمامه متسع كبير من الوقت ليصبح متدينًا.

2- مبدأ المشاعر والأحاسيس : ينبغي أن يتعرف الطفل بشكل أو آخر على النشاطات الاجتماعية، وما يجري خلالها من أعمال وشعائر، فيشارك في المراسيم، والأدعية الجماعية، والأناشيد، والعبادات الجماعية مثل صلاة الجمعة والجماعة، ليرى بالتدرج، الدموع والآهات، والانفعالات والأفراح، مما يؤدي إلى إثارة عواطفه ومشاعره الدّينية، وكذلك لا يخلو ذكر القصص الدّينية من الفائدة ضمن هذا السياق.

3- السلوك العملي : للسلوك والعمل سواء عند المربي أم عند الطفل دور لا يمكن تجاهله، وذلك لشدة تأثيره وتفوقه على تأثير المنطق والقول. فالقلوب تنجذب إلى الحقيقة بواسطة العمل، وبه تبرز وتتميز العادات الدّينية، وتتبلور في الفرد رغبته في الطاعة والعبادة وهذا هو النمط الذي كان يقتفيه الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم حيث كان يقول لأصحابه " اعملوا كما تروني أعمل ".

هنالك الكثير من القواعد المستخدمة في تثقيف الأطفال دينيًا، ويمكن تطبيق كل واحد منها على نحو ما؛ نشير إليه فيما يلي: [105](ص37)

1- قاعدة الحنان: إنّ السلوكية الفضة في تربية الأطفال مرفوضة من الوجهة الإسلامية. إلاّ أنّ هنالك موارد خاصة واستثنائية سنشير إليها لاحقًا تتيح لنا معاملتهم بأسلوب آخر. على المربين أن يمتدحوا أي عمل ديني جيد يصدر عنه، فهذا من دواعي مواصلة السلوك الايجابي لديه. والطفل ممكن إرضاؤه بسهولة، فبعض التعابير المستخدمة في وصف ديننا تشير إلى أنّه ليس سوى الحب والمحبة. فلا يجب الإصرار على جلبه إلى الطريق بالانفعال والغضب والقسوة، لأنّه لا يفي بالغرض المطلوب بتاتًا.

2- الاستفادة من اللذائذ: جعل الطفل يحمل ذكريات طيبة عن الدّين، فإن كنا نحن صيامًا فلا نهمل أمره. وممّا يؤسف له أنّ بعض الآباء والأمهات يرغمون الطفل على الجوع حين يصومون ولا يأبهون لطعامه، أو أنّهم لا يهتمون لترتيب أمر طعامه بالشكل المطلوب، وهذا ما يخلف في نفسه أثارًا

سيئة عن الصوم، وعن شهر رمضان. وعلى كل حال يجب التصرف بالشكل الذي لا يجعله يشعر وكأنّ الدّين يثير في نفسه الحزن والأسى، ويبعث فيه الكراهية والنفور.

3- الحث والتشجيع : قد يبادر الطفل في بعض المواقف إلى أداء ركعتين من صلاة غير منتظمة في أحد أركان الدار، ثمّ يأتي قائلاً – ولعله من باب الرياء، أو لغرض لفت الأنظار – بأنّني قد صليت!! فلا ينبغي في مثل هذه الحالة التزام موقف اللامبالاة، بل يجب تشجيعه، ولكن ليس بالشكل الذي يستثير فيه خصلة الرياء ويعمقها في نفسه، بل امتداح عمله حتى يتجذر حب مثل هذا العمل في أعماقه.

لا شك أنّ التشجيع لا يفترض فيه أن يتجاوز الحد المتعارف، بحيث يتصور أنّه ذو فضل. ولكن في نفس الوقت يجب أن يؤخذ قلب الطفل بنظر الاعتبار. فالأب والأم يمثلان كل دنياه، وآماله متعلقة بهما، وثناؤهما عليه يملأ قلبه بالسعادة والانشراح.

4- اللجوء إلى أساليب العقوبة : لا يجب إنكار ضرورة جلب الطفل إلى الطريق في الحالات التي يحاول فيها تجاوز حدوده، ويصر على تجاهل الأمر والنهي، ولكن من الأفضل أن يتم إرشاده أوّلاً باللين والعطف، فإنّ بدت وكأنّها لا تجدي نفعًا، يجب عندها اللجوء إلى القوة.

من الأفضل أن يكون البناء التربوي للطفل بالشكل الذي يجعله - وحتى سن العاشرة - يتحرك ذاتيًا في شؤونه الدّينية من غير حاجة لأمر ونهي؛ كأن يؤدي الصلاة طوعًا وإن كانت الصلاة في مثل هذه السن غير واجبة على الفتيان. وإن بدر منه أي تقصير، يمكن معاقبته من بعد إبداء الإرشاد والموعظة. إنّ ممارسة الضغوط على الطفل قبل سن الثامنة قد تؤدي إلى امتعاضه من الدّين وإيذاء نفسه، بل وقد ينتهي به في بعض الأحوال إلى نتائج عكسية، ولا إشكال في استخدام أساليب الضغط من بعد هذا العمر، ولكن بشكل مدروس، وفي الظرف المناسب. [106](ص218)

وأخيرًا بما أنّنا نتحدث عن حسن أو سوء أخلاق الطفل وسلوكه الديني، فلا شك أنّ الواجب والتكليف يوجب بذل قصارى الجهد في هذا السبيل. فعلى المربي إتباع جميع الأساليب المتاحة لصيانة الطفل وتوديعه دينيًا. وتنمية بذرة الفطرة فيه. ويستمر هذا التكليف حتى سن 21 عامًا، وإذا لم يُفلح في تحقيق النتائج المتوخاة فلا بأس.

إنّ التثقيف الديني بهذا المفهوم ضرورة للإنسان من الوجهة الفردية، والاجتماعية، والسياسية، والمعنوية، والتربوية، وتتمثل ضروراته في الجانب الفردي في تنامي ونضوج البدن، وفي تربية الفكر والشخصية، وتعريف الإنسان بواجباته الشخصية، وخلق الثقة بالنفس، ومعرفة الذات، والعثور على فلسفة صحيحة للحياة من أجل اقتفاء الطريق الأفضل للسعادة في الحياة...الخ.

أمّا في الجانب الاجتماعي، فتتجسد ضرورة الثقافة الدّينية في إعداد الفرد وجعله عنصرًا مفيدًا لمجتمعه وللمجتمع الإنساني عمومًا، متحليًا بالخصال الحميدة وحب الخير للآخرين، وقادرًا على هضم الظروف الاجتماعية ومعرفة ملابساتها بروح التفاهم والشعور بآلام الآخرين.

وفي الجانب الاقتصادي يمكن تلخيص ضرورة الثقافة الدّينية في كلمة المنتج بمعناها الشامل، أي أن يكون للشخص القدرة على توفير الحاجات الاقتصادية، وأن يكون كفوءًا في عمله، ومتناسبا مع نوعية العمل الذي يؤديه.

وتتضح ضرورة الثقافة الدّينية في الوجهة السياسية من خلال إيجاد الإنسان العارف بالشؤون السياسية المعاصرة، وطبيعة الأنظمة السياسية، وأن يتبع الفكر السياسي الصحيح، وأن تتركز مساعيه على بث وتقوية الروح الديمقراطية الصحيحة، ويدرك سبل تكوين العلاقة مع الحكومة، ولديه معرفة بواجبات الحاكم وحدود عمله، والأساليب الصحيحة في إجراء القوانين سواء كان ذلك على مستوى القيادة أم على مستوى القاعدة.

أمّا ضرورة الجانب الثقافي فهي من أجل أن يكون التراث الثقافي في حالة تطوّر واتساع دائم ومتواصل، ولغرض أن يكون لدى الإنسان القدرة على استثمار مختلف أبعادها وفوائدها في شؤون حياته المختلفة. [106](ص220)

وأخيرًا فالثقافة الدّينية ضرورية في الجانب المعنوي الذي تتحقق في ظله علاقة الإنسان بخالقه، وبالظواهر المادية، وظواهر ما وراء المادة وفقًا لقوانين محددة وواضحة، يجتاز الإنسان في ظلها بحر الحياة المتلاطم إلى شاطئ الأمان.

أمّا عن مراحل الثقافة الدّينية فلا شك أن كل مرحلة من مراحل الحياة تستوجب وضعًا خاصًا بها فالبرنامج الذي يطبق على طفل في الثالثة من العمر يختلف كليًا عن البرنامج الذي يطبق على الأطفال في سن العاشرة أو الرابعة عشرة.صحيح أنّ الثقافة الدّينية تبدأ منذ اليوم الأوّل للولادة، إلاّ أنّ فترة ما قبل الولادة تجري خلالها أيضًا بعض أنواع الرقابة والتحفظ، ويعتبر هذا أيضًا جزءًا من الثقافة الدّينية التي تبدأ في حقيقة الأمر من اختيار الزوجة، وما تفكر به الأم أثناء فترة الحمل، وإلى غير ذلك من أنواع الطعام وطبيعة الحياة والأحداث التي تتعرض لها.

ويبقى الوالدان مسؤولين عن أبنائهم بشكل مباشر منذ الولادة حتى السنة الحادية والعشرين. ويعد أدنى تقصير في أداء هذه المسؤولية بحق الأبناء ذنبًا كبيرًا عند الله وتقصيرًا لا يغتفر أمام المجتمع والدّين. ويمكن تقسيم 21 سنة إلى ثلاث مراحل تبلغ مدّة كل واحدة منها 7 سنوات، وهذه بدورها قابلة للتقسيم إلى فترات أقصر. [107](ص69)

<u>السنوات السبع الأوّلى</u>: وهي مرحلة التكوين. وتبدأ الثقافة الدّينية فيها منذ اليوم الأوّل للولادة بإجراء المراسيم الدّينية، كالأذان والإقامة في أذنيه، ومن ثم غسله وختانه، وحلاقة رأسه والتصدق بوزن شعره ذهبًا أو فضة كما عند البعض وتسميته باسم حسن وتقديم عقيقة عنه، يجري كل هذا في الأيام الأولى للولادة أمّا المراحل اللاحقة فتجري خلالها تكاليف ورسوم أخرى تتناسب مع سنه.

ففي سن الثالثة تعليم الطفل قول (لا إله إلاّ الله) وفي الثالثة والنصف قول الشهادة برسالة النّبي صلى الله عليه وسلم (أنّ محمّد رسول الله)، .ويمرن بين الرابعة والخامسة على الصلوات وفي سن

الخامسة يتعلم اليمين والسيار، وفي السادسة يتعلم اتجاه القبلة، والسجود والركوع، وفي سن السابعة يتعلم الصلاة والنهوض لتناول السحور.

ويجب الانتباه إلى أنّ السنوات الأربع الأولى من حياة الطفل مهمة جدًا في صياغة شخصيته.

السنوات السبع الثانية : وهي المرحلة التي يجب أن يكون فيها سلوك الطفل وتصرفاته تحت الرقابة المتواصلة والمدروسة للوالدين والمربين. وتقسم على أقل احتمال إلى فترتين؛ أولاهما من سن 8 – 10 أعوام، والثانية من 11 – 14 عامًا. وفي هذه المرحلة يجب إعداد برنامج جديد من الواجبات يتناسب وسن الطفل، مثل غسل الكفين، وتعليمه الوضوء حتى نهاية السنة التاسعة من عمره، وفى السنة العاشرة يجب إجباره على أداء الصلاة.

يبدأ الإيمان الحقيقي عند الطفل في سن 12 عامًا، وفي هذه الفترة يمكن إلى حد ما تعليمه المفاهيم الأصلية للدّين ولا تفوتنا الإشارة إلى وجوب نقل كل الأسس الأخلاقية والتربوية إلى الأطفال خلال هذه الفترة بمفهوم آداب المعاشرة والعادات. والسنن وتحل في نهاية هذه المرحلة، مرحلة المراهقة التي يصبح فيها للطفل شخصية متعقلة بفضل التجارب التي اكتسبها في المجالات المختلفة ويصبح له رأيه الشخصي في الأمور التي تواجهه.

السنوات السبع الثالثة : وهي دورة الممارسة والتطبيق العملي لمعلوماته. ويجب أن يبقى الشخص تحت إشراف المربي فيها، وتقسم بدورها إلى ثلاث مراحل وهي: نهاية مرحلة المراهقة، ومرحلة البلوغ، ومرحلة الشباب، إنّ الظروف التي يمر بها الإنسان توجب تركيز جل اهتمام الوالدين على مرحلة البلوغ، لأنّها فترة نضوج المشاعر وفيها يحدث ما يشبه الولادة من جديد.

يعيش الأشخاص في هذه الفترة حالة من الحيرة في معتقداتهم، وهم بحاجة إلى إعادة النظر فيها، ويشعرون بالقلق حيال فكرة الجنة والنار، لا يعلمون ما سيحصل بعد الموت، وإلى أين ينتهي مصيرهم؟ وهم أحوج ما يكونون إلى التوجيه في هذه الفترة، وعلى المربين الآخذ بأيديهم وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم.

يبلغ الإيمان ذروته في سن 16 عامًا وإذا ما صادف الشخص خلالها نماذج أو قدوات مزيفة فسيتعرّض اعتقاده الديني لبعض المخاطر حتمًا.

تنتهي مرحلة البلوغ في ما يقارب سن الثامنة عشر عامًا ويتبلور لديه خلالها شيء من الاستقلال التقريبـي، ويتطور استدلاله المنطقي، وهذا مما يسهل عملية تثقيفه وتربيته.

4-2-2- ضرورة التربية والثقافة الدّينية للناشئة

تربية وتثقيف الناشئ أمر ضروري وواجب مؤكد، وهذه الضرورة يمكن النظر إليها من زاويتين، أحداهما فردية، والأخرى اجتماعية. فأمّا من الوجهة الفردية يمكن القول، أنّ الدّين هو أساس وجوهر جميع جوانب الحياة الفردية وآفاقها، وهو السبب المباشر في تقدم الشخص أو انحطاطه. فما

أكثر الأشخاص الذين انحطوا دينيًا وعقائديًا بسبب إهمال أولياء الأمور، بينما يغدو الكثير منهم في المستقبل القريب أشخاصًا نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم.

تعتبر الثقافة الدّينية بمثابة صمام الأمان للأخلاق، والإطار الذي يضبط مسار الحياة الفردية والاجتماعية ويوجهها نحو النضوج المعنوي، والأهداف الكريمة. إذ بميسور الدّين أن يقوي الوازع الأخلاقي عند الطفل، ويمهد الأرضية لتوسيع دائرة معلوماته، وفي ظله يقضي على الشك، ويصل الإنسان من خلاله إلى مراحل متقدمة من النضوج، لا يتيسر له في ظل الاستدلال العقلي. [102](ص114)

فلو أنّ الثقافة الدّينية شيدت على أساس فكري صحيح، لكانت عاملاً مساعدًا في الازدهار والتقدم، وسببًا لإنقاذ الفرد من السقوط، وحافزًا مشجعًا له على تحمل المشاق، ودافعًا لتهذيب سلوكه تدريجيًا من الرذائل. و لتزيل ما علق بشخصيته من الشوائب ولاسيما الاضطرابات والهواجس التي عرضت له أيام المراهقة والشباب، فيتحقق له بالنتيجة الاستقرار النفسي المطلوب.

وأمّا من الوجهة الاجتماعية: فالدّين عامل أنس وألفة، يأمر الناس بالتعاطف والتواد والتراحم وتمتين العلاقات، ويحدّد للأفراد منذ البداية ضوابط وقيود تجعلهم ينظرون إلى الآخرين بعين العاطفة الإنسانية.

يمثل الدّين عامل سيطرة على الفرد بكبح جماح عدوانه عن المجتمع، ويكف أذاه عن الآخرين. ولكي يكون الناس في مأمن من يده ولسانه، وأن لا يغيب الله عن ذهنه في حالة الكراهية والمحبة.

فإنّ كنا نعتقد بأنّ الدّين قد وضع التعاليم والأحكام الخاصة بالعائلة، والاقتصاد والسياسة، والتربية والتعليم وآداب الحياة، وهو الذي يسطر منهج الحياة على المستوى المحلي والعالمي؛ نعلم حينها بأنّ الثقافة الدّينية للناشئة تحظى بأهمية بالغة، وإذا علم الأبوان بمدى الأضرار والخسائر والانكسارات التي سيلحقها أبناؤهم بأفراد المجتمع؛ لشعروا بالخجل من أنفسهم ومن المجتمع إزاء كل هذا الإهمال وعدم المبالاة بمصير أبنائهم، ولبذلوا جهودهم من أجل أن يتحلى أبناؤهم بطابع الدّين وروحه.[76](ص255)

4-2-3 – مبادئ وأساليب التربية الدّينية

الأسلوب : هو عبارة عن الطريقة العلمية المتبعة لبلوغ هدف أو هو مجموعة النشاطات التي تيسر لنا بلوغ ما نصبو إليه. وتعتبر الأساليب عادة طريقًا ميسرًا لبلوغ الهدف.

والناس يأتون إلى هذه الدنيا وأذهانهم صفحة بيضاء خالية من أية معلومات، وهذا ما يستدعي القيام بملء ذهن الطفل عن طريق العين والأذن والعقل، وعلى هذا يجب مراعاة الترتيب في أسلوب الثقافة الدّينية، كما يلي: [39](ص23)

1- أسلوب تقديم القدوة: تأخذ العين دورها في هذا الأسلوب فتحيط بالأمور، ويأتي دور الأذن في المرحلة الثانية. فقد جاء في الروايات أنّ مسألة تعلم الوضوء أوّل ما طرحت، عندما قام جبرائيل بإسباغ

الوضوء عمليًا أمام النبي صلى الله عليه وسلم وشاهدها النبي صلى الله عليه وسلم بعينه وتعلمها وعمل بها. وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « صلوا كما رأيتموني أصلي ». فتقديم القدوة يعين على غرس المفاهيم الدّينية في ذهن الطفل بكل يسر وسهولة، ودفعهم إلى العمل بها لاسيما وإن التقليد قوي جدًا عند الأطفال.

المسألة الهامة في هذا المجال هي أن تكون القدوة مثالاً كاملاً في الأخلاق والسلوك الذي يقر الدّين صحته. وإن أدنى خطأ، أو إهمال يؤدي إلى انعكاسات تربوية وخيمة.

والجانب الايجابي الآخر في القضية هو أنّ تقليد الطفل لا يصدر عن وعي دائمًا، بل يكون مصدره اللاشعور أحيانًا. ولهذا يجب عند طرح القدوة، أو الأسوة مراعاة الدقة الكاملة، وخاصة في أمور كالصلاة، وتعلم المفاهيم الدّينية والتزام العدالة، وتشخيص الحقّ، والدفاع عنه، وحب الخير، والإحسان وتقديم الإعانات السخية للمعوزين، وممارسة السلوكات الاجتماعية الإسلامية.

2- أسلوب التعليم : ركز هذا الأسلوب على حاسة السمع، ويتم فيه نقل المواضيع المراد إيصالها إلى الطفل، بشكل مباشر. وهذا الأسلوب يكمل في الحقيقة، الأسلوب السابق الذكر، حتى أنّه يعد للأطفال الأكبر سنًا مقدمة للتربية، أي أنّ الأمر يستلزم أوّلاً تعلم بعض الأمور عن طريق العين والأذن، ثم العمل بها، وتطبيقها.

أمّا الغاية المرجوة من هذا الأسلوب فهي إصلاح السلوك عن طريق النصح والتذكير، أي أنّ يقوم المربي بتقويم وإصلاح أي تصرف خاطئ قد يصدر من الفرد.

3- أسلوب التلقين والإيحاء : ويمكن من خلال هذا الأسلوب إيجاد صلة بين الفرد وربه ودينه. إذ من المتيسر إيجاد حالة من الخوف، عند الطفل أو إحياء الأمل في نفسه من خلال استعراض آيات الله، ولطفه، كرمه، ونعمه، وحسابه.

يمكن بهذا الطريق شحن قلبه بمفهوم حب الله، وتوعيته على معنى حب الله، وعدم حبه بأداء كل فعل يرتضيه الله واجتناب كل ما يثير سخطه.

وتتضمن هذه الطريقة أيضًا امتداح عمل الشخص بشكل مباشر، أو غير مباشر وإيجاد نوع من الصلة بينه وبين الدين وذلك من أجل إحياء الشوق لارتباط بالله بقلبه، وليشعر من وراء ذلك باللذة والسعادة.

4- طريقة سرد القصص : وهي وسيلة جيدة لإثارة مكامن تفكيره، واستخلاص الدروس والعبر، وتنبيهه إلى إمكانية الهداية من بعد الضلال، وخلق مشاعر لديه لكي يتحسس الأمور بشكل أوضح، ودفعه إلى التفكير بشأن العالم الداخلي والخارجي، ونشأة وتهذيب ذلك التفكير. ويمكن كذلك تعليمه مبادئ الدين وأحكامه بشكل غير مباشر عن طريق سرد القصص والحكايات، لأجل أن تصبح تلك القيم هي السائدة في حياته.

وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب أيضًا في تربية النّاس، فقص علينا في هذا السياق قصة إتباع النبي موسى عليه السلام للرجل الصالح للدلالة على الصبر والتواضع، وقصة أصحاب الكهف للإشارة إلى إيمان أولئك الفتية وقلوبهم الحية (كما ورد في الآتين 13 و 13 من سورة الكهف)، ووردت فيها إشارة أيضًا إلى جزاء الكافرين والظالمين، وإثابة المحسنين (كما ورد في الآية 87 من نفس السورة) وقصة قارون الذي ظلم وذاق في نهاية المطاف وبال سوء عمله، (الآية 18 من سورة القصص)، وأتى القرآن الكريم أيضًا على ذكر قصة يوسف عليه السلام لتجسيد مفهوم الطهارة والعفة (كما يستفاد من سورة يوسف). وورد فيه أيضًا ذكر قصة أصحاب الأخدود الذين كانوا يشاهدون بأعينهم ما جرى من العذاب على أولئك النفر من المؤمنين (وهو ما أشارت إليه الآية الرابعة من سورة البروج)، وقصة قوم لوط، وآدم وحواء، وقصة مريم وطهارتها، وغيرها من القصص الأخرى التي وصفها القرآن الكريم.

أمّا الجوانب التي تستلزم الاهتمام بأسلوب السرد القصصي في الثقافة الدّينية فهي:

1- أن تركز القصة على الصفات الحميدة والنقاط البارزة.

2 - أن تكون متناسبة مع سن الأشخاص الذين يتعظون بها. فالقصص التي تحكي للأطفال في سن الثالثة يجب أن لا تتجاوز نمط تناول الطعام، والذهاب إلى حفلات الضيافة، وارتداء الثياب، والحديث عن الأشياء المحيطة بالطفل، وأسماء الأشياء التي يقع عليها بصره.

3- أن تكون القصة مناسبة للمقام ووفقًا لما تقتضيه الضرورة.

4- أن لا تتضمن القصة عن نتائج قيمة يشار إليها بشكل مركز.

5- أن لا تتضمن القصة معايب تربوية قد تؤدي إلى إحداث تأثيرات سلبية في نفس الشخص.

وفي هذا النمط التربوي يكون الدور الأساسي للشخص ذاته في شؤون حياته وبناء نفسه، ويأتي دور المربي - بما في ذلك المعلم والوالدين - في المرحلة الثانية. ويمكن استعمال الأساليب التالية في هذا الصدد:

1- السير في النفس والأفاق : كمشاهدة الآيات الإلهية والمعجزات الربانية التي هي مظاهر قدرة الله، والتمعن فيها يحدث في نفس الإنسان انعطافًا يقوده إلى معرفة مدى عظمة ربه. إنّ إجالة النظر في الطبيعة أشد تأثيرًا في النفس من الاستدلال العقلي؛ ويمكن معرفة الله عن طريق المحسوسات أكثر من أي طريق آخر وهنالك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو الناس للسير في الأرض والتفكير في الأفاق وفي خلق السماوات والأرض.

فإحدى الآيات الشريفة مثلاً تقول: " فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ " (النحل: الآية 36) و"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ " (فصلت: الآية 53). " أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ " وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ "(الغاشية: الآية 17 – 18)

أمّا النتائج المحققة من هذا السير فهي الإدراك والشهود والعرفان وبالنتيجة. إدراك حقائق الأمور.

2- التفكير والتدبر : لقد اعتبر الحكماء الإنسان حيوانًا مفكرًا، والتفكير هو نوع من الكلام والاستدلال الصامت. ومن العناصر الأصلية للتفكير هي الغاية المنشودة، والسبيل الأقوم لبلوغها، والتدقيق في الانتباه إلى العلاقات القائمة بين الظواهر، وابتكار واكتشاف طرق الحل المناسبة.

ومما يسهل عملية التفكير هو المعلومات المكتسبة والمنبهات الحسية والنظرة النقدية للأشياء، والمثالية الفكرية والآمال السامية، بالإضافة إلى توفر الظروف الثقافية الملائمة.

ومما يحول بين الإنسان والتفكير هو الخوف، والاضطراب، والإكراه، وثقل المسؤولية. ويجب حث المربي على التفكير خلال أداء واجبه التربوي، والتأمل فيما إذا كان الموقف أو التصرف الفلاني الذي صدر عن الشخص الفلاني صحيحًا أم لا.

ومن الايجابيات الأخرى المتاحة في هذا المجال هي عدم تقيد التفكير بزمان ومكان معينين، إذ بإمكانه الانطلاق في متسع فسيح زمانيًا ومكانيًا. ويؤكد القرآن في منطقه التربوي على الدعوة إلى التفكير والتدبر في شؤون هذا الخلق.

3- استخلاص العبرة : ويراد به الاتعاظ بمشاهدة ما يحيط بالإنسان من مظاهر عجيبة، وتغييرات كبرى في حياة الناس والحيوانات والنباتات، ويأخذ منها ما يستنير به في حياته، إذ أنها تعينه على استكشاف الدلالات والمؤشرات التي تضيء له الطريق الذي ينبغي له سلوكه في حياته.

3-4- وسائط نقل الثقافة الدينية

تتدخل عدّة عوامل في نقل الثقافة الدّينية للأطفال أهمها: العائلة، والمدرسة، والمسجد؛ ولكل واحد من هذه العوامل بحوث مهمة. وكل ما يهمنا منها هي تلك الجوانب المتعلقة بصحة التدرج في التعاليم، ومدى ثبات ومتانة الفكر، وطريقة عرضه بأسلوب جذاب.

فقد يكون نفس التعليم الذي يتلقاه الأفراد من المربين سببًا لقبول الدّين بشكل أفضل أو على العكس؛ تركه والنفور منه. فالناس الكبار يعيشون في ظروف تجعلهم خاضعين لتأثيرات المواقف التي مرت عليهم في الماضي من أمثال طباع وسلوك المربين والرموز النافذة في المجتمع، إضافة إلى شعورهم بالتعلق بالدّين وتعاليمه في تطوير وإنضاج شخصيتهم في السلوك الديني عامة، فجميع الممارسات الدّينية التي يؤديها الأطفال اليوم تؤثر على مسار حياتهم اللاحقة. وسلوك الوالدين والمربين معهم حاليًا له دور أساسي في بلورة اتجاهات حياتهم في المستقبل. وانطلاقًا من هذه الرؤية ينبغي الالتزام الحذر والوعي في تربيتهم وثقافتهم الدّينية، وسوف نقتصر هنا على ذكر الوسائط التالية : الأسرة، جماعة الرفاق، المدرسة والإعلام الديني.

أما المسجد الذي يعتبر أهم وسيط في نقل الثقافة الدينية لا يتم إدراجه في هذا الجزء لأننا خصصنا له فصلاً كاملاً تناولنا فيه أدوراه ووظائفه التي من بينها نقل الثقافة الدينية.

4-3-1- الأسرة ودورها في نقل وتنمية الثقافة الدينية

يتوقف تأثير التعاليم والأنماط الدّينية في الطفل على عوامل النفوذ الأخرى في المعاملة كالأب والأم والإخوة الأكبر سنًا، فالطفل يأخذ بما يسمع ويرى، خطأ كان أم صواب، وبناءً على هذا يصبح دور العائلة عظيم في صياغة كيان أطفالها.

ترى النظرة العلمية أنّ التزام العائلة بالدّين، واستعدادها لتطبيقه في حياتها، يحتمل أن يفضي إلى زيادة استعداد الطفل ليتمسك به أيضًا. وعلى الرغم من كل الاستعدادات الفطرية التي تطبع شخصية الطفل فلا تفوتنا الإشارة إلى أهمية سلوك عائلته، فإن كانت مجافية للتدّين وبعيدة عن الالتزام، فلا نتوقع للطفل حالاً أفضل من هذا.

وضع الطفل يستوجب الرعاية عادة. ودور الوالدين كدور البستاني الحريص الذي يتعهد النبتة بالاهتمام والرعاية باذلاً سعيه لصيانتها من الآفات. ويلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم اللوم للوالدين اللذان لا يهتمان بوضع طفلهما، ولا يعلمانه الدّين، ولا يسعيان له في توفير الأجواء السليمة التي يسودها الدّين وأحكامه. ولو أنّ الوالدين والمربية وجهوا الجانب الديني عند الطفل وجهته الصحيحة، وركزوا على غرس بذور محبة الله في أعماق الطفل أنّما في نفسه شوق لا نظير له وتعلق شديد بالدّين.

إنّ غرس الثقافة الدّينية في مرحلة الطفولة أمر مهم نظرًا لعدّة أمور: [108](ص1)

أوّلاً: مرحلة الطفولة مرحلة صفاء وخلو فكر، فتوجيه الطفل للناحية الدّينية يجد فراغًا في قلبه، ومكانًا في فكره، وقبولاً من عقله.

ثانيًا: مرحلة الطفولة مرحلة تتوقد فيها ملكات الحفظ والذكاء، ولعل ذلك بسبب قلة الهموم، والأشغال التي تشغل القلب في المراحل الأخرى، فوجب استغلال الملكات وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

ثالثًا: مرحلة الطفولة مرحلة طهر وبراءة، لم يتلبس الطفل فيها بأفكار هدامة، ولم تلوث عقله الميول الفكرية الفاسدة، التي تصده عن الاهتمام بالناحية الدّينية، بخلاف لو بدأ التوجيه في مراحل متأخرة قليلاً، يكون فيها قد تشكلت لديه أفكار تحول دون تقبله لما تمليه الثقافة الدّينية.

رابعا: أصبح العالم في ظل العولمة الحديثة، كالقرية الصغيرة، والفرد المسلم تتناوشه الأفكار المتضادة والمختلفة من كلّ ناحية، والتي قد تصده عن دينه، أو تشوش عليه عقيدته، فوجب تسليح المسلمين بالثقافة الدّينية، ليكونوا على بصيرة من أمرهم، ويواجهون هذه الأفكار، بعقول واعية.

خامسًا: غرس الثقافة الدّينية في هذه المرحلة يؤثر تأثيرًا بالغًا في تقويم سلوكه وحسن استقامته في المستقبل، فينشأ نشأة سليمة، بارًا بوالديه، وعضوًا فعالاً في المجتمع.

سادسًا: الأبناء رعية استرعاهم الله آباءهم، ومربيهم وأسرهم، ومجتمعهم، وهؤلاء جميعًا، مسؤولون عن هذه الرعية، ومحاسبون على التفريط فيها، كما أنّهم مأجورون إن هم أحسنوا وأتقنوا.

ونشير هنا أنّ الميول الثقافية للطفل تتأثر بعدة عوامل داخلية وخارجية من أهمها:

1- الميول الثقافية للوالدين : فإنّ ميول الطفل الثقافية تكون تبعًا لميول والديه غالبًا، فإذا اعتنى الوالدان بثقافتهم الدّينية، وجعلا لها جزءًا من وقتهم وجهدهم، فإنّ ذلك سينعكس بلا شك على اهتمام الطفل بهذه الناحية، أمّا إذا كان الوالدان لا يهتمان إلاّ بالعلوم الدنيوية البحتة، وتدبير أمور الشهوات والمصالح العاجلة، وكان حديثهم ليل نهار يدور حول أنواع السيارات والهواتف، والعمارات والمنشآت، والقيل والقال، أو كان اهتمامهما بالأمور التافهة أو المحرمة - والعياذ بالله - ويعيشان في غفلة عن علوم الآخرة، فإنّ ذلك سيؤثر سلبًا على ميل أبناءهما للناحية الدّينية، فكم من أطفال تعلموا الرذائل وقبائح الأخلاق، رأوها من والديهم في مرحلة الطفولة – ظنًا من أولئك الآباء أنّ الطفل لا يعي مثل هذه الأمور في هذه المرحلة.

2- إثارة الخلافات العائلية والمشاكل الأسرية أمام الأبناء، فهذا يعكر صفاء تفكيرهم، ويشوش صفاء أذهانهم، ويشتت اهتماماتهم الثقافية، فيجب إبعاد الطفل عن مثل هذه الأجواء، بحيث ينفرد الوالدان في مكان خاص لحل المشاكل التّي قد تحدث بينهما.

3- الإعلام، وبرامج التلفزة المختلفة، تزرع في نفس الطفل اتجاهات فكرية متعدّدة، فيجب إبعاد الطفل عن البرامج التي تشوش فكره الديني، وتعكر صفاء عقيدته، وتغرس فيه نواح فكرية مضادة للسلوك الإسلامي القويم بطريق مباشر أو غير مباشر. [108](ص2)

4- الأصدقاء والأصحاب، حيث يتأثر الطفل بهم فإتجاهاتهم الفكرية تأثيرًا بالغًا، فيجب اختيار القرين العالي الهمة، وإبعاد الطفل عن مصاحبة ذوي الاهتمامات التافهة، ومن هنا تأتي أهمية اختيار الجيران الذين يرتضي الإنسان العيش بقربهم، ويرتضي لأولاده مخالطة أترابهم من تلك الأسر.

5- الاهتمامات الفكرية السابقة لأوانها، فينبغي عدم التحدث عن الأمور العاطفية أو الجنسية، أو قضايا الشباب والمراهقين، حتىّ لا تولد لديه أفكار لم يحن أوانها، تبعده عن الاهتمام بالثقافة الدّينية المطلوبة.

6- الاهتمام باللهو والغناء، فلابد من إبعاد الطفل عن الاستماع للأغاني وآلات اللهو، التي تورث فيه الميوعة، وتغرس فيه بذور الانحراف، وتصده عن ذكر الله.

وهناك العديد من الأساليب والوسائل لتوصيل المعلومة الدّينية للطفل، والسمو بمستواه الثقافي في هذا الجانب، ومن أهمها: [108](ص3)

أوّلاً: التلقين المباشر، ويتمثل في تلقين الطفل، وتحفيظه سور القرآن الكريم، إمّا عن طريق استماع الطفل لترديد الوالدين سور القرآن الكريم، أو ترديد الطفل خلفهما، أو الاستعانة بالوسائل الحديثة في ذلك، كالأشرطة السمعية للقراء الصغار الذين تميل نفوس الأطفال لقراءتهم، بالإضافة إلى تلقينه الشهادتين، وبعض المعلومات العقدية المبسطة، وتلقينه بعض أحاديث الرّسول صلى الله عليه وسلم وبعض الآثار القصيرة التي أثرت عن أهل العلم، حتى ترسخ في ذهنه وتعلي همته وتهذب سلوكه في المستقبل.

ثانيًا: إقامة مكتبة خاصة بالأطفال في المنزل، تحتوى على ما يتناسب مع مداركهم وحاجتهم الثقافية هذا إذا كان بإمكان الأسرة توفيرها.

ثالثًا: إقامة المسابقات الدّينية بين الطفل وإخوانه أو جيرانه، ويمكن استخدام بطاقات الأسئلة والأجوبة في ذلك، أو إشراك الطفل في المسابقات العامّة، أو المسابقات الثقافية التي تقيمها الأندية، والمراكز الصيفية.

رابعًا: تعليق لوائح وملصقات تحتوي على آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأقوال مأثورة عن الصحابة والصالحين، ومعلومات دينية أخرى، حتّى تعلق في ذهن الطفل لكثرة تردّده عليها، وتجدّد من وقت لآخر.

خامسًا: اصطحاب الطفل لزيارة مشايخ، وطلبة العلم، حتّى يتعود على مجالسة أهل العلم، ويتعلم من ثقافتهم، ويميل إلى سلوكهم، ويتعلم حسن الاستماع، وطرق السؤال والاستفتاء، وتترسخ الجدية في قلبه، واصطحابه إلى المساجد، وحلقات العلم، ليتعود الاستماع إلى القرآن الكريم والدروس العلمية.

سادسًا: تذكير الطفل دائمًا بفضل العلم، وعظم أجر العالم وطالب العلم، ومكانتهم، والإشادة بمواقف العلماء، وعظم منزلتهم.

سابعًا: التشجيع بنوعيه المادي والمعنوي، كإطراء الطفل - بدون مبالغة - أمام إخوانه وزملائه، والإشادة بما حققه في المجالات الثقافية، وتشجيعه على المواصلة والاستمرار، أو بالتشجيع المادي كأن يخصص لكل سورة أو حديث أو حكمة يحفظها، جائزة مالية معينة مشجعة.

ثامنًا: محاولة المربي اكتشاف نواحي الإبداع عند الطفل، وتشجيعه على المحاولة، وطرق أبواب المحاولة في مختلف الفنون الثقافية، وتشجيعه على إبداعاته مهما كانت صغيرة.

4-3-2- دور جماعة الرفاق في اكتساب الثقافة الدينية[2](ص70)

وهم جماعات من الأفراد مقاربون للإنسان في عمره واتجاهاته وتؤثر جماعة الرفاق تأثيرًا كبيرًا على سلوكيات الفرد، لما تملكه هذه الجماعات من سلطة وقدرة على توجيه وضبط سلوك أفرادها بوسائل عديدة، تهيئها لهم، كالتطابق والتماثل والقبول والثواب والعقاب والاستقلالية وتحمل المسؤولية وغيرها من الوسائل، ممّا قد لا يتوفر لدى غيرها من الجماعات الأخرى، داخل المجتمع وقد أبدت الدراسات تأثير جماعة الرفاق على الفرد، مثل نتائج دراسات" Branda 1950 برندا "، و" Franghlin 1954 فرانكلين ".

وقد ازداد الاهتمام بجماعة الشلة أو الصحبة أو الأقران في الآونة الأخيرة نظرًا لزيادة معدلات خروج الأم من البيت للعمل والتعليم، وكلما كانت المحبة بين الأصدقاء أقوى كانت أشبه ما تكون بمرآة صافية تعكس للرّائي صورة الزميل المرئي، فالصحبة على هذا ذات أثر في معرفة شخصية المرء وأخلاقه وسلوكه، بل في تكوين تلك الشخصية وتلوينها بمذهب في الحياة، والصحبة كما تكون مدعاة للانحراف والتردد في المهاوي تكون العلاج وسببا للترقي في مدارج المعالي والصاحب، في الحالتين

يكتسب بالمعاشرة صفات صاحبه، وأنّه كلما طالت تلك الصحبة كلما ازداد أثرها في النفس وأصبح التخلص منها يحتاج إلى رياضة ومجاهدة، ولقد أراد الله تعالى للإنسان أن يخالط النّاس وأن يكون له منهم أخلاء وأصدقاء وزوجة، وقد ترك في ذلك حرية الاختيار، فإنّ اختارهم من أهل الفساد والشر والفسق والمجنون والمعصية انحدرت أخلاقه وانحطت صفاته وسرى فيه داؤهم سريان الماء تحت التبن، وإن اختارهم من أهل الإيمان والطاعة والتقوى والعبادة والمعرفة بالله تعالى سمو به إلى حيث هم إن كانوا أعلى منه أو أعانوه على الحفاظ على درجته من التدين، إن كانوا له أكفاء أو اتخذوه مرشدًا أو دليلاً.

فقلما نجد مراهقًا كان له ومحبة وصحبة لرفقة ما، ويكون على نهجها وطريقها يتعداها في أفكاره ومسالكه وأخلاقه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، لذا كان المربون يعرفون المرء من رفاقه وجلسائه وقد ورد في الأثر " إياك وقرين السوء فإنّك به تعرف ".

ومن العوامل الهامة في تكوين الولد إيمانيا ونفسيا، وإعداده خلقيا واجتماعيا، وربط الولد منذ نعومة أظافره بالصحبة المؤمنة الصالحة، ليكتسب منها ما ينمي شخصيته من روحانية مشرقة وعلم نافع وأدب سام، وأخلاق قويمة، وهنا يبقى التكامل بين المربي و المرشد الديني والربط بالصحبة الصالحة، لأنّ التناقض بينهما يؤدي إلى الازدواجية في التوجيه، والانحراف في السلوك.

وبناءًا على هذا وجب على الأب والمربي أن يبحث عن نوعيات من الأصدقاء للفرد، يكون تدينها سليم وقويم، وهذا الربط بالصحبة يكون للأصناف الآتية:

أ- صحبة البيت : نقصد بها صحبة الإخوة والقرابة، والأخ الأكبر والوالد يكون هو القدوة في الخير أو الشر وأن يبحث المربي في الأسرة أو ذوي القرابات عن أولاد يتسمون بالطهر والفضيلة والوعي الإسلامي، وأن يكون أكثر اهتمامًا وملاحظة ومراقبة ومناصحة لهؤلاء الناشئين.

ب- صحبة الحي : نقصد بها الأولاد من حيه وجيرانه في المسكن الذي يقطن فيه وفي الحي الذي يقيم في كنفه ويترعرع في أحضانه، ومهمة الأب تكمن في اختيار السكن المناسب الذي تجاوره أسر تحرص على إصلاح أبنائها واستقامتهم، ولأنّ وضع المرء في بيئة صالحة كالبلد والحي والجيرة والمدرسة هو مفتاح التهيئة لإحداث الرفقة الصالحة المناسبة، ذلك أنّ الفرد سيختار أصدقاء من تلك البيئة، ولا شك أنّ الرفقة الصالحة وربط الولد بها تحفظه من أن يندمج مع غوغائية الحي وأبناءه الشاذين، وأولاده المنحرفين، وهذا كله لإعداد المؤمن الصالح .

ج- صحبة المسجد : صحبة الولد لأولاد من سنه اعتادوا صلاة الجماعة والجمعة وحضور الدروس في المسجد الكائن بحيهم، وصحبة الحي والمسجد أمران ملتزمان، فما جدوى من مصاحبة رفيق الحي إذا لم يصلي ولم يعتد المسجد[2](ص71) .

د- صحبة المدرسة والعمل : ربّما تسود في المدرسة أحيانًا أفكار ضالة، ونزاعات ملحدة، ومبادئ مستوردة، وهذا يكون على يد معلمين باعوا ضمائرهم للشيطان ونفوسهم للأجنبي ومنظمات طلابية

تنشر الرذيلة وتشجع الفسق والميوعة واتحادات نسائية همها الوحيد وعدوها الحجاب وقانون الأحوال الإسلامي، هنا تكمن أهمية الوالد أو المربي الصادق للإنقاذ من هذا الجو العكر المظلم، كما لا يفوتنا أن يكون الاهتمام أكثر بالبنت في المدرسة وأحوال تأثيراتها العاطفية والنفسية لأنّ الأنثى تنساق نوعًا ما مع هذه المتغيرات من فتنة المدينة الحديثة، ومظاهرها الخداعة، لهذا وجب على المربي الذي يريد تنشئة إسلامية لابناءه أن يوفر المناخ الصالح والبيئة الراشدة في البيت والمدرسة، وما ينطبق على المدرسة ينطبق على الجامعات والمؤسسات الأخرى، سواء من حيث الصلاح أو الفساد.

وللصحبة السيئة أثر خطير، وطرقها خبيثة، وقد يكون تأثيرها بطرق الإغواء والتأثير غير المباشر كإظهار الحب، ومنح بعض المال أو إدخال الشاب قرينه دار السينما مثلاً، أو عن طريق القهر والإرهاب والتهديد، وعصابات النشل والسرقة، وعصابات الأمور الجنسية تدخل ضمن هذا النوع.

ولابد من الإشارة إلى أنّ أثر رفاق السوء ليس هو العامل الوحيد في انحراف الشباب والناشئة، إ ذ هناك عوامل أخرى تدفع المراهق نحو الانحراف، بحيث تصبح الصحبة السيئة بمثابة الشرارة التي ينطلق عندها النشئ نحو السلوك المضاد للمجتمع. [2](ص73)

4-3-3- المدرسة وأهميتها في نقل الثقافة الدينية

المدرسة هي البيت الثاني للطفل، ويؤدي الإطار المدرسي دور الأب والأم فيها. إنّ السلوك الذي يمارسه المعلم وبقية أفراد المدرسة، يعتبر درسًا وعبرة تنفذ في أعماق الطفل. فما أكثر السلوكيات المنحرفة والتصرفات القبيحة التي تلاحظ على الأطفال وهي ناشئة مما تعلموه من المعلم والمدرسة.

من جملة الانتكاسات التي تعرض في حياة الطفل، وهى عدم قيام العائلة بأداء واجبها إزاءه اتكالاً منها على المدرسة، وأملاً في قيام المدرسة بتربية الأطفال دينيًا، وفي المقابل، تتصور المدرسة بأنّ العائلة تودي مهمتها في التربية، ولا ضرورة لجهود المدرسة؛ ولهذا لا يُعتقد بوجود التنسيق بين المدرسة والبيت ليكون برنامجها التربوي متسقًا طوليًا أو عرضيًا، ويتخذ سياقًا واحدًا في العمل، حتى لا يشعر الطفل بازدواجية المواقف والآراء، وليقتفي سلوكًا متزنًا ومنضبطًا.

يمكن للمدرسة أن تستثمر مشاعر الطفل وتنفذ في أعماقه بهذا السبيل، وفي ميسور المعلم أيضًا زرع ما يشاء في قلب الطفل، شريطة أن يكون هو ذاته رمزًا عمليًا يقتدى به في ما يدعو إليه. وكذلك من الضروري أن يبادر المعلمون لتوعية وتثقيف الأطفال دينيًا، حتى لا يكونوا في المستقبل عرضة لمخاطر الانحراف، وأن يسعوا للحفاظ جهد الإمكان على روحية ونفسية الطفل سليمة ونقية، ليكون بعيدًا عن مهاوي الرذيلة. [109](ص279)

وتحاول المدرسة تحقيق أهداف واسعة عامة تتعلق بالطفل وبالتراث الإسلامي، وتنسجم مع أهداف الأمّة وواقعها. ويمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي:

- تثبيت عقيدة الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر.

- الإيمان بحكمة الدين فيما شرع لخير المؤمنين، فضلا عن كونه عبادة لرب العالمين. [110](ص20)

- تعريف التلاميذ بقواعد الإسلام الصحيحة وتعويدهم على أداء الشعائر الدّينية واحترامها.

- تنمية ميول التلاميذ إلى الاستزادة من المعارف الدّينية وترغيبهم في إتباع أحكام الدين عن حب واقتناع.

- تحفيز التلاميذ عند أداء العبادات العناية بالنواحي الصحية وأساليب الوقاية من الأمراض وعلاجها.

- تشجيع التلاميذ على قراءة القرآن الكريم، وتدبر معانيه السامية.

- الإطلاع على أثر الإسلام في الشعوب من الناحيتين العلمية والثقافية.

- تشجيع التلاميذ على دراسة الحديث النبوي الشريف وتدبر معانيه، وبيان أهميته في شرح الأحكام الشرعية المختلفة.

- تقوية اعتزاز التلاميذ بدينهم الإسلامي، وأثره في تنظيم الحياة من جوانبها المختلفة. [111](ص49)

- تصحيح المفاهيم الدينية الخاطئة، فقد يأتي التلميذ إلى المدرسة ولديه مفاهيم معينة خاطئة بالنسبة للدين الإسلامي، قد يكتسبها من المجتمع أو الأسرة.

- إعداد المسلم للحياة الآخرة.

- أن يصبح التلميذ قادرًا على تمييز الأصيل من الدخيل في العقائد والممارسات الدينية.

- إشباع العواطف النبيلة لدى المتعلم مثل عاطفة التدين والأمن وغيرها.

- تنمية عواطف وقيم ووجدانيات جديدة يقرها الدين منها الإحسان إلى الغير، الإيثار، تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة. [112](ص56)

- تدريب التلاميذ على المسلك الحسن، المتزن بما يؤهلهم للحياة الفاضلة بين الناس جميعًا.

- تدريب التلاميذ على العادات الاجتماعية القويمة التي لا تخالف الشريعة الإسلامية.

- شرح القواعد الأخلاقية، وتوضيح جوانب النظام الخلقي في الإسلام، ليرتبط التلميذ بها، فتغدو سلوكًا عمليًا له حيث كان. [113](ص227)

- العمل على الانتقال بالتلميذ من الإطار الذاتي إلى الدائرة الاجتماعية كتنمية فكرة الأخذ والعطاء عند التلميذ وتنمية الإحساس بالانتماء إلى الجماعة.

- تهذيب نزعة التلميذ إلى حب التملك والأثرة، كتربيته على احترام الملكية العامة والملكية الخاصة للآخرين.

- تربية التلميذ على تحمل المسؤولية وأداء الواجب، ومساعدته على الاستقلال والاعتماد على النفس. [101](ص50)

- استغلال المواسم والمناسبات وفرص الإحسان، بتشكيل جماعات من التلاميذ تساهم في أعمال الخير في المدرسة وخارجها. [114](ص451)
- تنشيط التلميذ لأداء الصلاة بالمسجد المدرسي أداء سليمًا، وضوءًا وصلاة.
- استخدام السبورة في عرض مواد غير موجودة في الكتاب المدرسي، ومناقشة أعمال التلاميذ، وتسجيل القيم والأفكار والخلاصات والآيات والأحاديث.
- الاهتمام بالملصقات من صور ورسوم وكلمات والاستعانة بها في الدروس.

4-3-4- الإعلام الديني

انطلاقًا مما يشهده عالمنا المعاصر منذ نهايات القرن الماضي من ثورة تكنولوجية في مجال الاتصالات والمعلومات، تأتي ظاهرة البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية والانتشار الواسع للقنوات التلفزيونية الفضائية أحد أهم القضايا التي تستحق المناقشة، وقد كان من الطبيعي أن تبادر المنطقة العربية إلى التعامل مع المستحدثات الاتصالية حتى أنّه بانقضاء عام 2000 أصبح لكل دولة عربية قناة تلفزيونية فضائية واحدة على الأقل [115] تقوم هذه الفضائيات بسبب المنافسة بالسّعي إلى كسب أكبر عدد ممكن من الجمهور، فظهرت قنوات متخصّصة في الغناء وأخرى للأفلام وأخرى للمسلسلات وهناك قنوات خاصة بالأطفال وغيرها، كما برزت القنوات الفضائية المتخصّصة في المجال الديني والمسماة بالفضائيات الدّينية، حيث أصبح بمقدور المسلم أن يتعلّم أمور دينه من خلال هذه الفضائيات، نظرًا لتأثيرها الكبير على المشاهد، بسبب اعتمادها على الصوت والصورة والحركة، كما أنّه يكفي هذه القنوات أنّها تنشر في ساعات أو دقائق، ما يبنيه واعظ في مسجد ويغرسه معلّم في مدرسة أو داعية في ملتقى فكري أو أب في بيت. [116](ص25)

والإعلام باعتباره وجه من أوجه الحضارات، فإنّه الوجه المعبر عن العقيدة الدّينية والمذاهب السياسية والاتجاهات الفكرية، وهو يتأثّر بتلك العوامل ويؤثّر فيها، والفضائيات العربية بما لها من خصائص وإمكانيات تعدّ من أهم وسائل الاتصال الجماهيري في العصر الحاضر ومن انسب الوسائل الإعلامية لنقل الرسالة الدّينية الإسلامية إلى دول العالم، سواءً كانت دينية بحتة أم رسالة عامة تعالج أحدث القضايا المعاصرة انطلاقًا من خاصية الشمول المميزة للدين الإسلامي[6](ص213) ، وعليه فإنّ المجال مفتوح أمام الخطاب الإعلامي الديني المتخصّص لتناول مختلف الموضوعات والقضايا في مجالات الحياة المختلفة، فالدّور المنوط بالبرنامج الدّيني المتخصّص سواءً كان مسموعًا ومرئيًا أو مسموع فقط أو مطبوع، يجب أن يتميز بصدق الأخبار، وبإسلامية الترويح والتسلية وإسلامي في إعلاناته، فالإعلام الديني يجب أن يعكس شمول العقيدة وتكامل البناء الاجتماعي وعليه نجد جانبًا في الإعلام الديني يطلق عليه برامج القيّم الروحية والأخلاقية والعقائدية وغيرها، وهكذا فإنّ الإعلام الديني يتجاوز مفهومه المعلومة الدّينية، فالنظرية الإسلامية في الإعلام، تبسط على كلّ المادة التي تلقى سواء

اتخذت شكل المادة الإخبارية أو التعليق السياسي أو برنامج ثقافي أو علمي أو اجتماعي، وكل هذه الأشكال تتكامل في الإعلام الديني بالتزامها مادة وفكرًا بمشروعية الإسلام وارتباطه بالنظرية الإسلامية. [6](ص198)

كما أنّ سمات المضمون الديني ومردوداته في وسائل الإعلام المتخصّص لابد أن تنطلق من موضوعات وقضايا من المنظور الإسلامي للإنسان والكون والحياة ومن النصوص والمصادر الأصلية، فعملية إنتاج المواد الدّينية تحكمها غاية معيّنة وتستقي مضامينها من سياق أحادي المصدر والمنهج، يسعى لتحقيق رسالة مفيدة وهو ما يجعل انتقاء هذه المواد مترابط الفكر والتوجه، ولا يعني ذلك أن تتحوّل وسائل الإعلام إلى أجهزة " كهنوتية " من أجهزة الاتصال، فالقاعدة التي تحكم النشاط الإعلامي الإسلامي وإن كانت مؤسَّسة على ثوابت عقائدية لا تقبل التغيير والتبديل فيها، إلاّ أنّها متحرّكة تقبل التجديد بما يتلائم مع مقتضيات العصر، فالدين الإسلامي يتميّز بخاصيّة التحوّل. وهو صالح لكل الأزمنة والأمكنة والأمم، فرسالته تخاطب الإنسان في جميع جوانبه ومراحله مما يسمح للإعلام الديني المتخصص بتناول مختلف الموضوعات والقضايا في شتّى مجالات الحياة اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو علمية. [5](ص141)

وتتناول كلّ ما يتعلّق بالإنسان من قيم وأحكام، كما تعرض هذه الوسائل ما يستجدّ من أحداث وقضايا في المجتمع بأسلوب مميّز في معالجتها، هذا فضلاً عن الجوانب الاعتقادية والتعبدية ومختلف ألوان المعاملات داخل المجتمع. [5](ص142)

كما أنّ مجال التغطية الجغرافية لوسائل الإعلام الديني لا يقتصر على المجتمع الذي تصدر عنه، وإنّما تتناول أهم قضايا المسلمين في العالم بل أنّ عالمية رسالة الإسلام تقتضي أن تعرض وسائل الإعلام معالجة الإسلام للقضايا ذات الطبيعة العالمية والتي تؤثر في البشرية كلّها مثل قضايا العولمة، الإرهاب صراع الحضارات وغيرها، وتقديم وجهة نظر المسلمين في المشكلات المتباينة وهذا أفضل عرض مقنع للإسلام أمام - الآخر - مختلف دينيًا وثقافيًا عن المسلم، وانطلاقًا من هذه الخاصية يمكن تعريف غير المسلمين بالإسلام وكذا تحقيق التعارف والتآلف والتضامن بين المسلمين من خلال التعريف بأحوال المسلمين في أنحاء العالم سواءً كانوا في دول مستقلة أو أقليات مسلمة وتسليط الضوء عن مشكلاتهم والتحديات المواجهة للمسلمين والبحث واقتراح الحلول المناسبة لمساعدتهم، كما أنّ وسطية الإسلام والتي انعكست على العلاقة بين الدين والدولة، فالدّولة الإسلامية ليست الدولة الدّينية كما في التجربة الغربية، لكنها مدنية لا تخرج عن القواعد والمقاصد الإسلامية، وهذه الصفة تنعكس على الإعلام الديني على النحو التالي: [7](ص39)

- تبنّى هذه الوسطية في معالجتها لمختلف القضايا والموضوعات من خلال عرض الفكر الإسلامي الوسطي فلا إفراط ولا تفريط.

- التوازن في عرض الموضوعات والقضايا، بحيث لا يطغى جانب على آخر، ولا يغفل مجال من المجالات، فلا يتوسع الإعلام في قضايا العقائد والعبادات على حساب قضايا المعاملات أو معالجة قضايا دول وإهمال قضايا غيرها.

إنّ المضمون الديني في وسائل الإعلام يعالج الكثير من الأفكار والقضايا المثارة والمستجدة، نظرًا لقدرتها على معالجة المواضيع الملحة عن طريق الدعاة والعلماء المخصّصين ليس في المجال الديني والدعوى فقط إنّما في عدّة مجالات كعلم النفس، والطب وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم. مما يولد استجابة واسعة من طرف الجمهور المتلقّي فيحدث التجاوب والرضى، وبالتالي تحقيق الهدف وهو نشر المعلومة الدّينية بطريقة مقنعة وتصحيح المعلومات الخاطئة، واكتساب ثقافة جديدة في المجال الديني، فوسائل الإعلام هذه تحفل كثيرًا بقضايا المجتمع المسلم، المعاصر، فتتعرّض لقضايا حيوية معاصرة كالعولمة وتأثيرها، الغزو الفكري والثقافي وصراع الإسلام مع غيره من الحضارات، فتدخل البرامج الدّينية دائرة البرامج الناجحة المتحدّثة بلغة العصر وتعالج مشاكله ونادرًا ما تتكرر المواضيع المعالجة. [7](ص48)

ولقد تطوّر الخطاب الديني ومنطلقات الدعوة في الإعلام الديني فتوسعت دائرة الحوار ومعالجة المواضيع الحساسة، أهمها الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين في الغرب، خاصّة بعد أحداث 11 سبتمبر، وبروز علاقة العداء مع المسلمين.

وكذلك قضايا الأمة الإسلامية والمتمثلة أساسًا في قضية فلسطين، العراق، لبنان، إيران وغيرها من دول العالم الإسلامي، كما أنّ قضية تطوير الخطاب الديني وتجديد النص قصد فصل الأمة عن دينها وبث الصراع والشقاق في أوساطها أصبح من المواضيع المثارة بقوة في وسائل الإعلام الديني إضافة إلى نشر الثقافة الدّينية، وتعريف الجمهور بالحلال والحرام والأحكام الدّينية، عن طريق الإفتاء على الهواء، من طرف علماء متخصّصين، فعرف النّاس دينهم أكثر وتحصّلوا على معلومات دينية أوفر. [7](ص52)

إنّ الحديث عن الإعلام الديني لا يشمل فقط البرامج التلفزيونية الفضائية إنّما يشمل أيضًا الوسائل المطبوعة، والتي تشمل الكتب والمجلات الدّينية والصحف اليومية والملصقات، والتي تطوّرت في العالم الإسلامي مؤخّرًا بحيث أصبحت المكتبة الإسلامية تزخر بكمٍ هائلٍ من الكتب والمؤلفات الدّينية المتنوعة والتي تعتبر المرجع الفتي لكل قارئ أو كاتب أو باحث أو متفقّه مسلم، وكذلك المجلات الإسلامية المتخصّصة التي تقوم بدور فعّال في مجال الإعلام الديني. [2](ص78)

هذا إضافة إلى الإعلام الديني الإذاعي، حيث نشأت في العديد من دول العالم الإسلامي إذاعات للقرآن الكريم مختصّة، في المجال الديني، إضافة إلى البرامج الدّينية في الإذاعات العامّة والمتمثلة أساسًا في الحديث الديني وبعض الفتاوى والأحكام الشرعية وتلاوة القرآن الكريم. [2](ص79)

4-4 – منهاج الثقافة الدّينية

تعترض مسار الثقافة الدّينية للأطفال مجموعة من المعوقات والمصاعب التي يقتضي الحال تذليلها وإيضاح الغامض منها، ليكون المربي على بينة من أمره ومستدلاً على السبيل المطلوب، وعلى الأهداف المبتغاة في نهاية هذا المسير، وما هي المواضيع المستهدف تعليمها للفرد ؟ وما هي الأساليب المفترض استخدامها، وبأية وسيلة وفن ؟ وكيفية الرقابة والسيطرة ؟ نشير فيما يلي إلى كل واحدة من هذه النقاط مع مراعاة الاختصار:

4-4-1- أهداف ومحتوى الثقافة الدّينية

يتلخص الهدف العام في تنشئة الفرد نشأة دينية ليكون معتقدًا بتعاليم الدّين ومطبقًا لها. والغرض من ذلك أن يعتبر الإسلام عقيدة صالحة ومذهبًا بناءً للحياة، وأن يتقبل مبادئه وتعاليمه على أساس كونها أفكار حركية أصيلة، وأن يطبع حياته الحالية والمستقبلية بطابع الفلسفة التي يقرها الدّين، وأن يسعى لإيجاد البيئة والأجواء الاجتماعية التي يرى الدّين صحتها وصلاحها، وهي البيئة النظيفة الخالية من أية شائبة والبعيدة عن المؤثرات التربوية السافلة.

ومن تلك الأهداف أيضًا أن يكون مطيعًا لربه وخاضعًا لتعاليمه، ومنقادًا لأوامره، وأن يتوكل عليه في كل الظروف والأحوال. وعليه أيضًا معرفة ربه؛ فهذه المعرفة تدفعه نحو التحرك والسير على الصراط الموصوف بالاستقامة والذي ينتهي بلقاء الله. وعليه أيضًا أن يعتبر نفسه مسؤولاً في حياته الحالية والمستقبلية ولا يكون في معترك الحياة كالريشة التي تتداولها الرياح من صوب إلى صوب، لخفتها وخلوها من أي محتوى.

يمتاز محتوى ومضمون ثقافة كهذه باستيعاب كل أبعاد الحياة سواء في جانب المواقف أو في مثل الحياة، ويمكن الإشارة إلى تلك الموارد مبوبة بالشكل التالي: [117](ص309)

أوّلاً : في الأصول الاعتقادية : يدور بحث الكثير من مواضيعنا الدّينية حول الأصول الاعتقادية، ويطلق عليها اسم الأصول، لأنّها القواعد التي تقوم عليها جميع أفعالنا وأقوالنا وتصرفاتنا الدّينية. ويمكن تبيين هذه القواعد للأطفال دون السابعة من العمر على شكل قصص أو سيرة حياة شخصية.

كما يمكن تلقينها بأسلوب استدلالي إلى حد ما لمن تجاوز الثامنة أو التاسعة من عمره ويعتبر تعليم الأصول الاعتقادية من أنواع التعليم الأساسي وله دور مصيري في حياة الأشخاص.

أمّا المواضيع التي يتوجب دراستها في هذا الحقل فهي كثيرة، إلاّ أنّ أهمها يتلخص في:

- الإيمان بالله والتوحيد : يختص هذا الحديث عن معرفة الله، وعظمته وجلاله، وجماله، وكذلك بالحديث عن علاقة الله بالإنسان من جهة، وعلاقة الإنسان بالله من جهة أخرى. ففي الجانب الأوّل ينصب الحديث عن مسألة خلق الوجود وتيسير نظام هذا الكون وما فيه من الظواهر بالإضافة إلى رازقية الله وحاكميته

في عين علمه وقدرته وإرادته، أمّا الجانب الثاني فيتناول الخشوع والخضوع لله، والاستعانة به والتضرع إليه ومعرفة الواجبات في سبيله، وتنظيم برامج الحياة وفقًا لأوامره وأحكامه، وأن لا يكون هنالك أي حب أو عداء إلاّ على أساس إرادته وتعاليمه.

يفترض أن يكون مبدأ التوحيد ركنًا لا تقوم عليه عقيدة الإنسان لوحدها فحسب بل يقوم عليه جميع شؤون حياة الإنسان أيضًا. ولا يفوتنا طبعًا أن يجري تعريف الله بالشكل الذي يحبه الطفل. فهو – أي الطفل – لا يستهويه الإله الموصوف بقسوته وغلظته وشدة عقوبته، فما زال أمامه متسع من الوقت لمعرفة السبب الذي من أجله يعاقب بعض النّاس، وينذر الله بعض الناس بأليم عقابه وغضبه.

لا ينبغي أن تتضمن المواضيع التي يتلقاها الطفل في معرفة الله أية أسرار وخفايا. فهو لا يفقه الخفايا والأسرار، وأمثال هذه الألغاز اللفظية تطعن مشاعره الدّينية. فلا يستلزم الأمر إعادة ما لا يفهمه الطفل على مسامعه، إذ أنّ من اليسير عليه معرفة الجنة والتشويق إليها عن طريق اللذات الحسية لكن إدراك مفهوم رضوان من الله أكبر لا يزال مبكرًا بالنسبة له. [107](ص203)

<u>- في تعريفه بأولياء الله</u>: من الأصول الأساسية في العقيدة دراسة ومعرفة الأنبياء، والصحابة الكرام. ومن الضرورة تلقين الصغار منذ نعومة أظافرهم المعلومات الكافية عن الأنبياء ودورهم في الحياة، ويجب أن يكون ذلك بأسلوب سلس مفهوم، متضمنًا سرد قصة حياة نبينا صلى الله عليه وسلم وبيانًا لأهمية القرآن في حياة الإنسان، وبشكل يخلق لديه شعورًا بنوع من التعلق به.

ثم التحدّث لهم أيضًا في هذا الجانب عن الصّحابة الكرام ودورهم ومواقفهم، وخلاصة عن حياتهم خاصة إنجازاتهم. ويمكن كذلك إلقاء الخطب والكلمات التي تنشر الوعي بأمثال هذه المواضيع خلال المجالس الخاصة التّي تعقد لهذا الغرض. ويتحقق إشباع النفوس بحب ولاة الدّين من خلال التحدث عن صفاتهم الحميدة وامتداحها، وهو ما يثير عواطف الطفل ويشده إليهم نفسيًا. ويجب أيضًا أن نحدثه عن الملائكة والأنبياء وعظمتهم. لعل بعض الأطفال يتصور أنّ بمقدوره رفض الأنبياء أو الأولياء الآخرين وعدم الاعتراف بهم، أو التجاسر على بعضهم كعزرائيل! إلاّ أنّ هذا التصور يتعارض وعقيدتنا، وعلى الأبوين والمربين الالتفات إلى مثل هذه القضية والسعي لتوعية أطفالنا بشأنها. [107](ص202)

<u>- في موضوع الموت والمعاد</u> : ينبغي تكريس جزء مهم من الثقافة الدّينية لموضوع المبدأ والمعاد وما يتعلق بالموت والحياة. ومن الأفضل أن لا يتمّ تناول أحاديث حول مسائل النار والعذاب وكيفيته، إذا كانت موجهة للأطفال تقل أعمارهم عن ثمان سنوات لأنّها تثير فزعهم. كما ويمكن أن يشرح لمن تجاوز السنة الثامنة من العمر، موضوع الموت وكأنّه انتقال من عالم إلى آخر، وتفصيل ما يراد من هذا السياق من معلومات. [107](ص203)

<u>ثانيًا : في فروع الدين وتعاليمه</u> [117](ص318) أمّا القسم الآخر من التثقيف الديني فهو ما يتعلق بفروع الدّين وتعاليمه التفصيلية. إنّ الأمر يتطلب هنا طرح المواضيع بنحو أوسع ممّا هو متداول على

الألسن، كأن يشرح للطفل مثلاً عن الحدود والحقوق التي يقول بها الدّين، وموقفه إزاء جميع الأمور الحياتية، فيما يلي نشير إلى قسم من تلك التعاليم:

- في العبادات :يختص قسم من التعليم بالعبادات والفرائض كالصلاة والصوم والحج والجهاد والخمس والزكاة، والخ، التي يتعلم الطفل بعضًا منها عمليًا والبعض الآخر يتعلمه نظريًا. وينبغي في موضوع الصلاة تعويد الطفل عليها

وهو ما بين 2 و 3 سنوات من العمر، كأن يقف إلى جانب أمه أو أبيه ويصلي ولو من باب اللعب والتسلية.

نقل عن أحد الأئمة أنّه قال بشأن الصيام، يجب أن نوقظ أبناءنا إلى تناول طعام السحور في سن السادسة وحين يبلغ السابعة من عمره نشجعه على تحمل الجوع والعطش لعدة ساعات، كأن يصوم هذا اليوم من الصباح وحتى الظهر، ثم يصوم اليوم التالي من الظهر وحتى الغروب.

أمّا مواضيع الحج والجهاد فتطرح في الغالب على شكل معلومات نظرية، أو سيرة شخصية حينما تتوفر الأرضية المساعدة. ويجب أن تبذل المساعي في جميع الأحوال لحث الطفل على معرفة أمثال هذه الحقائق والقضايا ليعتاد عليها نفسيًا.

- في الأحكام والتعاليم :يتضمن الإسلام تعاليم تحدد الصورة التي ينبغي أن يكون عليها قول الإنسان أو فعله، وعلى الفرد الناشئ أن يفهمها عمليًا. فيتوجب عليه مراعاة المظاهر الدّينية والتحلي بالآداب الإسلامية بحيث يكون فعله كفعل الكبار مرتبطًا بالله؛ كأن يدعوا الله مثلاً، ويحمده، ويشكره بعد تناول الطعام، ويجعل الله نصب عينيه في كل أعماله، ويتعلم الأمانة ويلقن بمصاديقها، ويتواضع للقرآن تأدبًا، ويعرف جزاء الكذب والخيانة، وأنّ عاقبة البغي وخيمة، والتخريب فعل مذموم، وأنّ تجاوز حقوق الآخرين خصلة سيئة. وعلى الطفل أن يتعلم واجباته تجاه الأب والأم والأقارب والأصدقاء والزملاء، ولينظر إلى والديه والقائمين على أمره نظرة تكريم واحترام، ولا ينسى صلة رحمه، وأن يتعامل مع الآخرين بتفاهم ومحبة.

يجب على الوالدين أن يعلماه منذ الصغر ويعوداه على الدعاء للآخرين أيضًا حينما يدعوا لنفسه بالخير والسعادة وأن يكون في قلبه حب الخير للآخرين، وإن كانت هذه الأدعية لا تتجاوز الألفاظ والكلمات،إلاّ أنّ تأثيرها في نفسه سيتضح أثناء العمل، فهي تغرس في نفسه حب الآخرين وتجعله مستعدًا للتآخي والتآلف مع الآخرين.

- في المواقف :يتمثل أحد أهداف الثقافة الدّينية في تعليم الفرد الناشئ كيفية اتخاذ المواقف إزاء الحوادث المختلفة العارضة له في مسار الحياة، وما هو الأسلوب الذي يتخذه في التعامل معها. ما هي المواقف التي تتطلب الشدة والصلابة، وما هي المواقف التي تستدعي اللين والمرونة ؟ وهل عليه أن يتبع الأهواء أم يتبع الحقّ ؟

ويفترض أن يُعرّض الطفل منذ الصغر إلى المواقف التي تستهوي القلوب وتسحر الألباب. وتعليمه كيفية الصمود أمامها، وعدم الانهيار أمام مغرياتها. وأن لا تؤدي له الهواجس والحياء وضعف الشخصية إلى الانحراف، ولا يكون فريسة لشهوات الطامعين، وأن يقف بصلابة إزاء كل ما يخرجه عن الحدود المتعارفة. وأن يكون ميله إلى الأشياء نابعًا عن دوافع معقولة، ونفوره وتصديه لأخرى قائمًا على أسباب واضحة ومفهومة أيضًا، وأن تكون لديه القدرة للدفاع عن معتقداته في حدود تفكيره.

إنّ اللامبالاة مرض يصاب به الفرد من الصغر، وهو ناتج عن توصيات وتأكيدات وعمل الوالدين والمربين الذين يحذرونه دومًا - حفاظًا على سلامته - من الاهتمام بشؤون الآخرين فيقولون له: لا علاقة لك بالآخرين، وما هو شأنك والطفل الفلاني إذا تشاجر مع الآخرين ؟.. فيكون نتيجة ذلك أنّ تعتاد نفسه على عدم التحمس إزاء الأوضاع التي يعيشها الآخرين، في حين أنّ عليه أن يتمرس منذ الصغر على مقارعة الظالم وإعانة المظلوم.

- في آداب الحياة الدّينية :للحياة الدّينية آدابها وأصولها التي ينبغي للفرد أن يسعى منذ البداية للانسجام معها والتحلي بها، من أمثال: معرفة قيمة الوقت والالتزام بالعمل، وإتقان الأشغال التي يكلف بها، ورعاية حدود وحقوق الآخرين، والاستئناس بالعمل، والنهوض المبكر من النوم، والميل إلى الاستراحة والنوم بعد صلاة العشاء، وتقسيم أوقاته في الليل والنهار إلى ساعات للعمل، وساعات للاستراحة، والتسلية وغيرها من عشرات المسائل الأخرى. وكذلك يجب أن توضح له حدود الخجل والحياء، وذلك لأنّ بعض الخجل ينطوي على نتائج خطيرة. وانّ كثير من الاحتياطات المشوبة بالحذر تؤدي فيما بعد إلى نتائج مدمرة. وهناك أيضًا الكثير من المواضيع الأخرى التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار في التربية مثل: حدود التزيين والتجميل، وفي نوع الثياب وارتدائها، وفي المأكل والمنام، وكيفية مصاحبة الآخرين، وأسلوب مراعاة عواطف المحبة، وحدود الخدمة والتضحية، صحة العمل، وضبط النفس، وإدارة الشؤون الذاتية وصيانة الذات. وهنا تتجلى بوضوح العلاقة بين الدّين والأخلاق. [118](ص76)

- في فلسفة الحياة :وتستلزم التوجيهات أيضًا طرح موضوع فلسفة الحياة والسبب الذي من أجله وجدت الحياة، والهدف الذي نعيش لأجله ؟ ويمكن للوالدين خلال حياتهما اليومية طرح تفاسير وتعاليل كثيرة عن سر ومفهوم هذه الحياة لأطفالهم من أجل صياغة أفكارهم بما ينسجم والمفاهيم الإسلامية.

قد تكون نظرة الوالدين للحياة نظرة سلبية، أو ايجابية. يحتمل أنّهما ينظران للحياة بمنظار أسود أو أحمر. فبعضهم يعتبر ما في هذه الدنيا من زينة وأموال مجرد جيفة نتنة، بينما يعتبره آخرون وسيلة أو غاية. وقد يكون فهمهم للتوكل، والصبر، والزهد، والتقوى، فهمًا بناءً أو قد يكون فهمًا سلبيًا هدامًا. وعلى أية حال سيكون لهذه المناهج التربوية دورها الفاعل في تعليم الدّين للأطفال؛ وانّ مصير الطفل يتوقف عليها بشكل أو آخر.

يجب أن ينصب جهد المربين على هذه الأساليب في تعليم الطفل وتعريفه بفلسفة الحياة والغاية منها ليفهمها بالصورة التي يرتضيها الدَين، وأن يطرح موضوع الدنيا وكأنّها شيء يستحق الاهتمام به. وهذا ما ينبغي التدرج في طرحه من سن السابعة حيث تشتد رغبته في الحياة، ويتزايد اهتمامه بالحصول على المعلومات بشأنها. وعلى كل حال فلا ننسى أنّ فلسفة الحياة من وجهة نظر الإسلام سيتعرف عليها الطفل ويؤمن بها من خلال المشاهدة والمعايشة لحياة الوالدين، وإلاّ فإنّ الآراء والأقوال لا تكفي لتكوين وجهة نظر فكرية في هذا الميدان. [118](ص77)

4-4-2- أساليب الثقافة الدينية

نتناول في هذا الموضوع الأساليب والسبل التي يجب نهجها في التثقيف الديني للطفل، وصياغة أفكاره وشخصيته. فما هي الإجراءات المتخذة في تعليم الأطفال ؟ وما هي السبل المفترضة في تربيتهم وتثقيفهم ؟ وما هي الأدوات والفنون الممكن استثمارها في بنائهم ؟ ويمكن أن نتحدث في هذا الصدد عن الأبواب التالية: [76](ص16)

- في موضوع التعليم :هناك أساليب وفنون مستخدمة في التعليم لغرض تربية الطفل تربية صالحة، وأهمها السير في عالم الطبيعة وفي الآفاق والنفس، ومنها أيضًا التذكير في المواضيع التي يكون فيها مجديًا، والتفكير في النفس وأبعادها الوجودية، وكذلك الحث على التمعن والتدبر في الأمور، التعقل والاستدلال والاستفادة من التجارب الشخصية، والسياحة وزيارة الأماكن المقدسة، ثم الاستفادة من كلّ ذلك للتوعية واستخلاص العبرة.

لا تقتصر الدروس الدّينية على المواضيع المذهبية الصرفة، لأنّها ستكون جافة لا طائل من ورائها، ولكن أحيانًا يمكن توجيهه نحو مشاهدة العناصر الموجودة أمام عينه من جمال الخلق والطبيعة، إلى الدّين وما فيه من تعاليم قيمة، وعظمة الخالق وقدرته المتجلية في أعماق روحه.

لا يعني الأسلوب التربوي الهيمنة التامة على فكره وعقله، واستعباده. ولهذا السبب فهو لا يتمثل في السعي لإلقاء المواضيع الجافة التي لا تجدي شيئًا، بل يتلخص في الاستعراض العملي والمعاينة الواقعية لصورة الدّين الحقيقية في الحياة، وفي المواقف العملية الهامة.

ينبغي رفع مستوى إدراكاته عن طريق الأسئلة، وتقوية قدرة التعميم لديه بأسئلة كهذه: من خلق الأرض ؟ من خلق الشجر ؟ من أوجد الماء ؟ من أوجد السماء ؟ ...الخ، ليستنتج من ذلك أن إدارة الكون وتدبيره تسير بمشيئة الله وبقدرته.

وعلينا أن نجعل من الله شيئًا مهيبًا ومحبوبًا في ذهن الطفل، وأن نحاول تسريب روح الدّين إلى أعماق وجوده، وإزالة الشكوك من نفسه. ولتكن أساليب التعليم مسموعة ومرئية، لا بل خاضعة للإدراك واللمس لكي تستهوي الطفل وتدفعه إلى الاعتقاد والإيمان بدينه قلبيًا.

- في موضوع التربية :

تقوم تربية الطفل دينيًا على جملة من المسائل والمواضيع أهمها: [76](ص29)

- إحياء الفطرة :تكمن في ذات الطفل وفطرته نوازع تسوقه صوب التقوى، والعدالة، والإخلاص، والطهارة. فالصفاء والطهارة أمور يمكن ملاحظتها لدى الأطفال في مختلف أرجاء العالم. فلا نعرف في كل العالم شخصًا كان يبغي في طفولته سوى الخير والصلاح، والنبل والإخلاص، أو أن لا يستحسن إعانة المظلوم. يعتبر إحياء الفطرة بذاته خطوة نحو الأمام، وله دور هام في تربية وبناء الأطفال.

تتطلب تربية الجيل السعي لمناصرة الحق لا غير، وتجسيد هذا المنهاج أمام الطفل بعيدًا عن أية شائبة، ومنزها عن أية مصلحة السماح لفطرته أن تبقى سليمة لا يمسها أي سوء، وليبقى الطفل بريئًا.

- تغذية الطفل بمحبة الله والصّالحين : يمكن الاستفادة من جميع الوسائل المشروعة لتغذية الطفل بمحبة الله، ولو عن طريق اختلاق القصص في هذا الصدد وسردها عليه، ولا ننسى أيضًا أنّ تصورات وأحاديث الأبوين بشأن الله تؤثر في صياغة أفكار الطفل.

يجب بناء شخصية الطفل على محبة أولياء الدّين كالرسول والأنبياء عليهم السلام وحماة الدّين الآخرين ليكون أمرهم ونهيهم وسيرتهم مثالاً يحتذي به الطفل. ويمكن تحقيق هذا الهدف بسبل شتى منها على سبيل المثال ذكر قصص حياتهم وتضحياتهم وما قدموه لنا من خدمات.

فالأطفال يميلون عاطفيًا إلى حب الشخصيات التي تستثير إعجابهم والتي تمتاز بالنزعة البطولية. فلو أنّنا استطعنا أن نصور للطفل مدى عظمتهم - كما كانوا حقًا - وشرحنا لهم مآثرهم وتضحياتهم بلغة سلسة يهضمها، فسيتفاعل معهم قلبيًا، ويتشرب قلبه بحبهم، وتدفعه رغبته في مسايرة الآخرين إلى إتباع أسلوبهم واقتفاء أثرهم في الحياة.

- بث روح الجماعة والتعاون :وعلى الثقافة الدينية أيضًا أن تهتم بتقوية جانب التولي والتبري عند الطفل بحيث يتقبل ولاية أولياء الحق ومحبي العقيدة، ويتبرأ من أعداء الدّين. فكما أنّ الضرورة تستوجب حبه للآخرين فعليه أيضًا معرفة الأولويات في حب الخير وإيصاله للآخرين. فالخير والمعروف والمحبة لها درجات تبدأ من الوالدين والأقارب والجيران والإخوة في الدّين الذين يؤدون واجباتهم ومن مواقع مختلفة، ثم يأتي من بعدهم أتباع الأديان الأخرى - حتى وإن كانت معتقداتهم غير سليمة - الذين لا تصدر منهم أضرار ضد الآخرين. ويجب أن تكون الروح الجماعية قوية عند الأطفال، وتنتشر فيما بينهم روح التعاضد والمؤازرة التي تحقق في ظلها الوحدة والألفة التي تتيح لهم فرصة مؤازرة بعضهم للآخر وتوحد قواهم من أجل تحقيق بعض الإنجازات الكبرى على الصعيد المحلى والدولي. أو كما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يكونوا يدًا واحدة على سواهم.

4-4-3- الفنون والوسائل اللازمة للثقافة الدّينية [119](ص95)

يتناول الحديث هنا الوسائل والفنون والسبل التي يجب استخدامها لإنجاح عملية التثقيف، ونشير في ما يلي إلى بعضها:

1- الوسائل :

هنالك وسائل جمة يمكن توظيفها في هذا الحقل، ويمكن تلخيص بعضها كما يلي:

- القصص : لاشك أنّ القصص المتعلقة بحياة ومواقف أئمة الدّين من الصحابة والعلماء تزيد من معارف الطفل، وتؤثر فيه تأثيرًا عجيبًا وتغرس في نفسه محبتهم وتحفزه على محاكاتهم والإقتداء بسيرتهم. ونحن نستطيع من خلال هذا الأسلوب إيصال المعلومات والأفكار المفيدة إلى الطفل.

- التجمعات والمجالس :فالطفل الذي يشهد الأنشطة الدّينية في المساجد والمجالس والتجمعات الموجهة توجيهًا دينيًا سليمًا تؤثر في ثقافته الدّينية ونضوجه الفكري. ويتوفر هذا الاستعداد لدى الأطفال ابتداء من سن الثالثة، إذ يقومون من بعد هذه السن بتعلم وحفظ الآيات والأدعية والبرامج الدّينية الأخرى. فالطفل يتملكه الفرح حينما يذهب برفقة أبيه إلى المسجد ويصغي إلى المواضيع الدّينية بكل جوارحه. ويرغب من بعد الثامنة في الانضمام إلى الجمعيات والتجمعات الدّينية ويعتبر ذلك مصدر فخر له.

- السلوك الديني الجماعي : يرغب الطفل عادة بالمشاركة في صلاة الجماعة وقراءة الأناشيد الدّينية بشكل جماعي. ويبدو أنّ التمثيليات والمسرحيات، والعبادات الجماعية، والتواشيح الدّينية الجماعية تسهم في إشباع العاطفة الدّينية عند الطفل، وتنمي ميوله الدّينية، وتزرع في نفسه الصفاء والأخلاق حتى وإن كانت تلك النشاطات تجريها طبقات اجتماعية أخرى.

- المناسبات والفرص : تمر أحيانًا فرص خلال مسار الحياة العامة، ويجب على المربي اغتنامها باعتبارها وسيلة وأداة تعينه على تحقيق هدفه. فنحن المسلمين تمر علينا الكثير من المناسبات الدّينية، كالأعياد، والمواسم، التي يمكن استغلالها كفرص لطرح البحوث والكلمات التي تتضمن مسائل إسلامية، وتتحدث عن آداب ومقتضيات الحياة الإسلامية، وعن الأخلاق والعادات الدّينية، لأجل زرع بذور العاطفة الدّينية في روح الطفل.

2- الفنون : [119](ص106) يمكن التحدث عن نقاط عديدة في هذا الحقل لا يتيسر شرحها جميعا في هذا البحث، إلاّ أنّ هنالك نقاطًا مهمة يمكن الإشارة إليها - مع مراعاة الاختصار - بالشكل التالي:

- طرح القدوة : نرى أنّ الضرورة تستدعي هنا الحديث بشكل مفصل بسبب أهمية الدور المصيري الذي تؤديه القدوة في بلورة شخصية الطفل. فالتربية وخاصة الدّينية منها تقوم على التعليمات والأطر التي يضع أسسها الوالدان والمربون. فنلاحظ أنّ الطفل يقتفي أثر السلوك الذي يراه يصدر من والديه، سواء كان ذلك السلوك سليمًا أم سقيمًا.

يعتبر اقتفاء القدوة مسألة هامة في جميع الأعمار، إلاّ أنّه يصبح أكثر رسوخًا في النفس بين سن 6 و 12 عامًا. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الطفل في سن الرابعة من عمره يتصور أباه قدوة مطلقة

يعرف كل شيء وأنّ كل ما يبدر منه صحيح. ولهذا السبب يجب عليهم دومًا الانتباه إلى كل حديث أو تصرف يصدر منهم.

ومن المعتقد أنّ القرارات التي تطرح لتثقيف الأطفال في مجال الأخلاق والصبر والأمانة والإخلاص والصلاح، اجتناب الشبهات، ينبغي أن تكون صالحة وعالمية وربانية، تقول القول الحسن، وتلتزم بما تقول، وأن يأخذوا بنظر الاعتبار أنّ ذهن الصبي أشبه ما يكون بالأرض الخصبة فهو يصدق بكل ما يسمع، حتى الأوهام والخرافات.

ولا يُعتقد بفاعلية الكلام في الثقافة الدينية، وأنّ السلوك العلمي للوالدين أكثر فاعلية وتأثير. فالسلوك الديني للطفل يتوقف على مستوى إدراك وفهم سلوكهم ومواقفهم في مختلف الحوادث والظروف، فهم يعتمدون على الأبوين، على العكس من الشباب الذين ينزعون للاستقلال والوقوف على أقدامهم.

- العبر والدروس : وهذه أيضًا نقطة مهمة وبناءة وهي أن نجعل من كل حادث أو موقف، درسًا يستفيد منه الطفل؛ كأن نعلمه مثلاً أنّ شخصًا كذب ثم افتضح أمره، أو أنّ آخر سرق فأهينت كرامته، وأن كل من يتهاون أو يتكاسل يتعرض للشقاء، وأنّ شخصًا قد زرع شرًا فلم يجن إلاّ ثمره، وآخر قد ذهب من الدنيا وخلف وراءه ذكرًا حسنًا أو سيئًا. فكل هذه تعتبر دروسًا يعتبر بها الطفل. فإن كان المربي واعيًا ومتفهمًا للأمور أمكنه استثمار مثل هذه الحوادث وتقديمها للطفل بشكل مثمر وبناء.

- الانتباه إلى رغبات الطفل : ليس الطفل على استعداد في كل الأوقات لإنجاز أي عمل يطلب منه. فلا تحدوه الرغبة أحيانًا في الصلاة، فلا يجب الضغط عليه وإلزامه بالصلاة كرهًا، لأنّ مضار هذا العمل أكبر من نفعه. فليدعوه يتجه للصلاة طوعًا. كي يؤدي صلاته بشوق واندفاع وحضور للقلب، فالإكراه باسم الدّين لا يجدي نفعًا. ومن الضروري أنّ يجد الطفل ارتياحًا مع شخص آخر ملتزم دينيًا. لأنّ مثل هذا الارتياح والألفة، يكرس الانضباط الديني في أعماق نفسه. ولو أنّه أعطي الحرية في العبادة، كما هو حر في الفكر، واتبع معه هذا الأسلوب مبكرًا أي قبل العاشرة، أو حتى قبل الثامنة من العمر، فسيعطي هذا الأسلوب ثماره لاحقًا، وتتركز الأسس في نفسه.

ملخص الفصل :

لقد تناولنا في هذا الفصل كلّ ما يتعلّق بالثقافة الدّينية بدءًا بظهور الدين عند الفرد، أي في مرحلة الطفولة وحاجة الأفراد إليه، ودور الأسرة في ذلك باعتبارها المؤسسة التي تنقل قيم وثقافة المجتمع لأفراده، فهي الوسيط الأوّل الذي ينقل الثقافة الدّينية للأفراد منذ حداثة سنهم وهذا قبل الانتقال إلى الوسائط الأخرى من جماعة رفاق ومدرسة ومسجد ووسائل الإعلام، خاصّة منها الإعلام الديني.ولعل اكتساب الثقافة الدّينية يتمّ وفق مناهج وأساليب محدّدة، وهذا ما قمنا بتفصيله في هذا الفصل.

الفصل5
التحديات الدّينية والأخلاقية الراهنة ومواجهة المسجد لها

لعلّ المشكلة الكبرى التي يعاني منها الواقع الإسلامي هي مدى قدرته في فهم الحياة ووعي حقيقة ما يجري من حوله من تغيرات وتحدّيات، مما عمّق مشاكله السيكولوجية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية والحضارية ككل. وهنا يظهر عنصر الثقافة الدّينية كأحد عناصر الواقع الإسلامي.

فالقراءة الواعية لظاهرة الثقافة الدّينية في الواقع الإسلامي وفهمها لاستخلاص حقيقتها وتحديد أبعادها الرئيسية، يرتبط أساسًا بمراجعة القيمة المفاهمية والعلمية للعقيدة الإسلامية، التي تعتبر المنطلق لتفسير الظاهرة، كما ترتبط بالوعي التاريخي وأثره البالغ في اليقظة والنهوض الحضاري ونمط البناء الثقافي من جهة، ومن جهة أخرى، وعي التحدّي الثقافي الموجه نحو التحرير المفاهيمي للعقيدة الإسلامية، بمعنى وعي المرحلة الراهنة والأمور المشكلة لها وفهم مضمون حركية واقع الإنسان المسلم التي نمى وترعرع عليها ونوع الميكانيزمات الثقافية المحركة لها، ولعلّ أهم مؤسّسة تدافع عن المسلم في ظل هذه التحديات التي تسعى إلى تجريده من عقيدته ودفعه إلى التطرف والمغالاة أو إلى الانحراف والانحلال الأخلاقي هي مؤسسة المسجد بما فيها من إمام ونشاط ديني.

5-1- التحدّيات الدينية والأخلاقية الراهنة

هنالك العديد من التحديات الدينية والأخلاقية في الوقت الراهن:

5-1-1- العولمة وأثرها على البعد الأخلاقي والديني

يثير موضوع العولمة جدلاً واسعًا على السّاحة العالمية في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية، وتتعدّد زوايا دراسته، وتتناقض رؤى التعامل معه، وتتفاوت المواقف منه، ممّا يجعل الإلمام بكل أطراف الظاهرة وأبعادها المتشابكة والمتقاطعة في معظم الأحيان، أمرًا يصعب على أي دراسة أو مؤلف أن يحصيها أو يتناولها من كافّة أبعادها، ولم يعد مفيدًا في التعامل مع هذه الظاهرة الاهتمام بإحصاء أشكالها، والتغطية لكل ما كُتِب عنها، أو اتخاذ موقفًا مؤيّدًا أو معارضًا لها، لكن الأهم من كلّ هذا هو البحث في إشكاليتها، وتشخيص أخطارها في كلّ جانب وفق التخصّص، وفي إطار واقعي تمهيدًا لإنتاج أفكار قابلة للتّطبيق، تقلّل آثارها، وتضيف إلى أفراد المجتمع مهارة حقيقية أو قدرة يمتلكُها في التعامل مع ما تحمله مضامين العولمة من مفردات.

أمّا عن مفهوم العولمة، وعلى الرغم من تعدّد المفاهيم في الصّياغة، إلاّ أنّ دلالة المفهوم تشير إلى أنّها " عمليّة تحول تكنولوجي واقتصادي واجتماعي وثقافي تقلّل من التوازن الدّاخلي للأقاليم عامّة وللدّول في حدّ ذاتها، وهذه العملية تدعم نطاقًا معقّدًا من العلاقات المتبادلة التّي تحلّ فيها شبكات الاتصال محلّ الأقاليم، وتصبح الدّولة فيها مجرّد نظام بيروقراطي يعمل على تحسين الأداء الاقتصادي والتنافس التجاري، ويقلّل بالتدريج تأثير الدّول في الاهتمام الشعبي والجماهيري، وبرزت العولمة اقتصاديًا من خلال تداخل اقتصاديات دول العالم، وتوحيد الأسواق ومناطق الإنتاج، وتدويل معايير الأداء ومفاهيم الإدارة وسهولة انتقال رؤوس الأموال والتكنولوجيا وشبكات المعلومات عبر الحدود السياسية ".[120](ص142)

ويشير هذا المفهوم إلى أنّ العولمة بدأت اقتصاديًا ثمّ سياسيًا وبعدها ثقافيًا ويساندها في الجانب الثقافي أمرين:

الأمر الأوّل : النجاح على المسار الاقتصادي والسياسي، والأمر الثاني: ما توافر لها من مقوّمات تجعلها خطرًا على ثقافتنا الدّينية عامة وأخلاقنا خاصة، فقد توفّرت لايديولوجيا العولمة جملة من المقوّمات ساعدت على انتشار أفكارها، وضمنت لمفاهيمها وسلوكياتها الوصول إلى مجتمعات العالم أجمع بغضّ النظر عن مدى تماشي هذه المفاهيم والقيم مع طبائع المجتمعات ومنطلقاتها الدّينية والثقافية، ممّا جعلها تمثّل تحدّيًا حقيقيًا للقطاع العريض من الشعوب بمختلف فئاتهم العمرية، كما تمثّل خطرًا على تشكيل الوعي وصياغة الشخصية من الناحية الثقافية العامّة باعتبارها إطارًا للأخلاق وطريقةً للتّفكير.

ويعدّ النشئ المسلم أكثر المتأثّرين بهذه العوامل والتحدّيات نظرًا لطبيعة المرحلة التّي يمر بها، التّي تجعله في طور التشكيل والتكوين والبناء، كما يؤكّدها علماء التربية وعلم النفس.

وعلى الرغم من تنوّع مقوّمات العولمة على مختلف الأصعدة، إلاّ أنّ أكثر هذه المقوّمات ارتباطًا بموضوع التأثير الأخلاقي الديني على النشئ المسلم ما يلي: [121](ص128)

- تقدّم نظم الاتصال: خاصّة بعد استخدام البصرية منها في منظومة الاتصال التّي ساعدت على نقل المعلومات بكثافة وسرعة عالية، فضلاً على الأقمار الصناعية التّي أدّت إلى الزيادة الكمية والنوعية في نقل المعلومات ممّا يؤدي إلى تغييرات جوهرية في مفاهيم التنشئة والتعليم والتدريب، وتحتم وجود نماذج ثقافية – أخلاقية – دينية، يمكن من خلالها التعامل مع معطيات ثورة الاتصالات وفي الوقت نفسه الحفاظ على الهويّة.

- الحاسبات التّي تمّ توظيفها في مجالات عديدة، تجاوزت تخزين المعلومات إلى التنبُّؤ بالنتائج العلمية وتحليل الظواهر العلمية، كما ساعدت على انتشار كثيف لأنواع من المعارف على أقراصها يصعب إحصاء كم ونوع تلك المعارف فضلاً عن أثرها العام والأخلاقي خاصّة.

- شبكة الانترنت : على الرّغم من الجهود الكبيرة والمبذولة في كثير من الدّول الإسلامية، للتحكم والانتقاء لنوعية المواقع الملائمة لقيم المجتمع إلاّ أنّ طبيعة هذه الشبكة ونظم معلوماتها وما تشهده على مدار السّاعة من إضافة مواقع وتغيّرات في نظم الاتصال وابتكار طرق التسريب في إطار مؤسسات مشبوهة تحرص على نفاذ تلك المواقع إلى النشئ المسلم يضاعف من خطر تلك الشبكة على الجانب الأخلاقي، رغم ما تقدّمه على مستوى التطوّرات المتميّزة في البناء الأكاديمي، ونظرًا للنّقص الكمّي والتدنّي الكيفي في نوعية المواقع التّي تُعنى بتقديم برامج ثقافية، ترفيهية، تربوية وأخلاقية للنشئ المسلم، وفق استراتيجية واضحة مبنيّة على تخطيط لاحتياجاتهم الفعلية من ناحية، وتحليل مضمون ما تقدّمه المواقع البديلة من ناحية أخرى، ونظرًا لذلك " فإنّ النّشئ ينخرط فيها بحكم عدم اكتمال النضج وخصائص مراحله النمائية وطبيعة محتوى وشكل تلك المواقع المحمّلة بحمولة ثقافية وأخلاقيات تحتاج إلى العديد من الدراسات التحليلية لمدلولها ومضامينها التربوية والأخلاقية ومدى تأثيرها.
- الأدبيات المترجمة التّي تمتلئ بها الساحة العربية الإسلامية، والقصص المترجمة وشكلها خاصة تجذب فئات كبيرة، نظرًا لجاذبيتها ومواءمتها في صورتها وشكلها الأدبي لطبيعة خيال النشئ، فهي تعطي نتائجها بشكل سريع، وتجعل مضمونها من القيم والأفكار يَسري في كيانهم من خلال رموزها وأبطالها ومواقفهم دون أي تلقين خطابي صريح، ويأتي ذلك في إطار مقوّمات العولمة التّي سهّلت تدفق الأفكار والمعلومات.
- البث التلفزيوني العالمي المباشر : وما يتضمّنه من المشاهد الإباحية والمسلسلات الفاحشة التّي تتناقض مع قيمنا الأخلاقية والدينية.

كما تنتشر في العديد من المجتمعات العربية والإسلامية، وسائل كثيرة، تعد من أبرز المقوّمات المعاصرة في التأثير الثقافي والأخلاقي مثل:

- أساليب الاستضافة للشباب المسلم في المجتمعات الغربية.
- استغلال المساعدات الاقتصادية في مجالات التعليم والثقافة والإعلام.
- استغلال المدارس والجامعات الأجنبية. [122](ص205)

كما تفرض العولمة نفسها على الحياة المعاصرة، على العديد من المستويات، سياسيًا واقتصاديًا، فكريًا وعلميًا، ثقافيًا وإعلاميًا، تربويًا وتعليميًا. وهي بذلك من الموضوعات التي تحتاج معالجتها إلى قدر كبير من الفهم لعمقها وجوهرها، والإدراك لبعدها وغايتها، والوقوف على ما تنطوي عليه السياسات التي تتحكم فيها وتقودها، وتتحمّس لها وتدعو إليها، وتمهد للتمكين لها، بشتى الطرق وبمختلف الوسائل.

ولقد أجمعت الدراسات الحديثة لنظام العولمة الذي أصبح اليوم نظامًا يشكل ظاهرة كونية، إن صح التعبير، على اعتبار الخطر الأكبر الذي تنطوي عليه العولمة، هو محو الهويات الثقافية للشعوب، وطمس الخصوصيات الحضارية للأمم.

فإذا كانت العولمة الثقافية تفرض على العالم الإسلامي، في ظل الأوضاع الصعبة التّي يعيشها وفي هذا المناخ، فهذا يستدعي البحث جدّيًا عن الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى ضعف العالم الإسلامي اقتصاديًا، ويدعو في الوقت نفسه، إلى الربط بين معالجة الآثار السيئة للعولمة، وبين المبادرة الجدّية لإصلاح هذه الأوضاع إصلاحًا يقوم على أقوى الأسس.

إنّ المجتمعات الفقيرة المحرومة، تمثّل أحد المجالات الحيوية للعولمة؛ فكلما ضعفت المناعة الاقتصادية، نقص تأثير المناعة الثقافية لدى الشعوب، ممّا يجعل السقوط والانهيار تحت ضربات العولمة الثقافية أكثر احتمالاً في ظل هذه الأحوال. ولذلك فإن العمل المخطط والمدروس في هذا المجال الحيوي، من خلال القنوات المتخصصة، وبتضافر الجهود في إطار العمل الإسلامي المشترك، هو واجب من الواجبات المهمة التّي تقع على كاهل الجميع، والتي لا يُعفى منها أحد.

إنّ من شأن سدّ الفجوة الكبيرة بين الغنى والفقر في العالم الإسلامي، وتحقيق تنمية اقتصادية متوازنة ومتكاملة وشاملة، أن يحدّ من المجال الذي يعمل فيه نظام العولمة الثقافية، وأن يقطع الطريق على القوى المهيمنة التي يسعى القائمون عليها إلى إكراه الحكومات والشعوب على الإذعان لها والرضوخ لإرادتها والذوبان في العولمة الثقافية.

وإذا كان العالم الإسلامي يوجد تحت تأثير ظاهرة العولمة الثقافية، بالنظر إلى أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية والعلمية والإعلامية التي هي دون ما نطمح إليه، فكيف يتسنى له أن يواجه مخاطر هذه العولمة ويقاوم تأثيراتها ويتغلب على ضغوطها؟

إنّ الواقع الذي تعيشه بلدان العالم الإسلامي يوفر الفرص المواتية أمام تغلغل التأثيرات السلبية للعولمة الثقافية، لأنّ مقوّمات المناعة ضد سلبيات العولمة، ليست بالدرجة الكافية التي تقي الجسم الإسلامي من الآفات المهلكة التي تتسبّب فيها هذه الظاهرة العالمية المكتسحة للمواقع والمحطمة للحواجز. [21](ص70)

إنّ المقوّمات الثقافية والقيم الحضارية التي تشكل رصيدنا التاريخي، لن تُغني ولن تنفع بالقدر المطلوب والمؤثر والفاعل في مواجهة العولمة الثقافية، ما دامت أوضاع العالم الإسلامي على ما هي عليه، في المستوى الذي لا يستجيب لطموح الأمة. ولا يحسن بنا أن نستحي من ذكر هذه الحقيقة، لأنّ في إخفائها والتستر عليها، من الخطر على حاضر العالم الإسلامي ومستقبله، ما يزيد من تفاقم الأزمة المركبة التي تعيشها معظم البلدان الإسلامية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية.

إن الشعوب الضعيفة اقتصاديًا والمتخلفة تنمويًا، لا تملك أن تقاوم الضغوط الثقافية أو تصمد أمام الإغراءات القوية لتحافظ على نصاعة هوياتها وطهارة خصوصياتها. ولذلك كان خط الدفاع الأول على جبهة مقاومة آثار العولمة الثقافية، والنهوض بالمجتمعات الإسلامية من النواحي كافة، انطلاقًا من الدعم القوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، في موازاة مع العمل من أجل تقوية الاستقرار وترسيخ قواعده على جميع المستويات، وذلك من خلال القيام بالإصلاحات الضرورية في المجالات ذات الصلة الوثيقة بحياة المواطنين، بحيث ينتقل العالم الإسلامي من مرحلة الضعف والتخلف، إلى مرحلة القوة والتقدم، في إطار القيم الإسلامية وبروح الأخوة والسماحة والتعاون على البر والتقوى طبقًا للتوجيه القرآني الرشيد. [26]

كما أنّ ظاهرة العولمة الثقافية تتركب من منظومة متكاملة من النظم السياسية والاقتصادية والإعلامية والتكنولوجية، لذلك فالمواجهة المطلوبة لآثار هذه العولمة، لابد وأن تكون قائمة على أسس قوية، ومستندة إلى مبادئ سليمة. ومن هنا تأتي الأهمية القصوى للعمل الإسلامي المشترك، على شتى الأصعدة، وفي جميع القنوات، من أجل تعزيز التضامن الإسلامي حتىّ يكون القاعدة المتينة للتعاون بين المجموعة الإسلامية في كل الميادين، وفي سبيل تطوير التنمية الشاملة في العالم الإسلامي، للرفع من مستوى الحياة بمحاربة الظلم والفقر والجهل والمرض، وبإشاعة الوعي الاجتماعي والثقافي الراقي، من خلال الاستثمار العلمي للموارد الاقتصادية والطبيعية والبشرية التي تتوافر لدى الشعوب الإسلامية، والتوظيف المخطط والمدروس للإمكانيات والقدرات، والاستغلال الجيد للفرص المتاحة وللآفاق المفتوحة أمام العالم الإسلامي لتحقيق نقلة حضارية حقيقية.

في هذه الحالة، يمكن أن نمتلك الشروط الضرورية لتقوية جهاز المناعة الثقافية ولتعزيز قدرة الإنسان المسلم على الصمود في وجه العولمة الثقافية. وبدون امتلاك هذه الشروط، يستحيل أن نحمي الهوية الثقافية الحضارية الإسلامية من مخاطر العولمة الثقافية.

إنّ تقوية الكيان الإسلامي اقتصاديًا وعلميًا وتكنولوجيًا وثقافيًا وتربويًا، هي الوسيلة الأجدى والأنفع والأكثر تأثيرًا للتغلب على الآثار السلبية للعولمة الثقافية، وللاستفادة أيضًا، من أثارها الإيجابية في الوقت نفسه، من خطر التكيف المنضبط مع المناخ الثقافي والإعلامي الذي تشكله تيارات العولمة الثقافية، والتعامل الواعي مع مستجداتها ومتغيراتها وتأثيراتها. وبدون هذه الوسيلة، فسوف نضيع في مهب رياح العولمة، وتكتسبها تياراتها العاصفة الجارفة.

ولكن الأمر المؤكد أيضًا، واستنادًا إلى الحسابات نفسها، أنّ ظاهرة العولمة الثقافية، لابد وأن تتراجع أمام مقاومة الشعوب التي تملك رصيدًا حضاريًا متميزًا وإرادة لمواجهة السياسة ذات النزعة الاستبدالية والمدفوعة بإرادة الهيمنة والإصرار على إكراه الشعوب وعلى تبنّي سياسات اقتصادية واجتماعية وثقافية وتعليمية وإعلامية تتعارض مع مصالحها، وتصادم خصوصياتها الثقافية والحضارية. [43](ص93)

ويمكن القول، أنّ العالم الإسلامي سيجد نفسه محاصرًا بمعركة ثقافية ضارية، لا سبيل إلى التغلب على أثارها والانتصار فيها، إلاّ بتطوير آليات العمل الثقافي، وبتحديث وسائله، وبمراجعة شاملة وعميقة لأهدافه وغاياته.

وفى هذا المقام، نشير إلى الأداة الفعالة لتحقيق النهضة الثقافية التي يمتلكها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، وهي المسجد.

ولا يعنى هذا أنّ المستقبل الثقافي للعالم الإسلامي، في عصر العولمة الثقافية، سيكون مستجيبًا لطموح الأمة الإسلامية بمجرد تنفيذ الاستراتيجية الثقافية، ولكن الأمر يتطلب، في المقام الأوّل، بذل المزيد من الجهود المتضافرة لإحداث التغييرات المطلوبة من حيث التفكير والتخطيط والتنفيذ والمتابعة. ويقتضى ذلك أن يغيّر العالم الإسلامي وسائل العمل الثقافي وأدواته وأهدافه أيضًا، وأن يعمل على تطوير مناهج التربية والتعليم وتجديد الدراسات الإنسانية على وجه العموم، والخطاب الديني المسجدي على وجه الخصوص وأن يتجه نحو الأخذ بالأساليب العلمية في العمل الثقافي والإعلامي، حتىّ تتوافر له الوسائل الحديثة الكفيلة بالنهوض الثقافي للعالم الإسلامي كي يصمد ثابتًا أمام ظاهرة العولمة الثقافية.

إنّ العالم الإسلامي لا يملك أن يمنع العولمة الثقافية من الانتشار، لأنّها ظاهرة واقعية تفرض نفسها بحكم قوة النفوذ السياسي والضغط الاقتصادي والتغلغل الإعلامي والمعلوماتى التي يمارسها النظام العالمي الجديد. ولكن العالم الإسلامي يستطيع أن يتحكم في الآثار السلبية لهذه العولمة، إذا بذل جهودًا مضاعفة للخروج من مرحلة التخلف إلى مرحلة التقدم في المجالات كلها، وليس فحسب في مجال واحد، للترابط المشترك بين عناصر التنمية الشاملة ومكوناتها.

إنّ التعامل مع ظاهرة العولمة الثقافية لابد وأن يقوم على أساس القوة الاقتصادية والاستقرار السياسي والسلم الاجتماعي والتقدم في مجالات الحياة كلها، وهذا ما يتطلب، في المقام الأوّل إصلاح الأوضاع في العالم الإسلامي في هذه المجالات كافة، وترسيخ قواعد العمل الإسلامي المشترك، على مستوياته المتعدّدة، من أجل الدفع بالتعاون بين المجموعة الإسلامية نحو أفاق أرحب تطلعًا إلى مستقبل أكثر إشراقًا.

والقضية في عمقها مرتبطة بمدى قوة الإرادة الإسلامية وتماسك جبهة التضامن الإسلامي وتضافر جهود المسلمين كافة، في سبيل بناء النهضة الحضارية للعالم الإسلامي، بالعلم، وبالفهم، وبالوعي، وقبل ذلك كله، بالإيمان واليقين والتضامن والأخوة الإسلامية. [41](ص101)

5-1-2- تأثير الغلو والتطرّف على النشئ المسلم

التطرّف في اللغة : مشتق من الطرف أي الناحية، أو منتهى الشيء، وتطرف أتى الطرف، وجاوز حدّ الاعتدال ولم يتوسط .

وأصل الكلمة في الحسيات ثمّ استخدمت في المعنويات، كالتطرف الفكري، وفي الحقيقة هو مصطلح صحفي ولم يرد هذا اللفظ بهذا الاصطلاح لا في الكتاب ولا في السنّة.

وغالبًا ما يستخدم هذا المصطلح من قبل العلمانيين دون التزام بالموضوعية في هذا المصطلح، فهم لم يحددوا أوّلاً ما هو التطرّف، ولا معناه، بل يريدونه لفظًا غامضًا عامًا فضفاضًا لمحاولة إضفائه وإلصاقه فيمن يشاءون سواء كانت الخصومة سياسية أو فكرية أو شرعية أو دنيوية، بل حتىّ خصومة شخصية، فاليوم التطرف والمتطرف هو الإسلام والملتزم به، وغدا يتحول التطرف إلى جهة أخرى. [123](ص19)

فمن له مواقف سياسية معينة ضد إسرائيل فهو متطرف سياسي مهما كانت قضيته عادلة، ويذل من أجل الدفاع عن دينه وبلده وأمته.

ومواجهة بعض المواقف السلوكية السلبية في نظر بعض العلمانيين تطرف كالدعوة إلى الحجاب، ونبذ التبرج، أو محاربة الربا، والدعوة للعمل بالنظام الإسلامي، أو تجنب الفواحش، وتقييد الحريات بالضوابط الدّينية يعد تطرفًا عند البعض، كما يعد متطرفًا من يدعوا للالتزام العقائدي في الدعوة لحكم الشريعة واعتبار غير المسلم له أحكامه الخاصة به، وأنّ لقاء الديانات على غير كلمة التوحيد غير ممكن، وأنّ من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بلغته الرسالة وزالت عنه الموانع فليس بمسلم، ففي نظر البعض يعد هذا متطرفًا عقديًا، ولذا فهذه اللفظة ليس لها حدّ لمعرفة ما تجمع وما تمنع إذ الكل يوظفها حسب هواه، وبما أنّ التطرف هو مجاوزة حدّ الاعتدال فهذا يدعو إلى معرفة الغلو. [123](ص25)

والغلو لفظة شرعية وردت في الكتاب والسنّة وهي من غلا إذ زاد وارتفع وجاوز الحدّ.

ولذا فإنّ استخدام المصطلحات الشرعية أسلم وأحكم.

والغلو هو مجاوزة الحدّ والحدّ هو النص الشرعي على فهم سلف الأمة الذين شهدوا التنزيل وفهموا مقاصد الشرع الحكيم. والغلو نوعان:

الأوّل غلو اعتقادي: كغلو النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام، وغلو الرافضة في الأئمة، وغلو الصوفية في الأولياء، وغلو الخوارج في تكفير أهل الإسلام بالكبيرة والذنب.

والثاني غلو عملي: وهو المتعلق بالأمور العملية التفصيلية من الأقوال والأفعال بما لا يترتب عليه اعتقاد مثل رمي الجمار بالحصى الكبيرة، والزيادة في العبادات كالوصال في الصوم والتبتل بعدم الزواج والرهبنة في الدين... الخ. [123](ص49)

وإذا كان التطرف هو الميل إلى أحد الطرفين فهو ضد الوسطية والاعتدال وهو ميل إمّا إلى غلو وإمّا ميل إلى تساهل وإلغاء وانحراف.

إنّ قضية الغلو في الدّين لم تكن وليدة اليوم فهي عند اليهود وأحبارهم وعند النصارى في رهبانهم، وظهرت في الخوارج في الإسلام، وظهرت عند المتصوّفة، وعند كثير من الفرق التي انتسبت إلى الإسلام .[44](ص210)

إنّ مفهوم التطرف والإرهاب قد أصبح فضفاضًا وقد أدخلت فيه كثير من القضايا العادلة كقضية فلسطين وغيرها، واستخدمت الآلة العسكرية والقوى الأمنية بأعلى درجات البطش للقضاء على التطرف والإرهاب دون بحث في جذور المشكلة وأسبابها.

وكثيرًا من النّاس يستقون معلوماتهم من الإعلام وفي كثير من الأحيان يكون الإعلام موجهًا لخدمة فكرة ما أو تيار معين، وقد أصبح من الواضح عبر الصياغة الإعلامية أنّ التطرف والأصولية والإرهاب إنّما هي ألفاظ لصيقة بالإسلام والمسلمين وليس لها علاقة بممارسات بعض الدول المحتلة التي تستولي على الشعوب وتنهب خيراتها كحال إسرائيل مع الفلسطينين مثلاً.

يجب أن يكون واضحًا أنّ الذين يتكلمون عن التطرف والإرهاب والأصولية بقصد التنفير أو التحريض أو التحذير أو الإشارة إنّما يخلطون الأوراق بين من يغلو حقيقة وبين من يلتزم بالإسلام.

فعندهم أنّ الملتحي والمحجبة والداعي للحكم بشريعة الله تعالى ورافض المنكر متطرف، وهذا الخلط مقصود منه وقف المد الإسلامي، وضرب الصحوة الإسلامية العريضة وتنفير النّاس من الإسلام فهم إنّما يحاربون الإسلام في حقيقة تعاليمه وليس التطرف.

كما لابد أن يكون واضحًا أنّ حجم التطرف والغلو لدى الشباب الإسلامي أقل بكثير جدًا ممّا يهوله المغرضون لذا يجب أن تناقش قضية التطرف والغلو بموضوعية علمية لكي لا يستخدم علماء الشريعة سلاحًا ضد هويتهم الإسلامية. [124]

يجمع الباحثون في قضية التطرف والغلو أنّ أسبابه لا تنحصر في الجهل بأحكام الدّين، وإنّما منها ما هو سياسي، ومنها ما هو تربوي، ومنها ما هو نفسي، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو ثقافي، ومنها ما هو مجتمعي.

ويغذي التطرف أحيانًا الأفراد وأحيانًا أخرى الجماعات، وفي بعض الأحيان مؤسسات ودول تحت مظلة النظام والقانون، وربما المحاكم الصورية ولذا نعالج التطرف والغلو في أهم أسبابه وهي:

أوّلاً: الجهل بعدم معرفة حكم الله تعالى مع الغيرة على دين الله وتعظيم الحرمات وشدة الخوف من الله، فلا يتحمل الإنسان أن يرى من أخيه المسلم معصية كبيرة، ولا يتصور أن تصدر هذه الكبيرة من مسلم، لذا فسرعان ما ينقله من دائرة الإسلام إلى خارجها. [124]

وهذا الجهل ناتج عن غياب الوعي الديني والفهم العميق للنصوص وربما أدى به ذلك إلى الجرأة على الأحكام الشرعية، ومعالجة النوازل من غير أهل الاختصاص دون فهم للنصوص الشرعية ومعرفة مقاصد الأحكام والإلمام بأسرار اللّغة والرجوع لمن شاهد التنزيل وفهم التأويل.

والجهل يعالج بإثباته أوّلاً من خلال تخطئته وإبراز الصواب أي بالعلم والمناظرة والمناصحة وقد ناظر ابن عباس الخوارج بأمر علي رضي الله عنه فرجع منهم أربعة آلاف. وبعث عمر بن عبد العزيز رحمه الله من يناظرهم في عهده فرجع منهم ألفي إنسان وهكذا على أهل العلم فتح صدورهم ومجالسهم للسؤال والإجابة على أسئلة الشباب وشبهاتهم والاقتراب منهم والنزول إلى ميدانهم لرفع الجهل عنهم ولقطع الطريق على من يتصدرهم من غير أهل الاختصاص، ولعل هذا العمل هو مهمّة علماء الدين وخاصة أئمة المساجد.

ثانيًا: الهوى المؤدي للتعسف في تأويل النصوص ولي أعناق الآيات والأحاديث طلبًا للشهرة والرياسة والزعامة وقد وافق ذلك نفسية مريضة منحرفة فهي تميل إلى العنف والحدة والانحراف ممّا يؤدي إلى إسقاط الثقة بالعلماء، ويستقل الإنسان بنفسه وفهمه ورأيه.

ثالثًا: أسباب تتعلق بالمجتمع والدولة [125]لان الانحلال الخلقي المدعوم أحيانًا بالقانون تحت غطاء الحرية هو أحد أسباب حصول التطرف والغلو. فمظاهر الرذيلة التي يشاهدها المسلم خاصة في المجتمعات الإسلامية في الشارع والمدرسة والجامعة والإعلام الرسمي والصحافة والإذاعة والأسواق من ناحية، الاستهزاء بالدّين وحملته وتشويه صورته ومحاربته، ومحاصرة رجل الدّين في فكره وإغلاق منافذ التعبير عليه، كل ذلك من أسباب نشوء التطرف والإرهاب وردة الفعل القاسية وإن كانت غير مبررة إلاّ أنّها من الأسباب.

رابعًا: أسباب سياسية [125] تتعلق بواقع الأمة الخارجي من احتلال أراضيها وقتل أبنائها وهتك عرض بناتها ومصادرة ثرواتها وكشف أستارها وإسقاط هيبتها فما يحصل في أفغانستان والعراق وفلسطين لا شك أنّه سينعكس انتقامًا في نفوس الشباب وسيكون وقودًا صالحًا للاشتغال متى ما أتيحت الفرصة.

ولعل آخر هذه الأمور هو تدنيس المصحف الشريف في قاعدة غونتانامو بكوبا وقاعدة باغرام بأفغانستان واعتراف القوات الأمريكية بذلك، هذا على المستوى الخارجي.

وعلى المستوى الداخلي :فإنّ الزج بآلاف الشباب في السجون والمعتقلات تحت غطاء المحاكمات الصورية ومداهمة منازلهم وحرق سمعتهم والتشهير بهم ومنعهم من ممارسة حرية التعبير بل حتىّ حرية العبادة كالحجاب أو اللحية أو الصلوات في المساجد أو المطالبة بتطبيق الشريعة وتعرضهم لأقصى درجات التعذيب والإهانة وسحق الإنسانية كل ذلك كفيل في أن يولد لنا تطرفًا وغلوا وإرهابًا.

خامسًا : الأوضاع الاقتصادية [126]وسببها أولئك النافذين الذين استكثروا على شعوبهم أن يشاركوهم الحياة فاستأثروا بالثروات والمؤسسات والشركات وعاشوا حياة البذخ والسرف من السرقات والرشاوى والنفوذ واستغلال السلطة في ظل وجود طبقة محرومة تعيش دون مستوى الفقر، بل تصل إلى حدّ العدم ولا تملك شيئًا ولا يمكنهم الحصول على شيء إلاّ من خلال التسول وإراقة ماء الوجه، وإهدار كرامة الإنسان بل بعضهم اضطر إلى بيع عرضه والتخلي عن شرفه من أجل أن يعيش، فماذا نتوقع من ألوف من الجامعيين العاطلين عن العمل وآلاف من البنات العازبات عن الزواج بسبب نقص ذات اليد لدى الشباب مع ارتفاع تكاليف الحياة والمعيشة، إنّه وبحكم الطبيعة البشرية سيرتفع مستوى الحقد والحسد والتحامل والتطرف والنقمة على الآخر الغني الذي كان سبب غناه هو استئثاره بالسلطة أو ربما أنّه من أبناء وسلالة فلان أو من الحزب الحاكم أو غيره، ولنا أن نتصور ما يفعل الفقر في الإنسان من أمراض جسدية يعجز عن علاجها وأمراض نفسية يورثها الفقر والهم والتفكير بالغد وعدم قدرة على التعليم بل ولا على العيش، ويوافق ذلك هوى في النفس ومجاميع عاطلة تتوافق نفسيًا مع بعضها من حيث مبدأ التحامل على النظام بسبب الفقر والفاقة وعدم العدالة في توزيع الثروات ممّا يؤجج روح العداء ويذكي نار التطرف والغلو تحت مسمى الدّين أو غيره. [126]

سادسًا : الفراغ الروحي الذي يحيط بالشباب، فعدم وجود ما يشبع رغبات الشباب خاصة إذا وافق ذلك بطالة وعدم وجود سبل الرزق وكسب العيش، كفيل في ضياعهم وربما انحرافهم ممّا يسهل توجيههم واستغلالهم من قبل أي إنسان كان وحسب رغبته وخططه وربما كان هذا الفراغ سببًا للجريمة والإفساد في المجتمع. [127]

من الطبيعي لهذه الظاهرة أن تورث آثارًا سيئة منها:

1- الإفراط في التدين لإثبات الذات وإظهارها بأنّها مميزة عن الآخرين.

2- التفريط الذي يؤدي إلى الكفر والإلحاد فلا يبقى للإنسان فضيلة في نفسه وقد يلجأ للهروب من الواقع ويتعاطى المخدرات والمسكرات كعلاج لهذا الواقع المرير.

3- التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، ممّا يؤدي إلى إلزام النّاس بما لم يلزمهم الله به وقد يؤدي ذلك إلى الغلظة والخشونة وإيذاء الآخرين.

5-1-3- الانحراف الأخلاقي

الانحراف هو الخروج عن الخط والميلان عنه، وإذا خرج المسلم عن ضوابط الدّين وقواعد الشريعة، نقول عنه كما نقول عن السائق أو النهر أو المركبة، إنّه خرج عن خط السير أو منهاج الشريعة. [128](ص154)

إذن خروج عن الحدّ.. فهو (شذوذ) و (تطرّف) والقرآن يعبّر عنه تارة بـ (الفسق) وهو خروج كل ذي قشر عن قشره، فيقال فسقت النواة أي خرجت عن التمرة، والمراد به اصطلاحًا العصيان وتجاوز حدود الشرع، فحينما يقال فسق عن أمر ربّه أي خرج عن طاعته. [128](ص154) فـ (الفسق) انحراف.

ويعبّر عنه تارة أخرى بـ (الزيغ) وهو الميل عن المقصد، أو الميل عن الطريق، أي الاعوجاج بعد الاستقامة. فـ (الزيغ) انحراف.

وكما للسير أو المرور في الطريق قواعده وقوانينه التي تحمي السائق والمارّة من المخاطر، فكذلك لكلّ مخلوق وكائن حي قواعد وقوانين تنظم له حياته[128](ص153).

للانحراف أسباب منها:

أوّلاً: الأزمات العارضة

إنّ الإنسان ينزع دومًا نحو الاستقرار وأسبابه من حضارة وسلم وما تعدّه الأمم من عدّة وعدد إنّما هو لردع كل من يحاول أن يعرض استقرارها للخطر ومن هنا قد يتولد الانحراف عن الحروب والهجرات الجماعية والمحتشدات وما تحدثه من اهتزاز في القيم وعدم التلائم بين الفرد وبيئته الجديدة ولهذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون فتح مكة سلميًا وأن يبرم هدنة الحديبية توفيرًا للأمن والاستقرار واقتصادًا في الأرواح والأموال. [129]

ثانيا : الظلم الاجتماعي

إنّ الأصل في المجتمعات البشرية أن يسودها العدل الذي يأخذ من كل فرد طاقته ويعطي كل فرد حقه وما يستحقه حتىّ لا يحول الوضع الاجتماعي للفرد دون تفتح شخصيته، ولكن عندما يغيب سلطان العدل والأخلاق عند ذلك تختل الموازين فينقسم المجتمع إلى طبقات بعضها محروم من كل شيء والبعض الآخر يتمتع بكل شيء. وما نلاحظ من اختلال في التوازن بين الطبقات والشعوب ليس وليد حتمية طبيعية أو بخل في الطبيعة، فالله قد خلق من الخيرات ما يسد حاجات البشر ولكن أنا يتحقق العدل وقد سلم المسلمون زمام أمر الإنسانية للمستكبرين الظالمين!! [129]

ثالثًا: الفراغ المهني والدراسي

الفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية، إذ النفس لابد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر وثخن العقل وضعفت حركة النفس واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب، وربما تحدت له إرادات سيئة شريرة ينفّس بها عن الكبت الذي أصابه عن الفراغ.وعلاج هذه المشكلة: أن يسعى الشباب في تحصيل عمل يناسبه من قراءة أو تجارة أو كتابة أو غيرها ممّا يحول بينه وبين هذا الفراغ ويستوجب أن يكون عضوًا سليمًا عاملاً في مجتمعه لنفسه ولغيره. [130](ص165)

رابعًا: ضعف الوازع الديني

إنّ استقامة الفرد متوقفة على فعالية التربية وإيجابية المؤسسات التي تؤثر في الفرد وتبني تصوره ونظرته إلى الوجود والحياة والمفروض أن المؤسسات تنمي في الفرد الشعور بالحرية مع وضع الضوابط له وتكوين وازع لديه ليعصمه من الانحراف.

خامسا: استخدام تقنية البلوتوث الموجودة في الجوالات الجديدة في نشر كل ما يسيء لأخلاق الدّين الإسلامي.

سادسًا: بعض القنوات الفضائية المخلة بالأدب.

سابعًا: غياب الالتزام بالعادات والتقاليد.

ثامنًا: تغيّر المجتمع بأن صار يلهث خلف الموضة وموضة الوقت هي شبيهة بالانحلال. [130](ص205)

ومن نتائج ظاهرة الانحراف نجد:

1- وجود التهاون بالشعائر الدّينية وأوّلها الصلاة، والتميع وعدم الجدية.

2- إهدار الأوقات وعدم تقدير قيمة الزمن.

3- الإسراف والتبذير والكبر والغرور.

4- ارتكاب الفواحش كالزنا، وعقوق الوالدين، وحب الراحة وعدم الصبر على العمل الجاد المثمر وغيرها.

إنّ الانحراف الحقيقي هو التجرد من الدّين أو الأخلاق وعقوق الوالدين أو إدمان الخمور أو المخدرات وغيرها.. هذه المشاكل الكبيرة هي الانحراف بعينه وهي المشاكل التي لابد من علاجها والتدخل السريع فيها.

وهو مخالفة للمبادئ والعادات السائدة في المجتمع، وهذا الانحراف قد يبدأ من عدم الحشمة في اللباس وصولاً إلى المخدرات والسرقة والعنف وغيرها ونؤكد على أهمية دور الأسرة والمسجد في صقل شخصية الفرد إلى جانب دور المجتمع تجاه الفرد، كما أنّ مشكلة البطالة الموجودة في المجتمع لها أن تزيد من نسبة المنحرفين.

إنّ الانحراف له أسباب ذاتية وموضوعية وعلاجه يكمن في رسم استراتيجية حضارية شاملة يلتقي فيها النص الشرعي واحتياجات العصر والإنسان. والعلاج ليس تسكينًا للألم بل لابد من الإسهام الإيجابي في البناء الحضاري الذي يقي من الانحراف. ومن مقوّمات تلك الإستراتيجية ما يلي: [128](ص196)

أ- تطوير المدرسة لتستجيب لتحديات المرحلة واحتياجات المجتمع.

ب- تطوير المسجد لتمكينه من أداء رسالته التربوية والاجتماعية والعلمية والتعبدية وإنشاء الرياض القرآنية التابعة للمسجد مع تعيين مربين ذوي خبرة علمية وتربوية يساعدون على تحصين الطفل وتزويده مبكرًا ببعض القيم وبعض الخبرات المناسبة لسنه.

ج- تطوير الخطاب المسجدي ليرتفع إلى مستوى متطلبات المرحلة والعصر.

د- نشر الوعي الاجتماعي الإسلامي ليستعيد المسلم الوعي بقيمة العمل.

هـ - رفع مردود المؤسسات الاقتصادية لتوفير الأموال لتشغيل الشباب في قطاعات الخدمات المختلفة.

و- إحياء الضمير الجماعي في الأمة لاستعادة التلاحم بين أفراد المجتمع فبذلك تحيا وظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتكافل الاجتماعي.

ومن طرق العلاج أيضًا ما ذكره فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ونلخص بعض من ما ذكر في هذه الأسطر: [131]

1- الألفة بين أطراف المجتمع وأن يعتقد الجميع بأنّ المجتمع بشبابه وكباره كالجسد الواحد إذا فسد منه عضو أدى ذلك إلى فساد الكل..

2- على الشباب والفتيات أن ينتبهوا في اختيار الصحبة من كان ذا خير وصلاح وعقل، من أجل أن يكتسب من خيره وصلاحه وعقله، فيزن النّاس قبل مصاحبتهم بالبحث عن أحوالهم وسمعتهم، فإن كانوا ذوي خلق فاضل ودين مستقيم وسمعة طيبة فهم ضالته المنشودة وغنيمته المحرزة فليستمسك بهم وإلاّ فالواجب الحذر منهم والبعد عنهم..

3- قراءة بعض الكتب النافعة وأهم الكتب النافعة كتاب الله، وما كان عليه أهل العلم من التفسير بالمأثور الصحيح والمعقول الصريح، وكذلك سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ما كتبه أهل العلم استنباطًا من هذين المصدرين أو تفقهًا.

يظن بعض الشباب أنّ الإسلام تقييد للحريات وكبت للطاقات فينفر من الإسلام ويعتقده دينًا رجعيًا يأخذ بيد أهله إلى الوراء ويحول بينهم وبين التقدم والرقي. وعلاج هذه المشكلة: أن يكشف النقاب عن حقيقة الإسلام لهؤلاء الشباب الذين جهلوا حقيقته لسوء تصورهم أو قصور علمهم أو كليهما معًا.

فالإسلام ليس تقييدًا للحريات، ولكنه تنظيم لها وتوجيه سليم حتىّ لا تصطدم حرية شخص بحرية آخرين عندما يعطى الحرية بلا حدود، لأنّه ما من شخص يريد الحرية المطلقة بلا حدود إلاّ كانت حريته هذه على حساب حريات الآخرين، فيقع التصادم بين الحريات وتنتشر الفوضى ويحل الفساد.

إنّ الحماية من الانحراف هو مسؤولية تقع على عاتق :

1- الأسرة.

2- المراكز التعليمية والتربوية.

3 - علماء الدّين والمؤسسات الدّينية.

4- الكتاب والأدباء والمثقفون.

5- مواقع الشبكة المعلوماتية الخاصة بالشباب والشباب أنفسهم.

7- وسائل الإعلام ممثلة في الإذاعة المرئية والمسموعة والصحف والمجلات خاصة الإعلام الديني.

تبقى مسؤولية الشاب عن نفسه في حماية نفسه من الانحراف من أهم المسؤوليات، فقد لا تنفع الدوائر الأخرى في حمل الشباب على الإقلاع عن ظاهرة انحرافية معينة، لكن الفتيان والفتيات قادرون على الوقوف بوجهها إذا تنبّهوا إلى مخاطرها الحاضرة والمستقبلة، ذلك أنّ الشاب وحده الذي بيده قرار الاستسلام للانحراف والانسياق مع المنحرفين، وبيده وحده قرار الممانعة والمقاومة ورفض الضغوط أو الإغراءات التي يلوّح بها الانحراف.

من هنا تأتي ضرورة أن يعمد الشاب أو الفتاة إلى تربية أنفسهما منذ وقت مبكر على الإحساس بالمسؤولية وتحمل نتائج الأعمال ومعرفة الصواب من الخطأ، والرجوع إلى ذوي الخبرة والاختصاص في حال عجزوا عن ذلك.

فالإنسان طبيب نفسه، ويمكنه كشاب أن يتفادى الانحراف بالمزيد من الرقابة الذاتية والتحسّب للنتائج والمخاطر المترتبة عليه، والتواصي فيما بينه وبين الآخرين من الأصدقاء والأخوة على مكافحته ومساعدة الدوائر الأخرى في القيام بدورها على أكمل وجه. [129]

5-1-4- تحديات دينية وأخلاقية أخرى

إلى جانب التحديات السابقة هناك تحديات دينية وأخلاقية أخرى من أهمها:

أولا:ظاهرة التنصير التي يتعرّض لها المسلمون في مختلف بقاع العالم، والتي تستهدف الإسلام في صميمه، فهي تعمل على هدم العقيدة الإسلامية في المسلمين واستبدالها بالعقيدة المسيحية، وترصد لذلك مختلف الوسائل خاصّة الإعلامية والتي تصل إلى مبتغاها بشتّى الطّرق، وتلقي الاستجابة الكبيرة لدى محدودي الثقافة من المسلمين فينساقون ورائها، معتقدين أنّها الصّواب، كما تستغل ظروفهم الاجتماعية ووضعياتهم المالية البائسة لتمرير هذه المشاريع، أمّا الذين أدركوا هذا الخطر ويعملون على مواجهته، فهم كما قال عنهم الشيخ الغزالي " والأقليات الإسلامية في العالم تتآكل تآكل اليابسة أمام اللّجج العاتية وتكاد تعجز عن المقاومة ولا تجد العون من أحد. [135](ص115)

وقد تزايدت ظاهرة التنصير في أوساط شباب الجزائر بوتيرة لم تعهدها من قبل، إذ يندفع عشرات من الشباب الجزائريين للانضمام إلى المسيحية، مما جعل متتبعي الموضوع يرجعون أسباب تزايد هذه الظاهرة إلى استغلال دعاة التنصير الظروف العصيبة والأوضاع الاجتماعية المتدهورة التي تمر بها الجزائر بهدف الاستحواذ على أكبر عدد ممكن من عقول الشبان ويرى المهتمون بهذا الملف أنّ الوضعية الحالية تبعث على القلق. فحسب إحصائيات رسمية تشير الأرقام إلى أنّ عدد الذين ارتدوا عن الإسلام واعتنقوا المسيحية يقدر بـ 10 آلاف شخص، [133]وحتى أنّ السياسيين في تعليقاتهم على الأرقام المذكورة دقوا ناقوس الخطر، بأنّ هذا الأمر يهدد الوحدة الوطنية حينما اعتبر وزير الشؤون

الدّينية أنّ المسيحية البروتستانتية مرتبطة بطروحات استعمارية، وبلغ الأمر إلى حدّ تدخل أحد نواب البرلمان ومطالبته باتخاذ إجراءات صارمة وردعية ضد المبشرين الذين يتحركون كيفما شاءوا دون أدنى مراقبة حكومية. ويكثف المبشرون تحركاتهم التنصيرية مستهدفين أوساط الشباب بهدف إيجاد أقلية دينية تدافع عن حقوقها على غرار ما وقع في دول مجاورة. ويبدأ العمل التنصيري عن طريق العديد من الجمعيات الخيرية التي تتظاهر بالوقاية من الخمر والمخدرات والدعوة إلى الأخلاق الحسنة.

كما يتم إدماج الشباب المتزايد إقباله على المكتبات التابعة للكنائس حيث يتم استقبالهم من قبل الرهبان وتزويدهم بالكتب والمجلات التبشيرية وبأشرطة فيديو تحوي حصصًا بالأمازيغية حول فضائل المسيحية كانت قناة فضائية تبث برامجها من جزيرة قبرص. وتعتبر منطقة القبائل مرتعا خصبًا للتبشير، إذ يلجأ الكثير من المبشرين القادمين من الغرب إلى منطقة تيزي وزو وبجاية لتأسيس مراكزهم، حيث كان النشاط التبشيري يشكل خطرًا جسيمًا على وحدة الجزائر. وتشير إحصاءات نشرتها الصحف المحلية مؤخرًا، إلى تواجد 19 جمعية خيرية مسيحية تنشط بالقبائل، وأنّ متوسط المرتدين عن الدين الإسلامي يصل إلى 06 أفراد في اليوم. غير أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى لسان رئيسيها عبد الرحمن شيبان تفند مثل هذه الإحصائيات، وقال لجريدة الوطن إنّ مثل هذه التقارير لا ترمي سوى إلى بث الحقد والسخط على سكان منطقة القبائل. وأضاف أنّ القبائل تعتز بإسلامها وأشار في هذا السياق إلى مئات الزوايا (الكتاتيب) التي تلقن الصبيان القرآن الكريم والحديث الشريف. [133]

ثانيا : الانعكاسات المختلفة لسياسة التطبيع التّي تعرفها الكثير من الأقطار الإسلامية والتي باتت تشكّل خطرًا حقيقيًا ومنفذ فساد طال الواقع الإسلامي، وزعزع كيان المسلمين، وهذه الانعكاسات كثيرة منها ما يتعلق بالتصوّر الإسلامي الذي صار مهدّدًا، فعلاقة المسلم باليهودي بيّنها القرآن الكريم: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ ". (الآية 84 ، سورة المائدة).

وعليه فمحاولة قبول اليهودي محاولة لوضع الشيء في غير محلّه، لأنّ الأمر لا ينسجم مع التصوّر الإسلامي الذي رسّخه القرآن الكريم. وتتجلّى هذه الانعكاسات بشكل أخطر في ظاهرة زواج بعض أبناء الدّول الإسلامية من النساء الإسرائيليات، وهذا أمر غاية في الخطورة، لأنّه يترتّب عليه اختلاط الأنساب، ويتعدّر ساعتها حفاظ المسلمين على إسلامهم. [134](ص8)

ثالثا:المحاولات الحديثة لقراءة النّص الديني وهي محاولات يسعى أصحابها إلى قراءة النّص الشريف بغير وسائله وأدواته وبغير المناهج التّي وضعها علماء الإسلام وحدّدوا ضوابطها، وكلّ ذلك بإسم العلمية، وقد أدّت هذه القراءات إلى رؤى تخالف الشَّرع في مجالات كثيرة، فبعضهم قال بظرفية النصوص وأنّها مرتبطة بوقت، وبحدث معيّن لا تتجاوزه هو سبب النزول[135](ص52)، كظاهرة الحجاب واعتبار الزواج تقييد للحرية وغيرها. وترتّب على ذلك القول بتعطيل الأحكام،

والطعن في إجماع المسلمين، عبر تاريخهم الطويل، وادعاء تاريخية المرجعية الإسلامية، وهذا أمر أيضًا بيّن الخطورة لما فيه من محاولات لفصل المسلمين عن مصادر تشريعهم، وقطع صلتهم بالوحي وإبعادهم عنه، وهذا إلغاء تدريجي للهوية الإسلامية وهذه قضية أخطر من سابقاتها، لأنّها موجّهة للنخبة الإسلامية، وإذا زعزت النخبة يسهل أمر الأتباع.

ومثل هذه التحدّيات... هي تحدّيات خطيرة يواجهها الوجود الإسلامي، ويجب أن تكون محلّ اهتمام الخطاب المسجدي، لأنّه الوسيلة التّي تتصدّى لكلّ ما يمسّ بالإسلام والمسلمين.

5-2- تفعيل دور المسجد في حياة المجتمع

يمكن تفعيل دور المسجد في المجتمع بعدة طرق منها:

5-2-1- إصلاح الخطاب المسجدي لمواجهة التحديات الراهنة

الخطاب المسجدي موجه لطوائف عديدة، ولأناس ذوي أعمار غير متجانسة، ولمستويات مختلفة ومتباينة في المجال الثقافي والمعرفي والمستوى الإدراكي ممّا يتطلب اختيار منهجية خاصة ولغة مشتركة وبسيطة وأسلوبًا توجيهيًا منوّعًا، كما يتطلب الأمر اختيار موضوعات تتصل باهتمامات النّاس كلهم صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم وتمس كل فئة من فئات المجتمع، وتعالج الانحرافات والاختلالات التّي تلاحظ في أوساط المجتمع الذي يمثلونه، وحتى المحتويات التّي يركز عليها الخطاب المسجدي تختلف عن المحتويات المقررة في مجالات التعليم المباشر.

كما أنّ نسبة الخطاب إلى المسجد الذي هو منبع العلم والهداية منذ وجوده تعني أنّ للمسجد دورًا تربويًا رائدًا، ورسالة حضارية هما أساس وجوده، ومحور نشاطه العلمي والديني والأخلاقي، لذا ينبغي أن يصب الخطاب المسجدي في هذا الاتجاه ليحدث الأثر الفكري والتربوي المنشود، والذي يرجوه المجتمع، ويتطلع إليه الرأي العام، لأنّ غاية نشاطه تربية النّاس وتوجيههم إلى ما يخدم دينهم ودنياهم ويرقي حياتهم ويزكي نفوسهم ويبقيهم على توافق وانسجام مع ذاتيتهم ومع مجتمعهم ومع القيم الخالدة التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، هذه القيم التّي يجب أن تكون محور الخطاب المسجدي الذي نريد منه أن لا يحصر نفسه في التذكير بأحكام العبادات وبطرح ما يجوز وما لا يجوز من الأقوال والأفعال، لأنّ ما تنتظره الأمّة من رسالة المسجد ومن الخطاب الذي يمارسه العاملون في هذا الحقل هو أشمل من ذلك وأعمق، فالمنتظر هو إعادة صياغة وجدان الإنسان المسلم. بما يجعله يعي حقيقة الإسلام ويتحرك في إطارها ويعيشها فكرًا وعقيدة وسلوكًا، وفق تحولات الواقع المتغير والحاجات المتجددة فالأهم إذن هو توجيه النّاس والأجيال بصفة خاصة إلى كنه الحقيقة الإسلامية التي رسمها القرآن وأوضحتها السنّة النبوية وبينتها التجربة التاريخية التي جسمت الحضارة الإسلامية، والحقيقة الإسلامية كما يراها العلماء المصلحون ومنهم ابن باديس، والأفغاني وغيرهما من أولئك الذين أدركوا حقيقة الإسلام ووجهوا جهودهم الفكرية والعلمية لتبيانها؛ هذه الحقيقة لا تنحصر في العبادات وبعض المعاملات التي يلتزم بها

الفرد التزامًا شخصيًا، ولا في المعلومات والتعاليم التي تلقن للنّاس ويوجّه الاهتمام فيها إلى تربية وجدانهم وتهذيب سلوكهم فحسب، وتهمل فيها الجوانب المتعلقة بتنظيم الحياة (حياة النّاس) وتدبير شؤونهم وتحديد المسؤوليات المنوطة بالفرد والجماعة، وأساليب التحرك داخل المجتمع ومعه، والعلاقات التي تربط الفرد بغيره، وبالمحيط الذي يعيش فيه (المحلي والعالمي). [25](ص28)

فالإسلام من هذا المنظور ليس اهتمامًا بالماضي والتراث وإغفالاً للحاضر والمستقبل، وليس انغلاقًا على الذات وانقطاعًا عن الدنيا والمتع المباحة والنشاطات المادية التي لا تبعد الإنسان عن دينه. وهذا ينسجم مع ما يقرره الإسلام من ضرورة الجمع بين الدّين والدّنيا.

ومن الأمور التي هي من صميم الخطاب المسجدي بالإضافة إلى ما يتعلق بالجوانب الشرعية التي تطرحها قضايا الحياة المعاصرة ما له من صلة جوهرية بحياة الأمّة الإسلامية والأوضاع التّي تعيشها ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا، فلابد أن يتناول الخطاب المشكلات التي تواجهها والتي تسهم معالجتها في النهوض بواقعها، وترقية وعيها بذاتيتها، وتوجيهها نحو الأخذ بأسباب التقدم، ودفعها إلى المشاركة الإيجابية في الحياة المعاصرة والإقبال على العلم والعمل والإنتاج، لأنّ الغاية التي يجب أن يستهدفها الممارس للخطاب المسجدي بالخصوص هي الرقي بتفكير أفراد الأمّة والسمو بعقيدتهم إلى المستوى الذي يجعلهم قادرين على الفعل المبدع الذي يواجهون به مشكلات الحياة ويبتكرون الحلول التي تلائم العصر، ويتخذون المواقف الإيجابية حين يكونون في مواجهة التحديات التي تعترضهم من غير أن يتخلوا عن أخلاقهم وعقيدتهم وخصوصياتهم الثقافية، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ منطلقات الخطاب في مجال النهوض برسالة المسجد هي نظرة القرآن إلى الإنسان الذي هو المعني بهذا الخطاب تلك النظرة التي لا تجزئ حقيقة الإنسان وإنّما تنظر إليه نظرة كلية كما هو في واقع أمره، فهو (أي الإنسان) عقل وروح وجسم وغرائز ودوافع وإرادة وخلق وعمل، هذه هي العناصر التّي تشكل وجود الإنسان بكامله كما ينظر إليه القرآن. هذه العناصر هي التّي يتوجه إليها الفعل التربوي والتوجيهي، فلا يهمل جانبًا منها، لأنّها جميعًا تكون الإنسان وترتقي بوجوده، فالإنسان بمكوناته هذه ليس كائنًا منعزلاً عن النّاس، ولا عن الحياة الاجتماعية والمحيط المادي، ولا هو بعيدًا عن تأثيرات النشاط الذي يجري حوله والحراك الحضاري الذي يفرض عليه أن يسايره ويتفاعل معه، إنّما هو جزء من هذا الوجود المتنوع يتأثر ويؤثر، وما على المسؤولين عن تربيته وتوجيهه والقائمين على شؤون مجتمعه إلاّ مراعاة ذلك في معالجة اهتمامات الفرد والجماعة وقضاياهم المصيرية العاجلة والآجلة. [25](ص30)

ولكي يمارس الخطاب المسجدي مهامه ووظائفه على أكمل وجه يجب أن يبنى أساسًا على :

1- المعرفة الصحيحة للدّين الإسلامي من خلال الرجوع إلى منابعه الصافية: القرآن والسنّة وسيرة السلف الصالح.

2- امتلاك أداة الخطاب التّي هي اللّغة العربية وأساليب استخدامها في مجالات الاتصال والتواصل وفي مخاطبة العقل والوجدان.

3- فهم الواقع الحضاري والمحيط الاجتماعين وصلة الإنسان بهذا المحيط.

4- تبني منهجية فعالة في مجال التبليغ عند تناول القضايا الاجتماعية والاقتصادية في علاقاتها بالدّين والحياة، تلك القضايا التي تحتاج إلى تحليلها وتحليل مركباتها وتوضيح إشكالاتها. إنّ هذه المنهجية تفرض نفسها عند مخاطبة الجماهير التي يوجّه إليها الخطاب سواء في خطب الجمعة أو الدروس العامة أو في تنظيم حلقات المناقشة، أو في التظاهرات التي تعقد لإحياء المناسبات الدّينية والوطنية والتاريخية أو في مجالات النشاط المسجدي عمومًا.

ومن هنا ينبغي أن يكون الخطاب المسجدي متنوّع المضامين، متين اللّغة، مختلف الأبعاد، حتىّ يصل إلى المبتغى الذي هو تكوين رؤية إسلامية سليمة للمسلمين، ويرغّب غير المسلمين في الإقبال على الإسلام، وذلك بتجلية حقائقه وفضح أباطيل أعدائه، وتقديمه في صورته السماوية التّي لم تشوّهها سلوكيات البشر، ويكون كلّ ذلك في مستوى التحدّيات الحضارية التّي يواجهها الوجود الإسلامي، في مستوياته المختلفة، ولذلك فالدّور المنوط بهذا الخطاب دور حضاريّ عظيم.

لكن الملاحظ على هذا الخطاب أنّه مازال لم يلبِّ رغبة وحاجة المهتمين بالإسلام من حيث لغة الخطاب، وحتىّ من حيث اهتمامه بالراهن الإسلامي في قضاياه: الدّينية والعلمية والحضارية.

فالمواضيع التّي تتناولها خطب الجمعة، وهي الواجهة الرسمية للخطاب المسجدي، هي مواضيع تقليدية في معظمها، ولا ترقى إلى مستوى الاهتمام المعاصر، فهي غالبًا ما تكون مواعظ قصيرة تتمثّل في تفسير آيات قرآنية أو شرح أحاديث نبوية شرحًا كأنّه للاستئناس، بعيدًا عن إبراز ما فيها من مسائل علمية يمكن توظيفها في صناعة التصوّر الإسلامي.

هذا لا يعني تغييب المواعظ والترغيب والترهيب، بل هي أمر لابد منه، لكنّه يا حبّذ لو يكون من النوع الذي قام به الشيخ الشعراوي في دروسه الخاصّة بتفسير القرآن الكريم، والتي يعتمد فيها ثنائية العقل والقلب، فمن جهة يخاطب العقل بإبراز ما تضمنته تلك النّصوص في مادّة علمية بحتة، ومن جهة ثانية يخاطب القلب بإبراز ما تضمنته النّصوص نفسها من مواعظ وترغيب وترهيب، أو تكون خطب الجمعة من النوع الذي يلقيه الشيخ القرضاوي في القنوات التلفزيونية الفضائية. [136](ص13)

أمّا لغة الخطاب فكثيرًا ما تطبع باللهجات المحلية، والمطلوب أن تكون باللّغة العربية الفصحى، حتىّ يمكن لهذا الخطاب أن يتجاوز الحيّز المحلّي، إلى العالم، ولأنّها أداة إبلاغ محكمة ومفرداتها المتوسطة تصوّر المشاهد بدقة، وتبيّن الأحكام بضبط كبير، وقبل ذلك فهي لغة الوحي التّي كتبت بها نصوصه، وإتقانها شرط في فهم الوحي وفي محاولة استنباط أحكامه. وهذا لا يعني استعمال لغة عميقة صعبة، بل يجب أن تكون في مستوى فهم الجميع.

كما أنّ المواضيع الحسّاسة التّي تشغل الراهن الإسلامي والتي تشكّل أهم التحدّيات، التّي يواجهها العقل المسلم مغيّبة إلى حدٍّ بعيدٍ في هذا الخطاب.فظاهرة العولمة التّي تشكّل إحدى موجات التحدّي العالمية يمكن أن تكون محلّ اهتمام الخطاب المسجدي بالتحليل والتفكيك وإبراز مواطن السّلب والإيجاب

فيها، وتحذير المسلمين من مخاطرها على أخلاقهم وأخلاق أبنائهم خاصّة، والتأكيد على ضرورة تنشئة أبنائهم أخلاقيًا ودينيًا، ليستمر ارتباط الأسرة المسلمة ودوام تمسكها بعاداتها وتقاليدها المستمدّة طبعًا من الدّين الحنيف. كما على الخطاب المسجدي أن يشرح مفهوم العولمة ويوضّح طبيعة العلاقة التّي يجب أن نبنيها معها، فالمسلمون في صراع مع سلبياتها وفي اندماج مع فوائدها. [137]

إنّ الخطاب المسجدي، تقع على عاتقه مهمة الدّفاع عن المسلمين والوقوف إلى جانبهم والاهتمام بأمرهم، بتعليمهم أمور دينهم، وتثقيفهم بثقافة دينية تمكنهم من فهم ما يحاك ضدّهم، ودعوة الهيئات الإسلامية بأن تقدّم العون المادي والمعنوي لهم، ولعلّ منطقة القبائل في الجزائر التي تعرضت لعدّة محاولات للتنصير خير مثال، فتحاول الهيئات الإسلامية التصدي لها عن طريق المسجد، وعن طريق إلقاء الدروس بالأمازيغية، وطبع كتب دينية ومصاحف بالأمازيغية.

5-2-2- الاهتمام بتكوين الإمام الخطيب لمواجهة التحديات الراهنة

إنّ السؤال المطروح هنا هو لماذا لم يحدث خطباء اليوم الأثر الكافي في تغيير المفاهيم الخاطئة عن الإسلام؟ بل هناك معلومات خاطئة ترسخ في الأذهان يومًا بعد يوم ؟ إنّ هذا قد يرجع إلى أخطاء بعض الخطباء، إذ مازال بعضهم جامدًا على الأساليب العتيقة المنفّرة للسامعين، مع سطحية في التفكير وجمود على طرق مملة لم يعدّ يحتملُها أبناء هذا الجيل المتمرّد المتعجّل.

ومع هذا لا يجب إنكار صلاح بعضهم، أو نتجاهل جهود العلماء العاملين، ولكن يجب أن ينشأ جيل من الدعاة يسيرون على مبادئ علمية ثابتة لا يبتغون إلاّ وجه الله تعالى من وراء نشر الدعوة الصحيحة.

لكن مهمّة الدعاة والأئمة والخطباء من أبناء هذا الجيل شاقة، لأنّه بالإضافة إلى العلوم والمعارف الإسلامية، يطالب الخطيب بالوقوف على أنواع الثقافات المتعدّدة، لأنّ مهمتّه الأساسية هي الوقوف في وجه ثقافة العولمة التّي أصبحت تلوّن أفكار النّاس وعاداتهم بل وعقائدهم، فمنذ أن رحل الاستعمار والمسلمون يتصارعون مع أشياعه وأنصار ثقافته، الذين ينادون بالتحرّر من القيم الدّينية، ومن القيود الأخلاقية والتقدّم في نظرهم لا يتحقق إلاّ إذا فهم المسلمون الإسلام هنا كما فهمت أوروبا النصرانية هناك. [137]

وفشل الخطيب في التصدّي لمثل هذه الأفكار، يؤدي بالضرورة إلى ترسّخ إمّا أفكار الغلو والتطرّف في نفس الشباب، أو ترسّيخ الأفكار المنحرفة والسلوكات اللاأخلاقية، والخطيب بإمكانه التصدّي لمثل هذه الدّعاوي المغرضة لو كان إعداده حسن، وعوامل نجاحه متوفّرة، فهناك الحوافز النّفسية التّي تحمله على القيام بعمله متحملاً كافّة الصعاب، حتىّ ولو لم ينل تكريمًا من مجتمعه فقد كرّمه ربّه جلّ وعلا. فالخطابة أشرف عمل يقوم به عامل في مجتمعه، والخطابة الإسلامية هي اشرف أنواع الخطابة، لأنّ بها تتمّ الدعوة إلى الدّين الصحيح والطريق المستقيم.

فإذا أردنا كمسلمين في هذا العصر، أن نحدث تطوّرًا في الخطابة يجب الاهتمام بالخطيب وعدم تقييد حريّته بما يتماشى مع سياسة الطبقة الحاكمة، والخطيب اليوم في حاجة إلى أن يتعلّم أمرين يتعلقان بالدعوة إلى الإسلام: [138]

- الأوّل: الإسلام نفسه بما فيه من مبادئ، بعيدًا عن أفكار الغلو والتقصير، ولكثرة الأفكار المعروضة حول الإسلام في هذا العصر، أصبح المسلم في حيرة ماذا يأخذ وماذا يدع ؟ فينبغي على الخطيب أن لا يأخذ الإسلام إلاّ من مصادره الأصلية.

- الثاني: أن يتعلّم كيف يدعو للإسلام، فلا يكفي الخطيب أن يتعلّم ما يقول، بل ينبغي أن يتعلّم كيف يقول ؟ وإمداده بالمنهج الذي يسير عليه، وتدريبه على السير على هذا النهج، واجب على من يسهر على إعداد الإمام والخطيب، وهذا حتىّ لا تزل قدمه فيُنَفِّر في وقت يحتاج إلى التبشير.

إنّ للفكر الإسلامي أهدافه التّي يجب أن تؤدي إلى ضبط أخلاق المجتمع، وتنشئة أبنائه تنشئة إسلامية وفق منهج واضح هو المسلك الإسلامي، فهل هذا المنهج واضح في ذهن كلّ خطيب ؟

إنّه ليس مطلوبًا من الإمام الخطيب أن يعدّ خطبته كيفما تيسَّر له دون اعتبار لمن يسمعون هذه الخطبة، بل المفروض أن تأتي كلّ خطبة من خطبه منتظمة وفق منهج واضح يهدف من خلاله إقناع المجتمع بالمنهج الإلهي في الحياة.

إنّ ما كان مقبولاً من صفات الخطيب في الماضي، لم يعدّ بالضرورة هو المطلوب في خطيب اليوم ففي الماضي كان الخطيب يستعين بالإسرائيليات والآثار ضعيفة السند، وفي بعض الأحيان كان يصل به الأمر إلى استعمال الموضوع في فضائل الأعمال وغيرها، والإسلام هو دعوة الحقّ، يجب أن لا يختلط بباطلٍ أو يخلط بشيء من نسج الخيال، وهذا أهم ما يميز الدعوة الإسلامية عن غيرها من الدعوات التّي تتخذ من القصص المخترعة والأفكار المدسوسة سندًا ودليلاً على صحّتها. [139]

إنّ الدّعوة الإسلامية اليوم في حاجة ماسّة إلى الخطيب الذي يحسن عرض أفكاره بأسلوب شيّق وعبارة جذابة، يحبّب النّاس في الإسلام، ويبسّط لهم أفكاره ومبادئه، وأيضًا الإسلام اليوم في حاجة إلى الدّاعية الذي يضع في اعتباره الظروف والمنعطفات التّي تمر بها الأمة الإسلامية، والحملات الشرسة على الإسلام والمسلمين، لقد بدأ أعداؤنا يعملون على إضعاف قوّة المسلمين، وبدأ يظهر بوضوح مدى مكرهم، فهناك العديد من الدّعوات الهدّامة التّي تنشقّ عن دعوة الإسلام الأصلية، جماعات عديدة تدّعي أنّها تمثّل الإسلام الصحيح وهي في أصلها دعوات هدّامة. فبإسم الدفاع عن الإسلام تراق ماء المسلمين وبإسم الدّفاع عن الإسلام تنتهك حرمات المسلمين، فقد خرجت علينا جماعات دينية تتفاوت في أفكارها، ولكنّها تتوحّد حول هدف واحد هو تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والإخلال بأمن واستقرار المجتمعات، فمن قال لهؤلاء أنّ هذا هو الإسلام ؟

والواقع أنّ كلّ ما يمكن أن يقدّمه الخطيب في حالة عدم وضوح المنهج وعدم رؤية الهدف لا يتجاوز أن يكون جزءًا من الثقافة العامّة، أو مجموعة توجيهات خلقية دون القدرة على صياغة المجتمع

المسلم الصياغة المطلوبة، كما أنّ إدراك الخطيب لهدفه يوفر عليه الجهد والوقت، ويجعل وعظه على بصيرة. [140](ص114)

ومفهوم الدعوة على بصيرة يتنافى مع عفوية إختيار الموضوع، وعدم الإلتزام بخطّة واضحة، وكل هذا يجعل الخطيب يدخل في مواضيع جانبية ومشاكل جزئية، لا تتصل بالمفهوم العام للإسلام كفكرة يجب إبراز معالمها وتوضيح أركانها، وأفضل ما توصف به هذه الأمور الجانبية أنّها للتسلية غير جديرة بغرس فكرة واضحة، وتكرار مثل هذه الأمور إساءة إلى الدعوة، وليس بمفيد لها، وبعيد عن حاجة النّاس ومشاكلهم.

وهذا التحليل يقود للحديث عن مكتبة الخطيب، فمن المفروض فيها تبعًا لما سبق أن تكون متنوّعة الموضوعات، حتىّ يستطيع الخطيب أن يقدّم للمجتمع ما هو في حاجة إليه، وليس ما تيسّر للخطيب أن يطّلع عليه، فيفرض على مستمعيه نمطًا جامدًا من الفكر والثقافة قد لا يتقبله أحد أو يقبل على سماعه، فمكتبة الخطيب مؤشّر حقيقي على قيمة ثقافته وفكره، فإذا كانت تحتوي على القليل من الفكر والثقافة فإنّ الدعوة سوف تكون هي الخاسرة من جانبين:

- الجانب الأوّل: إصابة المجتمع بالجمود وعدم النمو الفكري، وبالتالي يكون هناك تصوّر خاطئ في فهم الإسلام، وتظلّ المفاهيم والأفكار الخاطئة كما هي دون تغيير، ثابتة في الفهم والواقع معًا.

- الجانب الثاني: إعطاء فرصة لأعداء الإسلام لِبَثّ الأفكار والتعاليم المخالفة لمبادئ الإسلام والادّعاء بأنّها التعاليم الصحيحة، وما يخشاه الباحثون هو أن تحلّ المؤلفات والمقالات التّي تحمل صورة غير دقيقة للإسلام، محلّ الكتب الأصلية فيصبح كلّ ما لدى المسلمين عن الإسلام، لا يبعد عمّا لدى أعداء الإسلام عنه، خليط من أفكار المستشرقين والمستنيرين، من أبناء الشّرق الذين يتميّز تفكيرهم بالبعد عن الأصالة وعن الرّوح الحقيقية للإسلام.

والخطيب بصفة خاصّة ينبغي أن يتّسع مفهوم التربية المتعلق به، لأنّه سوف يواجه المؤسّسات الإعلامية والثّقافية التّي تسعى إلى تسميم أفكار الشّباب بما لديها من بضاعة مستوردة تهدف إلى انحراف السلوك وضلال العقيدة، وعدم الالتزام بالقيم والضوابط الأخلاقية. [140](ص112)

ولابد من مراعاة الوسائل الناجعة لقيام المسجد برسالته العظمى، وذلك بمراعاة الآتي: [48](ص2)

- أوّلاً: إعداد الإمام والخطيب الصالح، حتى يكون قدوة حسنة ومثالاً يحتذي به الآخرون، بحيث يكون ملتزمًا بالحكمة والموعظة الحسنة، ويسير على المنهج الوسط، بعيدًا على الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط، متحليًا بالإخلاص والصدق والأمانة.

- ثانيًا: أن يكون الخطيب واعيًا لما يدور حوله من أحداث، عارفًا بالمذاهب الفكرية، وملمًا بالقضايا العصرية، التي تشغل أفراد المجتمع، قادرًا على فهمها والإعداد للحديث عنها، وإيضاحها للنّاس، ورد الباطل منها، وكشف زيف الأفكار المضللة المخالفة للمنهج الإسلامي القويم.

- ثالثًا: أن يقوم الإمام والخطيب بأداء رسالة المسجد الضافية، بحيث يعمل على تبصير أهل الحي، وتثقيفهم وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، وتوجيههم للالتزام بآداب الإسلام الفاضلة، وأخلاقه الحميدة، وغرس المعاني الإيمانية في نفوسهم.

- رابعًا: استثمار الخطيب لخطبة الجمعة، بعرض الموضوعات المهمة، وطرح المسائل التي تمس المجتمع بأسره، ويتعلق بها مصيره، كالالتفاف حول ولاة الأمر وطاعتهم، والثقة بعلماء الأمة، والتحذير من الخروج على الجماعة.

- خامسًا: على الخطيب أن يذّكر أفراد المجتمع بين الحين والآخر، بأهمية وحدة المجتمع، وتماسكه وترابطه، وبيان الآثار الإيجابية الناتجة عن التآلف والتقارب، وأنّها طريق رقي المجتمع وازدهاره، وترسيخ أمنه واستقراره، وإيضاح العواقب الوخيمة للفرقة والتنافر، وأنّها سبيل تمزق المجتمع، فالأخوة الصادقة مفتاح كل خير ومغلاق كل شر، وصمّام الأمان.

- سادسًا: ضرورة إبراز أهمية الدّين في حياة الأفراد والمجتمعات، وأنّه مطلب مهم وضروري لاستقرار الحياة الاجتماعية، وأساس في سعادة الإنسان، إذ لا تستقيم حياته إلاّ بالدين، ولا يهنأ بالعيش وراحة البال إذا عدم الطمأنينة والاستقرار النفسي.

- سابعًا: أن يعمل إمام المسجد على تلمس حاجات أفراد الحي، والنظر في مشكلاتهم، والتعرف عليها، وعرض الحلول المناسبة لها والتوفيق بين المتنازعين، والمصالحة بينهم، ودفع كل الأسباب المؤدية إلى إيجاد الخلاف والفرقة.

- ثامنًا: حث أفراد المجتمع على الاستقامة على منهج الله تعالى، ولزوم جادة الصواب، والتحذير من الانحراف عن الصراط المستقيم، وأهمية الاستقامة السلوكية، وبيان مساوئ الانحراف والتنفير من الإقدام على الجريمة، وإيضاح العواقب الوخيمة المترتبة على البعد عن المنهج السوي.

3-5- دور الإمام الخطيب في نشر الثقافة الدّينية اللازمة لشباب هذا العصر

يعتمد خطيب المسجد في تثقيفه لأبناء المسلمين على عدد من الأساليب منها:

5-3-1- الحرص على ارتباط النّاشئة بالمسجد وتقوية الوازع الديني [3](ص137)

إذ هناك أسباب متعدّدة جعلت بعض الشباب يخرجون عن الأمن العام للمجتمع ويعملون على ترويع الآمنين من أبناء المجتمع والأجانب المقيمين فيه وينحرفون عن أخلاق المجتمع. وأهم هذه الأسباب هو أنّهم لم يتغذّوا على فكر يقوّي رغبتهم في الحوار، كما أنّ الظروف العالمية المحيطة بهم جعلتهم بعد ذلك إمّا أكثر تشدّدًا أو أكثر إنحرافًا، وقد يرجع هذا الأمر في الكثير من الأحيان إلى تقصير بعض المعلّمين والخطباء ممّن لا يتمتّعون بالكفاءة العلمية والعملية ممّا أدّى إلى إبعاد هؤلاء عن المساجد ووقوعهم فريسة في يد من يدّعون العلم والمعرفة.

وقد جاء الإسلام ليرسم للمسلم منهجية في الحياة، ويجعل علاقته بالمسجد في اتّصال وتواصل دائم، وهذا التواصل كفيل بأن يجعل من المسلم داعية إلى الخير آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، يدعو إلى التعاون على البرّ والتّقوى. لا يعقل أن يكون المسجد وسيلة تدفع بالمسلم إلى حمل السّلاح في وجه أخيه الذي يتّجه إلى ذات القبلة، ويرتاد نفس المسجد ولهذا حثّ الإسلام على ارتباط المسلم بالمسجد، حتىّ يدرك هذه المعاني الأخوية وذلك عبر دعوته لإقامة الصّلوات الخمس المفروضة في المسجد.

ورغم أنّ الإسلام لم يقيّد الصّلاة بموضع معيّن إلاّ أنّ إقامة المساجد في الأرض والحض على ارتيادها والصلاة فيها، يهدف إلى تحقيق غايات ثقافية واجتماعية ودينية وأمنية وحضارية لصالح الأمّة الإسلامية.فقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وفضائل هي لباب الإسلام. والمسلم عندما يعتاد المساجد فإنّه يعتاد الخير، ويعتاد الزهد بما يمكّنه من مواجهة مصاعب الحياة، كما أنّه يعايش إخوة جمعتهم المساجد، ووحدّت صفوفهم الصلاة، فمن هؤلاء يستنير ومن صلاحهم يصلح، فتزداد صلته بالله، ويأمنه النّاس على أموالهم ودمائهم.

ويمكن أن نطلق على رحلة المسلم إلى المسجد للصلاة بأنّها رحلة الأمن والسلام. فالمسجد يدرب المسلمين على الضبط والانضباط، فإذا صاح المؤذن (الله أكبر) ترك المسلمون جميعًا كلّ ما هم فيه من عمل واتجهوا صوب المسجد، إجابة لدعوة الله " فانطلقوا ونور الإيمان يملأ قلوبهم، والحب الذي غرسه فيهم معلمهم الأوّل صلّى الله عليه وسلّم يؤلف بينهم، وهذا الحبّ هو الطريق إلى الجنة.

وتطبيقًا للتوجيه النبوي يلقي المسلم بتحية الإسلام على كلّ من يقابله وهو في طريقه إلى المسجد ذهابًا وإيابًا، فإذا وصل المسلم إلى المسجد سلم على من فيه بهذه الصيغة: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) دون أن يمل من تكرارها ثمّ جلس حيث ينتهي به المجلس دون إيذاء لأحد من إخوانه المصلين، فلا يتخطى رقابهم ولا يضايقهم في المجلس، ولا يرفع صوته فيشوش عليهم صلاتهم.

ثمّ عندما يقف ليصلي فإنّه يتجه إلى قبلة الأمان وأوّل بيت وضع للنّاس على سطح الأرض ثمّ إذا فرغ من صلاته خرج من المسجد يلقي بالسلام على إخوانه حتىّ يصل إلى بيته أو عمله، فالمسلم الذي

يقطع هذه الرحلة في اليوم خمس مرات لا يعقل أن يكون هو نفس المسلم الذي يعتدي على أخيه الذي صلّى مثل صلاته.

كما يعتبر الإيمان العميق ركيزة مهمة ودعامة أساسية، ترسّخ في النفس الإنسانية معاني العبودية، وتنمي فيها الشعور بالخشية من الله، والخوف من عقابه، ودوام الصّلة به ومراقبته، والالتزام بتقواه وطاعته، ويدفع الإيمان بالله تعالى المسلم إلى العناية بالضرورات التي أكد الإسلام على حفظها، ويحول بين وقوع الفرد في المحظورات، ويمنعه من التعدي على حقوق الآخرين وانتهاكها، وينشأ في ضميره وازع داخلي قوي يهديه إلى الفضيلة ويحميه من ارتكاب الجرائم والرّذائل، ويسمو بإنسانيته عن التردي إلى الحضيض، أو الوقوع في الهاوية، فينتج عن تشبع النفس بالإيمان، وتغذيها بمعانيه العميقة آثارًا ايجابية تبرز في حياة الفرد فيصبح مرتاح النفس، مطمئن القلب، مرهف الحس ورقيق الشعور، مستشعرًا للمراقبة الإلهية، فيسلك المنهج القويم، ويلزم جادة الصّواب والصراط المستقيم، ولا يحيد عنها أو ينحرف عن مسارها ولا يتقبل الأفكار النشاز، ولا المؤثرات الوافدة، ولا يلتفت إلى غير ما حكم به التشريع أو قضى به، وتبرز علامات الإيمان الصادق، ودلالته الواضحة على الفرد بشعور الآخرين بالاطمئنان للتعامل معه، والثقّة به، فلا يخشون من تعدّيه أو ضرره أو ظلمه. فيعكس أثر إيمانه على أفراد المجتمع، وينعم الجميع بالاستقرار والهدوء، ويعيشون إخوة متحابين، متراحمين متعاطفين، ويتمكّن كل واحد منهم من التمتع بحقوقه كاملة التي قرّرها له الإسلام ويحتفظ بكرامته الإنسانية، ويحسّ برفعته وعزّته ويأمن على حياته التي حفظها وكفلها له.

ممّا يوضّح أنّ قوّة الإيمان أصل لكل خير وفضيلة، ودرعُ واقٍ من كلّ شرّ وجريمة، وإنّه حاجز دون الوقوع في المحضورات والرذائل، ومصدر ثقة للآخرين بصاحبه، حيث أخبرت آيات كريمة باستبعاد وقوع جريمة قتل من المؤمن على أخيه المؤمن، إلاّ أن يحدث ذلك عن الخطأ وعدم القصد، لأنّ الإسلام الداعي إلى ترسيخ الإيمان في القلوب، وتربية ضمير المسلم على التشبّع به فجريمة القتل هي التّي لا ترتكب وقلب القاتل مليء بكمال الإيمان، وصدق اليقين إذ لا يوجد سبب يعلو على رابطة العقيدة الإيمانية التّي تجمع المسلم مع أخيه.

وهكذا لكل محظور في الإسلام أو اعتداء على الضرورات لا يصدر إلاّ من قلب فارغ من الإيمان، روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينهب نهبة ذات شرف يرفع النّاس إليه منها أبصارهم حين ينهبها وهو مؤمن ".

إنّ إمام المسجد وخطيبه حين يحفّز المصلين على تقوية إيمانهم، وترسيخه في قلوبهم، يثمر الشعور بمراقبة الله تعالى، وخوفهم من عذابه، وأليم عقابه، ويدعوهم إلى الاستقامة السلوكية، وتصحيح المواقف، وتحصيل مصالح الدّنيا والآخرة، ودفع الشرور والمفاسد، وصفاء الأرواح وطهارة القلوب والاستقرار النّفسي والاطمئنان القلبي. [141](ص17)

ولعل كلّ مجتمع لا يخلو من جماعة من المنافقين وكثيرًا ما يؤدي النفاق إلى الإخلال بالإستقرار الإجتماعي، فمن المنافقين من يدعو إلى فتنة، ومنهم من يحاول إثارة نعرة طائفية أو تحريك عصبية قبليّة أو حزبية ومنهم من يحاول إشاعة الفاحشة في المسلمين ينشد أمراض الأمة والترويج للإباحية والفساد الخلقي، فالمنافقون في الحقيقة ليست لهم انتماءات عقائدية محدودة، فهم مذبذبون بين كلّ الطوائف ويظاهرون كلّ غالب من أجل تحقيق أغراضهم الشخصية ومنهم من له انتماءات باطنة، وأخرى ظاهرة يستخدمونها من أجل الباطن المخبّئ.

وينبغي لخطيب المسجد الذي يتصدّى لهؤلاء أن لا يخرج عمّا عامل به الرّسول صلى الله عليه وسلم الذين ظهر منهم النفاق في عصر نزول القرآن الكريم لقد حدّدت الآيات الكريمة صفات جماعة النفاق ومن ثمّ حدّدت الأسلوب الذي اتبعه النّبي صلى الله عليه وسلم معهم، فهو لم يسلم بما يحلفون عليه من إرادتهم للاحسان فالله وحده هو الذي يعلم ما في قلوبهم من النفاق، ومن إتخاذ إيمانهم وقاية لهم وعلى ذلك حدّدت الآيات النهج الذي كان على الرّسول أن يسلكه مع هؤلاء ويتلخص في: الإعراض عنهم – وعظهم - القول البليغ المؤثر في نفوسهم.والموعظة ثقيلة على السمع محرجة للنفس، بعيدة عن القبول لاعتراضها الشهوة ومضادتها الهوى، ولهذا فمجرد الوعظ قد لا يفيد في هؤلاء، بل لابد من القول البليغ المؤثر، القول البليغ الذي يهز أوتار قلوبهم الجامدة، ولن يكون ذلك إلاّ بالإلقاء والقول المؤثر.

والواجب أن تكون الدعوة بالحكمة، وأن يقدر الخطيب كلامه قبل أن يقوله، وأن يكون في كلّ الأحوال باللين، لا يطعن في أحد من الأحياء، ولا من الأموات. [141](ص21)

5-3-2-محاربة الجهل والدعوة إلى طاعة ولاّة الأمر ووحدة المجتمع وتماسكه

من أبرز الضمانات للمجتمع الإسلامي، وأهم الوسائل الكفيلة بترسيخ ترابطه والمحافظة عليه، طاعة ولاّة الأمر، فهي أصل وقاعدة كبرى، ومنهج واضح، وأساس قوي لتحقيق استقرار البلاد واطمئنان العباد.

والمتأمّل للنصوص الشرعية، يجد دلائل تؤكد على وجوب طاعة ولي الأمر، وتحريم عصيانه أو الخروج عليه، ففي الطاعة اجتماع لكلمة المسلمين، وفي العصيان فساد للأحوال، والعاقل يدرك خطورة العصيان، ويعلم ما في الطاعة من خير وترابط للمجتمع وتماسكه والعناية بمصالح البلاد والعباد، وحماية الحياة الاجتماعية من الفوضى والاضطراب.

إنّ طاعة ولي الأمر – إذا كان صالحًا بالطبع – وإحترام شخصيته وهيبته، واجب على المواطنين، وطريقهم في ذلك حفظ ألسنتهم، والاحتكام إلى كتاب الله وسنّة نبيه كما أمرهم الله بذلك، لأنّ الحكماء يدعون للخير وينشرون الفضيلة ويحضّون على الاجتماع والوفاق والمصالحة، ويحذرون من التنازع والافتراق، يسمعون ولاّة أمرهم وينصحوهم وفق آداب النصيحة وضوابطها المبينة.

إنّ موضوع وجوب طاعة ولاّة الأمر، من أهم ما يجب أن يذكّر به الإمام الخطيب يذكّر المصلين من حين لآخر، ويؤكد عليهم الالتزام بالطاعة، وأنّ التفاف الأمة حول قيادتها دليل وحدتها وطريق فلاحها وسبيل رقيها ونهضتها ونجاحها، ومصدر عزّتها، ومعونة ولاّة الأمر في أداء مهمتهم ومساعدتهم في حماية المجتمع من أهم ما يجب على الرّعية والإبلاغ عن المشبوهين الذين يتربّصون لإحداث الفوضى، واجب على كلّ مسلم لحماية البلاد وفوق كلّ هذا عليهم بالدعاء لولي الأمر بسداد الرّأي وصلاح البطانة العاملة معه. [22](ص317)

إنّ الالتزام بطاعة ولاّة الأمر والدعاء لهم ومعاونتهم، سبيل لنصرة الحقّ وإقامة العدل، ورفع الظلم، وطريق لاستقرار المجتمع، وحفظ لنفوس أفراده وصيانة أموالهم وإعراضهم، ورعاية مقدّسات المسلمين.

ولأنّ تعاليم الإسلام تهدف إلى بناء مجتمع متماسك، تقوم علاقات أفراده على المودة والوئام وتنحسر فيه دواعي الفرقة والانقسام والعداء، فوحدة المجتمع المسلم لا تقاس بها وحدة أي مجتمع آخر.

فرابطة الإيمان تجمع بين أفراده، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم، وهي أشرف الروابط وأوثقها، وقد أكدّت النصوص الشرعية على أهمية الالتزام بمضامين الروابط الإيمانية وحذّرت من الشقاق والنزاع، فالإسلام يجمع ولا يفرّق، فالاجتماع قوّة وعزّة أمّا الافتراق فضعف وفتنة.

لقد أقام الإسلام المجتمع الإسلامي الأوّل في المدينة المنوّرة على أساس المحبة والتواصل والتعاون والتكافل، وألف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فئات المجتمع المدني كلّها وقارب بينها وأبعد عنها أسباب الفرقة والتمزّق، وأوضح سمو العلاقة بين الإنسان وأخيه المرتكزة على التآلف وتحمل الأخطاء والزّلات والصفح عنها.

إنّ الإسلام يؤكد مبدأ القوّة والترابط بين أفراد المجتمع، وتحقيق معاني الأخوّة الإيمانية، وعندها يشعر الجميع بوحدة الأمة، وترابط مصالحها، إذ يدرك كلّ فرد مسؤوليته، ويقوم بواجبه، فتسهر الجماعة على راحة الفرد، ويقوم الفرد بخدمة الجماعة، فيتكاتف الجميع ويعملون على احترام أنظمة مجتمعهم والإلتزام بتعاليمه واحترام حقوق الآخرين، ومكافحة الفساد ووقاية المجتمع من الفتنة. والمجتمع المسلم يعتمد في بناء أفراده على قوّة الرّابطة التّي أسسها الإسلام منذ ظهوره، والمتأمل لحقيقة تلك الرّابطة يتضح له أنّ العقيدة تمنع الأذى والعدوان، والظلم وتحفظ الحقوق، بحيث يجد المسلم نفسه

أمام حدود يجب التوقف عندها، وعدم تجاوزها ويردعه وازعه الديني عن الوقوع في شيء منع منه، ويحس بشعور قوي يربطه بأفراد مجتمعه يدفع به إلى الترابط والتماسك معهم.

وخطيب الجامع وإمام المسجد، عليه أن يعنى بترسيخ معنى الوحدة في نفوس المصلين وتعميق أواصر المحبة بينهم، ويذكّرهم بأنّ الإسلام إعتمد الأخوة دعامة لوحدة المجتمع، وركيزة للترابط بين أفراده، فلا يسمح الإسلام بقيام تجمعات من شأنها تمزيق وحدة المجتمع وتبديد قوّته، وتفريق كلمته، أو بروز خلافات تؤدي إلى القطيعة والتناحر، وإنّ مسارعة الخطيب أو الإمام لإزالة خلاف قد تظهر بوادره من أبرز ما يجب أن يقوم به، فيبادر إلى إصلاح الخصومات وإزالة الخلافات وتوطيد العلاقات الأخوية وترسيخ دواعي الألفة والانسجام، وعليه أن يذكّرهم بأنّهم وحدة قائمة، كلّ عضو منهم يعمل في سبيل المصلحة العامّة. [141](ص31)

ودور خطيب المسجد في القضاء على الفتن وحقن الدماء، لا يمكن تجاهله، وقديمًا كان المسجد يمنع ثورات وينهي اضطرابات فكرية وأمنية، ولا ينسى التاريخ ما فعله الحجّاج في العراق، وبصرف النظر عن آراء النّاس في الحجّاج فقد استطاع هذا الرّجل عن طريق المسجد أن يوطّد لبني أُميّة حكمهم في العراق، فقد وفّر المسجد وسيلة إعلامية لم يعرف لها العالم مثيلاً حتىّ ذلك الوقت. وفي العهد الأموي وجّه عتبة بن أبي سفيان ابن أخي أبي الأعور السلمي إلى مصر فمنعوه الخراج، فقدم عليهم عتبة فقام خطيبًا قال: " يا أهل مصر قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ببعض الجور عليكم، فقد ولاكم من يقول ويفعل، ويفعل ويقول، فإنّ رددتم ردّكم بيده، وإن استعصيتم ردّكم بسيفه، ثمّ رجَا في الآخر ما أمِلَ في الأوّل، إن البيعة مشايعة، فلنا عليكم السّمع والطاعة، ولكم علينا العدل، فأيّنا عذر فلا ذمّة له عند صاحبه، والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتىّ عُقِدت عليها قلوبنا، ولا طلبناها منكم حتىّ بذلناها لكم ناجزًا بناجزٍ، ومن حذّر كمن بشَّر فنادوه: سمعًا سمعًا، وناداهم: عدلاً عدلاً. وبذلك عاد المصريون إلى الطاعة ونادوا عتبة من جنبات المسجد ردًّا على خطبته سمعًا سمعًا وناداهم عدلاً عدلاً، فلنتأمل كم نحتاج اليوم من قوى الأمن بفروعها المختلفة لتحقيق ما حققته هذه الخطبة القصيرة، وكم يترتب على تدخل قوى الأمن من قتل وتدمير.

وإذا كانت الانحرافات الأخلاقية تتكاثر في ظل سيطرة الجهل فقد رغّب الإسلام في العلم وحضّ عليه، وربط التعاليم بالمسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلاّ نزلت عليهم السّكينة وحفّتهم الملائكة وغشيتهم الرّحمة ".

فالمجتمع الذي تتنزّل عليه السّكينة وتغشاه الرّحمة، لا شكّ أنّه هو المجتمع الذي ينعم بالأمن والاستقرار، ولهذا حارب الإسلام الانحراف بدعوته إلى العلم، وأوّل آية نزلت في القرآن الكريم، تدعو إلى العلم، وهذه البداية انفرد بها القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية، فقبل نزول الشريعة التّي تعاقب المجرمين كان الإسلام قد افتتح مشروعًا ضخمًا بتحويل المسلمين بكافة أعمارهم إلى طلاب علم،

ولم يقتصر هذا الدّور التعليمي على الرّجال بل نافست عليه النساء، وفتحت المساجد أبوابها منذ فجر الحضارة الإسلامية للمرأة، لتشهد دروس العلم وليتأكد حقّها في تحصيل العلم ومشاركة الرّجل في الحياة

ومن هنا عرفت المدرسة أوّل ما عرفت في الدّولة الإسلامية في إطار وظيفة المسجد ثمّ أقيمت المدارس المستقلة عن المسجد، والمدارس الإسلامية الأولى التّي نمت وترعرعت في أحضان المساجد كانت علومها تدور حول تلاوة كتاب الله وتفسيره، فقد كان المعلم يجلس ومن حوله تلاميذه يلقي عليهم الدّروس في تفسير القرآن والحديث وعلوم الدّين، فليست المساجد ساحة للعبادة فحسب، بل هي ركيزة الإصلاح، والقطب في عملية التوجيه، وندوة للأدب ومدرسة للعلم، يتعلّم فيها الكبير والصغير، الغني والفقير، الرّجال والنساء، بمعنى مدرسة إسلامية عامّة[4](ص98) ، منهجها القرآن الكريم وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمجتمع الذي يحتضن المساجد يأمن الجرائم بكافة صورها، ويأمن على ثقافة وعقيدة أبنائه مهما كانت التحديات التي تواجههم.

5-3-3-حماية المجتمع وتحديد علاقة المسلم مع غير المسلمين

يقوم المجتمع الإسلامي على وضوح العقيدة وعلى أحكام ثابتة، تحدّد له قواعده ونظمه وآدابه وقيمه، فقد اعتمد الإسلام منهجًا ودستور حياة، ومصدرًا لأحكامه وتشريعاته، وحرص على تقوية الوحدة الاجتماعية داخل الوطن الواحد، وأكدّ على ضرورة تماسكها، دون إثارة حساسيات أو خلافات.

ومن خصائص المجتمع الإسلامي إقراره للتعايش وفق منهجه السمح في تعامله مع المخالفين، والمسالمة مع المسلمين، وقد أوّلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الجانب عناية فائقة، وجعله من أوّلى اهتماماته عند تأسيسه الدّولة الإسلامية الأولى في المدينة، ليقيم نظامًا مشتركًا مع الفئات الأخرى، إذ لم يكن المجتمع في ذلك الوقت مقصورًا على المسلمين فحسب، بل ضمّ فئات مختلفة من أصحاب الديانات الأخرى، لذلك وضع الإسلام قواعد وأحكامًا تنظّم علاقة المسلمين معهم، وتبرز التعايش بينهم وبين المسلمين في المجتمعات الإسلامية على مرّ العصور، وفي مختلف الأزمان، فلقد قرّر الإسلام التعايش الاجتماعي مع المخالفين والمسلمين المقيمين في حدود الدّولة الإسلامية، وأباح أكل طعامهم وأحلّ ذبائحهم وأجاز مصاهرتهم وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بحفظ حقوق أهل الكتاب ورعايتها، وصيانة دمائهم وأموالهم، وعدم الاعتداء عليهم، وأقرّ استفادتهم من بيت المال.

وهذا يظهر روح الإسلام السّمحة، وعدالته القائمة، وأنّها للبشرية كلّها وهذا لتوثيق العلاقات الإنسانية عكس ما يروّج اليوم عن كون الإسلام هو دين يدعو للتطرف والإرهاب.

إنّ الإسلام لا يحكم بالفناء على جميع العناصر التّي تعيش داخل مجتمعه ممّن لا تدين به، بل يوطّد العلاقة بينها وبين المسلمين، ويحترم المواثيق ويعنى بالعهود ولا يقبل الخيانة والغدر.

وهناك كلمة رائعة كتبها الحافظ ابن الصّلاح (643 هـ)، تتّصل بالتعامل مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، حيث قال رحمه الله: " إنّ الأصل إبقاء الكفّار وتقريرهم، لأنّ الله تعالى ما أراد إفناء

الخلق، ولا خلقهم ليقتلوا، وإنّما أبيح قتلهم لعارض ضرر وجد منهم، لا لأنّ ذلك جزاء على كفرهم، فإنّ دار الدّنيا ليست دار عقاب، بل الجزاء في الآخرة، فإذا دخلوا في الذمّة والتزموا أحكامنا انتفعنا بهم في المعاش في الدّنيا وعمارتها، فلم يبق لنا مأرب في قتلهم، وحسابهم على الله تعالى، ولأنّهم إذا مكنوا من المقام في دار السلام، ربما شاهدوا بدائع صنع الله في فطرته، وروائع حكمته في خلقه، وإذا كان الأمر بهذه المثابة لم يجز أن يقال: إنّ القتل أصلهم ".

إنّ الخطيب عليه أن يبرز على منبر المسجد، ويوضّح للنّاس تلك القيم السامية، والمواقف الحكيمة والعادلة في نظرة الإسلام إلى غير المسلمين في المجتمع المسلم، وأنّ وجود طوائف وجماعات عديدة متعايشة مع المسلمين دليل على التزام ظاهرة التسامح[142] دون اعتناق المسلم لعقيدتهم.

ولم يكن دور المسجد ليقتصر على التعليم والإرشاد، فكثيرًا ما انطلقت الجيوش الإسلامية من المسجد وأدّت المساجد دورها القيادي في مواجهة الطامعين في بلاد المسلمين، فلم يكن المسجد عبر التاريخ الإسلامي دار للعبادة فقط بل مركزًا للإعداد النّفسي والجسدي، وتحوّل إلى محرّك اجتماعي وسياسي لا يمس عواطف الجماهير فحسب بل يتعدّى ذلك إلى تلمّس المشكلات المعاصرة، وانطلقت منه الحضارة الإسلامية، وما كان العالم ليكون على ما هو اليوم لولا دور المسجد.

ولقد لوحظ أنّ لخطيب المسجد دورًا بارزًا في أيّام الحروب والدّفاع عن الوطن، فالخطابة في الحروب تؤثّر تأثيرًا ايجابيًا في شحذ النفوس وتقوية العزائم، ولهذا غيّرت الحروب الصليبية نمط خطب الدّواوين فترة من الزمن، ولكنّها سرعان ما عادت إلى سابق عهدها عندما جاء عصر المماليك ثمّ العصر العثماني، وضعف اللّسان العربي، ودخل العربية العديد من الألفاظ الأجنبية، وأخذ التدهور يلحق بالخطابة شيئًا فشيئًا إلى أن بدأ الاستعمار الأوربي، وبدأت الخطابة تجد ما يدفع إلى نهوضها حيث قام الوطنيون يخطبون، منادين بمقاومة الاحتلال، وقد أثرت الخطابة الوطنية على خطباء المساجد، فأخذوا يغيّرون من نمط خطبهم التقليدي.

وقد تنبه بعض الوطنيين في الجزائر إلى أهمية المساجد كأداة لمحاربة الاستعمار وأداة هامة للإصلاح، مثل عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح في بلادنا. ومع الاحتلال الإنجليزي لمصر تنبّه عبد الله النديم إلى دور المسجد في تنبيه الشعور القومي، فقام بتدريب تلاميذه على الخطابة، وعلمهم كيف يخطبون في المحافل ودعا إلى الاهتمام بالخطابة، ويقول: " إنّ من أسباب غفلة الشرق ضعف الخطابة فيه، وانحصارها في خطب لا تمس الحياة الواقعية ".

وكتب مقالاً بعنوان " ألسن الخطباء تحي وتميت " طالب فيه أن تكتب خطب المساجد بشكل جديد بحيث تعالج شؤون الحياة وتشرح الموقف الحاضر، وتبيّن الأخطار المحيطة بالأمة.

ولا شكّ أنّ كثير من أمثال عبد الحميد ابن باديس وعبد الله النديم، قد أدركوا أنّ الطريق إلى القضاء على الاستعمار وأعوانه لن يتم إلاّ إذا مرّ عن طريق المساجد، فهي السلاح الذي استعان به

صلاح الدّين الأيوبي لطرد الصليبيين، وسيظل سلاحًا في أيدينا ندفع به كيد الطامعين في خيرات وبلاد المسلمين.

5-3-4-حماية الشباب من الغلو والانحراف والدعوة إلى الاعتدال والوسطية [143](ص137)

يأتي دور المسجد في هذا الجانب بحماية شبابنا من الأفكار المنحرفة والتي تؤدي بهم إلى الإجرام والفساد أو إلى الانحلال الأخلاقي فهو من أهم الأسلحة التّي نملكها، ونتصدّى بها للتكنولوجيا الإعلامية المتطورة التّي لا نملكها، والتي تؤثّر على شبابنا فتجعله يجنح إلى التقصير تارة وإلى الغلو تارة أخرى وإمام المسجد في طريق دفاعه عن الإسلام يواجه مواجهة صريحة جماعتين:

- الأولى: جماعة تحمل الفكر المعادي وتؤمن به، وقد تتخذ من حقوق الإنسان ذريعة لمهاجمة تعاليم الإسلام بضراوة، وهذه عداوتها للإسلام ظاهرة، وهذا ما لاحظناه مؤخّرًا، بعد نشر صور تستخفّ برسولنا الكريم عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم وقد جاء القرآن الكريم بالمنهج الذي يوضّح كيفية التعامل معها.

- الثانية: جماعة تحمل صورة مشوهة عن الإسلام، ومن هؤلاء الجهلة والمتبدعة، والبدع المستحدثة في الدّين نوعان بدع بالغلو وبدع بالتقصير.

وكلا النوعين الإفراط والتفريط ذمّه الإسلام، وحاربه الرّسول صلى الله عليه وسلم، وجعله شرّ الأمور، والخطيب هنا عليه أن يسلك النهج الذي يؤدّي إلى إقامة الحجة على هؤلاء وهؤلاء، فإذا كانت البدعة بالغلو مال إلى البشارة، وإذا كانت بالتقصير مَالَ إلى الإنذار، ويستخدم الجدل كلما دعت الحاجة إلى ذلك، لكنه يعود إلى البشارة والإنذار، يتردّد بينهما إلى أن يقيم الحجّة وتنقطع المحجّة.

أمّا المبتدعة بالغلو فهم في عصرنا كثيرون، منهم من يقوم بعمليات تستهدف أرواح الأبرياء من المسلمين ومن غيرهم، ومنهم من يبرّر هذه الأفعال بأقوال لا سند لها، وأوّل من سنّ دعوة هؤلاء بالمجادلة إلى الحقّ هو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، إذ بعث ابن عباس رضي الله عنه إلى الخوارج فكلّمهم، فرجع منهم إلى الطاعة ألفان. [44](ص217)

والمغالي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع وقت، إلاّ إذا كانت نشئته في بلدٍ أو منطقة يظهر فيها الجدل والتّعصب، فإنّه بذلك لو اجتمع عليه الأوّلون والآخرون - كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله - لم يقدروا على نزع البدعة من صدره... حتىّ لو قيل له: هل تريد أن يكشف الله لك غطاء، ويعرفك بالعيان أنّ الحقّ مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح خصمه، وهذا هو الدّاء العضال، الذي انتشر في البلاد والعباد.

وأمّا المتبدعة بالتقصير فهم أهل الانحراف في الفهم والتّساهل في العمل، وتعتبر العلمانية التّي تمثّل هذا الاتّجاه انعكاسًا لاستبداد الكنيسة ورجالها في العصور الوسطى فلكي يستريح الشعب والعلماء من هذا الاستبداد، فكّروا في الفصل بين الدّين والحياة، وقد وجدوا في أناجيلهم ما أصبح شعارًا لهم: أعطوا ما لِقَيصَر لقيصر وما لله لله. [7143](ص138)

ومن المؤسف أن ينتقل هذا الفكر إلى بلداننا الإسلامية، ويحاول أن يصبح منهجًا للحكم ومنطقًا للحديث بغير حياء ولا خجل ممّن يحملون أسماء إسلامية، ويسخّرون أقلامهم وصحفهم لغرض فصل الإسلام عن الحياة ومحاربة الشريعة الإسلامية ومحاولة التهكم على العصور الإسلامية وعلى التاريخ الإسلامي، وبالجملة التنكّر لكلّ ما هو إسلامي، والإشادة بكلّ ما هو غير إسلامي.إنّ تثبيت أقدام هؤلاء في الأوطان وفي بلدنا، كان نتيجة طبيعية لضعف عملية المقاومة، وضعف الدّور الذي كان يلعبه المسجد في التصدّي والمقاومة، وخطيب المسجد لكي يقوم بهذا الدّور، لابّد له من القيام بعملية رصد لهذه الشبهات الوافدة إلينا من الخارج، فلا زال العلمانيون يعتمدون على الأفكار الخارجية في كلّ ما يكتب ضدّ الدّين في الغرب، ثمّ يقومون بدورهم في توجيه هذه الأمور إلى الإسلام. [144](ص11)

وقد كان هؤلاء سببًا في تقوية وظهور اتجاه الغلو، كما أصبحت مقاومة جماعة الغلو سببًا في تقوية الاتجاه العلماني، وهناك من الخطباء من تحملهم الشدّة في وعظ هؤلاء لدرجة أنّهم قد يصلون إلى حدّ تكفيرهم. وهذا النّهج قد يضرّ بالدّعوة ليس أكثر ممّا يفيد، لأنّه لا يفيد أصلاً، فكيف يطمع أحد في هداية إنسان وهو يصفه بالكفر مع أنّه يرى أنّ من حقّه أن يفكّر وليس من حقّ الآخر أن يكفّر!!

إنّ الأسلوب الهادئ والكلمات العذبة والصّدر الرّحب كلّ هذا قد يساعد الإمام الخطيب أن يضمّ كلّ هؤلاء إلى الكتيبة الفاهمة للإسلام، وليس من مصلحة الإسلام أن يتّخذ الخطيب الدّعوة إلى العنف أسلوبًا أو يجعل القوّة وسيلة لتغيير المنكرات، وليس في صالح الإسلام كذلك إعلان الحرب على السلطات من أجل قضيّة قد يدور حولها خلاف أهل الحل والعقد، فهذا كلّه لا شكّ سوف يعود على الدّعوة بالآثار السيئة، فيضيق الخناق على الدّعوة ورجالها.ثمّ إنّ العلمانيون لا يتأخّرون في استغلال مثل هذه الفرص، فيتساءلون: هل هذا هو الإسلام الذي يريدون تطبيقه؟ وبدلاً من الطّعن في أسلوب الدّعوة البعيد عن المفهوم الصحيح للإسلام، ينتهزون الفرصة ليطعنوا في الإسلام نفسه. [145](ص48)

ويواجه شباب اليوم العديد من المخاطر والمستجدات، والتي بدأت تؤثّر في سلوك البعض منهم وانجرفت بآخرين إلى الانسياق وراء الأفكار المخالفة للإسلام، وأدّت إلى انحراف البعض عن جادة الصواب، بسبب بواعث الفساد التّي أحاطت بالمجتمعات من كافة جوانبها. والإسلام وضع القواعد الشرعية التّي تحمي الفكر من الانحراف وتصونه من الضلال وترسّخ في نفس المسلم الثوابت الإيمانية والاستقامة السلوكية وتبعده عن العدو وراء الأهواء والتقاليد المخالفة للدّين.

وللخطيب الأثر الفاعل في توجيه النّاس - خاصة الشباب - للزوم منهج الحق، والاستقامة على شرع الله وأمره وصراطه المستقيم، وتقوية الوازع الديني، وإيقاظ الضمير وتزكية النفس، وبيان محاسن

الاستقامة ومساوئ الانحراف، والتنفير من الإقدام على الجرائم الأخلاقية وإيراد النصوص الشرعية المحذّرة من ارتكابها أو التفكير فيها، وأنّ إفلات العاصي أو المجرم من العقوبة الدنيوية لا يعني نجاته من العقوبة في الآخرة، كما أنّه لا يستطيع الهروب من تأنيب الضمير والشعور بالخوف من الله تعالى، والقلق النّفسي والاضطراب الملازم له طوال حياته.

كما يمكن للخطيب أن يؤثّر في نفوس المصلين، حيث يردّد على مسامعهم ما أعدّه الله تعالى من ثواب لمن كفّ عن الأذى، وحفظ نفسه من وساوس الشيطان وعليه أن يوضّح لهم حفظ الإسلام للضرورات الخمس (الدّين، النفس، العقل، العرض والمال) وحمايته لها، وتحذيرهم من العبث بها والاعتداء عليها، وأنّه قرّر عقوبات رادعة للنفوس المريضة، تمنع التصرّفات الطائشة التّي تتحكّم بها الأهواء الفاسدة والأفكار المنحرفة. وأنّ تلك العقوبات شرّعت للقضاء على العصابات الإرهابية التّي تعمل على تخويف الآمنيين، وتسعى إلى نشر الخوف في النفوس. [143](ص142)

إنّ على الخطيب مسؤولية كبيرة في توعية النّاس بالضوابط التّي قرّرها التشريع الإسلامي لحفظ المجتمع من الجريمة ووقايته من الانحراف ومحاربة التصرّفات التّي تسعى إلى الخروج على النظام العام وإثارة الفتن وتفريق جماعة المسلمين، وأن يشرح لهم أنّ كلّ مخالفة لما جاء في أحكام الشريعة الإسلامية، يعتبر تعدّيًا وانتهاكًا لقدسيتها، ممّا يستوجب العقوبة التّي قرّرتها حتىّ تستأصل الفتنة والقلق، ويعيش الجميع بأمن وسلام.

لا شك أنّ الإسلام نظام اجتماعي متكامل، ينظم علاقة الإنسان بربّه وعلاقة الإنسان بالكون وعلاقة الإنسان بالآخر، تقوم في أساس بنائه العقيدة، وتتولى الشريعة التنظيم على مختلف المستويات، ويطبع كل ذلك مبدأ الوسطية بتوازن داخلي وسلوكي ناتج عن توازن السنن.

إن الوسطية الإسلامية عدل وتوازن، يقابل من جهة بتطرف مغالاة، ومن جهة ثانية بتطرف انحلال، وكلا التطرفين مدان في الإسلام.

والوسطية تعني الاستقامة أي استقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف، لأنّ ما كان مستقيمًا (الصراط المستقيم) لم يكن مائلاً أو منحرفًا، ولذلك جاء وصف الصراط المستقيم في سورة الفاتحة كموقف وسط بين تطرفين، تطرف المغضوب عليهم الذين هم اليهود، وتطرف الضالين الذين هم النصارى. واليهود حادوا عن الصراط المستقيم بقتلهم الأنبياء والغلو في التحريم، والنصارى حادوا عن الصراط المستقيم بتأليه الأنبياء والتطرف في التحليل.

من جهة أخرى نجد أنّ وسطية الإسلام تتلاءم مع الفطرة الإنسانية التّي تنبذ الغلو والمبالغة والتطرف في كل شيء، إنّها وسطية ترتكز على ما يلائم الطبع الإنساني عقلاً ووجدانًا وجسدًا، فليس الإسلام دينًا يضغط على النفس ويكلفها ما لا تطيق، وهو لا يقاوم التطرف في الماديات بالتطرف في الروحانيات وإنّما جاء ليضع التوازن بين الفطرة والتكاليف الشرعية. [58](ص132)

إن الوسطية الإسلامية تنص بروح الاعتدال والانتصاف والتوازن وتنفر من كل تطرف أو غلو في أي مجال من مجالات الحياة الدّينية والدنيوية سواء كان اعتقادًا أو عبادة أو طاعة أو سلوكًا، فهي تحقق الملاءمة بين الفطرة والتكاليف على نحو يحفظ للنفس نشاطها وإقبالها على الطاعة، ويرعى لها حقوقها من غير إفراط أو تفريط. لكن هذا المفهوم للوسطية الإسلامية المنافية للتطرف والمجافية للغلو في الدّين لا يمكن تحقيقها في واقع الحياة بالنسبة للمجتمع الإسلامي إلاّ إذا صدرت عن التزام أخلاقي لدى الإنسان المسلم يصبح معه السلوك الوسطي فعلاً تلقائيًا في ذاته وعقله وضميره وجوارحه، ومعنى هذا أنّ يكتسب المؤمن من عقيدته الصحيحة التسليم بحقائقها ودوافعها وقيمها التي تنهاه عن الانحراف عن خط الوسط والميل إلى التطرف والغلو.

إن التزام النفس المؤمنة بوسطية الإسلام هو وقوفها مع العدل وإيثارها للاحسان في غير تخاذل أو مهانة، وهذا ما تفرضه طبيعة التعايش الإنساني فتجعل من أوكد شروطه إقامة الحوار مقام التنابذ بالعداء، والدّعوة إلى الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة بدل العنف والقمع.

إنّ الاعتدال والتوازن من خصائص التشريع الإسلامي، والوسطية من أبرز مزاياه فلا غلو ولا جفاء، فالإسلام يمقت كلّ اتجاه يهدف إلى الغلو في الدّين، وينكر المبالغة في التقشف مبالغة تقود إلى التنطع وتجاوز الخطوط المحددة حيث حضّ على الاعتدال وحضّ على التوفيق بين حق العبادة وحق النفس في الحياة، فالغلو والتنطع يتعارضان مع تشريعات الإسلام الداعية إلى التيسير ورفع الحرج والبعد عن المشقة والمتتبع لما وُجد من انحرافات عقدية أو عملية من بعض الأفراد والطوائف عبر العصور وما أفرزته تلك المعتقدات المخالفة لمنهج الحقّ من أثر سيّء على الأمّة، ونكبات أصيبت بها، يدرك أنّ ذلك حصل بسبب الغلو في الدّين، وتجاوز الحدود، والفهم السيّئ لنصوص الشريعة، ممّا أدّى إلى إحداث الفتّن بين المسلمين، وزرع الفرقة والشقاق، فالإسلام يدعو إلى الاستقامة، وإتباع المنهج الوسط، دون انحراف أو تقصير[40](ص320) ، ويحرّم الغلو ويمقته سواءً في الاعتقاد أو العبادة أو المعاملة، وكل تصرّف صادر من المغالين والمتنطعين يردّه الإسلام.. ممّا يخالف أصول دعوته الصحيحة، ومنهج شريعته القويمة، ويؤكّد على وجوب إزالة كافة الأسباب المؤدية إلى الغلو وسدّ المنافذ الموصلة إلى العنف ومن أبرز ما يجب أن يوضّحه للنّاس، أن يكشف لهم وسطية الإسلام في سائر تشريعاته وأنّ على جميع أفراد المجتمع أن يستشعروا منهج الإسلام في دعوته للاتزان والاعتدال، والواقع يشهد أنّ المغالين والمتنطعين أضيق النّاس صدرًا، وأشدهم قلقًا واضطرابًا، وأكثرهم غضبًا وغليانًا، وربّما عمدوا إلى استخدام القوّة لحمل الآخرين على موافقتهم في آرائهم وسلوك منهجهم وقد انزلق البعض في هذا المسلك حيث سرى في أوساط فئة من الشباب الحكم بتكفير الآخر أو وصفه بالفسق أو العلمنة، وهذا له آثار سيئة تجرّعت المجتمعات آلامها وعاشت الأمّة محنتها فقد انحرفت إفهامهم ورغبت أنفسهم عن المنهج الحقّ وأطلقوا العنان لألسنتهم في الحكم على الآخرين بما يرونه، وإخراجهم عن دائرة الإسلام، أي تكفيرهم ومن ثمّة هجرتهم. [40](ص321)

فلزوم منهج الوسطية الذي بنيت عليه شريعتنا هو طريق السعادة وأصحابه أهل عدل وحق وأحرصهم على نشر الاستقرار والسلام وأبعدهم من إثارة الفتن، وهم الأمّة الوسط.

5-4- إستغلال النشاطات الدّينية المسجدية لنشر الثقافة الدّينية في أوساط النّاشئة

5-4-1-صلاة الجماعة

المسجد أعظم مكان يقوّي صلة العبد بخالقه، إذ فيه تحقيق للراحة النّفسية، والاطمئنان القلبي، والسلامة من الهموم والمنغّصات، والخلاص من الغمّ بأداء العبادة والمواظبة على الطّاعة.إنّ دوام ارتباط المسلم بهذه البقعة الطاهرة، وتعلّقه بها، لا ينقطع عنها طوال حياته من شأنه تعميق إيمانه، وترسيخ صلته بربّه، فهو يؤدي الصلاة المفروضة خمس مرّات في اليوم، ويتردّد على المسجد ليصلّي مع إخوانه، فتتلقّى النفس جرعات إيمانية متوالية، تجعلها بعيدة عن الغفلة، منقادة للحقّ، حتىّ أصبح صلاحها واستقامتها مرتبطًا بالصّلاة، وبها انشراح النفس وسعادتها وأمنها وأُنسها، وفرحها وسرورها وسكونها وطمأنينتها، كما أنّ فقدانها سبب في الشقاء والتعاسة والخوف والاضطراب والحزن والقلق. [59](ص18) فالصّلاة مصدر الأمن والاستقرار، وفي هذا الباب يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (القلب فقير بالذّات إلى الله تعالى من جهتين: من جهة العبادة، ومن جهة الاستعانة والتوكّل، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يُسر، ولا يتلذذ ولا يطيب، ولا يسكن ولا يطمئن إلاّ بعبادة ربّه وحده وحبّه والإنابة إليه، ولو حصل له كلّ ما يلتذّ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربّه بالفطرة، من حيث هو معبوده ومحبوبه، ومرغوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسّرور واللذّة والنّعمة، والسكون والطمأنينة، وهذا لا يحصل إلاّ بإعانة الله له، فإنّه لا يقدر على تحصيل ذلك إلاّ الله، فهو دائمًا مفتقر إليه حقيقة). [59](ص19)

فالصّلاة تنظّم سلوك الفرد، وتجعله يسير ووفق منهج الخالق وتشريعاته، وتصقله على الالتزام بهدي المصطفى عليه الصّلاة والسلام، وتربّيه على مقاومة كلّ ما في نفسه من ضعف، والتغلّب على ما يتجاذبها من شهوات، وما ينازعها من الشرور والمفاسد، وما تفكّر به من عدوان، فالعبادة تؤطّرها على أن تكون منبع الخير، ومصدر ضبط واعتدال واتزّان.

فإذا اصطبغت بذلك نفوس المصلين من الصّغار والكبار، وأصبح سلوكها تبعًا للوحي الإلهي، والنهج القرآني، سار المجتمع بأفراده على الصراط السّوي والسليم من كلّ ما يعكّر صفو الحياة، أو يثير في أوساطه ما يفقد النّاس الاستقرار وبذلك يظهر الأثر القوي والدّور الحيوي للمسجد، لأنّ الصّلاة ذات أثر مباشر في تقويم سلوك الأفراد، وهي وسيلة فاعلة للوقاية من الانحراف.

إنّ فريضة الصّلاة لها الفوائد الدّينية والدنيوية الشيء الكثير، فهي تشدُّ المؤمنين إلى بعضهم برباط الإيمان، وتقوي الرابطة الاجتماعية بحصول التعاون والتآلف والمساواة داخل المسجد، وقد أشرنا إلى هذه النقطة عندما تطرقنا إلى الوظائف الاجتماعية للمسجد.

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم " سبعة يظلّهم الله تحت ظلّه يوم لا ظِلَّ إلاّ ظِلّه: الإمام العادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ...، ورجل قلبه معلّق بالمساجد " [45]. فكم هو فعل اجتماعي حسن أن يصطحب الأب ابنه إلى مسجد الحي وقد ارتدى كلّ منهما اللّباس الإسلامي المميّز لأداء صلاة الجماعة، حيث يقبل المربّون مع أطفالهم إلى المساجد وقلوبهم عامرة بالإيمان مشتاقة للمثول بين يدي ربّها طمعًا وخوفًا.

فمحافظة الأب وأولاده على إقام الصّلاة المفروضة في المسجد لها أجر كبير عند الله، وفوائد جمّة واضحة للعيان، لأنّ غاية المسجد " طهارة النفس من الآثام والمعاصي والعداوة والحسد، وهذه كلّها تمحوها المساجد إذ يجتمع النّاس مرارًا، في كلّ يوم على سلامة الصدر وبراءة القلب وروحانية النفس، ولا تدخله إنسانية إنسان إلاّ طاهرة منزّهة، مسبغة، على حدود جسمها من أعلاه وأسفله، شعار الطّهر الذي يسمّى الوضوء، كأنّما يغسل الإنسان آثار الدّنيا من أعضائه قبل دخوله المساجد ".[146](ص221)

فالمسجد هو بيئة الأسرة الحسنة بالنسبة لعمّاره المؤمنين الصّادقين من جميع الأعمار والفئات والمستويات، أفراد وجماعات أسرية وغيرها.

ويمكن تلخيص الفوائد التّي يجنيها الولد الناشئ من إقام الصّلاة جماعة في المسجد على النحو التالي:

1- يحسّ الولد بقوّة ارتباطه بجماعة المصلين من المؤمنين الذين هم أبناء مجتّمعه في الحيّ والبلدّة.

2- تنمّي في النّاشئ الصّغير عنصر الأخوّة الصّادقة، إذ يشعر أنّه أخ قريب لكلّ الذين صلّوا معه في المسجد.

3- والمسجد هو بيت الله تعالى، يشعر القادم إليه أنّه في ضيافة الله، وعليه أن يراقب نفسه في هذا البيت أكثر من أيّ مكان آخر، ممّا يجعل مشاعره تسمو في أجواء عامرة بالرّوحانية الصّادقة والتّقوى.

4- يتعلّم الناشئ بصلاة الجماعة في المسجد الترتيب والتنظيم، فيستفيد حيث يعتاد على استماع الإمام وهو يحثُّ على توحيد صفوف المصلّين المعبّرة عن وحدة قلوب الجماعة المؤمنة.

5- صلاة الجماعة تصيغ الولد صياغة خلقية اجتماعية، فيتشكّل لديه إحساس يومي بتفقّد إخوانه المواظبين على الصّلاة معه، وبذا يتكوّن عنده الدّافع للاهتمام بشؤون العامّة.

6- والمسجد بطبيعته هو ساحة نموذجية للهدوء والرحمة والسّكينة تجعل الولد يجيد آداب السّماع إلى مواعظِ وإرشادات وقراءة الإمام أثناء الصّلاة.

5-4-2- القرآن الكريم وحلقات التحفيظ

القرآن كلام الخالق عزّ وجلّ، فيه من الهدي والرشاد، والحكمة والسّداد والعبر والمواعظ، ما تلين له الصّخور الصّماء، وتتيقظ من سباتها القلوب والنفوس وفيه ترغيب في الفضائل وترهيب من الرّذائل، بما يرتقي بالإنسان إلى أعلى المنازل وفي بيوت الله تتلى آيات القرآن الكريم، ويتردّد من أفواه القرّاء الذكر الحكيم، أو من المدارسة لآياته، إمّا في حلقة لتعليم التلاوة والتجويد أو درس لتفسير آيات الكتاب العزيز، أو تلاوة مع التدبّر والتفكّر في مواعظ القرآن الكريم وهداياته، أو قراءاته مع إمام المسجد في صلاة الجمعة والجماعة. [147](ص70)

ومكانة القرآن في نفوس المسلمين لا تخفى على أحد، وأهميته في تحقيق الرّاحة النفسية والاطمئنان القلبي، والسلامة من القلق والهموم، والخلاص من الأفكار الذميمة، وحين تجتمع القلوب على تلاوة آيات القرآن الكريم فإنّ ذلك يضفي عليها أجواء السّكينة والارتياح.

ومن هنا يتضح لنا فضل قراءة القرآن في المساجد، وأهمية إقامة الحلقات القرآنية فيها، لما لها من أثر فعّال في غرس الأمن النّفسي في نفوس القراء والمستمعين وبالتالي فإنّ المواظبة على قراءة القرآن وسماعه في المساجد، يعدّ وسيلة فاعلة لتحقيق الحياة الطّيبة لأفراد المجتمع، وإزالة الخوف والعنف والأمراض الاجتماعية والنفسية من نفوس أبنائه، وغرس معاني التوكل على الله تعالى، والرضى بقضائه وقدره، والتحلي بالصبر في معالجة المصائب وصيانة النفوس من الانحراف السلوكي. [147](ص71) إنّ لمجالس وحلقات الذكر التّي ينظّمها المسجد، مهامًا وفوائد تسهم بحقّ في ربط الناشئة من الأولاد وكذا الشباب بخالقهم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبهما يسترشد المربّي في تنشئة أولاده وإدراك مستلزمات ومعوقات التربية الهادفة. يقول النّبي صلى الله عليه وسلم " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلاّ نزلت عليهم السّكينة وغشيتهم الرّحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ".[45]فمجتمع حلق الذكر في المساجد هو الحاضن للفرد النّاشئ في الأسرة إذ تتفجّر هناك طاقاته وإبداعاته. وإذا عزل الإنسان نفسه عن مجتمعه عامّة، ومجتمعه المسجدي الإيماني خاصّة لأيّ سبب من الأسباب فإنّه يفقد المحطّة الهامّة التّي تغذّيه بالقيم الإنسانية الخيّرة، وبالتالي يخسر المجتمع طاقاته وإطاراته، لأنّ الحياة الاجتماعية هي الحياة المناسبة لاكتمال نماء الشّخصية على نحو شامل في كلّ مجالات الحياة.

وإذا كان علماء التربية الحديثة بدؤوا ينظّرون لمجتمعاتهم، فحسب التربية الإسلامية فخرًا أن أنعم الله على الأمّة بالقرآن الكريم، الذي أكّد على أهمية التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، بما فيها المجتمع الأسري الذي يقوى بأواصر الإيمان والعقيدة والتقوى، كي تنبت وتنمّى فيه شجرة التعاون والإيثار والصدق والطاقة ونكران الذات.وحينما يألف الناشئ حضور حلق ومجالس الذكر، فإنّه يكتسب العلم الشّرعي النافع الذي به تصلح حياته الاجتماعية في الدّنيا والآخرة، طالما أنّه يغذّي فكره وقلبه بآيات الذكر الحكيم، وأحاديث سنّة وسيرة المصطفى عليه الصّلاة والسلام.

وفي القرآن الكريم محطّات ومواقف ربّانية تحثّ وترشد المسلمين المؤمنين جماعات وأفراد إلى حسن الخلق والتحلي بآداب الإسلام الفاضلة والأخلاق الحميدة التّي تظهر وتبرز الإيمان الحقيقي المترجم إلى سلوكات صحيحة ومقبولة دينيًّا واجتماعيًا، وذلك بشتى الأساليب والمناهج وعبر مختلف الأحداث والمناسبات.والتربية ترتبط ارتباط أوّليًا بحلقات القرآن الكريم وتدور في فلكه وهنا نذكر بعض الأهداف التّي يمكن لمشرف الحلقة أن يرسمها لنفسه بكتاب الله تعالى: [26]

1- حفظ كتاب الله تعالى وتدبره والعمل به، وعليه يأتي في مقدمة تلك الأهداف وما بعده تابع له أو داخل فيه، فإنّ قارئ القرآن وحافظه والذي يكرر آياته يتأثر به إيجابًا ويستفيد من هداياته ويستنير به فهو يقرأ في كلام الله مثلاً " لا يسخر قوم من قوم " فلا يسخر من الآخرين، أو يقرأ " وأقيموا الصّلاة "، فيذهب ويحرص على إقامتها على وجهها وهو أيضًا يتأمل في بعض جوانب عظمة الله تعالى في الآيات القرآنية فيمتلئ قلبه إيمانًا وتعظيمًا لله تعالى ويطلع على العديد من النعم التّي منّ الله على عباده بها فيجد في نفسه محبّة للمنعم سبحانه، وهو يقرأ آيات الوعد والوعيد فيجد في نفسه الخوف والرجاء، كما أنّ من يعيش في كنف القرآن يجد مع آياته حيث سارت به حبًّا وتلذّذًا بكلام ربّه وما أعظمه من هدف.

2- إنّ ممّا ينبغي على المربي بالقرآن العناية بالشاب وتطويره من شتى جوانب الشخصية سواء إيمانية، علمية، عملية، نفسية، خلقية، سلوكية، اجتماعية أو مهارية وهذا الهدف عند تفصيله سنجده عبارة عن عدّة أهداف تتعدد بتعدد هذه الجوانب ويمكن تفصيلها وكتابتها كلّ على حدّى، لنتمكن من وضع البرامج المناسبة لتحقيق هذه الأهداف.

3- ومن الأهداف أيضًا اكتشاف قدرات الشاب ومواهبه والعمل على تنميتها وتطويرها والاستفادة منها وهذا الهدف داخل في الهدف السابق لاسيما ضمن الجوانب المهارية إلاّ أنّ إفراده مهم ليكون مشرف الحلقة على عناية بتلك القدرات والمواهب التّي كثيرًا ما تندثر بسبب الإهمال.

4- ومن الأهداف المهمة: غرس روح المبادرة لدى طالب الحلقة فهو بذاته مبادر دون أن نكون ساعين وراءه. أمّا المبادر فهو بذاته يحمل همّ أمته كما في الهدف الذي يليه ليعمل كالمجبر على العمل - إن عمل -.

5- وليكن ضمن الأهداف التّي يرسمها المشرف لطلابه: إعدادهم ليكونوا أعضاء نافعين في مجتمعهم ووطنهم وأمّتهم، وتستطيع الأمة تحقيق أهدافها بل يكون الطّلاب هم من يرسم أهداف الأمة ويسعون لتحقيقها إذا كانوا على جانب كبير من الفهم والوعي.

6- وممّا تجدر الإشارة إليه: الاهتمام والعناية بالمشرفين ومعلمي الحلقات وتطويرهم مهنيًا وذاتيًا في الجوانب التّي تخدمهم شخصيًا وتخدم الحلقة.

هذه بعض الأهداف التّي تبدو مهمة وينبغي العناية بها وإعطاؤها حقّها من الاهتمام. [26]

5-4-2- الخطب والمحاضرات المسجدية

يقوم المسجد بدور مهمّ في التربية والدعوة وإرشاد النّاس وتوجيهم وتقوية الوازع الديني والحفاظ على الوحدة الإسلامية حقيقة ومظهرًا.ولقد كان المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، يجلس بمسجده، يعلم الصّحابة الكرام أحكام دينهم، ويبصّرهم بعاقبة أمرهم، حتىّ أصبحوا يتنافسون في الحضور إلى مجلسه، والتقدم للإنصات إليه ليأخذوا من علمه وأدبه، فلم يكن حينها المسجد مكانًا لأداء العبادة فقط، بل كان جامعة للتربية الإسلامية والعلوم الدّينية، ومنبعًا للثقافة وتعلّم القرآن الكريم وفهم آياته وأحكامه التشريعية، ودراسة الأحاديث النبوية والتفقه بنصوصها ومضامينها، ولازالت المساجد في العالم الإسلامي تحاول مواصلة رسالتها في تعليم أفراد المجتمع وتوجيههم، من خلال النشاط العلمي المقام فيها، والذي يتنوّع بين الحلقات العلمية والمحاضرات، وخطب الجمعة والندوات والكلمات المرتجلة التّي يلقيها إمام المسجد وخطيبه، أو يستضاف فيها علماء بارزون لهم أسلوبهم المميّز في التعليم والإرشاد، فتنظم لقاءات متعدّدة على مدار الأسبوع، يتناول فيها المتحدثون ما تمس الحاجة إلى معرفته، وما يتصل اتصالاً وثيقًا بأحوال النّاس، ومعالجة مشكلاتهم الاجتماعية، وإيضاح العلاج المفيد لها. فالعلوم والدروس والمعارف الموجّهة من المسجد تؤدّي أهدافها الشرعية، وأغراضها التربوية في بناء المجتمع واستقامة أفراده وتقويم سلوكهم وإقامة العدل، وأداء الحقوق، وترابط المجتمع وتآلف أفراده وإذابة الفوارق المؤدية إلى التناحر وإيجاد الشقاق والنزاع في أوساطه.

يتعلم الناشئ من الإمام المربي - أثناء إلقاء الخطبة أو المحاضرة - كيفية عبادة الله وذلك بادراك حسن العلاقة مع الله والتي تتمحور خاصة في:

1- تلقّي أخبار الله تعالى بالتصديق.
2- تلقّي أحكام الله تعالى بالتنفيذ والتطبيق.
3- تلقّي أقدار الله تعالى بالصبر والرضى.

إنّ حسن الخلق مع الله تعالى يتجلّى من خلال علامات ومظاهر في سلوك الفرد، أي تلقّي أحكام الله تعالى بالتنفيذ والقبول، تواضعًا أمام عظمته ورجاءً لرحمته وخشية من عذابه، ويتحقق كلّ هذا للناشئ

إذا وجد القدوة الحسنة والمرشد الأمين، يعينه على حسن السّمع والطاعة للعليم الخبير في الأمر والنهي، فينشأ الولد في بيئة لا تردّ شيئًا من أحكام الله تعالى، فيصير ذلك في فكره. [148](ص187)

ولهذا ولغيره ينبغي الاهتمام بالمساجد وما يطرح فيها من أنشطة، لتعميرها بطاعة الله تعالى، فإنّما الصّلاة من العبادات المباركة فيها، ولكن يمكن أن يكون للمسجد أكبر من هذا الدّور- على أهميته - وهذه بعض الأفكار والاقتراحات التي يتمَّ العمل بها في كثير من المساجد: [149]

- الاهتمام من الإمام بالخطبة الأسبوعية في يوم الجمعة، فهي في غاية الأهمية في إيصال صوت الحقّ إلى الخلق.
- إيجاد حلقات تحفيظ قوية بالمسجد للطلاب على كافة مستوياتهم ومراحلهم، ومد يد العطاء لهذه الحلق، فهي من أنفع ما يتربى به الشباب ويتهذب به الطلاب.
- إنشاء ما يسمى بـ (جماعة المسجد) ليقوموا بالإشراف المباشر على الأنشطة المقامة فيه، وتوفير احتياجاته ومتطلباته، والتخطيط للتجديد المفيد.
- استقطاب المشايخ وطلاب العلم لإلقاء الكلمات الوعظية في المسجد، وذلك بإسناد مهمة التنسيق لهذه الكلمات لأحد النشطاء في المسجد، مع دعمه بأسماء وأرقام المشايخ للتنسيق معهم، وحبذا لو جعل يوم في الأسبوع لمثل هذا النشاط، يتعارف عليه أهل الحي ليلزموه.
- إقامة أكثر من درس أسبوعي في المسجد، في العقيدة، والسيرة، والفقه، والسلوك والآداب، بحيث يتم تنسيق أكثر من درس في الأسبوع، وتسند مهمة متابعة الدرس وإيجاد البديل لأحد الأخوة في المسجد حتى لا ينقطع الدرس، فيحرم النّاس الخير.
- تعليق لوحة إعلانات في آخر المسجد، توزع بطريقة مناسبة، لإعلان المحاضرات والدورات والأنشطة الدعوية في المدينة.
- تعليق لوحة تبرز أنشطة المسجد، وما يحتاجه من دعم ومشاركة من أهل الحي.
- تعليق حامل عند باب الخروج من المسجد يكتب عليه (خذ نسختك) ويزود بالمطويات والنشرات الدورية في كل أسبوع، ويشرف عليه أحد الإخوة، ويدعم بالمال إن أمكن.
- وضع صندوق للأسئلة والفتاوى في مكان بارز بالمسجد، ويرغب النّاس في وضع أسئلتهم فيه، ثم يحدّد يوم في الأسبوع للإجابة على الأسئلة من أحد المشايخ المعتبرين، أو من إمام المسجد إن كان أهل لذلك، أو يقرأ عليهم من فتاوى العلماء ما يناسب الأسئلة، كفتاوى اللجنة الدائمة أو فتاوى أهل العلم المعتبرين.
- إنشاء صندوق خيري بالمسجد يقوم عليه مجموعة من الصلحاء، ينفعون الأغنياء كما ينفعون الفقراء، فيدلون هذا على ذاك، ويعدون برنامج متكامل في هذا الشأن.
- عقد مجلس دوري لأهل الحي (في كل أسبوع أو نصف شهري أو شهري أو فصلي) يجتمع فيه أهل الحي مع إعداد برنامج متكامل لهذا اللقاء.

- توزيع المطويات على النّاس متزامنة مع الأحداث والوقائع، لينتفع بها النّاس، فهي إشارات في كلمات تناسب الواقع والحدث (الحج، بداية السنة، رمضان، ليلة القدر، نهاية السنة، عاشوراء، الاختبارات، بدع المولد، وبدع ليلة عاشوراء... وغير ذلك ممّا يناسب الزمان والأحوال).
- توزيع الكتب والأشرطة بصفة دورية، ويدعمون بالاشتراكات الدورية ليستمر العمل.
- إعداد مسابقات ثقافية مكتوبة، توزع لأهل الحي تناقش المنكرات فيه مثلاً، ويحدّد زمانها، وشروطها، ويعد حفل لتوزيع الجوائز والحوافز للمشاركين فيها، وهي وسيلة دعوية لغزو البيوت وإيصال الخير إليها، وخصوصًا إذا كانت المسابقة على كتاب تحسن قراءته أو شريط يحسن الاستماع إليه، مع توفيره لهم.
- القيام برحلة فصلية لجماعة المسجد على استراحة مناسبة وإعداد برنامج متكامل لهم.
- القيام ببعض المعارض المناسبة في ملاحق المسجد، وفتحها للنّاس مع الدعوة إليها والدعاية لها، ويمكن التنويع فيها بما يناسب النّاس.
- تعليق حامل للكتيبات، توضع فيه الكتيبات المناسبة باستمرار، ويكتب عليها: للاستعارة فقط.
- إيجاد مكتبة للمسجد، تحفل بما يمكن جمعه من أمهات الكتب والمراجع، ويمكن تحريكها عن طريق طلاب التحفيظ، والمسابقات الثقافية الدورية لأهل المسجد، وجمع النّاس فيها أكثر من مرة، ليألفوا دخولها والاستفادة منها.
- إنشاء مستودع خيري مناسب تجمع فيه الصدقات العينية والتبرعات الشهرية وما يمكن الاستفادة منه من ملبوسات وفرش وأثاث، لتوزيعها على أهل الحاجة في أماكن تواجدهم، يشرف عليه مجموعة مأمونة من أهل المسجد بإشراف إمامه.
- التنسيق لإقامة محاضرة في كل شهر لأهل الحي بالتنسيق مع أحد المشايخ والإعلان عنها.
- التنسيق مع أحد المفتين للاستضافة في المسجد أو عبر الهاتف للإجابة على أسئلة النّاس وتحديد الزمان لها. [149]
- إنشاء موقع للمسجد عبر الشبكة العنكبوتية، وينشر بين أهل الحي للاستفادة منه، ويقوم عليه الأخيار ومن لديه قدرة على المشاركة الفاعلة فيه.
- الإفطار الجماعي في رمضان أو الأيام الفاضلة والمستحب صيامها كعاشوراء أو يوم عرفة أو في أيام العيدين، مع إعداد برنامج مرافق لهذا النشاط يناسب الأحوال والمناسبات.
- إنشاء تحفيظ نسائي بالمسجد (دار الحافظات) يتم من خلاله إقامة مجموعة من الأنشطة التربوية للنساء كالمحاضرات والدورات العلمية والمهارية وغير ذلك ممّا فيه مصلحة للنساء.
- تكوين لجنة للزيارات، مهمتها الأساسية زيارة من يتخلفون عن الصلوات لدعوتهم إليها بالأسلوب الحسن والطريق الأمثل، وكذلك زيارة رواد المساجد حين مرضهم أو حصول ما يكره لهم أو لذويهم، وغير ذلك ممّا حث الشارع عليه ورغب فيه.

- التنسيق مع المؤسسات الخيرية والدعوية والإغاثية لعرض أنشطتها في المسجد أو في اللقاء بأهل الحي لدعمهم لها، وللاستفادة من أنشطتها.
- تكوين جماعة من أهل المسجد للإصلاح بين أهله حين وقوع الخصومة بينهم من أهل الرأي والحكمة والمشورة، وأهم مهماتها الإصلاح بين النّاس ودفع الشر والخصومة ويدعونه إلى الحق.
- تكوين مجموعة أخرى من أهل العلم والحكمة والروية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحي، فهم يجوبون الحي ليتعرفوا على منكراته، ثم يُعدون الأنشطة المناسبة لكل منكر بما يلزم لتغييره، فيأخذوا على يد السفيه، ويؤطروه على الحقّ أطرًا.
- تكوين لجنة اجتماعية في المسجد هدفها خدمة أهل الحي بما يحتاجون، كالسعي في توظيف شباب الحي العاطلين أو التنسيق مع دورات الحاسب الآلي لدراستهم فيها إذا عُدمت الوظيفة أو غير ذلك ممّا يحتاجه النّاس في دنياهم ولو أنّ المسجد قام بمثل هذا الدّور لكان له أبرز أثر في حياة النّاس وربطهم ببيت الله. والمهم في تنشيط دور المسجد أن تكون جماعة للنشاط مهمتها الأساسية دعوة أهل الحي إلى الخير والتجديد في ذلك بما يوافق الشرع، فإذا وجد من يحمل الهم ويتحمل المسئولية، جاء الخير، وأقبل المعروف.

ملخص الفصل:

لقد تطرقنا في هذا الفصل إلى أهم التحدّيات الدّينية والأخلاقية المواجهة للمسلم في هذا العصر، أبرز هذه التحدّيات ظاهرة العولمة بأنواعها، ولعل أخطرها هي العولمة الثقافية التي تؤثر على عقيدة وأخلاق وسلوكيات الأفراد، فمن مخلّفاتها هناك التنصير والتطرّف والمغالاة والإرهاب وكذا الانحراف والانحلال الأخلاقي.

كما تناولنا كيفية تفعيل دور المسجد لمواجهة التحدّيات سابقة الذكر وذلك بإصلاح الخطاب المسجدي والاهتمام أكثر بتكوين وإعداد الإمام. وفي آخر الفصل استعرضنا طرق نشر الثقافة الدّينية عن طريق العمل المسجدي، من خلال الإمام والنشاطات الدّينية والثقافية المسجدية.

الفصل 7

تحليل وعرض نتائج الفرضيات

7-1- تفريغ وتحليل البيانات العامة لعينة الأئمة

جدول رقم 08 : توزيع المبحوثين حسب السّن

الفئة العمرية	ك	%
35 – 25	32	% 47,05
45 – 35	24	% 35,29
55 – 45	10	% 14,70
أكثر من 55	02	% 02,94
المجـموع	68	% 100

من بين 68 مبحوث، لدينا 47,05 % من الأئمة ينتمون إلى الفئة العمرية (25 – 35) سنة، تليها نسبة 35,29 % منهم ينتمون إلى الفئة العمرية (35 – 45) سنة، ثمّ نسبة 14,7 % ينتمون إلى الفئة العمرية (45 – 55) سنة، وأخيرًا هناك 02,94 % من الأئمة هم من فئة أكثر من 55 سنة.

جدول رقم 09 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي

المستوى الدراسي	ك	%
يقرأ ويكتب	07	% 10,29
ابتـدائي	10	% 14,70
متـوسط	18	% 26,47
ثـانـوي	20	% 29,41
جـامعي	09	% 13,23
ما بعد التدرج	04	% 05,88
المجـموع	68	% 100

يبين هذا الجدول أنّه من بين 68 مبحوث، هناك أعلى نسبة من الأئمة لديهم مستوى ثانوي وهذا بنسبة 29,41 % ، و 26,47 % من الأئمة لديهم مستوى متوسط، أمّا الأئمة ذوي المستوى الابتدائي فإنّهم يمثلون نسبة 14,70 % ، تأتي بعدها نسبة الأئمة ذوي المستوى جامعي بـ 13,23 % تليها نسبة 10,29 % وهي تمثل نسبة الأئمة بمستوى يقرأ ويكتب، وأخيرًا هناك نسبة 05,88 % وتمثل الأئمة ذوي مستوى ما بعد التدرج وهي الأضعف بين النّسب.

جدول رقم 10 : يمثل توزيع المبحوثين حسب الرتبة

الـرتبة	ك	%
إمـام معلّم	32	% 47,05
إمـام مدّرس	24	% 35,29
إمـام أستاذ	12	% 17,64
المجـموع	68	% 100

لدينا 32 إمام مبحوث برتبة إمام معلّم وهذا بنسبة 47,05 % ، و 24 إمام مدّرس ممّا شكّل نسبة 35,29 % ، في المرتبة الأخيرة هناك 12 إمام أستاذ وهذا يمثّل نسبة 17,64 % من مجموع المبحوثين.

جدول رقم 11 : يمثل توزيع المبحوثين حسب حفظهم للقرآن الكريم

عدد الأحزاب	ك	%
30	04	% 05,88
45	04	% 05,88
48	04	%05,88
60	52	%76,47
بدون إجابة	04	%05,88
المجـموع	68	% 100

من الجدول رقم (11) نستنتج أنّ 76,47 % ، من أفراد عينة البحث يحفظون القرآن الكريم كله (60 حزب) تليها نسبة 05,88 % وهي تمثّل كلّ من الأئمة الذين يحفظون 48 ، 45 و 30 حزب ونفس النّسبة 05,88 % بدون إجابة وهذا أمر متوقّع ذلك أنّ حفظ القرآن الكريم شرط أساسي لتولّي مهمّة الإمامة.

من خلال الجداول (09)، (10) و (11) نستنتج أنّ المستوى التعليمي للأئمة المبحوثين هو عمومًا مستوى متوسّط، أمّا توظيفهم والرتب التّي هم عليها، فهي تعود إلى حفظهم للقرآن الكريم والتكوين بالمعاهد الوطنية لتكوين الإطارات الدّينية وليس لارتفاع مستواهم العلمي، حيث أنّ نسبة توظيف الجامعيين قليلة رغم أنّ مستواهم العلمي أفضل من خرّيجي المعاهد الدّينية باعتبار أنّ مدّة التكوين بالجامعة مضاعفة على المدّة في المعاهد الدينية إلى جانب تفوّق الجامعة في مستوى التّأطير، إلاّ أنّه منذ سنة 1999 أعلنت الوصاية عن مسابقات توظيف الجامعيين كأئمة خطباء لكن في نطاق محدود (المسابقات ليست كلّ سنة) كما نشير إلى أنّ الأئمة الجامعيين هم من حملة شهادة البكالوريا التّي عجز عن الحصول عليها بقية الأئمة فأحسنهم له مستوى ثانوي.

جدول رقم 12 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	ك	%
أعـزب	08	% 11,76
متـزوّج	60	% 88,23
مطـلّق	00	/
أرمــل	00	/
المجـموع	68	% 100

لدينا 60 مبحوث من بين 68، متزوّجون أي بنسبة 88,23 % ، كما أنّ 08 مبحوثين هم عُزّاب وهذا بنسبة 11,76 % ، أمّا الأئمة بصفتي مطلّق وأرمل فقد انعدمت النسب، ذلك أنّ الأئمة لا يميلون إلى الطّلاق باعتباره ابغض الحلال إلى الله، كما أنّ الإمام إذا ترمّل، يعيد الزّواج (هناك حالة واحدة).

جدول رقم 13 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب عدد الأولاد

عدد الأولاد	ك	%
بدون أولاد	24	% 35,29
04 - 01	12	% 17,64
07 - 04	24	% 35,29
10 - 07	08	% 11,76
المجـموع	68	% 100

يمثّل الأئمة بدون أولاد نسبة 35,29 % ، وهي نفس نسبة الأئمة الذين لديهم من (04 – 07) أولاد، تأتي بعدها نسبة 17,64 % وهي تمثّل الأئمة الذين لديهم أولاد ما بين (01 – 04)، أخيرًا هناك نسبة 11,76 % وهي الأضعف وتمثّل الأئمة الذين لديهم ما بين (07 – 10) أولاد.

جدول رقم 14 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع المسكن

نوع المسكن	ك	%
بيت عادي	52	% 76,47
شقة في عمارة	12	% 17,64
فيـلاّ	04	% 05,88
المجـموع	68	% 100

من بين 68 مبحوث هناك 52 يقيمون في بيت عادي بنسبة 76,47 % ، ثمّ نجد نسبة 17,64 % وتمثّل الأئمة الذين يقيمون في شقق في العمارات واضعف نسبة هي 05,88 % وتمثّل الأئمة المقيمين في فيلات.

جدول رقم 15 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب ملكية السكن

نوع ملكية المسكن	ك	%
شخصي	32	% 47,05
وظيفي	36	% 52,94
المجـموع	68	% 100

عند قراءة الجدول يتبين لنا أنّ 52,94 % من المبحوثين يقيمون في مساكن وظيفية، و 47,05 % منهم لديهم مساكن شخصية، وعليه فإنّ غالبية الأئمة لا يملكون مساكن. وهذا راجع إلى ضعف مستواهم المادي والاقتصادي الذي لا يسمح لهم باقتناء مساكن ذاتية.

جدول رقم 16 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب الدّخل الشهري

الدّخل الشهري	ك	%
5000 – 10000 دج	24	% 35,29
10000 – 15000 دج	36	% 52,94
15000 – 20000 دج	04	% 05,88
أكثر من 20000 دج	04	% 05,88
المجـموع	68	% 100

من خلال الجدول رقم (16)، والذي يمثّل توزيع المبحوثين حسب الدّخل الشهري، نلاحظ أنّ أعلى نسبة وهـي 52,94 % وتمثّل الأئمة الذين دخـلهم الشهري ما بين 10000 و 15000 دج، تليها نسبة 35,29 % وتخصّ الأئمة الذين دخلهم الشهري ما بين 5000 – 10000 دج وتساوت نسبة الأئمة الذين دخلهم الشهري 15000 و 20000 دج أو أكثر من 20000 دج وهذا بنسبة 05,88 % لكل منهما.

جدول رقم 17 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المستوى الاقتصادي

المستوى الاقتصادي	ك	%
ضعيف	32	% 47,05
متوسّط	28	% 41,17
حسـن	08	% 11,76
جيّـد	00	/
المجـموع	68	% 100

نلاحظ من خلال الجدول، أنّه من بين 68 إمام مبحوث هناك 32 إمام يعيشون في مستوى اقتصادي ضعيف وهذا بنسبة 47,05 % وهي الأعلى بين النّسب، تليها نسبة الأئمة ذوي المستوى متوسط وهي 41,17 % ، أخيرًا نجد نسبة 11,76 % من الأئمة يعيشون في مستوى اقتصادي حسن، بينما إنعدمت نسبة ألائمة الذين يعيشون في مستوى اقتصادي جيّد.

من خلال الجداول (13)، (14)، (15)، (16)، (17) والتي تتعلّق بالوضعية الاجتماعية والاقتصادية للائمة المبحوثين، نستنتج أنّ الإمام يعيش في مستويات اقتصادية واجتماعية متدنية، إذ أنّ الدّخل الشّهري للأئمة خاصّة الذين لديهم أولاد، لا يكفيهم حتّى للحصول على الضروريات إذ لا أحد من المبحوثين أجاب أنّه يعيش في مستوى جيّد، وأنّ اغلبهم ليست لديهم مساكن شخصية، فمنهم من لا يزال مقيمًا مع العائلة، ومنهم من لديه مسكن مؤجّر أو وظيفي، ولعلّ هذه الأمور تعطينا نظرة عن الواقع الذي يعيشه الإمام والذي يؤثر بالتأكيد على عمله وأدائه كإمام، فكيف للإمام الذي مستواه المعيشي متوسط مع عدد من الأولاد بمتطلباتهم، كيف له أن يوفّر لنفسه مكتبة ثرية، أو الاستعانة بالانترنت للحصول على المادة التّي يوظفها في خطابه ؟

7-2- تفريغ وتحليل بيانات الفرضية الأولى

جدول رقم 18 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين الذي تلقّاه الإمام

نوع التكوين	ك	%
زاوية أو جامع	56	% 60,21
معاهد التكوين	24	% 25,80
جـامعات	13	% 13,97
المجـموع	* 93	% 100

* مع الأخذ بعين الاعتبار تعدّد إجابات المبحوثين

يبيّن هذا الجدول أنّ 60,21 % من الأئمة المبحوثين تلقّوا تكوينهم في الزوايا أو الجوامع، و 25,80 % منهم تلقّوا تكوينًا في المعاهد الوطنية لتكوين الإطارات الدّينية، و 13,97 % تلقّوا تكوينهم في الجامعات.

إنّ تعدّد الإجابات هنا راجع إلى كون 24 إمام الذين تكوّنوا في المعاهد الدّينية، تلقّوا تكوينًا أوّلاً في الزوايا أو الجوامع (خاصّة تحفيظ القرآن) ثمّ انتسبوا إلى تلك المعاهد، كما أنّ هناك إمام (01) تلقى تكوينه في كلّ من الزاوية والمعهد والجامعة، وعليه فإنّ المبحوثين الذين تلقّوا التكوين في الزواية أو الجامع فقط عددهم هو 31 إمام (أي نسبة 45,58 % من عينة البحث).

وفي هذا المستوى من التكوين الذي يعتمد على تحفيظ القرآن الكريم، كلّه أو جلّه، بدون إعطاء الإمام المعلومات والثقافة التّي يحتاجها في عمله لا يمكننا أن ننتظر من الإمام الشيء الكثير، ضف إلى ذلك أنّ نمط التكوين الذي يخضع له الإمام خلق تباينًا بينه وبين جمهور المصلّين، خاصّة رواد المسجد من الشباب الذين يحملون ثقافة دينية قد تفوق أحيانًا ثقافة الإمام نفسه ممّا يخلق تنافرًا بينه وبين هؤولاء الشباب، إذ ترى مصليًا يترك مسجد حيّه، ويبحث عن مسجد آخر، يكون إمامه أفضل من إمام مسجد الحي.

ومن جهة أخرى يظهر التباين بين الإمام والمصلين حتّى في تغاير الهموم والاهتمامات والقضايا التّي تحتاج لأن يعالجها الإمام في خطابه، ولعل هذه ليست مشكلة الإمام الخطيب في الجزائر فقط، بل هو تحدٍّ مازال يواجه الفكر الإسلامي الذي " يتطلّع إلى المبدأ البديل الذي يخلف الأنظمة الفكرية الوضعية السّائدة، هذه الأنظمة التّي لم تستطع أن تجيب عن أكثر القضايا إلحاحًا وجوهرية بالنسبة للإنسان ". [161](ص36)

جدول رقم 19 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب مدّة التكوين

المـــدّة	ك	%
03 - 01	28	% 41,17
05 - 03	25	% 36,76
07 - 05	11	% 16,17
أكثر من 07	05	% 07,35
المجـموع	68	% 100

يبيّن الجدول أنّ 41,17 % من الأئمة المبحوثين تلقّوا تكوينًا لمدّة تتراوح بين (01 – 03) سنوات و 36,76 % منهم كانت مدّة تكوينهم محصورة بين (03 – 05) سنوات، كما أنّ 16,17 % تلقّوا تكوينًا لمدّة تتراوح بين (05 – 07) سنوات، وأخيرًا لدينا نسبة 07,35 % من الأئمة تلقّوا تكوينًا لمدّة تزيد عن 07 سنوات. ما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، هو أنّ الأئمة الذين تكوّنوا لمدّة محصورة بين (03 – 05) سنوات منهم الأئمة المتحصلين على شهادة البكالوريا ودرسوا لمدّة 04 سنوات في الجامعة (عددهم 09)، ونفس الشيء بالنسبة لفئتي بين (05 – 07) سنوات وأكثر من 07 سنوات فهما تضمّان الأئمة ذوي مستوى ما بعد التدرّج.

إنّ قصر مدّة التكوين يشكل عائقًا أمام الإمام في مجال عمله، إذ أنّ مدّة 03 سنوات غير كافية للإمام كي يتشبّع بالثقافة الدّينية والاجتماعية، التّي يحتاجها في عمله، خاصة إذا كان التكوين كما لاحظنا في جدول سابق يقتصر على الفقه والعقيدة والسيرة وفقه العبادات، ولا يربط الإمام بالحاضر والواقع. كما أنّ الأئمة الذين أجابوا بأنّهم تلقّوا تكوينًا يزيد عن 07 سنوات (باستثناء الأئمة بمستوى ما بعد

التدرّج) منهم الأئمة الذين تكوّنوا في الزوايا والجوامع أي حفظوا فقط القرآن الكريم، هؤولاء الأئمة الذين لم يتلقّوا تكوينًا، كيف لهم أن ينتجوا خطابًا قادرًا على التأثير في المصلّين ومن ثمة التغيير في سلوكياتهم ومعتقداتهم، خاصّة الشباب الذين يتوافد عليهم يوميًّا كمّا هائلاً من الثقافات الأخرى عن طريق الإعلام والشارع وغيرها ذلك أنّ حفظ القرآن الكريم كما قلنا سابقًا دون تفسيره وربطه بالواقع لا يشكّل عاملاً قويًّا قي مجال الخطابة.

ملاحظة : لا تحسب هنا سنوات التعليم العام (من الابتدائي إلى الثانوي)، مدّة التكوين هنا تخصّ فقط التكوين في مجال الإمامة والخطابة أو العلوم الشرعية بالنسبة للمتحصلين على شهادة البكالوريا.

جدول رقم 20 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب اعتمادهم على دواوين الخطب المنبرية

الخطب المنبرية	ك	%
يعتمـد	41	% 60,29
لا يعتمد	27	% 39,70
المجـموع	68	% 100

من خلال الجدول رقم (20) يتضّح لنا أنّ 60,29 % من الأئمة المبحوثين يعتمدون على دواوين الخطب المنبرية مقابل 39,70 % لا يعتمدون عليها.

بالنسبة للائمة الذين يعتمدون على هذه الخطب ارجعوا استعمالهم لها، كونها توفّر لهم الجهد والوقت، حيث أنّ بعضهم أجاب بأنّه يستعملها نظرًا لسهولتها وأهميتها أيضًا، أو لأنّه يعجز عن اختيار موضوع مناسب ليخطب فيه، كما أنّ بعضهم برّر استعانته بالخطب الجاهزة، لأنّه يودّ الاستفادة ممن سبقوه أو لاقتباس المعلومات واستنباط الأحكام، أو لكونها كافية لإلقاء خطبة جيّدة من زاوية نظر الإمام، وتسهّل عليه عملية تحضير خطبه وتوفّر له الوقت.

أمّا الأئمة الذين لا يستعينون بالخطب الجاهزة ولا يستعملونها، فهذا راجع لعدّة أمور من بينها حسبهم أنّ الخطبة يحب أن تكون من الواقع، وتواكب الأحداث المعاشة، أو لأنّ بعضهم يميل إلى التجديد والإبداع بما يناسب الحال، إذ لكلّ مقامٍ مقال، وهذا في حدود الإمكانيات العلمية المتاحة.

جدول رقم 21: يمثّل توزيع المبحوثين حسب اعتمادهم على خطب الوزارة

خطب الوزارة	ك	%
يعتمـد	32	% 47,05
لا يعتمد	25	% 36,77
أحيانًا	11	% 16,17
المجـموع	68	% 100

إنّ أكبر نسبة في الجدول هي 47,05 % وتمثّل الأئمة الذين يعتمدون على الخطب التّي ترسلها الوزارة، أمّا 36,77 % من الأئمة لا يعتمدون عليها ولا يستعملونها، أخيرًا هناك 16,17 % من الأئمة يستعملونها أحيانًا فقط.

وعن الأسباب التّي جعلت الأئمة يلجئون إلى الخطب المرسلة من الوزارة تشبه تقريبًا الأسباب التّي جعلتهم يتبعون دواوين الخطب المنبرية من حيث كونها جاهزة لا يبذلون فيها جهدًا ولا وقتًا، إضافة إلى أنّ بعض الأئمة، لا يريدون الخروج عن المحاور التّي تفرضها أحيانًا الوصاية، بالرّغم من أنّ المواضيع غالبًا ما تختارها الوصاية، لكن تترك الحرية للإمام في التصرف فيها، خاصّة في المناسبات الدّينية والوطنية، كما أنّ بعض الأئمة أرجع ذلك لكونه يفتقر إلى منهجية البحث لتحضير خطبة لائقة، إمّا لانخفاض مستواه العلمي أو لنقص التكوين الذي تلقاه في هذا الإطار.

أمّا بالنسبة لأسباب عدم اعتماد بعض الأئمة على هذه الخطب هو أنّ الإمام يريد أن يشعر بحرّية أكبر في عمله ولا يتقيّد بمضمون الخطبة المرسلة له، أي أنّ هناك قيود حول الإمام في نوع المواضيع التّي يختارها لخطبه، فهناك مواضيع محرّمة من طرف الوصاية ولا يستطيع الإمام الحديث عنها في خطبه، كما أنّ هناك مواضيع مطلوبة من الإمام، خاصّة المواضيع المتعلقة مثلاً بالسّلم والمصالحة وغيرها من المواضيع الملحّة والضرورية في مجتمعنا، وهذا بالاستعانة بما يملكه من معلومات وخبرات شخصية.

جدول رقم 22 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المواضيع التّي تتناولها خطبهم

المحـور	المـــوضوع	ك	%
الأحداث الوطنية	السلم والمصالحة الوطنية ونظرة الإسلام إليهما.	03	% 01,06
	حب الوطن وخدمته وحمايته والتضحية في سبيله.	05	% 01,77
المجموع الأوّل		08	% 02,83
الأحداث الدولية	احتلال العرق	09	% 03,19
	انتفاضة فلسطين	04	% 01,41
	الفتنة في لبنان	02	% 00,70
	أحداث 11 سبتمبر	01	% 00,35
المجموع الثاني		16	% 05,67
المواضيع الدّينية والفقهية	العبادات	60	% 21,27
	العقيدة	54	% 19,14
	الإيمان	39	% 13,82
	العقوق	07	% 02,48
	اختلاف المذاهب	01	% 00,35
المجموع الثالث		161	% 57,09
المواضيع الاجتماعية والأخلاقية	الانحلال الخلقي	64	% 22,69
	الغزو الفكري والثقافي	10	% 03,54
	السرقة	17	% 06,02
	المخدرات	03	% 01,06
	الاختلاس	01	% 00,35
	الطّلاق والتفكك الأسري	01	% 00,35
	التشرد	01	% 00,35
المجموع الرابع		97	% 34,39
المجموع الكلي		282 *	% 100

* مع الأخذ بعين الاعتبار تعدّد الإجابات

يوضح الجدول رقم (22) المواضيع التّي تناولها خطب الأئمة المبحوثين، ما يلاحظ في هذا الجدول أنّ المواضيع الدّينية والفقهية تمثّل المواضيع الأكثر تناولاً وتوظيفًا في خطب الأئمة المبحوثين، حيث لو جمعنا النسب في هذا المحور لشكّلت لنا نسبة (57,09 %) يليها محور المواضيع الأخلاقية والاجتماعية (34,39 %) ثمّ محور الأحداث الدولية (05,67 %) وأخيرًا الأحداث الوطنية (02,83 %)، هذا من حيث المحاور أما من حيث المواضيع فإنّ موضوع الانحلال الخلقي يمثّل أكبر نسبة وهي 22,69 % بعده يأتي موضوع العبادات بنسبة 21,27 % ثمّ موضوع العقيدة بنسبة 19,14 % ، وبعده موضوع الإيمان بنسبة 13,82 % ، يليه موضوع السّرقة بنسبة 06,02 % وموضوع الغزو الفكري بنسبة 03,19 % ويتناولون موضوع عقوق الوالدين بنسبة 02,48 % وموضوع حب الوطن وخدمته وحمايته والتضحية في سبيله بنسبة 01,77 % بعدها يأتي موضوع الانتفاضة الفلسطينية بنسبة 01,41 % ، أمّا موضوع السلم والمصالحة الوطنية ونظرة الإسلام إليهما وكذا موضوع المخدّرات فتتساوى فيهما النّسبة وهي 01,06 % ويتطرّق الأئمة إلى الفتنة في لبنان بنسبة 0,70 % ، وأخيرًا تتساوى النّسبة في مجموعة من المواضيع وهي: أحداث 11 سبتمبر، اختلاف المذاهب، الاختلاس، الطّلاق والتفكك الأسري والتشرد بنسبة 0,35 % وهي الأضعف بين النسب.

كما غابت عدّة مواضيع دينية وأخلاقية واجتماعية في إجابات الأئمة إمّا لنسيانها أو لأنّ الأئمة فعلاً لا يتطرّقون إليها على أهميتها وحاجة المجتمع وأبنائه إليها من هذه الظواهر على سبيل المثال: ظاهرة الإرهاب والجريمة، التطرّف والغلو، التنصير، الهجرة غير الشرعية (الحرّا□ة)، العولمة، حوادث المرور، قضايا البيئة والانتحار وغيرها والتي تشكّل رهانات حقيقية وتحدّيات مواجهة للشباب في المجتمعات المسلمة عامّة وفي المجتمع الجزائري خاصّة. إذ أنّ الشباب الذين يعانون من هذه الظواهر، تنقصهم الثقافة في هذا المجال، فالشباب الذي يلجأ إلى الحر□ة (حرا□) مثلاً، ربّما لم يسمع رأي الدّين في ذلك، باعتبار أنّه يلقي بنفسه إلى التهلكة وهذا انتحار ونفس الشيء بالنسبة للإرهاب والجريمة والمخدّرات وغيرها من الآفات الاجتماعية المؤدية إلى الهلاك. فنقص الثقافة في هذا المجال هو من مسؤولية المسجد من خلال إمامه، في التوعية والتثقيف وإبراز رأي الدّين وحكمه، وكما قلنا سابقًا (في الجزء النظري) فإنّ المسجد له قدسية في النفوس وما يقال فيه محل ثقة الجميع ولو أنّ الأئمة يحذرون من الظواهر الدخيلة كظاهرة التنصير لما استفحلت في مجتمعنا الجزائري حتّى أصبحت من الظواهر المقلقة حتّى بالنسبة للجهات الرسمية.

إنّ الموضوعات التي يناقشها الأئمة في خطبهم لا تلامس الحياة اليومية المعاشة إلاّ في قليل من الأحيان، فما أن يرجع المسلم من المسجد إلى معترك الحياة حتى يصطدم بعالم آخر، لم يستمع عنه ولم يعرف عنه شيء حتى في أقرب مكان إلى قلبه، فقد يصلّي الفرد في مسجدٍ طوال حياته، لكنّه لا يسمع ولو خطبة قصيرة عن حوادث المرور التي تودِي بحياة الآلاف من الأفراد، أو عن العولمة وتأثيراتها وكيفية التعامل مع معطياتها، إلى غير ذلك من القضايا الملحّة.

جدول رقم 23 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب مدّة إلقاء الخطبتين

مدّة الإلقاء	ك	%
نصف ساعة	46	% 67,64
ســاعة	21	% 30,88
أكثر من ساعة	01	% 01,47
المجـموع	68	% 100

لدينا 67,64 % من خطب الأئمة تستغرق مدّة إلقائها نصف ساعة، و 30,88 % تستغرق مدّة ساعة، بينما 01,47 % من الأئمة تزيد مدّة إلقاء خطبهم عن ساعة.

إنّ اختلاف مدّة الإلقاء راجعة لكون بعض الأئمة يتحرّون تقصير الخطبة ويفضّلون ذلك كي لا يطيلون على المصلّين ولا يشعرونهم بالملل، وبعضهم الآخر يفضل إطالتها لتزداد فائدتها، ولكلّ مبرّراته.

لكن المسلم الذي لا يسمع عن أمور دينه إلاّ في المسجد، يجد أنّ مدّة نصف ساعة غير كافية لتثقيفه دينيًا، خاصة إذا كانت هذه النصف ساعة في أسبوع (من الجمعة إلى الجمعة) فهي إذن جرعة ناقصة لا تكفي المسلم خاصّة إذا كان شابًّا. كما أنّ استغراق الخطبة لمدّة تزيد عن السّاعة قد تفقد الهدف منها وتؤدي بالمصلين إلى عدم الانتباه والتركيز والاستيعاب.

جدول رقم 24 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين والاعتماد على خطب الوزارة

نوع التكوين / خطب الوزارة	زاوية أو جامع		معاهد التكوين		جامـعات		المجـموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
يعتمـد	20	% 64,51	12	% 50	00	/	32	% 47,05
لا يعتمـد	06	% 19,35	08	% 33,33	11	% 84,61	25	% 36,76
أحيــانا	05	% 16,12	04	% 16,66	02	% 15,38	11	% 16,17
المجـموع	31 *	% 100	24	% 100	13	% 100	68	% 100

* بالنسبة لخانة زاوية أو جامع، إذ قارنّا هذا الجدول مع الجدول رقم (18) سوف نلاحظ فرق في المجموع حيث أنّنا في هذا الجدول حذفنا الأئمة الذين تكوّنوا في كل من الزاوية أو الجامع ثمّ في المعاهد، كما حذفنا الإمام الذي وأصل تعليمه حتّى حصل على شهادة جامعية : (56 - 24 - 1 = 31) أي 31 إمام فقط لم يدرسوا إلاّ في المعاهد ولا في الجامعات أي تكوّنوا في الزوايا والجوامع فقط.

من خلال هذا الجدول الذي يوضّح لنا تأثير نوع التكوين الذي تلقاه الإمام على اختياره للخطب المرسلة جاهزة من طرف الوزارة الوصية، حيث أكبر نسبة من الأئمة يعتمدون على خطب الوزارة وتقدر بـ 47,05 % يمثلها ألائمة الذين تكوّنوا في الزاوية أو الجامع بنسبة 64,51 % والأئمة الذين تكوّنوا في المعاهد بنسبة 50 % والجامعيين انعدمت نسبة اعتمادهم على الخطب الجاهزة.

أمّا الأئمة الذين لا يعتمدون على خطب الوزارة فهم بنسبة 36,76 % أكبر نسبة نجدها عند الجامعيين حيث 84,61 % منهم لا يعتمدون عليها، تليها نسبة الأئمة المتكونين في المعاهد بنسبة 33,33 % وتنخفض نسبة عدم الاعتماد على الخطب الجاهزة عند المتكونين في الزاوية أو الجامع لتصل 19,35 % .

أمّا الأئمة الذين يعتمدون على الخطب المرسلة من الوزارة أحيانًا فقط والذين يشكّلون 16,17 % من المبحوثين نجدهم بنسبة 16,66 % عند الأئمة المتخرجين من معاهد التكوين وبنسبة 16,12 % عند المتكونين في الزاوية أو الجامع وأخيرًا بنسبة 15,38 % عند الجامعيين.

نستنتج من خلال هذا الجدول أنّ نوع التكوين الذي تلقاه الإمام يؤثر على قدرته على تحضير خطبة بنفسه، فكلّما كان متحصّلاً على شهادة جامعية كلّما كان قادرًا على إنتاج خطاب شخصي وقلّ اعتماده على الخطب الجاهزة، أمّا إذا كان تكوينه إمّا في الزوايا أو الجوامع أو معاهد التكوين فإنّ قدرته على إنتاج الخطاب تنقص ويزداد اعتماده على الخطب الجاهزة سواء المرسلة من طرف الوزارة أو دواوين الخطب المنبرية، فالتكوين له علاقة وطيدة بأداء الإمام.

ويتضح أيضا أنّ ألائمة الأساتذة (ذوي شهادات جامعية) يحسّون بإرتياح أكبر في مجال عملهم أكثر من ألائمة المعلمين أو المدرسين، وهذا راجع إلى كون المعارف والمعلومات والثقافة التي توفرها الجامعة أحسن من معاهد التكوين وأيضا مدة التكوين تختلف بين الجامعات وتلك المعاهد.

جدول رقم 25 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب الاعتماد على خطب الوزارة وطريقة الإلقاء

طريقة الإلقاء / خطب الوزارة	قـراءة		ارتجــالاً		متعدّد		المجـموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
يعتمــد	20	% 57,14	10	% 50	02	% 15,38	32	% 47,05
لا يعتمـد	10	% 28,57	06	% 30	09	% 69,23	25	% 36,76
أحيــانا	05	% 14,28	04	% 20	02	% 15,38	11	% 16,17
المجـموع	35	% 100	20	100 %	13	% 100	68	% 100

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنّ 47,05 % من الأئمة يعتمدون على خطب الوزارة وتشكّل أعلى نسبة، منهم 57,14 % يلقونها قراءة و 50 % ارتجالاً و 15,38 % طريقة إلقائهم متعددة (قراءة وارتجالاً). أمّا نسبة الأئمة الذين لا يعتمدون على خطب الوزارة هي 36,76 % منهم 69,23 % تتعدّد طرق إلقاء الخطبة عندهم، و 30 % منهم يلقونها ارتجالاً بينما 28,57 % فيلقونها قراءة.

أخيرًا بالنسبة للذين يعتمدون على خطب الوزارة أحيانًا فقط فإنّ 20 % يلقونها ارتجالاً و 15,38 % يلقونها بطرق متعددة و 14,28 % منهم يلقونها قراءة.

إنّ الإمام الذي تأتيه الخطبة جاهزة، لا يبذل أي وقت أو جهد في تحضيرها، ثمّ يأخذها إلى المسجد يوم الجمعة ويقرأها مباشرة، كيف له أن يؤثر في المستمعين، وكيف للمستعين أن يتجاوبوا معها، ويتأثروا بها وبالتالي تنعكس على سلوكهم وعلى حياتهم عامة.

إنّ خطبة بهذا الشكل سوف تكون بدون فائدة، ذلك أنّ الإمام لا يسعى أبدًا إلى فهمها أو التفاعل معها بل ربّما يضعها جانبًا حتّى يراها يوم إلقائها. فتأتي كلماته فارغة لا معنى لها.

الخطبة فن من الفنون له تقنياته وأساليبه التي إذا اجتمعت تحقّق الهدف منها وهو التأثير في وجدان وفكر وسلوك المستمع ولعل أهم تقنية هي – الارتجال – الذي يدلّ على ثقة الإمام بنفسه وشعوره بالارتياح وعدم الحرج حينما يلقي خطبته.

رغم هذه الأهمية إلاّ أنّ هذه الفنون غائبة في البرامج التكوينية للائمة الخطباء ولم يعوّد الإمام من خلال تربصات على ارتجال الخطابة، فالسياسة التكوينية لها أثرها البعيد في كيفية أداء الإمام لمهامه، وهذا ما لاحظناه في تعليلات الأئمة المبحوثين الذين يشعرون بنقص كبير حتى يتمكنوا من الوصول إلى خبايا المجتمع والمساهمة في حركيته ونشاطه.

أمّا الأئمة الذين لا يستعملون الخطب الجاهزة يرون أنّ الإمام أدرى بمحتوى الخطاب الذي يختاره دون تدخّل من الوصاية لأنّه يعايش واقع المصلّين وأعلم بما يناسبهم، لكن الأوضاع التي عاشتها البلاد في السنوات الماضية أثرت على نوعية الخطاب، فالإمام حتى وإن كان يعترف أحيانًا بضعفه لكنه مع ذلك لا يريد أن يكون مجرّد ناقل لخطاب غيره، بل يحافظ على حريته، وفي ذلك شيء من التناقض، نفسره بأنّ إختيار الحرية هو إختيار مبدئي مهما كان مستوى التكوين.

جدول رقم 26 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب الرّتبة وطريقة إلقاء الخطبتين

الرّتبة / طريقة الإلقاء	إمام معلّم		إمام مدرّس		إمام أستاذ		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
قراءة	21	% 65,62	14	% 58,33	00	/	35	% 51,47
ارتجالاً	01	% 03,12	09	% 37,50	10	% 83,33	20	% 29,41
متعدّد	10	% 31,25	01	% 04,16	02	% 16,66	13	% 19,11
المجموع	32	% 100	24	% 100	12	% 100	68	% 100

يبيّن الجدول رقم (26) العلاقة بين رتبة الإمام وطريقة إلقائه للخطبة، حيث أنّ الأئمة الذين يلقونها قراءة ويمثلون 51,47 % نجدهم بأكبر نسبة برتبة إمام معلّم وتقدّر بـ 65,62 % تليها نسبة الأئمة المدرسين بـ 58,33 % بينما انعدمت لدى الأئمة الأساتذة.

غير أنّ نسبة إلقاء الخطبة ارتجالاً والمقدرة بـ 29,41 % يدعّمها الأئمة الأساتذة بنسبة 83,33 % وتنخفض لدى الأئمة المدرسين إلى 37,50 % وتصل عند الأئمة المعلمون إلى 03,12 % فقط.

أخيرًا بالنسبة للذين يلقونها بطرق متعدّدة والتي بلغت 19,11 % نجدها عند الأئمة المعلمين بـ 31,25 % وعند الأئمة الأساتذة بنسبة 16,66 % ثمّ عند الأئمة المدرسين بنسبة 04,16 % فقط.

وعليه نستنتج أنّ طريقة إلقاء الخطبة تتأثر برتبة الإمام، هذه الأخيرة تحكمها عدّة عوامل من بينها المستوى التعليمي، فرتبة الإمام يحصل عليها إنطلاقا من حفظه للقران الكريم ومستواه التعليمي.

فالأئمة المعلمون الذين يشكلون أكبر نسبة تلقي الخطبة قراءة هم من ذوي المستويات التعليمية المنخفضة أمّا الأئمة الأساتذة والذي يمثلون أكبر نسبة تلقي الخطبتين ارتجالاً، فهم من حملة شهادة البكالوريا التي عجز عن الحصول عليها بقية الأئمة فأحسنهم له مستوى ثانوي.

إنّه من الضروري الاعتماد على منهج انتقائي للخطباء يضمن وجود حد أدنى من الموهبة والملكة التي تعتبر البذرة التي يعتنى بها من خلال تكوين يمنح الإمام بالإضافة إلى موهبته، أدوات ومقوّمات أخرى تعتمد على التدريب أساسًا على الإلقاء والنّطق السّليم الفصيح والتعوّد على الارتجال، فاختيار الأسلوب الملائم أساس العطاء الجيّد.

جدول رقم 27 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين وطريقة إلقاء الخطبتين

نوع التكوين / طريقة الإلقاء	الزاوية أو الجامع		معاهد التكوين		الجامعات		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
قراءة	21	% 67,74	14	% 58,33	00	/	35	% 51,47
ارتجالاً	01	% 03,22	09	% 37,50	10	% 76,92	20	% 29,41
متعدّد	09	% 29,03	01	% 04,16	03	% 23,07	13	% 19,11
المجموع	31	% 100	24	% 100	13	% 100	68	% 100

بملاحظة الجدول من زاوية تأثير نوع التكوين على طريقة إلقاء الخطبتين فإنّنا نسجّل أنّ 51,47 % من الأئمة الذين يلقونها قراءة هناك نسبة 67,74 % هم ممن تكوّن في الزاوية أو الجامع مقابل 58,33 % تكوّنوا في المعاهد الدّينية وتنعدم نسبة الجامعيين.

أمّا نسبة 29,41 % من الأئمة الذين يلقونها ارتجالاً يدعّمها الجامعيين بنسبة 76,92 % والمتخرجين من المعاهد بنسبة 37,10 % وأخيرًا المتكوّنون في الزاوية أو الجامع بنسبة 03,22 % .

بالنسبة إلى الذين يلقونها بطرق متعدّدة والذين يمثلون 19,11 % نجدهم بنسبة 29,03 % عند المتكوّنين في الزاوية أو الجامع ونسبة 23,07 % عند الجامعيين وأخيرًا عند المتكوّنين في المعاهد الدّينية بنسبة 04,16 % .

نستنتج من خلال هذه الإحصائيات أنّ التكوين الذي تلقّاه الإمام يؤثّر على طريقة إلقاء الخطبتين، فالإمام الذي تكوّن جيّدًا، يستطيع أن يتعرّض إلى الموضوع الذي يريد أن يخطب فيه، بالطريقة التي يؤثّر بها على المستمعين وبالتالي تصل الرسالة التي يريد تمريرها، أمّا الإمام الذي تكوينه ناقص فهذا حتما يشكّل عائقًا أمامه أثناء إلقاء خطبته.

جدول رقم 28 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب طريقة إلقاء الخطبتين والتأثير في المصلّين

طريقة الإلقاء / التأثير	قراءة		ارتجالاً		متعدّد		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
يؤثّر	08	% 22,85	19	% 95	12	% 92,30	39	% 57,35
لا يؤثّر	/	/	/	/	/	/	/	/
أحيانًا	27	% 77,14	01	% 05	01	% 07,69	29	% 42,64
المجموع	35	% 100	20	100 %	13	% 100	68	% 100

عند القراءة الإحصائية لهذا الجدول نسجّل نسبة 57,35 % يرون أنّ خطبتهم تؤثر في المصلّين، تتوزع هذه النسبة حسب طريقة الإلقاء إلى 95 % يؤثرون لأنّهم يلقونها ارتجالاً 92,30 % يلقونها بشكل متعدد، بينما 22,85 % يلقونها قراءة.

أمّا نسبة الأئمة الذين يرون أنّ خطبهم تؤثر أحيانًا فقط فإنّ نسبتهم هي 42,64 % نجد 77,14 % يلقونها قراءة و 07,69 % يلقونها بطرق متعددة و 05 % فقط يلقونها ارتجالاً.

بينما انعدمت نسبة الأئمة الذين لا تؤثر خطبتهم في المصلّين، وهذا أمر طبيعي ذلك أنّ الإنسان مهما كانت ديانته فإنّه يتأثر عندما يصغي إلى من يحدّثه عن دينه وعقيدته.

وعليه فإنّ إلقاء الخطبة ارتجالاً يؤدي إلى التأثر أكثر بالخطبة عكس إلقاء الخطبة قراءة، إذ أنّ طريقة الخطابة الارتجالية لها أهمية كبيرة وبالغة في التأثير وكسب ثقة جمهور المصلّين في إمكانيات الإمام، وهذا وجدناه ناقصًا في العينة التي خضعت للاستمارة، وهذا راجع كما لاحظنا في جداول سابقة إلى ضعف المستوى التعليمي والتكويني للائمة المبحوثين.

ومن الأئمة من لا يدرك أهم علامات نجاح الخطبة فهو لا يدري إن كانت مؤثرة أم لا، في حين أنّ الخطيب النّاجح يجب أن " يمتلك تصوّرًا واضحًا عن مقوّمات نجاح الخطبة ويسير وفق هذا التصور بثبات، فإنّ لم يمتلك التصوّر فمن المتعذّر أن يحقق النسبة المطلوبة التي تنمّيه إلى أصول النجاح وترقّيه إلى سدّة الناجحين وإن صادف مصفّقًا أو مهلّلاً ". [161](ص25)

جدول رقم 29 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين وتدوين الخطبتين

التكـوين / التـدوين	الزاوية أو الجامع		معاهد التكوين		الجـامعات		المجـموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
يـدوّن	25	% 80,64	18	% 75	04	% 30,76	47	% 69,11
لا يدوّن	02	% 06,45	02	% 08,33	07	% 53,84	11	%16,17
أحيـانًا	04	% 12,90	04	% 16,66	02	% 15,38	10	% 14,70
المجـموع	31	% 100	24	% 100	13	% 100	68	% 100

نلاحظ من خلال هذا الجدول الذي يمثّل العلاقة بين نوع التكوين الذي تلقّاه الإمام وتدوينه للخطبتين، حيث أنّ 69,11 % من الأئمة المبحوثين يدوّنون خطبهم، أعلى نسبة في هذا الاتجاه يمثّلها الأئمة المتكوّنين في الزاوية أو الجامع وهي 80,64 % ثمّ الأئمة المتكوّنين في المعاهد 75 % . بينما خريجي الجامعات فيدوّنون بنسبة 30,76 % أمّا ألائمة الذين لا يدوّنون خطبهم يمثّلون نسبة 16,17 % نجدهم في فئة خريجي الجامعات بنسبة 53,84 % وهي الأعلى، وبنسبة 08,33 % في فئة معاهد التكوين وبنسبة 06,45 % في المتكوّنين في الزاوية أو الجامع.

أخيرًا هناك 14,70 % من الأئمة يدوّنون خطبهم أحيانًا فقط، اغلبهم متخرّجون من معاهد التكوين بنسبة 16,66 % ، ثمّ خريجي الجامعات بنسبة 15,38 % ، أمّا المتكوّنين في الزاوية أو الجامع فإنّهم بنسبة 12,90 % .

وعليه فإنّ التكوين الذي تلقّاه الإمام يؤثّر على تدوينه للخطبتين، إذ أنّ نسبة التدوين تزداد كلّما نقص مستوى التكوين وتتناقص كلّما كان تكوين الإمام أحسن.

ومنه فإنّ 69,11 % من الأئمة يدوّنون خطبهم من هؤلاء هناك 51,47 % يقرؤون ما يدوّنونه مباشرة (كما لاحظنا في جداول طريقة الإلقاء) وقد لا يكون هناك من شيء يعاب على الإمام في التحضير الكتابي وتدوين الخطبتين، بل يعتبر ذلك ايجابيا لأنّه يدلّ على جدّية الإمام ومحاولة تقديم النافع لجمهور المصلين، إلاّ أنّ ذلك كما قلنا سابقًا يؤثر على نظرة المصلين للإمام الذين يقرأ الخطبة المدوّنة بشكل مستمر أو دائم. " فلابدّ للخطيب من تصوّر سليم للأسلوبية أو طرق الإعطاء، بالاعتماد على المناهج التربوية التي تراعي المصلّين وحالهم الرّاهنة وهنا يمكن التكلّم على أسس متعدّدة من إثارة للعواطف أو ترغيب وترهيب أو اغتنام فرصة حدث أو تكرار وحسن بيان أو تنويع وتغيير ".

[161](ص27)

جدول رقم 30 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين ووجود صعوبات في مناقشة القضايا التي يطرحها المصلّين

نوع التكوين / الصعوبات	الزاوية أو الجامع		معاهد التكوين		الجـامعات		المجـموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
يجد صعوبة	15	% 48,38	09	% 37,50	01	% 07,69	25	% 36,76
لا يجد صعوبة	06	% 19,35	07	% 29,16	10	% 76,92	23	% 33,82
أحيـانًا	10	% 32,25	08	% 33,33	02	% 15,38	20	% 29,41
المجـموع	31	% 100	24	% 100	13	% 100	68	% 100

من بين 68 مبحوث هناك نسبة 36,76 % يجدون صعوبات في مناقشة القضايا التي يطرحها المصلّين، منهم 48,38 % تكوّنوا في الزاوية أو الجامع، و37,50 % تكوّنوا في معاهد التكوين و 07,69 % تكوّنوا في الجامعات.

أمّا الأئمة الذين لا يجدون صعوبات يمثلون نسبة 33,82 %، نجدهم في فئة الأئمة المتكوّنين في الجامعات بنسبة 76,92 % وعند المتكوّنين في المعاهد بنسبة 29,16 % أمّا عند المتكوّنين في الزاوية أو الجامع فهم بنسبة 19,35 % .

بينما الذين يجدون صعوبات أحيانًا فقط فنسبتهم شكلت 29,41 % من المبحوثين، منهم 33,33 % تكوّنوا في المعاهد، و 32,25 % تكوّنوا في الزاوية أو الجامع، و 15,38 % تكوّنوا في الجامعات.

ومن هنا اتضح لنا أنّ التكوين يؤثّر فعلاً في أداء الإمام، فمشكلة خطباء اليوم، وهم يعكسون طبيعة تكوينهم، تكمن في غياب التصوّر المتكامل للمضمون، فالخطاب في مضمونه يظهر الخطيب صاحب فكر إجمالي يعجز فيه عن التفصيل أو يعكس فكرًا تجزيئيًّا لا يعرف ربطه بكلّيات المضمون، ربّما لأنّه لا يعرف هذه الكليات وإن عرفها لا يوفّق في ربط هذه الجزئيات بتلك الكليات.

إنّ الأئمة المبحوثين والذين يجدون صعوبات في مناقشة القضايا المطروحة عليهم، أرجعها بعض الأئمة إلى نقص التكوين الذي تلقّوه، وبعضهم أرجعها إلى كون الإمام كبقية النّاس لا يعي كلّ شيء، بل هناك أمور لا يعرفها.

كما أنّ الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للإمام لا تساعده على تجديد معارفه والإطلاع أكثر والبحث في مجال عمله، فالراتب الشهري ضعيف، فإذا كان للإمام، أبناء بمتطلباتهم فكيف له أن يوفّر لنفسه مكتبة ثريّة تعطيه ما يحتاجه في تحضير خطبته، حيث كما لاحظنا في جداول البيانات العامة، أنّ الأئمة المبحوثين يعيشون في ظروف اجتماعية مادية أو اقتصادية صعبة، لا تساعدهم في أداء مهامهم.

أمّا الذين لا يجدون صعوبات، فقد ارجعوا ذلك إلى نوعية التكوين الذي تلقّوه فأغلبهم جامعيين، كما أنّ الإمام عندهم يجب أن يجتهد ويبحث لتطوير معارفه ولا يعتمد فقط على المعارف التي حصل عليها أثناء تكوينه.

جدول رقم 31 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب مواصلة المطالعة والبحث بعد التوظيف

مجـال المطالعة	المطالعة والبحث	ك	%
المطالعة والبحث في المراجع	نعم كثيرًا	22	%32,35
	لا أبدًا	00	/
	أحيانًا فقط	37	% 54,41
	بدون إجابة	09	% 13,23
	المجموع	68	% 100
مطالعة الصحف	نعم كثيرًا	35	% 51,47
	لا أبدًا	00	/
	أحيانًا فقط	33	% 48,52
	المجموع	68	% 100
البحث في الانترنت	نعم كثيرًا	00	/
	لا أبدًا	46	% 67,64
	أحيانًا فقط	22	% 32,35
	المجـموع	68	% 100

يبيّن لنا الجدول توزيع المبحوثين حسب مواصلتهم المطالعة والبحث بعد حصولهم على الوظيفة، في مجالات البحث في المراجع عامة ومطالعة الصحف والبحث في الانترنت ومن خلاله سجلنا ما يلي :

بالنسبة للمطالعة والبحث في المراجع، سجّلنا أنّه من بين 68 مبحوث هناك نسبة 54,41 % يطالعون ويبحثون أحيانًا فقط، مقابل و32,35 % يطالعون باستمرار أو كثيرًا وهناك 13,23 % لم يجيبوا على السّؤال بينما انعدمت نسبة الأئمة الذين لا يطالعون أبدًا.

أمّا فيما يتعلّق بمطالعة الصحف، سجلّنا أنّ من بين 68 مبحوث هناك أعلى نسبة تطالع الصحف كثيرًا هي 51,47 % مقابل 48,52 % يطالعونها أحيانًا فقط، وانعدمت نسبة الأئمة الذين لا يطالعون أبدًا.

أخيرًا بالنسبة للبحث في الانترنت، أعلى نسبة من الأئمة المبحوثين لا تبحث أبدًا في الانترنت وهي 67,64 % ، مقابل 32,35 % يبحثون أحيانا فقط وإنعدمت نسبة ألائمة الذين يبحثون كثيرًا في الانترنت أو باستمرار.

يوضّح هذا الجدول أنّ معظم أئمتنا (المبحوثين) مازالوا يبحثون ويطالعون في مجال العمل، للبحث عن المادة التي يوظّفونها في خطبهم، أو للإطلاع على ما يحدث من ظواهر ومشاكل وجديد على السّاحة الوطنية أو الدّولية، قصد الاستفادة منها والتعرّض لها في الخطب.

بينما تقنية الانترنت فهي مهمّشة من طرف الأئمة، وهذا راجع إمّا لعدم التحكّم فيها أو للأوضاع المادية للائمة المبحوثين. فالإمام يسعى إلى تحسين مستواه، وهو يشعر بنقص في أدائه، وهذا شيء ايجابي، فالإمام الذي له وعي تام بوضعيته وما ينقصه كي يكون إمامًا كفؤًا، يسعى دومًا لتغطية النقائص التي يعاني منها، وما من شيء يعاب على الإمام في الاستعانة بالانترنت وغيرها من مصادر المعلومات في تحضير الخطب يل يعتبر ذلك ايجابيا لأنّه يدلّ على جدّية الإمام ومحاولة تقديم النافع لجمهور المصلّين كما قلنا سابقًا، حتى يكسب ثقتهم ومن ثمّة يؤثّر في سلوكهم ووجدانهم.

جدول رقم 32 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع التكوين ومصدر المعارف التي يملكونها

نوع التكوين / مصدر المعلومات	الزاوية أو الجامع		معاهد التكوين		الجـامعات		المجـموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
اجتهاد شخصي	16	% 51,61	10	% 41,66	00	/	26	% 38,23
التكوين الذي تلقّاه	02	% 06,45	09	% 37,50	06	% 46,15	17	%25
الاثنين معًا	13	% 41,93	05	% 20,83	07	% 53,84	25	% 36,76
المجـموع	31	% 100	24	% 100	13	% 100	68	% 100

يبيّن هذا الجدول أنّ 38,23 % من المبحوثين اكتسبوا المعارف التي يستعينون بها في خطبهم، من اجتهادهم الشخصي وذلك بالبحث والمطالعة المستمرة، منهم 51,61 % من فئة الأئمة الذين تكونوا في الزاوية أو الجامع فقط، مقابل 41,66 % ممّن تكوّنوا في المعاهد الدّينية وانعدمت النسبة عند الجامعيين. أمّا فيما يخص الأئمة الذين اكتسبوا معارفهم من الاجتهاد الشخصي إلى جانب التكوين فهم

يمثلون 36,76 %، منهم 53,84 % من الجامعيين و 41,93 % عند المتكوّنين في الزاوية أو الجامع و 20,83 % تكوّنوا في المعاهد.

بينما الذين اكتسبوا معارفهم من التكوين الذي تلقّوه فهم يمثلون 25 % ، منهم 46,15 % جامعيين، 37,50 % تكوّنوا في المعاهد و 06,45 % تكوّنوا في الزاوية أو الجامع.

وهذه النتائج تشير إشارة واضحة إلى المسار التكويني لمعظم الأئمة الذين تكوّنوا في الجامعات، فهم الذين يرون أنّهم تلقوا تكوينًا جيّدًا يساعدهم في مهمّة الإمامة، بينما المسار التكويني للائمة الآخرين (زاوية أو جامع أو معاهد التكوين) فإنّه غير كافٍ لهم، مما أدى بهم إلى البحث والمطالعة قصد ترقية مستواهم والحصول على المادة التي يوظّفونها في خطبهم.

جدول رقم 33 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع الثقافة التي وفّرها لهم التكوين

نـوع الثقـافـة	ك	%
شــرعية	35	% 51,47
عصــرية	08	% 11,76
مزيج بينهما	22	% 32,35
بدون إجابة	03	% 04,41
المجــموع	68	% 100

نلاحظ أنّ 51,47 % من المبحوثين يرون أنّ الثقافة التي وفّرها لهم التكوين الذي تلقّوه هي ثقافة شرعية، أي معارف تتعلّق بالعلوم الإسلامية، أمّا 32,35 % فيرون أنّها مزيج بين الثقافة الشرعية والثقافة العصرية، بينما 11,76 % فيرون أنّها عصرية في حين هناك 04,41 % لم يجيبوا على السؤال.

إنّ تحصيل معارف وعلوم دون تحصيل الأدوات التي يتم بها التبليغ والإرشاد وطرق التعامل مع الآخرين تجعل الإمام يعمل بطريقة غير مؤسّسة على علوم ونظريات تتعلق بعلم النفس أو الاجتماع أو الاتصال... الخ والمعارف الشرعية على أهميتها لا تكفي ما لم يشبّع الإمام بثقافة العصر الذي ينتمي إليه.

وإذا صرّح الأئمة بأنّ ثقافتهم كانت إسلامية شرعية فلا يعني أنّها ثقافة عميقة، لأنّ مدّة عامين أو ثلاثة كافية فقط لأخذ الأفكار الرّئيسية في كلّ علم من العلوم الإسلامية، ويبقى على الإمام أن يعمّق ما أخذه أثناء التكوين بالمطالعة والبحث المستمرين. [1](ص141)

كما أنّ الإمام يشعر بعدم مواكبته للمعارف والاكتشافات العلمية العصرية مما يجعله يشعر أنّه خارج عالمه وزمانه، مما يعطي ضرورة إدخال مواد عصرية تعطي للائمة مبادئ تمكّنهم من المواصلة

للبحث عن كلّ جديد في مجال المعرفة والعلوم والحياة العصرية، " كي لا يخاطب جيلاً لا يعرف مشاربه ومصادره العلمية، وكي لا تكون هناك هوّة بين الإمام ومخاطبيه أو جمهوره، لذلك هناك ضرورة ملحّة لإدخال اللّغات الأجنبية في البرامج التكوينية في المعاهد، وكذا بعض المواد العلمية التي تعطي للائمة مفاتيح العلوم حتى يواصلوا ويتمكّنوا من فهم الواقع بأنفسهم. [1](ص142)

إنّ غياب المواد العصرية من برامج التكوين والتي تمكّن الإمام من امتلاك وتقوية حججه وبالتالي التكلّم من منطلق قوّة الحجج والبراهين، مما ينتج شدّة تأثر المخاطبين، إنّ غيابها يجعل من خطاب الإمام يلقى دونها تأثير أو تغيير في أفكار وسلوكات المستمعين وتجعل الإمام يقدّم حجج ضعيفة في عصر يسمى بعصر العولمة والمعلوماتية وغيرها من الأسماء.

جدول رقم 34 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نظرتهم لمستوى التكوين

التكـوين	ك	%
كـافٍ	17	% 25
غير كافٍ	42	% 61,76
نوعًا ما	09	% 13,23
المجـموع	68	% 100

لدينا 61,76 % من المبحوثين يرون أنّ التكوين الذي خضعوا له غير كافٍ لتولّي مهمة الإمامة والخطابة، أمّا 25 % فإنّهم يرون أنّ تكوينهم في مجال عملهم كافٍ ويساعدهم في مهمّتهم، بينما 13,23 % يرون أنّ مستوى تكوينهم متوسط نوعًا ما، ولكلٍ تعليلاته.

بالنسبة للأئمة الذين يرون أنّ تكوينهم كافٍ لتولي هذه المهمة، أجابوا بأنّ التكوين أعطاهم العلوم الأساسية، بينما الأداء يتحسّن عن طريق المطالعة والبحث والأقدمية أو الخبرة الميدانية، فالتكوين يساعد في معرفة الأمور الفقهية والأحكام الدّينية وغيرها من الثقافة الشرعية، بينما ثقافة العصر يكتسبها الإمام من خلال معايشته لنفس الواقع مع المصلّين، وهذا مرتبط طبعًا بمواهب الإمام، وقدرته على التحليل والنّقاش والمنهجية التّي يتّبعها في أدائه.

أمّا الأئمة الذين يرون أنّ تكوينهم ناقص، وغير كافٍ لتولي هذه المهمة النبيلة، أرجعوا ذلك لعدّة نقائص تتمثل أساسًا في ما يلي:

- قلة المراجع وغلاء أسعارها، وعدم قدرة الإمام أثناء التكوين على الحصول عليها، وحتى بعد التوظيف ضعف الراتب الشهري يشكّل عائقًا أمام توفيرها.
- عدم الاهتمام بمراكز التكوين.
- قصر مدّة التكوين بالنسبة للمعاهد.
- الاقتصار على دراسة المذهب المالكي فقط.

- ندرة الأساتذة الأكفاء.
- عدم توفّر الجو الملائم لتكوين الإمام وعدم الاهتمام به.
- عدم ربط الفكر الإسلامي بالفقه في مرحلة التكوين.
- عدم إسقاط تعاليم الإسلام على الواقع، وعدم قدرة الإمام على ذلك.
- نقص الأداء اللغوي وغياب ثقافة علمية مواكبة للعصر.
- البرنامج السنوي في المعاهد مكثف بحيث لا يستوعب.

إلى جانب كلّ هذا، تتغاير الهموم كما قلنا في جدول سابق بين الإمام والمصلين، وهذه نتيجة حتمية لتغيّر التقاليد الثقافية، فالتكوين الذي خضع له الإمام (خاصّة في الزوايا والجوامع) كما يشبّهه محمّد عبده - رحمه الله - ليس أكثر من متحف لإسلام العصور الوسطى، فالتحديات المواجهة للأمة وبالتالي تواجه الخطباء أيضًا، تحثّهم على الاستعجال في استدراك عدم تكيّفهم مع العلم الحديث والحياة الواقعية.

جدول رقم 35 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب رأيهم في مدى تهيئة التكوين الذي تلقّاه الإمام للنجاح في عمله

رأي المبحوث	ك	%
أهّـلني	13	% 19,11
لم يؤهّلني	25	% 38,23
قليلاً فقط	29	% 42,64
المجـموع	68	% 100

لدينا 42,64 % من المبحوثين يرون أنّ التكوين الذي تلقّوه هيّئهم قليلاً فقط للنجاح في عملهم، أمّا 38,23 % منهم فيرون أنّ هذا التكوين لم يؤهّلهم للنجاح في الميدان وأخيرًا 19,11 % من المبحوثين يرون أنّ التكوين الذي تلقّوه قد أهّلهم للنجاح في عملهم.

وعليه تثبت النتائج أنّ الدّراسة في المعاهد أو الجامعات لم تكن كافية لتحصيل المهارات العلمية والعملية التي تحتاجها وظيفة الإمامة، لأنّ مهمّة الإمام هي إرشاد النّاس وتوجيههم ودعوتهم للالتزام بمبادئ الدين الإسلامي، وتنبيههم كلّما حادوا عن الطريق المستقيم، وهذه المهمة تتطلب مهارات ومعارف وعلوم شرعية، ومعرفة بحال المدعوين كما تتطلب أدوات توصيل هذه المبادئ والأفكار، والتي لا يوفّرها التكوين لهؤلاء الأئمة نظرًا لعدّة عوامل منها " قصر مدّة التكوين وغياب بعض المواد المهمّة في البرامج إمّا في المعاهد أو في الجامعات ".[1](ص142)

إنّ عدم كفاية التكوين راجعة لعدّة أسباب أهمها :

- قصر مدّة التكوين.
- نقص خبرة الأساتذة المؤطرين.
- اكتظاظ البرامج وضعف المستوى التعليمي للائمة المنتسبين إلى المعهد.
- قلّة التدريبات والتربصات الميدانية أثناء فترة التكوين.
- غياب مواد هامة عن البرنامج ومحدودية المعارف والعلوم الشرعية التي يتلقاها الإمام سواءً في معاهد التكوين أو في الجامعات الإسلامية.
- الطرق التدريسية المعتمدة من طرف الأساتذة والوسائل التعليمية المستخدمة لإيضاح الدروس.

كلّ هذه العراقيل والنقائص جعلت الأئمة يقرّون بمحدودية إمكانياتهم في مجال عملهم، وبالتالي في إنتاج خطاب مسجدي في مستوى تطلعات الجماهير المسجدية.

جدول رقم 36 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب رأيهم في مدى تمكين التكوين لهم من إنتاج خطاب في مستوى تطلّعات الجمهور

رأي المبحوث	ك	%
مكّنني كثيرًا	09	% 13,23
لم يمكّنني	30	% 44,11
نوعًا ما	21	% 30,88
بدون إجابة	08	% 11,76
المجـموع	68	% 100

من بين 68 مبحوث هناك 44,11 % يرون أنّ التكوين الذي تلقوه لا يمكنّهم من إنتاج خطاب مسجدي في مستوى تطلعات الجمهور، أمّا 30,88 % منهم، فيرون أنّ هذا التكوين مكّنهم نوعًا ما فقط، في حين أنّ 13,23 % يرون أنّ التكوين مكّنهم كثيرًا إنتاج خطاب مسجدي في المستوى والبقية لم يجيبوا ويمثلون 11,76 %.

تثبت النسب أنّ التكوين الذي تلقّاه الأئمة إمّا في معاهد التكوين أو في الجامعات الإسلامية، لم يمكّنهم من إنتاج خطاب مسجدي في مستوى تطلعات الجمهور الوافد إليهم، فهم لا يمتلكون المهارات والمعارف الضرورية لصنع مثل هذه الخطب الفعالة والمؤثرة.

إنّ إجابات المبحوثين تعكس واقع البرنامج في مراكز التكوين الذي تغيب عنه طرق ومناهج الدعوة وكيفيات التأثير والإقناع الذي يعطي الإمام ثقافة نفسية تؤهّله وتمكنه من فهم نوعية وشخصية جمهوره وبالتالي طرق استمالتهم إلى ما يدعوهم إليه.

إنّ التكوين الذي تلقّاه الأئمة لم يعطيهم نظرة عن طبيعة العمل في المسجد، فبعضهم فقط لديه فكرة، لكنها غير واضحة تمامًا، لأنّها مستمدة فقط من الملاحظة وليس من الثقافة العلمية أو السياسة

التكوينية الميدانية، كما أنّ الأئمة لم تكن لديهم فكرة عن الجمهور المسجدي وربّما منهم من كانت له أفكار خاطئة صحّحها لهم التحاقهم بالميدان وخبرة السنوات، كما أنّهم فهموا عملهم ووظائفهم من خلال الممارسة الميدانية لا من خلال البرامج المقرّرة.

جدول رقم 37 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب رضاهم عن التكوين الذي تلقّوه :

رأي المبحوث	ك	%
راضٍ	15	% 22,05
غير راضٍ	53	% 77,94
المجـموع	68	% 100

هناك 77,94 % من المبحوثين غير راضين عن مستوى التكوين الذي تلقّوه، مقابل 22,05 % منهم راضون بذلك.

تعكس النسب عدم رضى الأئمة المبحوثين عن مستوى التكوين الذي تلقّوه، والذي لم يسمح للإمام بتحقيق الأهداف المرجوة من أدائه كما أنّ هناك من الأئمة من هو راضٍ عن التكوين الذي تلقّوه وهؤلاء هم الذين تابعو تكوينهم في الزوايا والجوامع ثمّ انتسبوا إلى مراكز التكوين وبالتالي يجدونه مرضٍ ومفيد بالمقارنة مع مستواهم السابق، كما أنّ منهم من لم يسبق له الالتحاق بمدرسة أو معهد من قبل.

إنّ اختلاف وجهات نظر الأئمة حول مستوى التكوين راجع إلى اختلاف دوافعهم، فمنهم من يطمح إلى ما هو أفضل وبالتالي هو غير راضٍ عن هذا التكوين، ومن كان مستواه ضعيفًا فهو راضٍ جدًّا بما قدّمه له هذا التكوين من معارف ومهارات جديدة، ضف إليه أنّ الأئمة المنتدبين (وهم الأئمة المعلمون الذين رشّحتهم النظارة للدّراسة في المعهد من جديد لرفع المستوى والرتبة وبالتالي المرتب) يسعون دائمًا لإنهاء الدّراسة بسرعة وهمّهم هو جمع نقاط في الامتحان لاعتقادهم أنّ لديهم خبرة في الميدان تؤهلهم للنجاح في عملهم دون الحاجة إلى زيادة التكوين.

جدول رقم 38 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب رأيهم في وجود فجوة بين التكوين والميدان

رأي المبحوث	ك	%
توجد فجوة	45	% 66,17
لا توجد	18	% 26,47
بدون إجابة	05	% 07,35
المجـموع	68	% 100

هناك 66,17 % من المبحوثين يجدون فجوة بين التكوين الذي تلقّوه وميدان العمل، أمّا 26,47 % منهم فلا يجدون هذه الفجوة و 07,35 % لم يجيبوا على السؤال.

إنّ الإمام على مقاعد الدّراسة لا يشعر بوجود نقائص وثغرات في تكوينه ولكنه بعد دخول الميدان (ميدان العمل) وتحمّل المسؤولية سرعان ما يشعر بالنقص والعجز في بعض المهارات التي تمكنه من

أداء عمله. حيث يشعر الأئمة بعدم التمكن من المنهجية والطرق المثلى للتبليغ والإقناع، إذ أنّ مادة الدّعوة ومناهجها غائبة في كثير من برامج التكوين وحتى المعارف الشرعية هي معارف نظرية، تحتاج إلى خبرة وتمرّن على الممارسة الميدانية، لأنّ المخاطبين يختلفون في مستوياتهم العمرية، العقلية، الاجتماعية والثقافية... الخ ولكل نوع أو فئة طريقة للدعوة وأسلوب للإقناع ومنهجية للتبليغ.

3-7- تفريغ وتحليل بيانات الفرضية الثانية

جدول رقم 39 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب ملاحظة إقبال الشباب والناشئة على المسجد

الملاحظـة	ك	%
ألاحظ ذلك باستمرار	50	% 73,52
ألاحظ ذلك أحيانًا	18	% 26,47
لا ألاحظ ذلك	00	/
المجـموع	68	% 100

73,52% من الأئمة يلاحظون إقبال الشباب والناشئة على المسجد باستمرار، مقابل 26,47 % يلاحظون إقبالهم أحيانًا، بينما انعدمت نسبة الأئمة الذين لا يلاحظون إقبالهم.

إنّ نتائج الجدول توافق ما قاله الدكتور يوسف القرضاوي " كلّ من كان له عين ترى أو أذن تسمع يلاحظ تصاعد الصّحوة الإسلامية في أوائل هذا القرن، رأيت شبابًا قوام صّوام يصوم الاثنين والخميس ويقرأ القرآن والسيرة ويأخذ نفسه بالتربية الإسلامية رجالاً ونساءً، الشباب في الجزائر متعطشون لقراءة الكتاب الإسلامي فسمحت بنشر كتبي دون مقابل، كما فعلها قبلي الشيخ محمد الغزالي، كنت أذهب لأصلّي في مساجد الجزائر فيحضر أحيانًا 100 إلى 150 ألف، المسجد بثلاث طوابق يمتلئ، الساحات والطّرق الموصلة إلى المسجد تختنق والمواصلات تتعطّل، إنّها صحوة هائلة، صحوة عقول وأفكار وصحوة إرادات وعزائم، تلتزم بالإسلام وتعيش مع كلّ القضايا الإسلامية بالحماس والحب، فهي صحوة غيرة ودعوة وصحوة عمل وتطبيق "..[162]

فالسمة الأخيرة للقرن الحادي والعشرين منذ بدايته، قيل عنها أنّها عودة المقدّس أو عودة التديّن، ليس فقط في المجتمعات المسلمة، بل حتى في المجتمعات التي تدين بغير الإسلام، " فقد علت أصوات تنادي بعودة الدين إلى جميع مرافق الحياة الخاصة والعامة ". [33]

وعليه نستنتج أنّ الشباب الجزائري واع بأهمية المسجد في حياته، فارتياد المسجد أضحى من المميّزات الرئيسية لشبابنا (ليسوا كلّهم) مما يزيد من مسؤولية المسجد وإمامه إمّا من خلال الخطاب المسجدي يوم الجمعة أو من خلال النشاطات الثقافية والدينية والاجتماعية، وإعادة تفعيل دوره في الحياة العامة، وفي الجدول الموالي سوف نعرف سبب إقبال هذه الشريحة على المسجد برأي الإمام.

جدول رقم 40 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب سبب حضور الناشئة والشباب

السّبب	ك	%
للصّــلاة فقط	33	% 48,52
للصّلاة وحضور الحلقات	35	% 51,47
المجـموع	68	% 100

يرى الأئمة المبحوثين أنّ 51,47 % من الشّباب الذين يحضرون إلى المسجد، يأتون من أجل الصلاة وحضور الحلقات المقامة في المسجد، بينما 48,52 % يحضرون للصّلاة فقط.

إنّ النسبة الأكبر في رأي الأئمة تبحث عن التفقه أكثر في الدين، ومعرفة أحكامه وضوابطه ونواهيه، وترغب في زيادة معارفها الدّينية، أو اكتساب ثقافة أكبر في المجال الديني، " فممارسة الدين اتخذت اليوم شكلاً مفتوحًا، يسمح للفرد بالتّحرّر من العقدية النقلية، ليكيّف معتقداته والأسس الأخلاقية لسلوكه بحسب أوضاعه الراهنة "[33]، وعليه يمكننا القول أنّ الشاب الجزائري يبحث اليوم عمّا يشبع رغباته الدّينية، لكنّه لا يرضى بالمواضيع التي سمع عنها الكثير وتعرّف عليها من قبل، فهو يبحث دائمًا على معرفة ما كان يجهله من قبل. وإذا كنا قد لاحظنا ضعف الخطاب الذي يلقيه الإمام، ونقص معالجته للمواضيع الراهنة (في جداول الفرضية الأولى) سوف نتعرف في الجداول الموالية على نوعية وكمية النشاطات الدّينية والثقافية والاجتماعية المقامة في بعض المساجد إن كانت موجودة، وأسباب عدم وجودها في بعض المساجد وكذلك مساهمتها في تثقيف أبناء المجتمع الجزائري ومكانة المسجد في الحياة العامة.

جدول رقم 41 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب وجود نشاطات مسجدية

النشاطـات	ك	%
موجــودة	56	% 82,35
غير موجـودة	12	% 17,64
المجـموع	68	% 100

أن تكون نسبة وجود النشاطات الدّينية المسجدية هي 82,35 % فهذه نسبة مرتفعة مقابل 17,64 % من المساجد لا توجد فيها نشاطات وهذا راجع إلى المراسم التنفيذية التي تحكم وتنظّم وظائف وآداب المساجد، فقد جاء في المرسوم التنفيذي المؤرّخ في 23 مارس 1991 م الفصل الرابع المواد من (18 إلى 24) أنّ " المسجد له وظيفة يحدّدها دوره في الحياة الروحية والتربوية والعلمية والثقافية والاجتماعية للأمة الجزائرية " [63] وفي المواد المذكورة سابقًا جاء الحديث عن مجموعة من النشاطات المسجدية التي تمّس كلّ نواحي الحياة الدّينية والاجتماعية والثقافية للمسلم.

ولعل الأمر الذي دعى إلى إقامة النشاطات المسجدية هو تخوّف الوزارة من عدم التحكّم فيها إذا نظّمها غير القائمون على المسجد، مما قد يخلق خطاب موازي للخطاب الذي تتبناه الوزارة الوصية على القطاع الديني، لكن سوف نتطرّق بالتفصيل نوع النشاطات المقامة في مساجدنا، وإلى المسؤول عنها وكذا مواضيعها. فإذا كانت المراسيم التنفيذية قد حثّت عليها نظريًا فالجداول اللاحقة سوف تبيّن مكانة ونوع وعدد النشاطات في أرض الواقع.

أمّا بالنسبة للائمة الذين أجابوا بعدم وجود نشاطات مسجدية، فهذا أمر غير متوقّع من طرف الباحثة، ذلك أنّ النشاطات المسجدية مسموح بها، وكذلك كنّا نتوقّع أنّ جميع الأئمة المبحوثين سوف يجيبون بوجودها، على الأقل يوم الجمعة أين يلقي الإمام درسًا أو يجيب على أسئلة المصلّين، لكن ربّما هؤلاء الأئمة يعتبرون أنّ الدرس الذي يقدّمونه ليس بنشاط مسجدي، أو لأنّهم فعلاً لا يدرّسون أو يخطبون لأسباب قد ترجع إلى عونهم لا يعترّفون بوجود درس يوم الجمعة عند السلف.

ملاحظة : إنّ الأئمة الذين أجابوا بعدم وجود نشاطات في المساجد التي يعملون فيها، لم يجيبوا تقريبًا عن جميع أسئلة الفرضية الثانية، ولذلك سوف نجد هذه النسبة في جميع الجداول اللّاحقة تقريبًا، إلاّ في بعض الحالات أين أجابوا عن الأسئلة، وهو ما يوجد مثلاً في سؤال عن أسباب عدم وجود بعض النشاطات في المساجد التي خضع أئمتها للاستمارة وعن مساهمة النشاطات المسجدية في نشر الثقافة الدينية.

جدول رقم 42 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب عدد النشاطات في الأسبوع

النشاطـات	ك	%
نشاط واحد	25	% 36,76
نشـاطين	17	% 25
ثلاث نشاطات	14	% 20,58
بدون إجابة	12	% 17,64
المجـموع	68	% 100

من بين 68 مبحوث هناك نسبة 36,76 % أجاب بوجود نشاط واحد في الأسبوع، و 25 % منهم أجاب بوجود نشاطين، ثمّ 20,58 % أجابوا بوجود ثلاث (03) نشاطات في الأسبوع وأخيرًا 17,64 % لم يجيبوا على السؤال كما ذكرنا سابقًا (لأنّ النشاطات لا توجد بمساجدهم.

وعليه فإنّ أكبر نسبة من الأئمة يقوم المسجد الذين يعملون فيه بنشاط واحد في الأسبوع، وهو غالبًا متمثّل في المحاضرة أو الدّرس الذي يلقيه الإمام قبل خطبة وصلاة الجمعة، فهناك من يجيب على أسئلة المصلّين وهناك من يقدم محاضرة في مواضيع مختلفة، أمّا بقية الأئمة فهم من توجد بمساجدهم حلقات تحفيظ القرآن وبعض النشاطات الأخرى، وفي الجدول الموالي سوف نتعرض للمحاور التي تتناولها النشاطات المسجدية.

جدول رقم 43 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المشرف على النشاطات

المشرف على النشاطـات	ك	%
إمـام المسجد	56	% 38,88
لجنة المسـجد	03	% 02,07
المتطوّعـون	20	% 13,88
معلّمون القرآن	53	% 36,80
بدون إجـابة	12	% 08,33
المجـموع	* 144	% 100

* تعدّد إجابات المبحوثين.

هناك 56 إمام من بين 68 أجـابوا أنّ الإمام هو المشرف والقائم بالنشاطات المسجدية أي بنسبة 38,88 % كما أنّ 53 منهم أجابوا أنّ معلّموا القرآن الكريم هم من يقومون بها مما أعطى نسبة 36,80 % و 13,88 % أجابوا أنّ المتطوّعون هم من يقومون بالنشاطات، أمّا 08,33 % فلم يجيبوا، كذلك هناك 02,07 % أجابوا أنّ لجنة المسجد هي من تشرف عليها.

إنّ إشراف الإمام وقيامه بالنشاطات المسجدية يعود إلى كون الوزارة فرضت ذلك، حيث جاء في المرسوم التنفيذي " يتولى تسيير المسجد الإمام الأعلى رتبة فيه، ويكون مسؤولاً عن... وعن النشاط الديني والثقافي والعلمي والاجتماعي...". [63]

كما أنّ تحفيظ القرآن الكريم من إختصاص معلّموا القرآن الكريم، إمّا من المتطوّعون أو من الموظفين لهذا الغرض، فحسب الإحصائيات التي حصلنا عليها من مديرية الشؤون الدّينية هناك 108 معلّم قرآن في ولاية البليدة موزّعين على دوائر وبلديات الولاية إلى جانب 04 مرشدات دينيات و 63 قيّم على شؤون المسجد [158]. كما أنّ لجان المساجد والمتكونة أساسًا من بعض أفراد الحي والمتطوّعون يقومون بعدّة نشاطات مسجدية.

إنّ ما يمكن قوله من خلال نتائج الجدول، هو أنّ إمام المسجد الذي يعطي خطابًا مسجديًا لا يلبّي مطالب المصلّين، ولا يتناول المواضيع الأكثر إلحاحًا في الخطاب الرّسمي له يوم الجمعة، وهذا راجع لعدّة أسباب ذكرناها في تحليل جداول الفرضية الأولى، معظمها راجع إلى انخفاض مستوى التكوين لدى الإمام، إنّ هذا الإمام لا يمكنه أيضًا إعطاء أكثر مما لديه يوم الجمعة في النشاطات التي يشرف عليها، فالمحاضرة أو الدرس الذي يساهم به خارج خطبتي الجمعة سيكون مشابهًا للخطاب الأسبوعي في صلاة الجمعة.

جدول رقم 44 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب نوع النشاطات المسجدية

نوع النشاطات	ك	%
دينيـة	19	% 27,94
ثـقافيـة	13	% 19,11
اجـتماعية	10	% 14,70
كـلّـها	14	% 20,58
بدون إجابة	12	% 17,64
المجـموع	68	% 100

أعلى نسبة موجودة في الجدول هي 27,94 % وتمثل النشاطات الدّينية، تليها نسبة 20,58 % تمثل وجود كلّ النشاطات (دينية، ثقافية واجتماعية)، بعدها تأتي نسبة 19,11 % تمثل النشاطات الثقافية، أمّا 17,64 % من المبحوثين لم يجيبوا على هذا السؤال (وهم الأئمة الذين أجابوا في الجدول رقم (41) بعدم وجود نشاطات في المساجد التي يعملون بها، وأخيرًا 14,70 % من النشاطات هي نشاطات إجتماعية.

إنّ ما نلاحظه من خلال هذا الجدول يشبه كثيرًا ما وجدناه في الجدول رقم (22) من الفرضية الأولى حيث وجدنا أنّ المواضيع الدّينية هي الأكثر تناولاً في خطب الأئمة وهو نفس الشيء بالنسبة للنشاطات الدّينية، كما أنّ المواضيع الاجتماعية في نفس الجدول مثّلت نسبة أقل وهو نفس الشيء الموجود في هذا الجدول. فالنشاطات الاجتماعية مثّلت النسبة الأضعف، وفي الجدول رقم (51) سوف نتعرّف أكثر عمّا إذا كانت أنواع النشاطات المذكورة في هذا الجدول، موجودة فعلاً أم يوجد بعضها فقط.

جدول رقم 45 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المحاور التي تتناولها النشاطات الموجودة

المـــواضيع	ك	%
عـقيدة	56	% 10,10
تـفسيـر	56	% 10,10
تـزكيـة	17	% 03,06
فـقـه	56	% 10,10
معامـلات	23	% 04,15
عبـادات	56	% 10,10
سنّـــة	56	% 10,10
قصص قرآني	50	% 09,02
التربية الإسلامية	49	% 08,84
سلوك المسلم	39	% 07,03
أخلاق المسلم	56	% 10,10
تـــاريـخ	40	% 07,22
المجـموع	*554	% 100

* من الأئمة من أجاب بعدّة إجابات.

من بين 56 إمام أجاب بوجود النشاطات في مسجده حسب الجدول 42، هناك 56 إمام أجاب بتعرض النشاطات المسجدية للمحاور التالية:

العقيدة، التفسير، الفقه، العبادات، السّنة، أخلاق المسلم مما أعطى نسبة 10,10 % وهي الأكبر، أمّا 09,02 % من محاور النشاطات تتمثل في القصص القرآني و 08,84 % تتمثل في محور التربية الإسلامية و 07,22 % تتمثل في التاريخ، نسبة 07,03 % تمثل سلوك المسلم، أمّا محور المعاملات فيمثل 04,15 % وأخيرًا محور التزكية بنسبة 03,06 % .

وعليه فإنّ مجمل المحاور التي تتناولها النشاطات المسجدية (المتمثلة هنا في المحاضرات والدّروس التي يلقيها الإمام أو شخص آخر) هي محاور دينية، فقهية أمّا جانب المعاملات مثلا فقد حصل على نسبة 04,15 % مقابل محور العبادات الذي نسبته 10,10 % ولم يذكر الأئمة المحور الاجتماعي.

ملاحظة: إنّ النسبة الأكبر هنا هي 10,10 % وتعتبر ضئيلة ذلك أنّ عدد الإجابات متعدد وصل إلى 554 إجابة لكن لو حسبنا نسبة الأئمة الذين أجابوا بوجود المحاور التي حصلت على 10,10 % وعددهم 56 إمام، من بين 68 لوجدنا النسبة 82,35 % .

جدول رقم 46 : يمثل توزيع المبحوثين حسب وجود بعض النشاطات الثقافية والدّينية المسجدية

النشـاطـات	الإجابة	ك	%
المسابقات الثقافية المكتوبة	نـعم	02	% 02,94
	لا	57	% 83,82
	أحيانًا	09	% 13,23
	المجموع	68	% 100
إقامة معارض للكتاب والشريط الدينـي	نـعم	05	% 07,35
	لا	38	% 55,88
	أحيانًا	25	% 36,76
	المجموع	68	% 100
وجود مكتبة مسجدية	نـعم	55	% 80,88
	لا	13	% 19,11
	المجموع	68	% 100
استضافة مشاريع لإلقاء كلمات وعظية	نـعم	03	% 04,41
	لا	54	% 79,41
	أحيانًا	11	% 16,17
	المجموع	68	% 100
إلقاء محاضرات ودروس	نـعم	51	% 75
	لا	08	% 11,76
	أحيانًا	09	% 13,23

	المجموع	68	% 100
تعليق لوحة تحمل البرنامج الأسبوعي للنشاطات	نـعم	07	% 10,29
	لا	61	% 89,70
	المجموع	68	% 100
إصدار مطويات ومنشورات أسبوعية أو شهرية	نـعم	10	% 14,70
	لا	48	% 70,58
	المجموع	68	% 100
وجود صندوق للفتوى	نـعم	52	% 76,47
	لا	16	% 23,52
	المجموع	68	% 100
وجود نشاطات نسوية	نـعم	09	% 13,23
	لا	39	% 57,35
	أحيانًا	20	% 29,41
	المجموع	68	% 100
حلقات تحفيظ القرآن الكريم	نـعم	49	% 72,05
	لا	19	% 27,94
	المجموع	68	% 100

ملاحظة: إنّ الجدول رقم (46) هو عبارة عن جدول مركّب من عدّة جداول، كان بالإمكان فصلها عن بعضها البعض، لكنّنا أدرجناها في جدول واحد، لسببن، الأوّل: اختزال 10 جداول بسيطة والثاني: جمع النشاطات المسجدية في جدول واحد حتى نستطيع قياس كمية ونوعية النشاطات المذكورة باعتبارها ضرورية، وقد أدرجت في الاستمارة بـ 10 أسئلة كلّ واحد مستقل عن الآخر.

نستخلص من هذا الجدول أنّ هناك :

أوّلاً: نسبة 83,82 % من المساجد لا تقام فيها مسابقات ثقافية مكتوبة و 13,23 % تقام فيها أحيانًا هذه المسابقات، أمّا 02,94 % فتقام فيها المسابقات الثقافية المكتوبة.

ثانيًا: هناك نسبة 55,88 % من المساجد لا تقام فيها معارض للكتاب أو الشريط الديني أمّا 36,76 % فتقام فيها هذه المعارض أحيانًا فقط، أخيرًا 07,35 % من المساجد لا تقام فيها معارض للكتاب والشريط الديني.

ثالثًا: أمّا عن المكتبة المسجدية فهناك 80,88 % من المساجد تحتوي على مكتبة مقابل 19,11 % من المساجد لا توجد فيها مكتبة.

رابعًا: لدينا نسبة 79,41 % من المساجد لا تقوم باستضافة مشايخ لإلقاء كلمات وعظية أمّا 16,17 % فتقوم بذلك أحيانًا و 04,41 % تستضيف هؤلاء المشايخ.

خامسًا: وجدنا أنّ نسبة 75 % من المساجد فيها محاضرات ودروس باستمرار، أمّا 13,23 % فتلقى فيها أحيانًا فقط و 11,76 % لا تلقى فيها هذه الدروس والمحاضرات.

سادسًا: هناك نسبة 89,70 % من المساجد فيها لوحة معلقة تحمل البرنامج الأسبوعي للنشاطات مقابل نسبة 10,29 % من المساجد تعلّق فيها هذه اللّوحة.

سابعًا: هناك نسبة 70,58 % من المساجد لا تصدر مطويات ومنشورات مقابل نسبة 14,70 % تصدر هذه المطويات والمنشورات.

ثامنًا: فيما يخص وجود صندوق للفتوى، وجدنا نسبة 76,47 % من المساجد يوجد فيها صندوق مقابل نسبة 23,52 % لا يوجد فيها.

تاسعًا: لاحظنا أنّ 57,35 % من المساجد لا توجد فيها نشاطات نسوية، أمّا 29,41 % من المساجد تقام فيها نشاطات نسوية من حين لآخر وأخيرًا هناك نسبة 13,23 % من المساجد توجد فيها النشاطات النسوية.

عاشرًا: هناك نسبة 72,05 % من المساجد فيها حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، أمّا 27,94 % فلا توجد فيها حلقات للتحفيظ.

ومنه نستخلص أنّ أغلبية النشاطات غير موجودة وإن وجدت فلا يكون ذلك باستمرار (أحيانًا)، ما عدا الدروس والخطب وكذا حلقات التحفيظ والمكتبة، فهي تعتبر النشاطات المسجدية الوحيدة التي تلقى الاهتمام بها وقد وجدنا أنّ بعض الأئمة يحصرون النشاطات المسجدية في الخطب وتحفيظ القرآن.

وعن أسباب عدم وجود هذه النشاطات في مساجدنا، بالرغم من أنّ القوانين تسمح بذلك، وجدنا أجوبة مختلفة عند الأئمة نرتبها حسب تكرارها كما يلي:

1- الإمام وحده لا يستطيع القيام بكلّ شيء.
2- عدم التّخصص وعدم وجود الدعم من بقيّة الأطراف.
3- عدم اكتراث الدولة بالنشاطات المسجدية واعتبارها ثانوية.
4- النشاطات قد تخلق خطابًا موازيًا لخطاب الإمام مما يضعفه.
5- السلطات تتحكم في عدد ونوع النشاطات المقامة في المسجد.
6- لم نفكّر في كلّ تلك النشاطات وعدم الحاجة إلى بعضها.
7- السلطات تقيّد حرّية الإمام.
8- تخوّف بعض الأئمة من التيارات والاتجاهات المختلفة للمصلّين.
9- النشاط الموازي في المسجد هو دائمًا مصدر وتخوّف وقلق.
10- النشاطات المسجدية محصورة في حلقات التحفيظ وبعض الدروس فقط.
11- الجانب المادي لا يساعد على إقامة ندوات ومعارض.
12- بعض هذه النشاطات من اختصاص الجمعيات الثقافية.

جدول رقم 47 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب وجود نشاطات أخرى غير مذكورة في الجدول رقم (46)

النشاطات غبر المذكورة في الجدول السّابق
محو الأمية للنساء والرّجال
تكريم حفظة القرآن الكريم والحديث الشريف
جمع التبرعات من أجل بناء وتجهيز المسجد
القيام بحملات تنظيف للمسجد وساحاته وأفرشته
إحصاء الفقراء واليتامى والمساكين من أجل مساعدتهم ماديًا (الزكاة)
إبرام عقود الزّواج - الفاتحة -

* لقد جاء هذا الجدول من أجل معرفة بعض النشاطات خارج تحفيظ القرآن الكريم والدروس الأسبوعية.

ولم نقم بحساب النسب والتكرارات لأنّ هذا الجدول هو استدراك للجدول السّابق، بحيث أنّنا تركنا للائمة المجال لذكر بعض النشاطات الموجودة في المسجد والتي لم نذكرها في الجدول السّابق، وقد بيّن هذا الجدول أنّ هناك نشاطات متنوّعة في المسجد، وهي في أغلبها من عمل لجنة المسجد، لأنّها وجدت لهذا الغرض ففي غياب القيّم على المسجد، تقوم جماعة من أهل الحي بتنظيف مسجدهم، كما أنّ إبرام عقود الزّواج الشرعي هو من عمل الإمام.

جدول رقم 48: يمثّل توزيع المبحوثين حسب وجود لقاءات مع أهل الحي

عقد اللقاءات	ك	%
نــعم	00	/
لا	61	% 89,70
أحيانًا	07	% 10,29
المجـموع	68	% 100

إنّ 89,70 % من الأئمة المبحوثين لا يعقدون لقاءات مع أهل الحي الذي يوجد فيه المسجد، مقابل 10,29 % يعقدون اللّقاءات أحيانًا فقط، بينما انعدمت نسبة الأئمة الذين أجابوا بأنّهم يعقدون اللّقاءات باستمرار.

وعليه ستنتج أنّ دور المسجد تراجع فعلاً في الحياة العامّة للمسلمين، حيث أنّ المسجد كان بالأمس محور حياة النّاس، يرجعون إليه في كلّ أمورهم، أمّا اليوم، فإنّ أئمة المساجد أصبحوا كغيرهم من الموظّفين الحكوميين، " يقتصر دورهم على إقامة الصّلاة والانصراف بعد التّسليم "، بينما دور المسجد لم يكن يقتصر على الصلاة فقط، بل كان له دور كبير في المشاركة في القضايا العامة، وحل النزاعات إن كانت موجودة، ونشر الثقافة الدّينية، ودعوة الذين ابتعدوا عن المسجد إلى الرجوع إليه، وبناءً على هذا فقدَ المسجد دوره الديني والاجتماعي نظرًا للانفصال الموجود بين الإمام والمصلين، حيث أنّ تقوقع الإمام على نفسه وعدم معرفته بمشاكل النّاس وهمومهم أدى إلى حضور النّاس للصلاة مع الإقامة والخروج مع التسليم.[137] ونادرا ما يلتقي المصلّي بالإمام.

فإذا كان ممثّل المسجد - الإمام – لا يلتقي بأهل الحي، فكيف له أن يخطب في أمور تهمّ الجيران (جيران المسجد) وكيف له أن يتعرّف عليهم، أو يحصل على احترامهم وثقتهم ؟

جدول رقم 49 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب مساهمة النشاطات المسجدية في تثقيف أبناء الحي

دور النشاطات في الثقافة	ك	%
تساهم	50	% 73,52
لا تساهم	00	/
قليلاً فقط	18	% 26,47
المجـموع	68	% 100

يكاد الأئمة المبحوثين يجمعون على أنّ النشاطات المسجدية تساهم في نشر الثقافة الدّينية التي يحتاجها أبناء الحي، حيث أنّ 73,52 % منهم أجابوا بـ "نعم"، و 26,47 % أجابوا بـ " قليلاً فقط "، انعدمت نسبة الذين أجابوا بـ " لا ".

إنّ الأئمة المبحوثين يرون أنّ النشاطات المسجدية لو كانت تتم بطرق منظمة، ويتعاون في تقديمها وتنظيمها فريق متكامل، لأعطت نتائج جدّ مهمّة، لكنّ الملاحظ هو نقص الكثير من هذه النشاطات في مساجدنا، إضافة إلى إهمال الجانب الاجتماعي الذي يعتبر أهم العوامل المؤدية إلى القضاء على الآفات، فلو أنّ المسجد ينّظم معارض أو منتديات أو حتى أيام دراسية لظواهر كالتدخين

والمخدرات، والسّيدا وغيرها من الظواهر. لأدى ذلك إلى توعية الناشئة والشباب بخطورتها وبالتالي ينعكس ذلك على سلوكهم واتجاهاتهم وابتعادهم عن هذه الظواهر المنافية للدين.

جدول رقم 50 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب تحقيق الهدف من النشاطات الموجودة

الأهــداف	ك	%
تحقّقت	09	% 13,23
لم تتحـقّق	22	% 32,35
قليلاً فقط	25	% 36,76
بدون إجابة	12	% 17,64
المجـموع	68	% 100

يرى 36,76 % من الأئمة أنّ النشاطات المسجدية حققت قليلاً فقط من الأهداف، أمّا 32,35 % منهم يرون أنّ النشاطات لم تحقق نتائج أو أهداف، كما أنّ 17,64 % منهم بدون إجابة وأخيرًا 13,23 % من الأئمة يرون أنّ النشاطات لم تحقق الأهداف التي وجدت من أجلها.

بالنسبة للائمة الذين يرون أنّ قليلاً فقط من الأهداف تحققت يعللون ذلك بأنّ حلقات التحفيظ فقط أعطت نتائج جيّدة، حيث كثيرًا من الناشئة والشباب حفظوا القرآن الكريم كلّه أو جلّه، كما أنّ الكلمات الوعظية الأخرى التي اجتهد الإمام أو غيره في إلقائها غيّرت من سلوكات النّاس وعرّفتهم بأمور كثيرة في المجال الديني مع وجود نقص طبعًا في النشاطات الثقافية والاجتماعية الأخرى.

بينما الأئمة الذين يرون أنّ النشاطات لم تحقق أهدافًا، يرجعون ذلك إلى عدم انعكاسها على سلوك النّاس لأنّها تتناول مواضيع مستهلكة روتينية ولا تأتي بجديد يذكر، فما يعطيه الإمام في خطبة الجمعة أحيانًا، يرجع إليه أحيانًا أخرى كدرس أو محاضرة خارج الجمعة، إضافة إلى وجود المتشدّدون وأصحاب الحكم بظاهر النّص، وهناك من سمّاهم الظاهرية الجدد أو (السلفيون) والذين أصبحوا يشككون ويقللون من شأن الإمام وما يتناوله من مواضيع.

4-7- تفريغ وتحليل البيانات العامة لعينة المصلين وبيانات الفرضية الثالثة

أ- تفريغ وتحليل البيانات العامة لعينة المصلين

جدول رقم 51 : يمثّل توزيع أفراد عينة المصلين حسب السّن والجنس

السّـن / الجـنس	ذكـور		إنـــاث		المجـموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
20 – 16	22	% 32,83	10	% 30,30	32	% 32
25 - 21	19	% 28,35	09	% 27,27	28	% 28
30 – 26	14	% 20,89	08	% 24,24	22	% 22
35 – 31	12	% 17,91	06	% 18,18	18	% 18
المجـموع	67	% 100	33	% 100	100	% 100

نلاحظ أنّ اغلب المبحوثين هم ذكور، حيث أنّه من بين 100 مبحوث (ة) هناك 67 % ذكور و 33 إناث. كما نجد أنّ الفئة العمرية (16 – 20) تمثّل أكبر نسبة 32 % ، وهي الأكبر دائما عند الذكور بنسبة 32,83 % وعند الإناث 30,30 %.

بالنسبة للفئة العمرية (21-25) تمثل ثاني نسبة 28 % نجدها عند الذكور بنسبة 28,35 % وعند الإناث بنسبة 27,27 % .

الفئة العمرية (26 - 30) هي ثالث نسبة 22 % تمثّل 24,24 % عند الإناث و 20,89 % عند الذكور. أخيرًا فئة (31 - 35) هي آخر نسبة 18 % ممثلة عند الإناث بـ 18,18 % وعند الذكور بنسبة 17,91 %.

ومن خلال هذه القراءات الإحصائية تبين أنّ أعلى نسبة هي عند الفئة العمرية (16 - 20) أي المرحلة الأولى من الشباب، وهذا يعني أنّهم واعون بوجوب حضور صلاة الجمعة والاستماع للخطبة والاستفادة منها.

جدول رقم 52 : يمثّل توزيع أفراد العيّنة حسب الجنس والمستوى التّعليمي

الجنس / المستوى التعليمي	ذكـور		إنـــاث		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
يقرأ ويكتب	07	% 10,44	05	% 15,15	12	% 12
ابتـدائي	12	% 17,91	05	% 15,15	17	% 17
متـوسط	14	% 20,89	07	% 21,21	21	% 21
ثـانـوي	18	% 26,86	08	% 24,24	26	% 26
جـامـعي	13	% 19,40	08	% 24,24	21	% 21
ما بعد التدرج	03	% 04,47	00	00	03	% 03
المجـموع	67	% 100	33	% 100	100	% 100

من خلال هذا الجدول، نجد أنّه من بين 100 مبحوث(ة) هناك 26 % تمثّل أفراد من مستوى ثانوي، بحيث نجد فيها 26,86 % ذكور و 24,24 % إناث. تليها نسبة 21 % تمثّل كلّ من المستوى التعليمي متوسط منها 21,21 % إناث و 20,89 % ذكور، وكذلك عند المستوى التعليمي جامعي، منهم 24,24 % إناث و 19,40 % ذكور.

تأتي بعدها نسبة 17 % وتمثّل المستوى التعليمي ابتدائي نجدها عند الذكور بنسبة 17,91 % وعند الإناث بنسبة 15,15 % ، ثمّ يأتي أفراد من المستوى يقرأ ويكتب بنسبة 12 % منهم 15,15 % إناث و 10,44 % ذكور، وأخيرًا هناك نسبة ذوي مستوى ما بعد التدرج بنسبة 03 % ، يمثلها الذكور بنسبة 04,47 % ، أمّا عند الإناث فهي معدومة.

وهذا عمومًا يدلّ على أنّ الحاضرين للاستماع للخطبة هم من مستويات تعليمية مختلفة، وسوف يتّضح تأثير المستوى التعليمي على علاقة المصلّي بالإمام ونظرته إليه، وعلى نوع المواضيع التي يريد سماعها وكذا رضاه من عدمه على الخطاب الذي يقدّمه المسجد، في الجداول اللاحقة.

ب-تفريغ وتحليل بيانات الفرضية الثالثة

جدول رقم 53 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المواظبة على الحضور إلى المسجد

المـواظـبة	ك	%
نعم دائمًا	46	% 46
أحيانًا فقط	30	% 30
لا نادرًا	24	% 24
المجـموع	100	% 100

من خلال هذا الجدول، والذي يمثّل مواظبة المبحوثين على الحضور إلى المسجد، نلاحظ أنّ أكبر نسبة منهم تواظب على الحضور بشكل دائم، وهذا يقدر بـ 46 % ، أمّا 30 % منهم فإنّ مواظبتهم غير دائمة ومستمرة فهم يواظبون فترة، وأخرى لا يواظبون، في حيث 24 % منهم، لا يواظبون على الحضور إلى المسجد إلاّ نادرًا.

وهذه النتائج راجعة إلى كون المسجد مهمٌّ وضروريّ في حياة الفرد المسلم، نظرًا لقدسيته وارتباطه بالوجدان والعقيدة وهذه الأمور سبق ذكرها في الجانب النظري، ولعلّ كون المبحوثين يحضرون إلى المسجد وأغلبهم يواظب على ذلك، فهذا يفيدنا في دراستنا، ففضلاً عن الحكم الشرعي للصلاة عامة، وصلاة الجمعة خاصة، فإنّ هؤلاء المبحوثين لهم احتكاك أكبر بالإمام ومعرفة أوسع بمستواه، من خلال الخطاب الذي يلقيه عليهم، وبالتّالي يمكننا أن نقيس مدى اهتمامهم بما يقدّم لهم من خطاب وكذا رضاهم من عدمه. وسوف يتبين ذلك في جداول آتية.

جدول رقم 54 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب أسباب مواظبة الحضور إلى المسجد

أسباب الحضور إلى المسجد	ك	%
من أجل صلاة الجمعة فقط	24	% 24
للصّلاة وحضور النشاطات	20	% 20
من أجل صلاة الجمعة والجماعة معًا	66	% 66
المجـموع	100	% 100

إنّ 66 % من المبحوثين يحضرون إلى المسجد من أجل صلاة الجمعة والجماعة معًا، أمّا 24 % منهم فإنّهم يواظبون على صلاة الجمعة فقط، في حين أنّ 20 % يواظبون على النشاطات المسجدية، خاصّة منها الذكر وتلاوة القرآن الكريم في المسجد.

ومنه يتبيّن لنا أنّ جميع المبحوثين يواظبون على صلاة الجمعة أي بنسبة 100 % ، وهذا راجع إلى الحكم الشرعي لصلاة الجمعة، فهل يهتمون بسماع الخطاب المسجدي الأسبوعي للإمام ؟

جدول رقم 55: يمثّل توزيع المبحوثين حسب الاهتمام بسماع الخطاب المسجدي يوم الجمعة

الاهتمام بسماع الخطاب	ك	%
أحضر للعبادة وسماع الخطبة	65	% 65
احضر لأداء واجب العبادة فقط	35	% 35
المجـموع	100	% 100

يتبيّن من خلال هذا الجدول أنّ 65 % من المبحوثين يحضرون يوم الجمعة من أجل أداء العبادة والاستماع للخطاب المسجدي، مقابل 35 % منهم يحضرون فقط من أجل أداء واجب العبادة وليس من أجل سماع الخطاب المسجدي للإمام.

ومن خلال هذه القراءة نلاحظ أنّ النسبة الأكبر تهتم بسماع الخطاب المسجدي، مما يبرز أهميته بالنسبة للمبحوثين، وذلك لاعتبارات عديدة منها وعيهم الكبير بأهمية الخطاب المسجدي في تحسين سلوكاتهم وإرشادهم وتوعيّتهم، وتفقيههم في أمور الدين والدّنيا، إلاّ أنّ الخطاب المسجدي لم يتمكن من جذب كل الحضور إليه حيث أنّ 35 % منهم يحضرون فقط لأنّ صلاة الجمعة فرض، وعدم الاهتمام هذا بدوره له عدّة أسباب من بينها عدم التأثّر بهذا الخطاب أو عدم الرضى عن الإمام فيما يقدمه من دروس وما ينتجه من خطاب وما يعالجه من مواضيع التي قد يكون الفرد عرفها منذ صباه إمّا في الأسرة أو في المدرسة ووسائل الإعلام وغيرها من مصادر التثقيف الديني مع تغييب المواضيع والقضايا التي تشغل الراهن الإسلامي عامة والمجتمع الجزائري خاصّة.

جدول رقم 56 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي ومعرفتهم (ثقافاتهم) في الجانب الديني

المستوى التعليمي / الثقافة الدّينية	يقرأ ويكتب		إبـتـدائي		متـوسّط		ثـانـوي		جـامـعـي		ما بعد التدرّج		المجـمـوع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
نـعم	02	% 16,66	04	% 23,52	08	% 38,09	10	% 38,46	14	% 61,90	02	% 66,66	40	% 40
لا	04	% 33,33	05	% 29,41	05	% 23,80	05	% 19,23	02	% 09,52	00	/	21	% 21
قليلاً فقط	03	% 25	06	% 35,29	07	% 33,33	07	% 26,92	05	% 23,80	00	/	28	% 28
بدون إجابة	03	% 25	02	% 11,76	01	% 04,76	04	% 15,38	00	/	01	% 33,33	11	% 11
المجـموع	12	% 100	17	% 100	21	% 100	26	% 100	21	% 100	03	% 100	100	% 100

يبيّن الجدول أعلاه أنّ 40 % من المبحوثين لهم معرفة وثقافة في الجانب الديني، نجدهم بأعلى نسبة عند ذوي المستوى ما بعد التدرج بـ 66,66 % ثمّ عند ذوي مستوى جامعي بنسبة 61,90 % وتبدأ النسب في التناقص فهي في مستوى الثانوي تقدر بـ 38,46 % وفي مستوى المتوسط تقدر بـ 38,09 % وتبلغ في مستوى ابتدائي نسبة 23,52 % لتصل عند مستوى يقرأ ويكتب إلى 16,66% .أمّا ثاني نسبة فهي 28 % تمثّل المبحوثين الذين يعرفون قليلاً فقط في الجانب الديني، نجدهم بأعلى نسبة عند ذوي مستوى تعليمي ابتدائي بـ 35,29 % وعند ذوي المستوى المتوسط بنسبة 33,33 % ، ثمّ عند الثانويين بنسبة 26,92 % وعند مستوى يقرأ ويكتب 25 % وأخيرًا عند الجامعيين بنسبة 09,52 % وانعدمت عند ذوي مستوى تعليمي ما بعد التدرّج.

النسبة الثالثة وهي 21 % وتمثّل المبحوثين الذين ليس لهم ثقافة في الجانب الديني، يدعّمها المستوى التعليمي يقرأ ويكتب بأعلى نسبة 33,33 % وتبدأ في التناقص تدريجيًا، فهي عند ذوي مستوى ابتدائي بنسبة 29,41 % وعند المستوى متوسط 23,80 % ثمّ في مستوى ثانوي 19,23 % لتصل عند مستوى جامعي إلى 09,52 % وتنعدم في مستوى ما بعد التدرّج.

أمّا فئة بدون إجابة فهي تمثّل نسبة 11 % ، يمثّلها أصحاب مستوى ما بعد التدرّج بنسبة 33,33 % ، ومن مستوى يقرأ ويكتب 25 % ، وفي مستوى ثانوي 15,38 % بعدها مستوى ابتدائي 11,76 % وعند ذوي مستوى متوسط 04,76 % وتنعدم عند الجامعيين.

وعليه تستخلص أنّ هناك علاقة بين المستوى التعليمي والمعرفة أو الثقافة الدّينية، إذ كلّما ارتفع المستوى التعليمي ارتفعت معه الثقافة الدّينية وكلّما انخفض المستوى التعليمي نقصت الثقافة الدّينية.

ذلك أنّ أصحاب المستويات التعليمية العالية، يتحصّلون على الثقافة الدّينية من مصادر عديدة، وهم بامكانهم فهمها وتطبيقها مهما ارتفع المستوى التعليمي والمعرفي واللّغوي للشّخص الذي يأخذونها عنه، إذ بامكانهم فهم الخطاب المسجدي المحلي، وفهم واستيعاب الخطابات التي تأتيهم من وسائل الإعلام المطبوعة والسمعية والبصرية.

عكس ذوي المستويات المنخفضة الذين يعانون كثيرًا من فهم واستيعاب اللّغة الفصحى، أو الأفكار التي تبدو لهم غامضة إذا لم يحسن الإمام أو غيره شرحها وتبسيطها لهم.

ولعلّ المستوى التعليمي يطرح مشكلاً كبيرًا أمام أداء الإمام خاصّة، فهو يجد نفسه بين فريقين، الأوّل: يبحث عن التبسيط نظرًا لضعف مستواه التعليمي والثقافي، والثاني: لا يرضى بالأفكار البسيطة بل يطالب بالتعمّق في التحليل والتوسّع في الأفكار لأنّ مستواه العلمي والثقافي خاصة في الجانب الديني مرتفع، قد يفوق أحيانًا الزاد العلمي والمعرفي والثقافي للإمام نفسه.

جدول رقم 57 : يمثّل المصدر الذي حصل منه المبحوثين على ثقافتهم الدّينية

مصدر الثقافة الدّينية	ك	%
المسـجـد	10	% 10
التلفزيون والفضائيات	17	% 17
الكتاب الديني	13	% 13
الشريط الديني	15	% 15
الحصص الدّينية الإذاعية	03	% 03
المسجد والحصص التلفزيونية (الفضائيات)	11	% 11
المسجد والكتاب الديني	08	% 08
المسجد والشريط الديني	09	% 09
مصادر أخرى (أسرة، مدرسة، انترنت، أصدقاء)	14	% 14
المجـموع	100	% 100

أعلى نسبة في الجدول هي 17 % وتمثّل المبحوثين الذين حصلوا على ثقافتهم الدّينية من خلال الحصص الدّينية المبرمجة في التلفزيون والفضائيات، بعدها هناك نسبة 15 % منهم حصلوا على ثقافتهم الدّينية من خلال الشريط الديني، وتأتي في المرتبة الثالثة نسبة 14 % وتمثّل المتحصلين على الثقافة الدّينية من مصادر أخرى تمثّلت في الأسرة، المدرسة، الانترنت والأصدقاء، ثمّ 13 % منهم حصلوا عليها من خلال الكتاب الديني، أمّا 11 % من المبحوثين فقد حصلوا على ثقافتهم من خلال كلاً من المسجد والتلفزيون والفضائيات.

تليها نسبة 10 % من المبحوثين حصلوا على ثقافتهم الدّينية من خلال المسجد و 09 % تحصلوا عليها من خلال المسجد والشريط الديني، و 08 % من المبحوثين تحصلوا على ثقافتهم من خلال المسجد والكتاب الديني، أخيرًا هناك 03 % تحصلوا عليها من خلال الحصص الدّينية الإذاعية.

ومن خلال هذا الجدول نستخلص أنّ المبحوثين تحصّلوا على ثقافتهم الدّينية بطرق متعدّدة، أهمّها المسجد ووسائل الإعلام إمّا المطبوعة والمتمثلة في الكتب الدّينية، أو المسموعة كالشريط الديني والإذاعة،أو المسموعة والمرئية كالتلفزيون والفضائيات (الإعلام الديني)، أمّا الذين تحصّلوا على ثقافتهم الدّينية من خلال المسجد فقط فإنّ نسبتهم لم تتجاوز 10 % هذا إلى جانب الأسرة والمدرسة والأصدقاء والانترنت.

ولعلّ اعتماد الفرد على وسائل الإعلام من أجل التثقيف الديني سوف يجعل من مهمّة إمام المسجد أصعب، نظرًا لكون المصلّين يبحثون دومًا عن الأفضل، الذي قد لا يمكن للإمام تقديمه، خاصّة إذا كان مستواه العلمي والثقافي محدود، أو كان تكوينه ناقصًا يقابله في وسائل الإعلام علماء وباحثون متمكنون في الجانب الديني، من جميع أنحاء العالم الإسلامي، ولهم منهجية خاصة في مناقشة المواضيع التي تشغل الفرد المسلم في حياته الدّنيوية والأخروية، مما يجعل تأثيرهم أعمق وأوسع من تأثير الخطاب المسجدي للإمام. وهذا ما سوف يتبينه الجدول اللّاحق.

جدول رقم 58 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب تفضيلهم الحصول على الثقافة الدينية من المسجد أو من وسائل الإعلام الديني

المصدر المفضّل	ك	%
الخطاب المسجدي	30	% 30
الكتاب الديني	10	% 10
الشريط الديني	15	% 15
الحصص المسموعة	01	% 01
الحصص المسموعة والمرئية	35	% 35
بدون إجابة	09	% 09
المجـموع	100	% 100

يمثّل هذا الجدول المصدر الذي يفضّل المبحوثين الحصول على الثقافة الدّينية من خلاله، ونلاحظ من خلاله أنّ 35 % من المبحوثين يفضلون الحصص الدّينية التلفزيونية والفضائية، تليها نسبة 30 % وتمثّل المبحوثين الذين يفضلون الخطاب المسجدي، أمّا 15 % فإنّهم يفضلون الشريط الديني، و 10 % يفضّلون الكتاب الديني، في حين أنّ 09 % من المبحوثين لم يجيبوا على السؤال، أخيرًا هناك 01 % من المبحوثين يفضلون الحصص الإذاعية المسموعة.

فبالنسبة للذين يفضّلون الخطاب المسجدي، يرون أنّ الخطاب المسجدي المحلّي أفضل مصدر للحصول على الثقافة الدّينية، لأنّ من يلقيه يعيش في نفس الواقع مع المستمع وبالتالي يطرح ما يهمّ المجتمع الذي يعيش فيه المصلي، كما أنّ الخطاب المحلي أأمَنُ على عقيدة الفرد، فالإمام سُنّيٌّ مالكي، شأنه شأن المصلّي، بينما الثقافة الدّينية خاصة في مجال الحلال والحرام والمعاملات قد لا تكون في الفضائيات والكتب والأشرطة الدّينية مطابقة لمذهبنا، فهناك أفكار مثلاً شيعية لا تناسب السنّة.

أمّا من يفضّل وسائل الإعلام الديني الأخرى فقد أرجع ذلك لعدّة أسباب نذكرها على شكل نقاط:

1- لأنّ الخطباء الآخرين أعلى مستوى من الخطباء والأئمة المحليين.

2- ثقافة وتكوين الأئمة المحليين محدودين ولا تواكب متطلبات المصلين.

3- المواضيع التي تعالجها الخطابات المسجدية روتينية لا جديد فيها.

4- مستوى المصلين في كثير من الأحيان أعلى من مستوى الإمام، مما يجعل الاستفادة من الخطاب المسجدي منعدمة.

5- الحصص الدّينية في القنوات الفضائية ينشطها ويقدمها أئمة عالميين، وعلماء العالم الإسلامي، أمثال القرضاوي، القرني، عمرو خالد، طارق سويدان،عبد الكافي وغيرهم.

6- لأنّ في الإعلام الديني تناقش مواضيع دينية وفكرية هامة وجديدة بطرق ومناهج حديثة وعلمية.

7- لأنّ وسائل الإعلام الديني تقدم معلومات دينية أكثر وأحسن.

8- لأنّ الأئمة المحلّيين مازالوا يتحدّثون عن أمجاد الماضي الإسلامي والوطني، وهم غير مرتبطون بالحاضر والعصر، ولا يناقشون القضايا الملحة في الواقع الإسلامي والوطني.

9- كثرة التلميح لدى الأئمة المحليين، وعدم إثارة انشغالات ومتطلبات الفرد الجزائري خاصّة الشباب.

جدول رقم 59 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب عدم رضاهم عن الخطاب المسجدي بسبب الإعلام الديني

عدم الرضى سببه الإعلام الديني	ك	%
صحـيح	59	% 59
غير صحـيح	36	% 36
بدون إجابة	05	% 05
المجـموع	100	% 100

من بين 100 مبحوث (ة) هناك 59 % يرون أنّ عدم رضاهم عن الخطاب المسجدي راجع إلى وجود وسائل الإعلام الديني التي تنقل الثقافة والمعلومات الدّينية، في حين أنّ 36 % يرون أنّ ذلك غير صحيح، أمّا 05 % فبدون إجابة.

وعليه نستنتج أنّ وسائل الإعلام الديني التي تنشر الثقافة الدينية أدّت إلى عدم رضى المصلّين عن مستوى ومحتوى الخطاب المسجدي مما أنقص اهتمامهم به، وتأثيره عليهم، لأنّهم يجدون الخطاب الذي

ينتجه الإمام، ليس في مستوى الخطابات التي يتابعونها عبر الفضائيات أو الدروس التي يتعلّمونها من خلال الكتاب والشريط الديني وباقي الوسائل الأخرى.

ولعلّ هذا راجع كما قلنا سابقًا إلى ضعف مستوى الإمام ونقص تكوينه إلى جانب محدودية المواضيع التي يعالجها والمنهجية التي يتبعها في ذلك.

جدول رقم 60 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب رأيهم في تأثير وسائل الإعلام الديني على مكانة ووضعية الخطاب المسجدي

تـأثير الإعلام الديني	ك	%
نعـم أثـرت	68	% 68
لا لم تـؤثـر	27	% 27
بدون إجابة	05	% 05
المجـموع	100	% 100

يبيّن هذا الجدول رأي المبحوثين حول تأثير وسائل الإعلام الديني التي تنقل وتنشر الثقافة الدّينية على مكانة وأثر الخطاب المسجدي على جمهور المصلين، ومن خلاله نسجل نسبة 68 % يرون أنّ هذه الوسائل أنقصت من مكانة وتأثير الخطاب المسجدي، مقابل 27 % ترى أنّها لم تؤثر على مكانته وتأثيره على المصلين، في حين هناك 05 % بدون إجابة.

إنّ هذه النسب تؤكّد أنّ الإعلام الديني أثر فعلاً على تأثير الخطاب المسجدي، فالخطاب المسجدي هو وسيلة اتصال لكنها لا تعالج كلّ مشاكل المصلين، ومنه تنقص درجة تأثيرها وضعف فعاليتها ومكانتها بالمقارنة مع الوسائل الاتصالية الأخرى، وهذا مرتبط أيضًا بالخطاب كرسالة من حيث الشكل والمضمون، فالإمام من خلال مستواه ومكانته ودوره كقائم بالاتصال داخل المسجد لا يقوم بالدور المرغوب فيه والمطلوب منه، مما يؤدي إلى فشل العملية.

جدول رقم 61 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي والاستفادة من خطاب الإمام

المستوى التعليمي / الاستفادة	يقرأ ويكتب		إبـتـدائي		متـوسّط		ثـانـوي		جـامـعـي		ما بعد التدرّج		المجـمـوع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أستفيد	10	% 83,33	09	% 52,94	10	% 47,61	11	% 42,30	03	% 14,28	00	/	43	% 43
لا أستفيد	00	/	02	% 11,76	03	% 14,28	05	% 19,23	09	% 42,85	01	% 33,33	20	% 20
قليلاً فقط	02	% 16,66	06	% 35,29	08	% 38,09	10	% 38,46	09	% 42,85	02	% 66,66	37	% 37
المجـمـوع	12	% 100	17	% 100	21	% 100	26	% 100	21	% 100	03	% 100	100	% 100

يمثّل هذا الجدول أثر المستوى التعليمي على استفادة المبحوث (ة) من خطاب الإمام ومن خلاله نسجل أنّ 43 % من المبحوثين يستفيدون من خطاب الإمام يدعمهم المبحوثين من فئة يقرأ ويكتب بنسبة 83,33 % وتبدأ هذه النسبة في الانخفاض كلّما ارتفع المستوى التعليمي، حيث في مستوى ابتدائي النسبة هي 52,94 %، وفي مستوى متوسط أصبحت 47,61 % ، أمّا في مستوى ثانوي فهي 42,30 % وعند مستوى جامعي وصلت 14,28 % لتنعدم عند مستوى ما بعد التدرّج.

أمّا 37 % من المبحوثين فإنّهم يستفيدون قليلاً من فقط من خطاب الإمام أعلى نسبة منهم نجدها عند مستوى ما بعد التدرّج 66,66 % وتبدأ النسبة في التناقص كلّما نقص المستوى التعليمي، حيث في مستوى جامعي نجدها بنسبة 42,85 % وعند مستوى ثانوي 38,46 % ، أمّا في مستوى متوسط فهي 38,09 % ، لتصل إلى 35,29 % عند مستوى ابتدائي، أمّا عند مستوى يقرأ ويكتب فهي 16,66 %.

أخيرًا 20 % من المبحوثين لا يستفيدون من خطاب الإمام، منهم 42,85 % بمستوى جامعي، و 33,33 % بمستوى ما بعد التدرّج، 19,23 % لهم مستوى ثانوي و 14,28 % مستواهم هو المتوسط وتنعدم النسبة في مستوى يقرأ ويكتب.

وعليه فإنّ المستوى التعليمي للمبحوث يؤثّر على استفادته من الخطاب المسجدي حيث كلّما ارتفع المستوى التعليمي، كلّما نقصت استفادته من خطاب الإمام وكلما نقص مستواه، زادت استفادته من خطاب الإمام.

جدول رقم 62 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي ورأيهم في مواضيع الخطابات المسجدية

المستوى التعليمي / المواضيع	يقرأ ويكتب		إبـتـدائي		متـوسّط		ثـانـوي		جـامـعـي		ما بعد التدرّج		المجـمـوع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
قديمة وروتينية	02	% 16,66	03	% 17,64	08	% 38,09	08	% 30,76	11	% 52,38	02	% 66,66	34	% 34
حديثة وهامّة	09	% 75	06	% 35,29	05	% 23,80	05	% 19,23	02	% 09,52	00	/	27	% 27
متوسّطة عمومًا	01	% 08,33	08	% 47,05	08	% 38,09	13	% 50	08	% 38,09	01	% 33,33	39	% 39
المجـموع	12	% 100	17	% 100	21	% 100	26	% 100	21	% 100	03	% 100	100	% 100

يعبّر هذا الجدول عن العلاقة بين المستوى التعليمي للمبحوث(ة) ورأيه(ها) في مواضيع الخطاب المسجدي، حيث أنّ 39 % من المبحوثين يرون أنّ مواضيع الخطابات متوسّطة عمومًا، منهم 50 % ثانويين، 47,05 % بمستوى ابتدائي و 38,09 % بمستوى متوسط، أو جامعي، في حين 33,33 % منهم له مستوى ما بعد التدرّج، وأخيرًا 08,33 % لهم مستوى يقرأ ويكتب.

أمّا 34 % من المبحوثين فإنّهم يرون أنّ المواضيع قديمة وروتينية، أعلى نسبة منهم 66,66 % بمستوى ما بعد التدرّج و 57,14 % بمستوى جامعي، 38,09 % لهم مستوى متوسّط، 30,76 % مستواهم ثانوي، أمّا 17,64 % مستواهم ابتدائي وأخيرًا 16,66 % مستواهم يقرأ ويكتب.

وهناك 27 % من المبحوثين يرون أنّ مواضيع الخطابات المسجدية حديثة وهامّة، 75 % منهم مستواهم يقرأ ويكتب، 35,29 % مستواهم ابتدائي، وتنخفض هذه النسب بالتدريج، حيث نجدها عند مستوى متوسّط 23,80 % وعند مستوى ثانوي 19,23 % وفي مستوى جامعي 09,52 % وتنعدم عند مستوى ما بعد التدرّج.

وعليه فإنّ المستوى التعليمي للمبحوث يؤثّر على رأيه في المواضيع التي يتناولها الخطاب المسجدي.

فالشاب الذي يملك مستوى علمي وثقافي يمكّنه من الحصول على المعارف الدّينية من خلال المطالعة والبحث وحتى من خلال الإعلام المسموع والمرئي مما يؤدي به للقول أنّ ما يعالجه الإمام وما يتناوله من مواضيع هي مواضيع قديمة وروتينية تتكرّر بتكرار الأحداث والمناسبات بدون التجديد فيها أو التغيير في طريقة طرحها ومناقشتها.

جدول رقم 63 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب سماعهم لأحكام بعض القضايا الراهنة في المسجد أو في وسائل الإعلام الديني

الوسيـط / الظـاهرة	الإجابة	في المسـجد		في وسائل الإعلام الديني	
		ك	%	ك	%
تأثير العولمة على الدّين	نـعم	18	% 18	79	% 79
	لا	82	% 82	21	% 21
	المجموع	100	% 100	100	% 100
التنـصير	نـعم	39	% 39	65	% 65
	لا	61	% 61	35	% 35
	المجموع	100	% 100	100	% 100
الغلو والتطرّف	نـعم	47	% 47	100	% 100
	لا	53	% 53	00	/
	المجموع	100	% 100	100	% 100
الانحراف الأخلاقي	نـعم	100	% 100	100	% 100

	لا	00	/	00	/
	المجموع	100	% 100	100	% 100
الإرهاب والجريمة	نـعم	68	% 68	100	% 100
	لا	32	% 32	00	/
	المجموع	100	% 100	100	% 100
الغزو الفكري والثقافي	نـعم	27	% 27	59	% 59
	لا	73	% 73	41	% 41
	المجموع	100	% 100	100	% 100
المخدرات والتدخين	نـعم	88	% 88	100	% 100
	لا	12	% 12	00	/
	المجموع	100	% 100	100	% 100
السّرقة وحكمها	نـعم	100	% 100	100	% 100
	لا	00	/	00	/
	المجموع	100	% 100	100	% 100
حوادث المرور	نـعم	02	% 02	48	% 48
	لا	98	% 98	52	% 52
	المجموع	100	% 100	100	% 100
قضايا البيئة	نـعم	00	/	28	% 28
	لا	100	% 100	72	% 72
	المجموع	100	% 100	100	% 100

ملاحظة : تم بناء هذا الجدول بطريقة يمكن من خلالها المقارنة بين المسجد ووسائل الإعلام الديني الأخرى التي تنقل الثقافة الدّينية للفرد المسلم في مجال طرح بعض القضايا الراهنة والتي تهم وتمس حياة الناشئة من أبناء المسلمين في المجتمع الجزائري وهذا الجدول مركّب من عدّة جداول بسيطة، فضّلنا وضعها في جدول واحد لاختزال عدّة جداول.

من خلال قراءة الجدول نسجل ما يلي:

- فيما يخص ظاهرة العولمة : لدينا 82 % من المبحوثين لم يسمعوا عنها في الخطاب المسجدي، في حين أنّ 18 % سمعوا إمام المسجد يتطرق إليها، بالمقابل هناك 79 % من المبحوثين سمعوا عن تأثير العولمة على الدين من خلال الإعلام الديني، مقابل 21 % لم يسمعوا عن ذلك.

- وعن ظاهرة التنصير : هناك 61 % من المبحوثين لم يسمعوا عنها في المسجد أمّا 39 % فقد سمعوا عنها، أمّا في الإعلام الديني فإنّ 65 % منهم سمعوا عنها، مقابل 35 % لم يسمعوا عن ظاهرة التنصير في وسائل الإعلام الديني.

- فيما يتعلّق بالغلو والتطرف : وجدنا 53 % من المبحوثين لم يسمعوا عنها في الخطاب المسجدي للإمام، أمّا 47 % منهم فقد سمعوا عنها، بالمقابل هناك نسبة 100 % منهم سمعوا عنها في وسائل الإعلام الديني، وانعدمت نسبة من لم يسمعوا عنها فيه.

- ظاهرة الانحراف الأخلاقي : لدينا 100 % من المبحوثين سمعوا إمام المسجد يتحدث عنها وانعدمت نسبة من لم يسمع عنها في المسجد، ونفس النسب سجلناها بالنسبة للإعلام الديني.

- ظاهرة الإرهاب والجريمة : هناك 68 % من المبحوثين أجابوا أنّ إمام مسجدهم يتطرّق للظاهرة و 32 % منهم أجابوا بأنّهم لم يسمعوا عنها في المسجد، لكن 100 % سمعوا عن الظاهرة في الإعلام الديني.

- ظاهرة الغزو الفكري والثقافي : هناك 73 % من المبحوثين لم يسمعوا عنها في المسجد مقابل 27 % سمعوا عنها، أمّا في الإعلام الديني فإنّ 59 % منهم سمع عنها مقابل 41 % لم يسمعوا عنها.

- ظاهرة تعاطي المخدرات والتدخين: من بين 100 % مبحوث(ة)، هناك 88 % منهم سمع عنها في المسجد مقابل 12 % لم يسمعوا عنها، وعن الإعلام الديني فإنّ 100 % من المبحوثين سمعوا عنها.

- بالنسبة لظاهرة السرقة وحكمها الشرعي: هناك 100 من المبحوثين سمعوا عنها في الخطاب المسجدي ونفس الشيء في الإعلام الديني.

- ظاهرة حوادث المرور : هناك 98 % من المبحوثين أجابوا أنّهم لم يسمعوا عنها في الخطاب المسجدي مقابل 02 % فقط سمعوا عنها، في حين نجد أنّ 52% لم يسمعوا عنها في الإعلام الديني مقابل 48% سمعوا عنها.

- أخيرًا عن قضايا البيئة : سجلنا نسبة 100 % من المبحوثين لم يسمع إمام المسجد يتطرق لها في خطابه بالمقابل هناك 72% لم يسمعوا عنها في الإعلام الديني و 28 % سمعوا عنها فيه.

يتبين من خلال هذا الجدول أنّ الخطاب المسجدي لا يتطرق لأكثر القضايا إلحاحًا في العصر الحالي، بينما هذه القضايا تعالج بقوّة في وسائل الإعلام الديني من خلال الحصص والبرامج الدّينية وفي الدروس والمحاضرات إمّا في التلفزيون أو في الكتب والأشرطة الدّينية، وبالتالي يمكن للفرد المسلم أن يعرف بعض الأحكام الشرعية حول القضايا التي يتعرّض لها في حياته، ويحصل على ثقافة دينية تحميه من التحديات الدّينية والأخلاقية المواجهة له.

جدول رقم 64 : يمثل توزيع المبحوثين حسب رضاهم على مستوى ومحتوى الخطاب المسجدي وأسباب ذلك

الرضى / السبب	الإمام يعالج المواضيع التي أحتاجها		الإمام لا يعالج المواضيع التي أحتاجها		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
راض	22	75,86 %	12	% 16,90	34	% 34
غير راض	07	24,13 %	59	% 83,09	66	% 66
المجموع	29	% 100	71	% 100	100	% 100

نلاحظ من خلال الجدول أنّ 66 % من المبحوثين غير راضين عن مستوى ومحتوى الخطاب المسجدي،منهم 83,09 % غير راضين لأنّ الإمام لا يعالج المواضيع التي يحتاجونها، أمّا 24,13 % منهم فرغم أنّ الإمام يعالج المواضيع التي يحتاجونها ومع ذلك فهم غير راضون. أمّا 34 % من المبحوثين فهم راضون عن مستوى ومحتوى الخطاب المسجدي منهم 75,86 % راضون لأنّ الإمام يعالج المواضيع التي يحتاجون إليها، أمّا 16,90 % منهم فهم راضون برغم أنّ الإمام لا يعالج المواضيع التي يحتاجون إليها.

وعليه فإنّ الموضوع الذي يتناوله الخطاب المسجدي يؤثر على اهتمام المصلين به ورضاهم عنه، وانتقاء المواضيع له أهمية كبيرة، فهو يشكّل عامل جذب للمصلين سواء كانوا من المواظبين على الحضور، أو من الذين يأتون فقط من حين لآخر.

لذلك ينبغي للإمام أن يستغل موقعه في معالجة مشاكل المصلين واهتماماتهم الشخصية والذي من شأنه كما قلنا استقطاب المصلين لحضور وسماع الخطاب الذي قد يجدون فيه الوسيلة لمعالجة قضاياهم، وعليه تبرز أهمية الخطاب في أوساط المصلين.

إنّ المواضيع المتناولة، سواء كانت دينية أو إجتماعية لها علاقة بتحقيق أهداف الخطاب، كالإرشاد والإصلاح وتحسين السلوك والاتجاه واستخلاص العبر، خاصة في الوقت الراهن حيث انتشرت الكثير من الآفات الإجتماعية التي تهزّ كيان المجتمع، كما أنّ أهداف الخطاب اتسعت دائرتها حسب إتساع وتعقيد الحياة والمجتمع الإنساني، حيث أدى هذا التغيير إلى بروز مؤسسات تتكفل كل واحدة منها بجزء من قضايا المجتمع، فالمسجد وهو المؤسسة الدينية، إنحصر دور الإمام فيه في تعليم النّاس أمور العبادات (كالصلاة، الزكاة، الصيام... الخ) لكن في وقتنا الحالي إزداد وعي الجماهير بكثير من القضايا وبالتالي أصبح تأثير الخطاب على المصلين ليس بالأمر الهين، فبانتشار وسائل الإعلام الحديثة، لم يعد النّاس غُفّلاً يصدّقون كل ما يقال لهم، وعليه إتسع دور الإمام في كيفية معالجة المواضيع

سواء الدّينية أو الإجتماعية، فلا تتحقق أهداف الخطاب إلاّ بمعالجة المواضيع بأسلوب جيد مقنع ومؤثر فعلاً.

جدول رقم 65 : يمثّل توزيع المبحوثين حسب الجنس واستشارتهم للإمام في أمورهم الخاصّة

الجنس / استشارة الإمام	ذكــور		إنـــاث		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
استشير	18	26,86 %	03	% 09,09	21	% 21
لا استشير	15	22,38 %	14	% 42,42	29	% 29
أحيانًا فقط	34	50,74 %	16	% 48,48	50	% 50
المجــموع	67	% 100	33	% 100	100	% 100

يتبين من خلال الجدول أنّ 50 % من المبحوثين يستشيرون الإمام في أمورهم الخاصة (الفتوى) أحيانًا فقط، يمثلهم الذكور بنسبة 50,74 % والإناث 48,48 % ، أمّا 29 % فهم لا يستشيرون الإمام في أمور دينهم، منهم 42,42 % إناث و 22,38 % ذكور.

أخيرًا هناك 21 % من المبحوثين يستشيرون الإمام في أمورهم الخاصّة يمثلهم الذكور بنسبة 26,86 % والإناث 09,09 % .

وعليه يتّضح أنّ الجنس لا يؤثّر على استشارة الإمام في الأمور الدّينية الخاصّة، أي الفتوى فالنسب متقاربة إذ أنّ النساء أصبح بإمكانهن الحصول على الفتاوى والمعارف الدّينية من خلال الفضائيات والكتب الدّينية أي الإعلام الديني وهنّ ماكثات في البيت وكذلك الرجل، لم يعد الإمام هو مصدر الفتوى، مما يدلّ على أنّ الإعلام الديني أثّر على مكانة ووضعية الإمام، فلم يعد النّاس في حاجة إلى الفتاوى في أمور الدين نظرًا لتوفرها.

7-5- مناقشة نتائج الفرضيات والاستنتاج العام للدّراسة الميدانية

بعد عرض وتحليل المعطيات الميدانية يحقّ لنا التساؤل حول ما إذا تحققت فرضيات الدّراسة أم لا ؟

7-5-1- مناقشة نتائج الفرضية الأولى

سوف نستعرض هنا النتائج التي أظهرها تحليل الجداول :

- من خلال الجدول رقم (18) تبيّن أنّ 60,21 % من المبحوثين تلقوا تكوينهم في الزوايا والجوامع مقابل 13,97 % تكوّنوا في الجامعات.
- من خلال الجدول رقم (19) تبيّن أنّ 41,17 % من المبحوثين تكوّنوا لمدة تتراوح بين (1 و 3 سنوات) فقط.
- من خلال الجدولين (20) و (21) تبيّن أنّ 60,29 % من المبحوثين يعتمدون على الخطب المنبرية و 47,05 % منهم يعتمدون على الخطب الوزارة وبالتالي أغلب المبحوثين يعتمدون على الخطب الجاهزة.
- من خلال الجدول رقم (22) تبيّن أنّ المواضيع التي تتناولها الخطب المسجدية هي مواضيع دينية فقهية نظرًا لتركيز التكوين على العلوم الشرعية، وتناول هذه المواضيع كان بنسبة 57,09 % .
- من خلال الجدول رقم (23) تبيّن أنّ 67,64 % من الخطب لا تزيد مدّة إلقائها عن نصف ساعة.
- من خلال الجدول رقم (24) تبيّن أنّ نوع التكوين يؤثر على اعتماد الأئمة على الخطب الجاهزة، فالأئمة المتكونين في الجوامع والزوايا يعتمدون على الخطب الجاهزة، بينما الجامعيين يعتمدون على أنفسهم.
- من خلال الجدول رقم (25) تبيّن أنّ من بين 68 مبحوث هناك 32 إمام يعتمد على الخطب الجاهزة منهم 57,14 % يلقيها قراءةً.
- من خلال الجدول رقم (26) نستنتج أنّ رتبة الإمام تؤثر على طريقة الإلقاء، كما أنّ رتبة الإمام مرتبطة بالمستوى التعليمي ونوع التكوين فرتبة إمام أستاذ، تخص الجامعيين وذوي مستوى ما بعد التدرج، إذ كلّما كان المستوى مرتفعًا كلّما ألقى الإمام خطبته ارتجالاً.
- من خلال الجدول رقم (27) نستنتج أنّ نوع التكوين يؤثر على طريقة الإلقاء.
- من خلال الجدول رقم (28) يتبين أنّ طريقة الإلقاء تؤثر على تأثر المصلين بالخطاب.
- من خلال الجدول رقم (29) نستنتج أنّ نوع التكوين له علاقة بتدوين الخطبتين حيث أنّ أكبر نسبة تقوم بتدوين الخطبتين هي 69,11 % منهم 80,64 % تلقوا تكوينهم فقط في الزوايا والجوامع.

- من خلال الجدول رقم (30) نستنتج أنّ نوع التكوين يؤثّر على عمل الإمام، حيث سجلنا أكبر نسبة من الأئمة يجدون صعوبة في مناقشة القضايا التي يطرحها الجمهور وهي 36,76 % منهم أكبر نسبة تلقوا تكوينهم في الزوايا والجوامع بنسبة 48,38 % .
- من خلال الجدول رقم (31) سجلنا نسبة 54,41 % من الأئمة يطالعون المراجع ويبحثون فيها عن المعلومات و 51,47 % منهم يطالعون الصحف باستمرار، أمّا البحث في الانترنت سجلنا 67,64 % من الأئمة لا يستعملون هذه التقنية في البحث عن المعلومات، بمعنى أنّ الإمام يسعى لرفع مستواه من خلال البحث والمطالعة لسد الثغرات الموجودة في أدائه والذي هو انعكاس للتكوين الذي تلقاه.
- من خلال الجدول رقم (32) نستنتج أنّ نوع التكوين له علاقة بمصدر المعارف التي يملكها الإمام، حيث أنّ 38,23 % وهي أكبر نسبة من الأئمة حصلوا على المعارف والمعلومات التي يوظفونها في خطابهم من خلال اجتهادهم الشخصي، أكبر نسبة منهم هي 51,61 % تلقوا تكوينهم في الزوايا والجوامع بحيث لم تكفهم المعارف والمعلومات التي تحصلوا عليها من التكوين الذي تلقوه، فلجئوا إلى الاعتماد على أنفسهم للحصول على معارف جديدة يوظفونها في عملهم.
- من خلال الجدول رقم (33) تبيّن لنا أنّ الثقافة التي امتلكها الأئمة من التكوين في الزوايا والجوامع والمعاهد والجامعات، هي ثقافة شرعية بنسبة 51,47 % مقابل 11,76 % هي ثقافة عصرية، وبالتالي التكوين الذي تلقاه الإمام لم يزوّده بثقافة العصر الذي ينتمي إليه، والذي يخاطب فيه جمهوره.
- من خلال الجدول رقم (34) تبيّن أنّ 61,76 % من الأئمة يرون أنّ التكوين الذي تلقّوه غير كافٍ لتولي مهمّة الإمامة.
- من خلال الجدول رقم (35) نستنتج أنّ 42,64 % من الأئمة يرون أنّ التكوين الذي تلقّوه أهلهم قليلاً فقط للنجاح في عملهم، مقابل 19,11 % يرون أنّه أهلهم لمهامهم.
- من خلال الجدول رقم (36) نستنتج أنّ 44,11 % من الأئمة يرون أنّ التكوين الذي تلقّوه لم يمكّنهم من إنتاج خطاب مسجدي في مستوى تطلعات الجماهير الوافدة إلى المساجد.
- من خلال الجدول رقم (37) نستنتج أنّ 77,94 % من الأئمة غير راضون عن التكوين الذي تلقّوه سواء في المعاهد أو الجامعات أو الزوايا والجوامع.
- من خلال الجدول رقم (38) نستنتج أنّ 66,17 % من الأئمة يجدون فجوة بين التكوين الذي تلقوه وميدان العمل (العمل المسجدي).

وبعد مناقشة نتائج الجداول تبيّن لنا أنّ التكوين الذي تلقاه الإمام لا يساعده في مهامه ولا يمكنه من إنتاج خطاب مسجدي قادر على تزويد الشباب والناشئة بالثقافة الدّينية اللازمة لهذا العصر، فالتكوين لا يربط الإمام بواقعه وبمتطلبات عصره، ولا يعطيه المنهجية اللازمة في التبليغ والدعوة والإقناع ويعطيه علوم شرعية تؤدي به إلى معالجة المواضيع الدّينية والفقهية دون التعرض للمواضيع الاجتماعية التي تمس حياة المصلين، وخاصة الشباب الذي يطمح إلى التزوّد بالثقافة الدّينية التي تمكنه من مواجهة التحديات المعاصرة، وتحميه من الذوبان في ثقافات غيره، وتزيد من ارتباطه بالمسجد وابتعاده عن ما يؤثّر في سلوكه وأفكاره ومعتقداته وعليه يمكننا الحكم بأنّ الفرضية الأولى والتي مفادها أنّ: " التكوين الذي تلقاه الإمام لا يساعده في مهمّة الخطابة المسجدية ونشر الثقافة الدّينية اللازمة لمواجهة التحديات الراهنة "، قد تحققت.

7-5-2- مناقشة نتائج الفرضية الثانية

أظهر تحليل جداول الفرضية الثانية النتائج التالية:

- من خلال الجدولين (39) و(40) يتّضح أنّ 73,52 % من الأئمة يلاحظون إقبال مستمر للشباب والناشئة على المسجد، منهم 51,47 % يقبلون على المسجد لحضور الصلاة والنشاط المسجدي، مما يوضّح اهتمام الشباب ووعيهم بدور المسجد وحاجتهم إليه في حياتهم.
- من خلال الجدولين (41) و (42) يتبيّن أنّ 82,35 % من المساجد الخاضعة للدّراسة توجد فيها نشاطات مسجدية، و 36,76 % فيها نشاط واحد في الأسبوع وهي أعلى نسبة.
- من خلال الجدول رقم (43) يتّضح أنّ 38,88 % من النشاطات المسجدية يشرف عليها إمام المسجد نفسه، و 36,80 % يشرف عليها معلّمو القرآن الكريم بمعنى الإمام يشرف على الدروس والمحاضرات ومعلّمو القرآن يشرفون على حلقات التحفيظ.
- من خلال الجدول رقم (44) يتبيّن أنّ 27,94 % من النشاطات المسجدية هي نشاطات دينية مقابل 14,70 % من النشاطات الاجتماعية.
- من خلال الجدول رقم (45) نستنتج أنّ محاور النشاطات المسجدية تتمثل في العقيدة، التفسير، العبادات، السنّة، أخلاق المسلم وهذه بنسب متساوية وهي 10,10 % من مجموع النشاطات المقامة في المسجد، مقابل نسبة 04,15 % تتمثل في المعاملات و 03,06 % تتمثل في التزكية.
- من خلال الجدول رقم (46) يتّضح أنّ :
  - المسابقات الثقافية المكتوبة لا توجد ضمن النشاطات المسجدي سوى بنسبة 02,94 % .
  - معارض الكتاب والشريط الديني لا تقام في المساجد سوى بنسبة 07,35 % أمّا 55,88 % من المساجد لا تقام فيها هذه المعارض.
  - تتواجد المكتبة المسجدية في 80,88 % من مجموع المساجد المدروسة.

- لا تقوم المساجد باستضافة مشايخ لإلقاء كلمات وعظية إلاّ بنسبة 04,41 % مقابل 79,41 % من المساجد لا تستضيف هؤلاء المشايخ.
- يتمّ القاء دروس ومحاضرات في 75% من المساجد المدروسة.
- هناك 10,29 % فقط من المساجد تعلّق فيها لوحة تحمل البرنامج الأسبوعي للنشاطات المسجدية، قصد تعرّف المصلين عليها والتي تعدّ بمثابة إعلان للمصلين مقابل 89,70 % لا تعلق فيها هذه اللوحة.
- هناك فقط 14,70 % من المساجد المدروسة تصدر مطويات ومنشورات أسبوعية أو حتى شهرية تختص بدروس ومحاضرات لنشر الدعوة والتأثير على سلوك وأفكار المصلّين.
- هناك 76,47 % من المساجد توجد فيها صناديق للفتوى.
- هناك 57,35 % من المساجد لا توجد فيها نشاطات نسوية مقابل 13,23 % فقط توجد نشاطات خاصة بالنساء كالحلقات العلمية وحلقات التحفيظ وكذا فروع محو الأمية.
- حلقات تحفيظ القرآن موجودة في 72,05 % من المساجد المدروسة.
- بعض المساجد توجد فيها دروس لمحو الأمية للنساء والرجال وتقوم فيها لجنة المسجد المكوّنة من أهل الحي بجمع التبرعات لتجهيز المساجد، كما تقوم بتنظيف أفرشة وساحات المسجد، وتقوم بإحصاء للفقراء والمساكين في الحي قصد مساعدتهم ماديًا وهذا في بعض المساجد فقط وبنسب بسيطة جدًّا.

▪ من خلال الجدول رقم (48) يتبيّن أنّ 89,70 % من أئمة المساجد لا يقومون بعقد لقاءات مع أهل الحي لتلمّس حاجات أهله، ودعوتهم إلى الطريق الصحيح، ومحاربة الآفات والسلوكات المنحرفة بين أفراده، وهذا من صميم النشاط والعمل المسجدي. كما انعدمت 00 % نسبة الأئمة الذين يقومون بلقاء أهل الحي بصفة منتظمة، أمّا الذين يقومون بذلك أحيانًا فقد شكلوا نسبة 10,29 % .

▪ من خلال الجدول رقم (49) يتضّح أنّ هناك شبه إجماع من طرف الأئمة على أنّ وجود النشاطات المسجدية يساهم في نشر الثقافة الدّينية في أوساط الشباب والناشئة والمسلمين عامة من أفراد الحي الذي يوجد فيه المسجد، وهذا بنسبة 73,52 % مقابل 00 % من الذين يرون أنّها لا تساهم، فلو أنّ النشاطات المسجدية توجد بالكم والكيف المطلوبين لأعطت نتائج هامة على صعيد الثقافة الدّينية وتشكيل الوعي الديني ومن ثمّة تنمية الشعور الديني لأبناء الحي، فالنشاطات المذكورة سابقًا من معارض ومنتديات وأيام دراسية ومحاضرات ودروس وعظية وغيرها، كفيلة بأن تثمر شبابًا مثقّفًا واعيًا بما يحيط به، متداركًا لأخطائه وانحرافاته السابقة.

▪ من خلال الجدول رقم (50) يتضّح أنّ 13,23 % فقط من الأئمة يرون أنّ النشاطات المسجدية الموجودة حاليًا بالمساجد قد حققت الهدف من وجودها، مقابل 36,76 % يرون أنّ قليلاً فقط منها قد حقق الأهداف المرجوة، كما أنّ 32,35 % يرون أنّ مقاصد هذه النشاطات لم تتحقق ولم تعطِ نتائج

تذكر لعدّة أسباب ذكرها الأئمة من بينها أنّ الإمام وحده لا يستطيع القيام بكل شيء ما لم تقدّم له المساعدة من جهات أساسية في العمل المسجدي، فالأئمة يرون أنّ حلقات التحفيظ فقط أعطت نتائج جيّدة في كثير من الأحيان، أمّا على الصعيد الاجتماعي فلا توجد نشاطات وإن وجدت فهي بدون تنظيم أو تخطيط.

بعد عرض هذه النتائج، نتساءل هل تحققت الفرضية الثانية ؟

إنّ النتائج المعروضة تبيّن أنّ النشاطات المسجدية المتواجدة محصورة أساسًا في حلقات تحفيظ القرآن الكريم وبعض الدروس الأسبوعية خارج الجمعة والتي يقدّمها الإمام نفسه والذي يجد أنّ أدائه ناقصًا في إنتاج الخطاب المسجدي الفعّال للتغيير والتأثير في الجمهور المتلقّي له، فإن اجتهد أكثر في تقديم الدروس والمحاضرات سون تكون مثل تلك التي يقدّمها في خطابه يوم الجمعة، كما أنّ النشاطات الاجتماعية والتي ترتبط وتتعلّق مباشرة بالحياة اليومية لأبناء الحي فهي غائبة تمامًا، والنشاط المسجدي الموجود يفتقر إلى التخطيط والتنظيم وحتّى التنسيق، مما أدّى إلى عدم تحقيق المنتظر من وراء هذا العمل وهو نشر الثقافة الدّينية، بتوعية الشباب الناشئ من خطورة السلوكات المنافية للدين، كالانحراف الأخلاقي والسّلوكي وارتكاب المعاصي والآفات والجرائم، وإظهار السّلوك المغالي والقيام بأعمال متطرفة، وحتى التخلي عن المعتقدات الإسلامية والتنصّر، وامتثال السلوكات التي يدفع بها الإعلام المغرض في زمن العولمة، التي تسعى كما قلنا سابقًا إلى عولمة الأفكار والسلوك والمعتقدات.

وعليه فإنّ الفرضية الثانية المصاغة كما يلي: " النشاطات الدّينية المسجدية غير كافية لنشر الثقافة الدّينية التي يحتاجها الشباب والناشئة "، قد تحققت.

7-5-3- مناقشة نتائج الفرضية الثالثة

أظهر تحليل الجداول ما يلي:

- من خلال الجدولين (53) و (54) نستنتج أنّ 46 % من المصلين المبحوثين يحضرون إلى المسجد بصفة دائمة، منهم 66 % يأتون من أجل صلاة الجماعة والجمعة و 20 % منهم يحضرون للصلاة والنشاط المسجدي.
- من خلال الجدول رقم (55) نستنتج أنّ 65 % من المصلين يهتمّون بسماع الخطاب المسجدي الملقى عليهم مقابل 35 % يحضرون للعبادة فقط.
- من خلال الجدول رقم (56) يتضح لنا تأثير المستوى التعليمي على مستوى المعرفة والثقافة الدّينية، حيث كلّما ارتفع المستوى التعليمي كلّما زادت الثقافة في الجانب الديني، حيث أنّ 40 % ممن أجابوا أنّهم مثقفون دينيًا هناك 66,66 % منهم لهم مستوى ما بعد التدرج و 61,90 % لهم مستوى جامعي.

- من خلال الجدول رقم (57) يتبيّن أنّ المبحوثين حصلوا على ثقافتهم الدّينية من خلال الإعلام الديني المتمثل في التلفزيون والفضائيات بنسبة 17 % والشريط الديني 15 % والكتاب الديني 13 % كما أنّهم حصلوا عليها من مصادر أخرى كالأصدقاء، المدرسة، الأسرة والانترنت بنسبة 14 % أمّا حصولهم على الثقافة الدّينية من خلال المسجد لوحده فقط كان بنسبة 10 % فقط.
- من خلال الجدول رقم (58) يتضح أنّ المصلين المبحوثين يفضّلون الحصول على الثقافة الدّينية من خلال وسائل الإعلام الديني المسموعة والمرئية بنسبة 35 % ومن الخطاب المسجدي بنسبة 30 % أمّا وسائل الإعلام الديني الأخرى المسموعة فقط (الشريط الديني) والمطبوعة (الكتاب الديني) وحتّى الصحف المخصصة في المجال الديني فقط جاء بنسب 15 % و 10 % لكلٍّ منهما.
- من خلال الجدول رقم (59) يتضح لنا أنّ 59 % من المصلين المبحوثين يرون أنّهم غير راضين عن مستوى الخطاب المسجدي بسبب وجود الإعلام الديني الذي يحصلون من خلاله على الثقافة الدّينية والوسائط الأخرى التي يحصلون من خلالها على الثقافة الدّينية والمتمثلة في وسائل الإعلام الديني السمعية البصرية والمطبوعة.
- من خلال الجدول رقم (60) يتبيّن أنّ 68 % من المصلين يرون أنّ وجود وسائل أخرى لنشر الثقافة الدّينية وهي الإعلام الديني أنقصت من تأثير والاهتمام بالخطاب المسجدي وبالتالي أثرت على وضعيته ومكانته لدى جمهور المسجد، أي قلّلت من اهتمام النّاس به ورضاهم عن مستواه.
- من خلال الجدول رقم (61) يتضح أنّ المستوى التعليمي يؤثر على الاستفادة من الخطاب المسجدي للإمام، بحيث من بين 43 % الذين يستفيدون من الخطاب هناك 83,33 % لهم مستوى يقرأ ويكتب فقط، أمّا الذين يستفيدون قليلاً فقط يشكلون نسبة 37 % منهم 66,66 % بمستوى ما بعد التدرج والذين لا يستفيدون منه إطلاقًا هم الجامعيين بنسبة 42,85 % .
- من خلال الجدول رقم (62) يتبيّن أنّ للمستوى التعليمي تأثير على رأي المصلين المبحوث في مواضيع الخطابات المسجدية، فأصحاب مستوى جامعي وما بعد التدرج يرون أنّ المواضيع قديمة وروتينية، أمّا 75 % من الذين يرون أنّها حديثة وهامة هم من فئة يقرأ ويكتب فقط.
- من خلال الجدول رقم (63) نستنتج ما يلي :

- بالنسبة لتأثير العولمة على الدين هناك 18 % من المصلين سمعوا إمام مسجدهم يتحدّث عن هذه الظاهرة مقابل 79 % منهم سمعوا عنها من خلال الإعلام الديني.
- بالنسبة لظاهرة التنصير هناك 39 % سمعوا عنها في الخطاب المسجدي مقابل 65 % سمعوا عنها من الخطاب الإعلام الديني.
- بالنسبة لظاهرة الغلو والتطرف هناك 47 % سمعوا عنها في الخطاب المسجدي مقابل 100 % سمعوا عنها في وسائل الإعلام الديني.

- بالنسبة لظاهرة للانحراف الأخلاقي هناك 100 % من المبحوثين سمعوا عنها في الخطاب المسجدي للإمام ونفس النسبة في وسائل الإعلام الديني.
- بالنسبة لظاهرة الإرهاب والجريمة 68 % سمعوها في خطاب الإمام و 100 % في وسائل الإعلام الديني.
- بالنسبة للغزو الفكري والثقافي هناك 27 % سمعوا عنه في المسجد بينما 59 % سمعوا عنه في وسائل الإعلام الديني.
- بالنسبة لظاهرة المخدّرات والتدخين 88 % من المبحوثين سمعوا إمام المسجد يتحدّث عنها في خطابه و 100 % سمعوا عنها في وسائل الإعلام الديني.
- بالنسبة لظاهرة السّرقة 100 % من المبحوثين سمعوا عنها في كلّ من المسجد ووسائل الإعلام الديني.
- بالنسبة لحوادث المرور 02 % فقط سمعوا عنها في المسجد و 48 % سمعوا عنها في وسائل الإعلام الديني.
- بالنسبة لقضايا البيئة ولا مبحوث سمع إمامه يعالجها أمّا 28 % سمعوا عنها في وسائل الإعلام الديني.

وهذا يظهر بوضوح أنّ الظواهر والقضايا والأحداث في العصر الحالي لا تعالج في الخطابات المسجدية، بينما تناقش بقوّة في وسائل الإعلام الديني التي أصبحت الوسيلة الأهم التي تعالج القضايا والتحديات الرّاهنة.

- من خلال الجدول رقم (64) نستنتج أنّ 66 % من المبحوثين غير راضين عن محتوى ومستوى الخطاب المسجدي مقابل 34 % يشعرون بالرضى عنه. وهذا راجع لعدّة أسباب من بينها أنّ الإمام لا يعالج المواضيع التي يحتاجها المصلي ويودّ من إمامه أن يثقفّه في مجالها مما ولّد عدم الرضى لدى هؤلاء وكلما كان الإمام يناقش القضايا التي يحتاجها المصلّين كلّما شعروا بالرضى عن محتوى ومستوى خطابه.
- من خلال الجدول رقم (65) يتضح لنا أنّ الجنس لا يؤثّر على استشارة الإمام في الأمور الدّينية، حيث أنّ انتشار الوسائل التي تنشر الثقافة الدّينية (الإعلام الديني)، أدّت بالأفراد من الجنسين إلى معرفة أمور دينهم، وبالتالي عدم الحاجة إلى فتاوى الإمام.

إنّ وسائل الإعلام الديني من سمعية وبصرية ومطبوعة، بما تحمله وتقدّمه من معلومات ومعارف في الجانب الديني أدّت بالجمهور إلى عدم الرّضى عن الخطاب المسجدي للإمام، خاصّة إذا كان المستوى العلمي والثقافي والديني لهؤلاء مستوى عالٍ قد يفوق مستوى الإمام، كما أنّ الدّعاة والأئمة في وسائل الإعلام الديني، يعالجون مواضيع حسّاسة وراهنة تجعل من النّاس ينجذبون إليها أكثر، نظرًا

لكمية ونوعية المادة المطروحة والتي لا تتوفّر في المسجد عند إمامه، سواءً لضعف مستوى الإمام، أو لعدم حرّيته في معالجة كلّ المواضيع، مما أدّى إلى خلق نفورًا لدى المستمعين إليه، وبما أنّ هناك البديل في الكتب والأشرطة والفضائيات والإذاعة، فهذا ولّد عدم الاهتمام من طرف المصلين بما يلقي عليهم في المسجد حتّى أنّ الكثير من المصلين ينتقدون ما يقدّمه لهم الإمام في كلّ مرّة، إذ ما يسمعونه منه اليوم يعيده عليهم في فرصة لاحقة، حتّى أنّ أمور الفتوى لم تعد من مهام الإمام لوحده، وأصبحت المرأة تستمع على مدار الساعة إلى الفتاوى والأحكام الدّينية وهي ماكثة في بيتها، وعليه انتشرت الثقافة الدّينية أكثر مع وسائل الإعلام الديني بكل أنواعها، مما قلّص من أهمية الخطاب المسجدي وتأثيره على النّاس وتراجعت مكانته ووضعيته ورضى النّاس عن مستواه ومحتواه.

ومن خلال كلّ هذه النتائج يمكننا القول أنّ الفرضية الثالثة " الحصول على الثقافة الدّينية من خلال وسائل الإعلام الديني أدّى إلى عدم الاهتمام بالخطاب المسجدي للإمام "، قد تحققت.

7-5-4- الاستنتاج العام

من خلال مناقشة نتائج الفرضيات، يمكننا القول أنّ المسجد لم يعد كما كان سابقًا مدرسة للتربية وتهذيب وتقويم سلوك الفرد المسلم وتزويده بالثقافة الدّينية الإسلامية التي تمكّنه من مجابهة ما يواجه أمّته الإسلامية عامة وما يواجهه كفرد مسلم، وأصبح دوره مقتصرًا على أداء العبادات، يفتح مع الآذان وتغلق أبوابه مع التسليم إلاّ في القليل النادر، حيث لا زال يقوم ببعض الأدوار الثانوية، والنشاطات الدّينية المتمثلة أساسًا في تحفيظ القرآن الكريم وبعض الدّروس والمحاضرات.

بينما كان في عهوده الأولى مركزًا للإشعاع العلمي والثقافي والديني، وجامعة لنشر مختلف العلوم والمعارف الدّينية، انطلقت منه بوادر التثقيف الديني والتربية والتعليم، تعليم أمور الدّين والدّنيا معًا، والمعلّمون والمربّون هم الأئمة الذين يقتفون أثر النبي صلى الله عليه وسلم ويستلهمون سننه في تعليم النّاس وتوجيههم، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بتعليم العبرية والسّريانية، " واليوم يجب أن يوجّه المسجد لتعليم لغات العلم والكمبيوتر والانترنت، كما أنّ تعلّم اللغات الأجنبية واجب ديني وحضاري يفرضه العصر لخدمة قيم الأمّة وثقافتها " [144](ص12) . فمن المسجد انطلق أجدادنا وإلى وقت قريب، لتعليم الحساب وعلم الفلك والكيمياء والطب والصيدلة وترجمة العلوم إلى العربية.

والمسجد هو الأمين على عقيدة الأمّة وإيمانها، يوجّه المجتمع ليعيش دنياه بدينه وعقيدته ويمثّل الضمير الحي للأمة والذي بدونه يتعرّض المجتمع للانزلاق في مهاوي الانحلال والتفسخ والإباحية ثمّ الاندثار، ومن مهام المسجد أيضًا محاربة دعاة الفتنة والشقاق والتعصب والغلو والتطرف وكل ما يمس واقع الأفراد.

ومن البديهي أنّ المقصود بالمسجد إمامه، الذي يضمن له أداء هذه الرسالة الدّينية والوطنية الجليلة، ولن يتأتّى هذا إلاّ بوعي مختلف الأبعاد التي تشكّل واقع مجتمعنا ثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا

وسياسيًّا، في إطار الوضع الحضاري العام والتطوّر السريع الذي يشهده العالم من حولنا، إذ الخطوة الأولى لعلاج واقع مهزوز تتمثل في إدراك تناقضاته ومفارقاته ووعي ملابساته وخلفياته واعتبار مناخه وتضاريسه، والإمام لا يمكنه القيام بذلك ما لم يتمّ إعداده بطريقة مدروسة لكن الواقع أثبت ضعف الأئمة في جانب الخطابة والتأثير، ولعل واقع هذا الأداء الهزيل مرتبط بنقص وضعف التكوين الذي يحصل عليه الإمام، وحتى أنّ بعض المساجد أسندت لغير أهل الاختصاص، الإمام فيها مجرّد موظّف ينتظر أجره في آخر الشهر، ليضمن معيشة أبناءه، ذلك أنّ السّياسة التكوينية في الجزائر، لا تراعي ولا تتماشى مع التطوّر الذي حدث في الجزائر والعالم، إذ أنّ نقص الإطارات الدّينية بعد الاستقلال أدّى بالوزارة الوصية على القطاع الديني إلى اللجوء إلى التكوين السريع (عامين أو لثلاث) لسد العجز في القطاع".[4](ص187) ، لكنها لم تعمل اليوم على تغيير وتطوير هذا النمط من التكوين فالكم موجود على حساب الكيف، فالإمام الذي حصل على تكوين ضعيف غير مرتبط في كثير من الأحيان بالواقع المعاش يجد نفسه عند الالتحاق بالميدان غير قادر على إنتاج خطاب مسجدي فعّال، لا يمكنه استيعاب الجماهير الوافدة إليه والباحثة عن ما يزوّدها بالثقافة الدينية التي تحتاجها.

فالمسلم اليوم، وخاصة الناشئة والشباب أصبح عرضة لكثير من المخاطر، التي تؤثر على دينه وأخلاقه، فلو أنّ الإمام تلقى تكوينًا كاملاً سواء في مراكز التكوين أو الجامعات، لكان قادرًا على صياغة المجتمع المتماسك القادر على الوقوف والصّمود أمام التيارات والتحديات الموجودة في القرن الواحد والعشرين من عولمة ثقافية واقتصادية وإعلامية والتي أدت بالكثير منهم للانسياق وراء الأفكار المضلّلة والسلوكات والانحرافات الهدّامة، فأصبح المسلم يوصف بالإرهابي لسلوكه طرق الغلو والتعصّب، أو يرتدّ عن دينه ويعتنق دين غيره، يتنصّر أو يترك ما أمره به دينه وينغمس في الحياة المنحرفة، والآفات الخطيرة كالتدخين والمخدّرات والسلوكات اللاأخلاقية فالمسجد ابتعد عن حياة الناس، والنشاط الديني والاجتماعي فيه ضئيل، لا يستطيع إحداث التغيير والإرشاد والإصلاح، فرغم أنّ النشاط المسجدي مسموح به في القوانين والمراسيم التنفيذية إلاّ أنّه مقيّد بشروط، من بينها أن يقوم الإمام بالإشراف عليه والقيام به، وهذا لعدم خلق خطاب موازٍ للخطاب المسجدي الرسمي للإمام، المقيّد بما تفرضه عليه الوزارة الوصية لكنّ الإمام لا يستطيع القيام بذلك لوحده ويحتاج إلى معاونين.

وانطلاقًا من كل هذا فإنّ المسجد في مجتمعنا الجزائري يعاني من عدّة نقائص، فالمجتمع قد تطوّر، أمّا المسجد فقد بقي في مكانه ولم يتطور، ولم يعمل على توجيه الإنسان ليتدبر ويجتهد للوصول إلى الفهم السليم والصحيح للدين ومقاصد الشريعة وفق ما تمليه سنّة التطوّر والتغيّر والتجديد، كما أنّ الإمام مازال محصور في تعريفات فقهية نظرية بعيدة عن فقه الواقع، تجعل من المستمع إليها يعود للعيش بنمط ما كان عليه المسلمون الأوائل دون التمييز بين ما هو خالد لا يتغير وما هو مجرّد نمط معيشة أملته ظروف بيئة مادية واجتماعية وحضارية سابقة يزول بزوال هذه الظروف ويتطوّر بتطوّرها.

فإذا شعر الفرد بالملل مما يقدمه له الإمام، سوف ينصرف عن المسجد حتى وإن حضر إليه، فهذا من أجل أداء العبادات فقط، ولم يكن أبدًا المسجد لأداء العبادة فقط.

وإذا ابتعد الفرد عن المسجد، سوف ينشأ ويتكوّن بعيدًا عن المناخ الحضاري الإسلامي، ويتأثر بمنهجية التفكير الغربي القائمة على نظرة خاصة للكون والإنسان والحياة والوجود، من خلال وسائل الإعلام المغرضة.

والحديث عن وسائل الإعلام، يقودنا للحديث عن الإعلام الديني والذي أضحى الملاذ لهؤلاء الباحثين عن الثقافة الدّينية التي لا يجدونها في مسجدهم من خلال خطاب إمامه، فساهم في نشر الثقافة في المجال الديني، وأعطى كمًّا ونوعًا من المعلومات والمعارف الدّينية لا يوفّرها الخطاب المسجدي، فحدث عدم رضى الجمهور المسجدي عن ما يقدّمه لهم الإمام وخلق في كثير من الأحيان نفورًا منه وتباينًا بين المصلّين وإمام المسجد، خاصة أنّ الإعلام الديني المرئي والمسموع يتوفّر على خصائص إعلامية من صوت وصورة وحركة وألوان وسرعة توصيل المعلومات وتوفير مشايخ ودعاة من العالم الإسلامي لهم منهجية في الإقناع ووسائل التبليغ والقدرة على تقديم الحجج والبراهين التي تؤدّي إلى الإقناع والفهم والاستيعاب، وعلى رأس هذه الوسائل القنوات التلفزيونية الفضائية التي توظف كثير من الأمور لكسب وجذب النّاس إليها نظرًا لانتشارها الواسع في المجتمع.

وعليه فإنّ المسجد اليوم لم يعد يستجيب لمتطلبات وتحديات العصر، ولم يعد كما كان مدرسة لنشر الثقافة الدّينية الإسلامية، التي تمكّن الشباب والناشئة خاصّة من مواجهة التحديات الدّينية والأخلاقية في هذا العصر، وأصبح مكانًا لأداء العبادة فقط دونما إحداث تغيير وتطوير وتقدّم للمجتمع المسلم.

خـاتمـة

يعدّ المسجد بنية مركزية في التنشئة والثقافة الدينية، باعتباره فضاءًا ثقافيًا وروحيًا للتلاقي المستمر بين أعضاء المجتمع الإسلامي، وقد شكّل في بداية دعوة الرّسول صلى الله عليه وسلم نواة مقدّسة لتشكيل الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنوّرة، حيث كان يحتضن عدّة وظائف تعليمية، اجتماعية، عسكرية وسياسية، ورغم تغيّر الظروف الحالية عن الظروف المجتمعية الأولى، إلاّ أنّ أهمية ووظيفة المسجد لم تنته، بل ازدادت وتقوّت في اتجاه تعزيز الفكر الدّيني الإسلامي السليم في ظل الظروف والتحدّيات الرّاهنة.فخصوصية الفضاء المقدّس للمسجد تجعل قدرته على التعبئة الدينية أكثر تأثيرًا من الوسائل الأخرى.

وترجع الأهمية الخاصة التي يتمتّع بها المسجد في المجتمع، إلى المركز الذي يشغله بسبب عدّة عوامل، تاريخية واجتماعية وحضارية، فخطاب المسجد في ظل الواقع الاجتماعي السائد، يتميّز بسهولة وسرعة التسرب إلى مختلف الطبقات والشّرائح الاجتماعية، وتزداد قوة تأثير الخطاب المسجدي بقوّة المعاني التي يلقيها الخطيب ومدى قدرته على الاقتراب من الجمهور المسجدي من خلال إثارة الأحاسيس الدينية والرّوحية والتعبير عن الدّراية الواقعية بالظروف الاجتماعية والتحدّيات الدينية والأخلاقية المعاشة، لأنّ القناة المسجدية يمكن أن تصنع الخطيب الذي يتمتع بسلطة منبرية وسلاح لغة الوعظ والإرشاد، ويحظى بشعبية جمهور المصلين، وقد يتحوّل إلى عنصر مقاومة ونقد إصلاحي للممارسات السّلبية المنافية للقيم الإسلامية ونشر الثقافة الدينية التي يحتاج إليها أبناء هذا العصر.

ومما يثير الانتباه عند الحديث عن المساجد هو قضية الخطاب المسجدي، إذ لا شك أنّ الخطبة الأسبوعية يوم الجمعة، تحظى بالاحترام والقداسة في أعين النّاس وتجلب الكثير منهم، ممّا يجعلها قادرة على ممارسة تأثير أسبوعي كبير من خلال ما تحمله من مضمون توجيهي ثقافي ديني مباشر أو غير مباشر.

ومن النّاحية الجوهرية، ينبغي التأكيد على أنّ هذه المؤسسة الشعبية الدينية، مهمتها توفير الأمن الروحي والتثقيف الديني للفرد المسلم، كهدف ينسجم مع فكرة الإمامة ويخدم أسسها من خلال تحصين المجتمع من محاولات الإختراق المذهبي الوافد، ممّا يتطلّب تقوية الثقافة الدينية المسجدية القائمة على الخطاب المسجدي المعتدل المتصدّي لكل محاولة لتوظيف المسجد في غير محله، بما هو فضاء له حرمته ومكانته.

إلاّ أنّ ظروف الحياة الحديثة، جعلت الكثيرين من النّاس، خاصّة الأجيال الناشئة ينصرفون عن هذه المنابع الروحية، دون أن يعلموا أنّ روح أمتهم وسرّ عظمتها وسبيل بقائها يرتكز على الصّلة القوية القائمة بين الجماعة والجامع.

لكن مساجد اليوم وفي بلدان كثيرة تمرّ بأزمات شديدة تخرجها عن مهامها، وتحول بينها وبين تحقيق أهدافها، ومن أهم هذه العقبات والأزمات سيطرة بعض الجهلة من الوعاظ على المساجد [137] وهذا مرض قديم، ولكنّ الفرق بين الأمس واليوم أنّ أعداء الأمّة بالأمس ما كان لهم قدرة التأثير في فكرنا وفي عقائدنا، ولكنّ اليوم اختلفت الصّورة، وأصبح بإمكان الأعداء محاربتنا فكريًا واقتصاديًا، بينما ينشغل بعض خطباء مساجدنا بالإسرائيليات والقصص الموضوعة، لتقتصر ثقافة المسلمين على أمور شكلية تجعلهم فريسة سهلة بعد ذلك للوقوع في الأفكار المنحرفة.

إنّ كثيرين من هؤلاء يشكلّون ضررًا للإسلام بقصدٍ أو بغير قصدٍ، خصوصًا إذا أصبحوا سببًا في صدّ النّاس عن المساجد، وإبعادهم عنها بسبب جهلهم، وعدم نفعهم للمسلمين بما يطرحون من أفكار غامضة، ومفاهيم بعيدة عن ذوق النّاس وتطوّرات الحياة، خصوصًا بالنسبة للشباب الذي يتطلّع إلى المفاهيم التّي تملأ نفسه بالرضى والقناعة لا المفاهيم البائدة المشكّكة بجدارة الإسلام وقدرته على مسايرة تطوّرات الحياة.

إلى جانب جعل المسجد قاصرًا على الصلاة، فقد أصبح المسلمون يسمعون في كلّ مكان من يقول أنّ وظيفة المسجد هي الصلاة، أمّا توعية المسلمين وإرشادهم، وتربيتهم، لا يحسب من وظائف المسجد، وهكذا تقلّص دور المسجد على المجتمع، وإنعزل عن حياة النّاس بعد أن كان محور حياتهم، وفارقته معظم الوظائف التّي كان يقوم بها، فكانت النتيجة أن فارقت روح المسجد كلّ تلك العلوم والمعارف التّي كانت تدرس فيه، خرج القضاء، والتعليم والتشاور والتناصح بين المسلمين، وكذا إعداد الجيوش، وأصبح لكلٍّ منها مؤسسة أو هيئة خاصة بها.

الفصل 6
الأسس المنهجية للدّراسة الميدانية

إنّ الباحث عن الحقائق العلمية والموضوعية، يحتاج إلى أسس منهجية تدعّم البحث عند البدء في الدراسة الميدانية، معتمدّا في ذلك على خطوات سليمة تتوّج في الأخير بالتحليل الموضوعي الصحيح للمعطيات المحصّل عليها من الميدان.

فالخطوات التي يرتكز عليها البناء المنهجي هي تحديد المناهج المتّبعة وإبراز أهم الأدوات المستعملة في جمع وتحليل المعطيات، يليها اختيار عينة البحث ومجالات الدراسة، ولا يمكن نسيان المقاربة السوسيولوجية المعتمدة في الدّراسة.

6-1- المناهج المستخدمة في الدّراسة

ليس هناك أطروحة دون منهج، ودون منطلق منظّم، يكون مرتبط ومتعلّق بميدان البحث والموضوع[150](ص27) والمنهج هو الطريقة التي يتّبعها الباحث في رصد الحقائق والتي تمكّنه من الإجابة على الأسئلة التي طرحها في الميدان وانطلاقًا من النسيج المنهجي، وقد وقع الاختيار على المناهج التي تلائم طبيعة هذا البحث من حيث الإشكالية والفرضيات والنتائج المستهدفة:

1- المنهج الوصفي التحليلي : هو منهج ضروري لدراستنا، لكي نفحص الموضوع من كلّ جوانبه ونطّلع عليه، فيجب وصف الموضوع لتتضح صورته ثمّ نقوم بالتحليل، فالباحث في علم الاجتماع لا يقتصر عمله على الوصف رغم أهميته[151](ص352) وقد اعتمدناه في دراستنا، لأنّ الظاهرة محل الدّراسة تستدعي الوصف والتحليل لتفسير كلّ معطيات العمل الميداني، بغية الوصول إلى نتائج دقيقة، فالدّراسة تهدف إلى وصف وتحليل العلاقة الموجودة أوّلاً بين أداء الإمام والتكوين الذي خضع له، وكذا تفاعل المصلين مع الخطاب المسجدي والنشاط المسجدي بصفة عامة وكذا علاقة الفرد بالخطاب والمعارف الدّينية أي الثقافة الدّينية من خلال الوسائط التي تساهم في نشرها، خاصّة عندما يتعلّق الأمر بتحديد دور ومكانة المسجد في توجيه المصلين نحو الثقافة الصحيحة واختيار ما يناسب العصر من مواضيع دينية واجتماعية، إضافة إلى محاولة التعرف على الوسيلة أو الوسيط المفضّل لدى المصلين الذي ينقل لهم الثقافة الدّينية، ومدى اهتمامهم بما يقدّمه لهم الإمام في خطابه.

2- الإحصاء : لا يمكن إدراجه كمنهج، بل هو " وسيلة تساعد الباحث في جمع وتحليل البيانات " يظهر من خلال جمع البيانات بالاستمارة وتفريغها في جداول إحصائية، تساعد أكثر على التفسير والتحليل، وتضمن ولو جزء يسير من الفصل المنهجي والقطيعة الابستمولوجية بين الموضوع والأنا "[152](ص31) ولقد وظّفت التقنية هذه، في جمع وإحصاء إجابات المبحوثين كمعلومات كيفية وإعطائها الصورة الرقمية في جداول ذات نسب مئوية يمكن قراءتها بصورة تمكّن من فهم الظاهرة المدروسة.

2-6- أدوات جمع وتحليل المعطيات

يقصد بأدوات جمع المعطيات الوسائل التي يستعين بها الباحث لجمع مختلف المعطيات والبيانات اللازمة للقيام بدراسته، أمّا أدوات تحليل المعطيات فهي أساليب تحليل المعطيات والمعلومات التي جمعها من الميدان. وتمثلت الأدوات المستخدمة في:

أ- الملاحظة : لم تستعمل كأداة أساسية في جمع البيانات، بل استعملت أثناء اختيار العينة، وذلك من خلال الحضور إلى المساجد في أيام الجمعة، وكذا في شهر رمضان المعظّم، الذي يزداد فيه النشاط المسجدي،من خطب ودروس وصلاة تراويح، إضافة إلى حضور عدد أكبر من المصلّين.

ب- المقابلة : لقد قمنا بلقاء السيد ناظر الشؤون الدّينية وكذا السيّد مفتش التكوين المسجدي، إضافة إلى موظّفين في عدّة مصالح بنظارة الشؤون الدّينية لولاية البليدة، الذين قدّموا لنا شروحات حول نظام التكوين، وشروط الالتحاق بمعاهد التكوين وكذا بمناصب العمل، في كلّ صنف من أئمة معلمين، مدرسين وأساتذة، كما قدّموا لنا إحصائيات حول عدد المساجد والأئمة بالولاية، وزوّدونا حتى بعناوين المساجد قصد تسهيل التوجه إليها ومعرفة الأحياء التي تتواجد فيها.

جـ- الاستمارة : هي أهم أداة اعتمدت في الدّراسة الميدانية لجمع المعطيات، احتوت استمارة الأئمة على (52) سؤال منها المغلقة ومنها المفتوحة، مقسمة إلى 03 محاور: البيانات العامة (10) أسئلة، بيانات الفرضية الأولى (17) سؤال وبيانات الفرضية الثانية (23) سؤال.

أمّا استمارة المصلين فقد احتوت على (25) سؤال، منها (03) أسئلة للبيانات العامة، (22) سؤال يخصّ الفرضية الثالثة.

أمّا أدوات تحليل المعطيات فهي مقسّمة إلى (03) أقسام:

أ- أدوات التحليل الكمي : وظفنا فيها جداول مركبة وأخرى بسيطة، بلغ عدد الجداول المركبة (19) جدول، وعدد الجداول البسيطة (39) جدول، تحتوي هذه الجداول على تكرارات ونسب مئوية، وذلك لتحويل الأعداد إلى نسب يمكن التعليق عليها.

ب- أدوات التحليل الكيفي : يظهر ذلك في تفسير الجداول وتحليلها سوسيولوجيا، باستنطاق أرقام الجداول للحصول على استنتاجات.

جـ- أدوات عرض البيانات : حيث تمّ عرض البيانات الميدانية ضمن جداول لتفسيرها وتحليلها، ومن ثمّة الوصول إلى النتائج ومدى تحقق أو عدم تحقق الفرضيات.

3-6- كيفية اختيار العينة

يجد الباحث نفسه غير قادر على القيام بدراسة شاملة لجميع مفردات البحث، ولذا يعتمد على وسيلة بديلة، " وهي الاكتفاء بعدد قليل من هذه المفردات، يأخذ ما في حدود الوقت والجهد والإمكانيات المتوفرة، فيدرسها ويعمّم صفاتها على المجموع وهو ما يسمى بالعيّنة "[153](ص165) فالعينة " وحدة تدرس جزءًا صغيرًا من مجتمع البحث بعد اختياره منتظمًا أو عشوائيًا "[1544](ص49) . فبعد تحديد مجتمع البحث تأتي مرحلة اختيار العيّنة المناسبة الممثلة له وبما أنّ نوع العيّنة يرتبط بنوع الدّراسة وطبيعة البحث، فسوف نختار أوّلاً عينة خاصة بالأئمة الرّسميين الذين يتمّ توزيع الاستمارات عليهم، فقمنا باختيار العينة " الطبقية " نظرًا لطبيعة المجتمع المدروس الذي يتألف من 03 فئات وهي: الأئمة الأساتذة، الأئمة المدرّسون والأئمة المعلّمون، ذلك أنّ العيّنة الطبقية يتمّ استعمالها عندما تكون لنا معرفة مسبقة بمجتمع البحث، ومعرفة بالمجموعات التي يتألف منها ".[155](ص120)

وكي تكون العيّنة علمية، ينبغي أن تكون تمثيلية للمجتمع الأصلي، لكن هذا لا يتعلّق بحجمها بقدر ما يتعلّق بكيفية اختيارها وخصائصها بحيث إذا كانت خاطئة فإنّها لا تضمن نجاعة النتائج حتى لو بلغ 100000 شخص في العيّنة " [156](ص93) ، أي أنّ في مستوى ثقة معين وفي هامش احتمال الخطأ، فإنّ حجم العيّنة المدروسة مستقل عن حجم مجتمع البحث. [157](ص423)

وقد اتبعنا المراحل التالية للحصول على أفراد العينة :

جدول رقم 03 : إحصاء أعضاء السلك الديني لولاية البليدة [158]

البلدية	أستاذ	مدّرس	معلّم	معلّم قران	مؤذن	قيّم
البليدة	06	11	06	10	06	19
بوعرفة	01	01	03	01	01	03
أولاد يعيش	01	02	01	05	01	00
بني مراد	03	02	00	02	01	03
الشفة	01	04	00	05	01	04
عين الرمانة	00	00	01	05	00	01
موزاية	01	04	05	07	02	05

العفرون	01	03	03	07	01	04
واد جر	00	01	01	04	00	02
واد العلايق	01	04	04	12	03	04
بني تامو	02	03	04	07	03	05
بن خليل	00	02	04	05	00	02
بوفاريك	02	04	04	10	06	06
الصومعة	01	02	02	04	01	02
قرواو	00	02	03	03	01	00
بوينان	01	03	02	03	00	00
بوقرة	01	04	02	04	01	00
الأربعاء	03	03	02	07	02	02
الشبلي	00	02	06	04	03	00
أولاد سلامة	00	04	00	00	01	00
مفتاح	01	05	02	02	03	00
جبابرة	00	00	01	01	00	00
حمام ملوان	00	02	02	00	00	01
الشريعة	00	00	01	00	00	00
صوحان	00	00	01	00	00	00
المجموع	26	67	67	108	37	63

جدول رقم 4 : إحصاء أئمة ولاية البليدة حسب مديرية الشؤون الدّينية والأوقاف

الفئـــة	العدد	النسبة
إمـام معلّم	67	% 41,87
إمـام مدرّس	67	% 41,87
إمـام أستاذ	26	% 16,25
المجمـوع	160	% 100

أمّا فيما يخص نسبة السّبر فهي (½) فكانت النتائج كما يلي:

- إمام معلّم ← 67 × ½ = 33,5 ≈ 33 إمام.
- إمام مدرّس ← 67 × ½ = 33,5 ≈ 34 إمام.
- إمام أستاذ ← 26 × ½ = 13 إمام.

وعليه يكون عدد الأئمة المبحوثين هو 80 إمام(33+34+13=80)، لكن عند توزيع الاستمارات استرجعنا 68 استمارة فقط، بينما 12 استمارة أعيدت فارغة لأسباب ذكرناها في صعوبات الدّراسة فقمنا بإلغائها.

أمّا فيما يتعلّق بالعينة الثانية، والتي تخصّ جمهور المصلّين، فقد اخترنا العينة المقصودة وهي العيّنة التي لا يختارها الباحث بطريقة الصّدفة بل يختارها بطريقة متعمّدة، فيختار العدد المطلوب من الوحدات حسب إرادته ومشيئته، فالباحث يختار الأشخاص الذين يعتقد أنّهم صالحون وملائمون لتزويد البحث بالمعلومات المطلوبة. [159](ص20)

وفي هذه العينة راعينا عدّة أمور، من بينها أن تكون العينة من نفس المساجد التي خضع أئمتها للاستمارة، لمعرفة ما إذا كانت الخطب تؤثر فيهم وكذا رضاهم من عدمه على الإمام وكذلك أخذت فئة الشباب ممّن لا يقلّ سنه عن 15 سنة ولا يزيد عن 40 سنة.

غير أنّني لم أراع باقي المتغيرات كالجنس والمستوى التعليمي، فقد كان الاختيار عشوائيًا هنا. تتكون عينة البحث من 100 فرد من الجنسين، وعلى أساسها قمنا بالدراسة الميدانية.

وأخيرًا فإنّ العينة الإجمالية للدّراسة (أئمة ومصلّين) بلغت (168) مبحوث (ة).

أمّا بالنسبة للمساجد فإنّ اختيارها جاء بطريقة قصدية أيضًا فقد تمّ اختيار المساجد التي رضيَ أئمتها أن يجيبوا على أسئلة الاستمارة.

6-4- مجالات الدّراسة الميدانية

سنتناول في هذا الجزء المجالين الزماني والمكاني:

أ- المجـال الزمـاني : لقد تمّ تحديد المدّة الزمنية لهذا العمل من سبتمبر 2005 إلى نوفمبر 2007 انقسمت هذه المدّة إلى المراحل الآتية:

- المرحلـة 01 : هي مرحلة البحث عن المراجع، امتدت حتى نهاية جانفي 2006 .

- المرحلـة 02 : تتمثّل في البداية الفعلية للدّراسة النظرية وقد شملت الشهور من فيفري إلى ماي 2006 مع وجود بعض الفصول ناقصة.

- المرحلـة 03 **:** في هذه المرحلة قمنا بجمع المعلومات الناقصة، لاستكمال الدّراسة النظرية وهذا خلال عطلة الصيف أي من جوان إلى سبتمبر 2006 .

- المرحلـة 04 **:** بعد استكمال الجزء الأكبر من الدّراسة النظرية، جاءت مرحلة بناء الاستمارة وتوزيعها الأمر الذي استغرق المدّة ما بين نوفمبر وديسمبر 2006 لكن لم يتجاوب الأئمة مع محاور وأسئلة الاستمارة، فقمنا بإعادة بنائها للمرّة الثانية مع حذف بعض الأسئلة التي أدّت إلى رفض الأئمة ملئ الاستمارة بسببها.

- المرحلـة 05 : بعد بناء الاستمارة للمرّة الثانية، وتوزيعها على مراحل، حيث تمّ توزيع 20 استمارة، فحدث تقريبا نفس الشيء مع الاستمارة الأولى، فقمنا بحذف بعض الأسئلة وتعويضها بأسئلة أخرى. واستمر هذا حتى شهر مارس 2007 .

- المرحلـة 06 : تمّ توزيع الاستمارة النهائية التي لقيت تجاوبًا مقارنةً مع سابقاتها، وكان ذلك على 04 مراحل، في كلّ مرحلة يتم توزيع 40 استمارة وجمع ما تمّ ملؤه والباقي يسترجع كما أخِذَ، فتكملنا من جمع 68 استمارة فقط. كما تمّ في هذه المرحلة أيضًا بناء استمارة المصلين وتوزيعها وجمعها وكان ذلك بسهولة حيث استمرت هذه المرحلة (06) حتى نهاية شهر ماي 2007 .

- المرحلـة 07 : من بداية جوان إلى نهاية سبتمبر 2007 ، تمّ فرز الاستمارات، وبناء الجداول وتحليلها وعرضها على الأستاذ المشرف، بعد تصحيحها وقبولها من طرفه، وصلت الدّراسة إلى المرحلة النهائية وهي نتائج الفرضيات والنتائج العامة للدّراسة.

وخلال الفترة المتبقية إلى غاية نهاية نوفمبر، تمّ استكمال كلّ النقائص في الجانبين النظري والميداني وشرعنا في طبع المذكرة.

ب- المجـال المكـاني : شمل المجال المكاني أو الجغرافي للدّراسة، مجموعة من مساجد ولاية البليدة، التي اختيرت قصدًا نظرًا لتجاوب أئمتها مع الدّراسة.

والجدول التالي يبيّن توزيع المساجد على بلديات ودوائر ولاية البليدة:

جدول رقم 6 : إحصاء بعدد المساجد في البلديات والدوائر لولاية البليدة [160]

الرقم	الدوائر	البلديات			عدد المساجد
01	البليدة	البليدة	بوعرفة	/	33
		27	06	00	
02	أولاد يعيش	أولاد يعيش	بني مراد	الشريعة	12
		05	06	01	
03	موزاية	موزاية	الشفة	عير الرمانة	20
		11	06	03	
04	العفرون	العفرون	واد جر	/	10
		07	03	00	
05	واد العلايق	واد العلايق	بني تامو	ابن خليل	30
		13	10	07	
06	بوفاريك	بوفاريك	قرواو	الصومعة	28
		13	06	09	
07	بوينان	بوينان	الشبلي	/	15
		07	08	00	
08	بوقرة	بوقرة	أولاد سلامة	حمام ملوان	17
		07	06	04	
09	الأربعاء	الأربعاء	صوحان	/	10
		09	01	00	
10	مفتاح	مفتاح	جبابرة	/	13
		11	02	01	
		المجموع			188

5-6- الاقتراب النظري للدّراسة

من الضروري لكلّ دراسة سوسيولوجية أن تعتمد على إطار نظري محدّد، تحاول من خلاله الاقتراب من نظرية معينة، والتي تعتبر الإطار التصوري أو الطريقة التخمينية العقلية التي تُمكّن من إعطاء تفسير واضح للظاهرة المدروسة، فعن طريق النّظرية تتحدّد الأبعاد التي يتناولها الباحث في موضوع دراسته وتساعده في عدم خروجه عن هذا الإطار.

ومن هنا كان لهذه الدّراسة اقتراب سوسيولوجي نظرًا لارتباطه بالإشكالية والفرضيات، إذ يمكن دراسة هذا الموضوع بإدراجه في الإطار النظري الأكثر مرجعية وفي هذا المجال يمكن الاستناد إلى نظرية التنشئة الإجتماعية، تعتبر التنشئة العملية التي من خلالها تتولّى المجتمعات غرس روح الجماعة في بناء أفرادها، بحيث يشبّ هؤلاء الأفراد حاملين لقيم المجتمع وثقافته، وهي القيم والثقافة التي توجّه سلوكياتهم في مختلف المجالات أو النظم الاجتماعية، وتنجح التنشئة الاجتماعية إذا استطاعت أن تخلق تطابقًا بين مستويات ثلاث: ما تفرضه ثقافة المجتمع وقيمه، وما يوجه سلوكيات الفرد في المجتمع، وما يتطلّبه الدّافع الاجتماعي، غير أنّه لكي تؤدي التنشئة وظائفها على المستويات المذكورة فإنّها تحتاج إلى الوسائل أو المؤسسات التي تيسّر لها ذلك.

وعند الحديث عن مؤسسات التنشئة، فإنّ المسجد هو من أهم هذه المؤسسات ولكي يؤدي المسجد دوره فإنّه قد يلجأ إلى عدّة وسائل كالتلقين المباشر للقيم والمعايير المتحكمة في سلوك الفرد وعلاقته مع الآخرين وقد يلجأ إلى إقناع الفرد بقيم ومعايير محدّدة.

ويعتبر المسجد مصدرًا مهمًا من مصادر التنشئة الاجتماعية وغرس القيم والاتجاهات والمعتقدات الدّينية التي يمكن أن تلعب دورًا فعّالاً في توجيه سلوكيات الأفراد والمجتمع، وتبدوا أهمية الاتصال الشخصي والمباشر في تنقية ما تبثّه وسائل الإعلام التي تؤثر في ثقافة الفرد في عدّة مجالات عن طريق التوجيه والإصلاح والتصحيح، كما يقوم بتثبيت الأفكار والمعتقدات الصحيحة التي تأتي عن طريق هذه الوسائل.

ومن هنا تظهر أهمية الدّور الذي يقوم به المسجد في تلقين الفرد القيم وتنشئته وفق التعاليم الدّينية السامية، وتوجيهه التوجيه المناسب عن طريق الاحتكاك المستمر، الذي يرضى عنه المجتمع وبالتالي ينتقل تراث وثقافة الأمة إلى الأجيال وتغرس فيهم الروح التي يقبلها مجتمعهم، أي أنّ للمسجد بما في ذلك الإمام والخطاب المسجدي وكذا النشاطات المسجدية دور في عملية التنشئة والتّطبيع الاجتماعي وتنمية شخصية الأفراد.

قائمة المراجع

1. بن عثمان فهيمة، أنماط تكوين الأئمة في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2005.

2. . لكحل الهواري، مصادر التدين لدى الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، سنة 2006.

3. مرزوق الشريف، اتجاهات أئمة المساجد نحو الأساليب التربوية، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والإعلام، كليّة أصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1999.

4. طوّابة نور الدين، دور المسجد في تطوير المجتمع الإسلامي المعاصر، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والإعلام، كليّة أصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1993.

5. الشامي علاء، الإعلام الديني والتأثير السياسي (دور الخطاب الديني في وسائل الاتصال في تشكيل اتجاهات الشباب المصري نحو القضايا السياسية). أطروحة دكتوراه جامعة أسيوط، 1995.

6. إمام الشريف محمّد أحمد هاشم، البرامج الدينية في القنوات الفضائية العربية، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، مصر، 2006 .

7. عرافي صالح السيد، أساليب تطوير الخطاب الديني في الفضائيات العربية، (دراسة ميدانية للمشاركة في ملتقى حول الخطاب الديني في الفضائيات)، جامعة مصر، سنة 2005.

8. ماهر سعاد، مساجد في السيرة النبوية، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1986.

9. الجزائري أبو بكر، كتاب المنبر، المكتبة العصرية، المدينة المنوّرة، ط1، 2001.

10. الزركشي محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1412 هـ.

11. عبد الحميد مهدي، أمة الجمعة، دار الشهاب للطباعة والنشر، ج1، الجزائر، 1992.

12. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، الفصل الثالث والأربعون، الجزء الأوّل، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

13. محمود علي عبد الحليم، المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، 1976.

14. القرضاوي يوسف، العبادات في الإسلام، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1971.

15. الإمام غسّان، (رهان المسجد... الجامعة والشارع)، جريدة الشعب، الجزائر، غاب عنّي العدد، 1992.

16. البستاني فوائد أفرام، منجد الطلاب، دار الشروق، بيروت، ط27، 1983.

17. الشنتاوي أحمد وغيره، دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، بدون سنة.

18. وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الموسوعة الفقهية، الجزائر، ج1، بدون تاريخ.

19. ابن جوزي، القوانين الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، دون سنة.

20. الجريدة الرسمية، العدد 20، 1 ماي 1991.

21. خليفة إجلال، (التحدّيات الأساسية التي تواجه الإمام)، مجلة منار الإسلام، الإمارات، ج2، 1982.

22. عيساوي أحمد، (محاولة رسم سمات ومعالم ثقافة الإمام الداعية)، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الكويت، العدد 452، الشهر 1، 2003.

23. القرضاوي يوسف، مفهوم الخطاب الديني وأساليب تجديده، نقابة الصحفيين المصريين، مصر، 2003.

24. راس مال عبد العزيز، (الإمام ثقافة)، رسالة الإمام وتوجيهه للرأي العام، أعمال الملتقى التكوين بعين صالح، 29/28 ماي 2003.

25. فضيل عبد القادر، (منهجية بناء الخطاب المسجدي)، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 2، سبتمبر 2003.

26. الصقيري عبد العزيز، (الهوية الإسلامية التحديات)، مقال منشور في موقع شبكة المعلومات القومية السورية، يوم 2005/03/12.

27. محمد عمر نوال، دور الإعلام الديني في تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ط1، 1984.

28. صليبا جميل، المعجم الفلسفي، ج1، بدون دار نشر، بدون طبعة، بدون تاريخ.

29. دليو فضيل وغربي علي، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 1999.

30. بو عبد الله لحسن، تقويم العملية التكوينية بالجامعة، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 1998.

31. بوفلجة غياث، الأسس النفسية للتكوين ومهامه، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، وهران، 1984 ، ص 5 .

32. السيّد محمد حسن الأمين، (قضية العلاقة بين الدين والثقافة)، مقال منشور في موقع www.maaber.5omefs.com يوم 12 جويلية 2007.

33. جيروم شاهين، (أيّة ثقافة دينية ؟)، مقال منشور في موقع www.maaber.5omefs.com يوم 25 جانفي 2005.

34. محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع، عالم المعرفة، الكويت، العدد 99، 1986.

35. منجود مصطفى محمود، الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام، سلسلة الرسائل الجامعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، العدد 66، 1996.

36. بيوكنكيتي، التربية الأخلاقية في رياض الأطفال، تر: فوزي عيسى، مراجعة كاميليا عبد الفتاح، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.

37. عبد المنعم محمد، الممارسات التربوية في التربية الإسلامية بالمدرسة الثانوية العامة، مؤتمر التربية الدّينية وبناء الإنسان المصري، جامعة المنصورة، 21 ديسمبر 1993.

38. أبحاث المؤتمر الدولي للطفولة في الإسلام، 9 – 12 أكتوبر 1990، جامعة الأزهر القاهرة، 1990.

39. توفيق مراد، (أساليب التربية الدينية الإسلامية)، موقع المنشاوي للدراسات والبحوث، www.minshawi.com ، يوم 1 جوان 2004.

40. الشيوخ علي محمّد، (الحملات الإعلامية الغربية على الإسلام)، مجلة صفوى الإخبارية، السعودية، العدد 39، 2006.

41. شهاب أحمد، (نحو تناول علمي لمفهوم العولمة)، مجلة الكلمة، بيروت، العدد 25، 1999.

42. بريتساي مارتين عبد الله، التربية والتداخل الثقافي، تر: جورجيت الحداد، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 2003.

43. عزوزي حسن، (الهوية الإسلامية وتخصيصها من التحدّيات الخارجية)، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد 449، 2002.

44. أبو طاحون علي عدلي، سوسيولوجيا التطرف الديني، (جذور ومظاهر التطرف الديني بين أتباع الديانات السماوية، مع دراسة للواقع المصري)، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية، 1999 ، بدون طبعة.

45. الحديث النبوي الشريف.

46. بن صنيتان العمري عبد الكريم، الدّور الأمني للمسجد، ورقة عمل مقدّمة لندوة المجتمع والأمن بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 2/21 إلى 2/24، سنة 2004.

47. تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ط2.

48. وجّاج الحسين، (رسالة المسجد في الإسلام)، مجلة دعوة الحقّ، المغرب، بدون عدد، عام 1994.

49. الأجهوري نور الدين علي، رسالة في فضل إنشاء المساجد وعمارتها، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي، ط2، مصر، 1981.

50. ناصح علوان عبد الله، تربية الأولاد في الإسلام، دار الشهاب، باتنة، الجزء2، دون طبعة، دون سنة.

51. طلّوحي محمّد ماجد عباس، المسجد عمارة وطراز وتاريخ، سجل العرب، الجزائر، بدون طبعة، 1978.

52. زوهري عبد الهادي، ثقافة الأطفال بالمغرب، مطبعة MBH، أسفي، المغرب، ط1، 1999.

53. مختار علي محمّد، دور المسجد في الإسلام، دار الأصفهاني للطباعة والنشر، جدّة، بدون طبعة، سنة 1980.

54. الولي طه، المسجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 1، 1988.

55. المشوّر السعيد، دور المسجد في بناء المجتمع، دار السلام للنشر، الرباط، ط1، سنة 2000.

56. سيّد عبد المجيد بكر، أشهر المساجد في الإسلام : البقاع المقدسة، مطبعة سحر، جدة، السعودية، بدون سنة.

57. مجموعة من الباحثين، أبحاث مؤتمر رسالة المسجد، رابطة العالم الإسلامي، ط1، 1974.

58. الشنقيطي محمد الداه بن أحمد، مكانة المسجد وقدسيته في الإسلام، دار الهدى، جدّة، ط1، 2006.

59. جيرة عبد الرحمن، دور المسجد في المجتمع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض، 2004.

60. الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، مناقب الإمام الشافعي، المكتبة العلامية، بدون بلد، ط1، بدون سنة.

61. القدسي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، بدون بلد، بدون سنة.

62. مجلة الوعي الإسلامي، السنة 10، العدد 112، 1974.

63. المرسوم التنفيذي رقم 91 – 81 مؤرخ في 07 رمضان 1411 هـ الموافق لـ 23 مارس 1991 م.

64. محمّد سالم عطية، أصول الخطابة والانتماء، دار التراث، المدينة المنوّرة، ط1، 1988.

65. العمري محمد، فن بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.

66. محفوظ علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار المعارف، الجزائر، دون طبعة، دون سنة.

67. حاوي إيليا، فن الخطابة وتطوّره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، دون طبعة، دون سنة.

68. ضيف شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارض، مصر، ط2، 1999.

69. درويش محمّد طاهر، الخطابة في صدر الإسلام، دار الرحاب للنشر والفنون المطبعية، بورسعيد، دون طبعة، 1987.

70. الساوي محمّد سمير، علم الخطابة (طريقة تعلّم الخطابة وأشهر الخطب في التاريخ)، دار العصماء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

71. السويدان طارق محمد، فن الإلقاء الرائع، شركة الإبداع الفكري، الرياض، ط1، 2003.

72. منير رامي، الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي المعاصر، بدون بلد، ط1، 2005.

73. فياض أسمى، فن الخطابة والإلقاء وأسرار التأثير في الجمهور، دار فياض للنشر، السعودية، دون طبعة، 2004.

74. موركان نك، قواعد التأثير في المستمعين، شركة الحوار الثقافي، بدون بلد، ط1، 2005.

75. المصري عبد الله، الدين بين الحدود والتواقع، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، لبنان، دون طبعة، سنة 2004.

76. علي نجاة، فن الإلقاء (بين النظري والتطبيق)، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، ط1، 2003.

77. صديقي العربي، البحث عن ديمقراطية عربية (الخطاب والخطاب المقابل)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2007.

78. الدميجي عبد الله بن سليمان، الإمامة العظمى، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1409 هـ.

79. مقال: (دور ومكانة المسجد في المجتمع)، جريدة العصر، الجزائر العدد 2، يوم 1990/9/17.

80. القروي محمد العربي، الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية، بيروت، ط1، بدون تاريخ.

81. الماوردي علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدّينية، مطبعة مصطفى بأي الحلبي، القاهرة، ط3، 1993.

82. عسيري علي بن حسن بن ناصر، مسؤولية أمام المسجد، منشورات الحلبي، سورية، ط1، 2000.

83. صقر عبد البديع، كيف ندعوا الناس، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 1996.

84. الأهدل عبد الله، دور المسجد في التربية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 1، سنة 1986.

85. عبد الحليم محي الدّين، خطبة الجمعة والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، دون طبعة، دون سنة.

86. تقرير الأيام الدراسية التكوينية لنظارات الشؤون الدّينية والمفتشين (التكوين في قطاع الشؤون الدينة من 76 إلى 96 وآفاقه المستقبلية) جويلية 1996.

87. تقرير الدخول المدرسي بالمعاهد الإسلامية 98 – 99 مديرية التعليم القرآني والتكوين، وزارة الشؤون الدّينية والأوقاف، 1998.

88. ابن الحميد (إمام المسجد الحرام)، خطبة حول دور الإمام، شريط K7.

89. البلوي سعود، ضرورة نقد الخطاب الديني، دار التراث، السعودية، دون طبعة، 2003.

90. النيفر أحميدة، الدين والدولة في المغرب الإسلامي، (المسجد بين عالمين)، دار العمل، تونس، ط1، 2000.

91. الطيّار عبد الله بن محمد، الصّلاة، الإدارة العامة للثقافة والنشر، المملكة العربية السّعودية، 1991.

92. خان صديق حسن، الخطبة المنبرية للجمعة والمناسبات الشرعية، شركة شهاب للنشر والتوزيع، (ب ت).

93. الغزالي محمد، مائة سؤال عن الإسلام، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية، الجزائر، ط2، 2001.

94. الطنطاوي علي، فصول إسلامية، دار المنار للنشر والتوزيع، جدّة، دون طبعة، 1990.

95. القاسي محمد جمال الدّين، عاصم بهجت بيطار، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدّين، دار النفائس، ط1، الجزائر، 1986.

96. حمزة عبد اللطيف، الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة، بدون تاريخ.

97. قفّة حيدر، دلالات فقهية مختارة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005.

98. شحاتة حسن، تعليم الدّين الإسلامي بين النظرية والتطبيق، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 1996.

99. قروط مسعودة، تقويم التربية الإسلامية في المدرسة الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، سنة 2000.

100. الضبع يوسف ثناء، تعليم المفاهيم اللغوية والدينية لدى الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2001.

101. محمد علي الحسين، (التربية الدينية للطفل)، دراسة منشورة في موقع كربلاء المقدسة، www.kerbalaa.com ، يوم 17 ماس 2005.

102. جعنيني نعيم، التربية والتعليم الديني، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2005.

103. زبيدة سامي، الشريعة والسلطة في العالم الإسلامي، دار المدار الإسلامي، الرياض، ط1، 2006.

104. عبد الإله ممدوح، أساليب تنمية المعلومات والشعور الديني، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، الرياض، ط1، 2004.

105. خاتشردريان الكساندر، تربية الطفل إسلاميًا، دار فياض للنشر، السعودية، ط1، 2003.

106. إسماعيل نهى، مؤشرات التعليم الإسلامي في الرياض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2000.

107. المسقري محمد بن سعيد، (وسائل تنمية الثقافة الدينية)، مقال منشور في موقع طريق الإسلام www.islamway.com ، يوم 4 أفريل 2006.

108. حامد عمار، مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2000.

109. محمد عطا إبراهيم، طرق تدريس التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1996.

110. سعادة جودت أحمد، استخدام الأهداف التعليمية في جميع المواد الدراسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1991.

111. الشافعي إبراهيم محمد، التربية الإسلامية وطرق تدريسها، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1989.

112. الهاشمي عابد توفيق، طرق تدريس التربية الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1985.

113. صالح جمال محمد وآخرون، كيف نعلم أطفالنا في المدرسة الابتدائية، مكتبة أطلس، بدون بلد، ط3، 1962.

114. عبّاس جواد، (الإعلام الديني)، مقال منشور في موقع www.biblio.islamonline.net يوم 2007/01/19.

115. حداد يكن منى، أبنائنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1983.

116. . سعد فاروق، من المنظور الإسلامي، منشورات الحلبي، سوريا، ط2، 1999.

117. عز إيمان، (النمو الأخلاقي عند الطفل)، مجلة النبأ، العدد 66، 2002.

118. عبد العال حسن، تطور النمو الروحي للأطفال، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2001.

119. متري طارق، الحوار الديني الثقافي في منطقة البحر المتوسط في إطار العولمة، ترجمة سناء مسعود، مكتب التربية الدولي، جنيف، 1977.

120. طبية مصطفى، الثورة العلمية والتكنولوجية والعالم العربي، دار المستقبل العربي، القاهرة، بدون طبعة، 1983.

121. حجي أحمد إسماعيل، المعونة الأمريكية للتعليم في مصر، سلسلة قضايا تربوية، عالم الكتب، مصر، العدد 10، 1993.

122. الطواري طارق محمد، التطرف والغلو، (الأسباب، المظاهر والعلاج)، دراسة مقدّمة للمؤتمر الدولي الرابع حول الاعتدال ونبذ التطرف في الإسلام)، بفيفاي، سويسرا، منشورات AMV، جامعة الكويت، 2005.

123. الدجاني أحمد صدقي، (مفهوم التطرف قراءة في شروط الوسطية)، مقال منشور في الموقع www.islam4all.com ، يوم 22 جويلية 2004.

124. العودة سلمان، حقيقة التطرف، شريط k7 .

125. عبد الكافي عمر، ظاهرة التطرف، شريط k7 .

126. اللويحق عبد الرحمن، (الغلو في الدين في حياة المسلمين)، مقال منشور في موقع www.islam4all.com يوم 18 جويلية 2005.

127. الجريسي خالد، انحراف الشباب، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، بدون بلد، بدون طبعة، 2003.

128. الملاح نادر، (انحرافات الشباب وانجذابهم للتيارات الشاذة)، مقال منشور في موقع www.Tarbia.net يوم 24 ماي 2006.

129. السعيد محمد، الشباب بين موقعه في الأمّة وواقعه، دار الشهاب، باتنة، بدون طبعة، سنة 2000.

130. العثيمين محمد بن صالح، (انحراف الشباب ومشاكله)، مقال منشور في الموقع www.islamonline.net ، يوم 19 ماي 2003 .

131. الغزالي محمد، صبيحة تحذير من دعاة التنصير، دار الانتفاضة، الجزائر، ط1، 1992.

132. جلال موسى، (تزايد ظاهرة التنصير في الجزائر)، مقال منشور في الموقع www.iraqcentre.net يوم 06 أوت 2006 .

133. براهيمي كمال، الزّواج من الإسرائيليات، الشروق اليومي، الجزائر، العدد 128، يوم 8 أفريل 2001.

134. العشماوي محمد سعيد، الإسلام السياسي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، 1990.

135. مرزوق العمري، (الخطاب المسجدي في الفضائيات العربية)، مجلة المجتمع، بدون عدد، 2004، ص 13.

136. الشقحاء محمد المنصور، (شخصية إمام المسجد وعمله)، مقال منشور في الموقع http//Mohamed-s-maktoobblog.com ، يوم 26 جوان 2006.

137. الجبرين عبد الله، (فصول ومسائل تتعلّق بالمسجد)، مقال منشور في الموقع المختار الإسلامي: www.islamselect.com ، يوم 11 أوت 2005.

138. بن خيرة نجيب، (دور المسجد في عصر العولمة)، مقال منشور في الموقع المختار الإسلامي: www.islamonline.net ، يوم 2 أكتوبر 2004.

139. العنزي عزيز بن فرحان، البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط1، 2004.

140. العقل ناصر عبد الكريم، أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، بدون طبعة، 1998.

141. أهويو حسن، (سياسة تدبير الحقل الديني في المغرب الإسلامي)، مقال منشور في الموقع www.islamsm scop.com ، يوم 30 أوت 2007.

142. التركي عبد الله بن عبد المحسن، الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001.

143. علماء نجد الاعلام، مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة تمس العصر، الرئاسة العامة للإدارات البحوث العلمية والإفتاء الدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984.

144. طبارة عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، بدون طبعة، 1998.

145. العثيمين محمد بن صالح، مكارم الأخلاق، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2004.

146. مزهر عبد الغني أحمد جبر، خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001.

147. الغامدي عبد اللطيف بن هاجس، (اللؤلؤ والعسجد في تفعيل دور المسجد)، موقع المفكرة الدعوية، www.dawahmemo.com ، يوم 25 مارس 2007.

148. Beaud Michel, l'art de la thèse, Ed casbah, Alger, 1999.

149. Gravits Madlhène, Méthodes des sciences sociales, Dalloz, 09eme éd, paris.

150. Boudon Rymond, Les méthodes en sociologie, paris, éd, 1988.

151. إحسان محمّد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي. دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986.

152. غريب محمّد عبد الكريم، البحث العلمي، التصميم، المنهج والإجراءات. مكتبة النهضة، مصر، ط1، 1996.

153. Quellet Gilles, Méthodes quantitatives en sciences humaines. Ed le Griffon d'argile 1989.

154. Duclos Demis, Meynand Hélène, Les sondages d'opinion. Casbah, Alger 1998.

155. Gikkes Alian, Eléments de la méthodologie et d'analyse statistique pour les sciences sociales. MC Graw – Hill édition, Montréal, Canada.

156. إحصاء أعضاء السلك الديني، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف، مصلحة الموظفين، البليدة، يوم 28 جانفي 2006.

157. Angers Maurice, Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines. Edition casbah, Alger, 1997.

158. إحصاء مساجد البليدة، مديرية التكوين، البليدة، 2006.

159. عكام محمّود، فكر ومنبر مفاهيم وقضايا تقدّمها خطبة الجمعة، دار فصّلت للدّراسات والتّرجمة والنشر، حلب، جزء 1، بدون سنة.

160. القرضاوي يوسف، (قضية تصاعد الصحوة الإسلامية)، موضوع نشر في موقع www.islamonline.net يوم 16مارس 2005.